الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي
في ضوء الدراسات القديمة والحديثة

حيدر غضبان محسن الجبوري

إلى مجلس كلية التربية في جامعة بابل
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها

بإشراف
الأستاذ الدكتور
صباح عباس سالم الخفاجي

1424 هـ **2003م**

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد۞ الله الصمد۞ لم يلد
ولم يولد۞ ولم يكن له كفوا أحد۞

صدق الله العلي العظيم
الإخلاص

الإهداء

إليك سيدي ومولاي المقدس ، شهيد الله في جمعته :
محمد محمد صادق الصدر ﴿ قدس ﴾

وإلى من سار على خطك الخالد :
السيد فاضل الموسوي و أخي وصديقي محمد الحربي .

و إلـهمزة الوصل التي لا تسقط من الدرج ، أخي وصديقي أبدا :
أحمد رحيم كريم اللبان .

لهؤلاء ولمن وضع تراب بلدي بين عينيه ... ،
بحثي هذا

حيدر

عرفانا بالجميل

1. إلى أستاذتي الدكتور رحيم الحسناوي والدكتور علي عبد الحسين زوين والدكتورة لطيفة عبد الرسول لما قدموه من رعاية كريمة طوال كتابتي للبحث .
2. إلى الأستاذ عباس هاني الجراخ لما بذله من صبر ومكابدة على كتبه التي أعارنيها .
3. إلى خالي أبو ماجد وخالتي ام ماجد في النجف الأشرف لاحتضانهما إياي طيلة مكوثي في بيتي الثاني (النجف) .
4. إلى شقيق روحي محمد منعم الجدوعي ، وإخوتي وأحبائي : عبد الحسن عباس الجمل الحلي قلبا / النجفي مولداً ، وقاسم كتاب عطا الله ، والسيد حيدر كاظم الرشتي ، ومحمد عبد الحسن حسين ، والسيد رحيم كريم الشريفي ، ومحمد عبد الكاظم حمزة ، وعدي عبد الجاسم ، ومحمد كاظم .
5. إلى الأمل المشرق إيمان محمود محمد ، والأخوات الست زينة غني ، والست أنوار عبد المجيد السوداني، والست حميدة خليل .
6. إلى أختي الست سراب والست أحلام في مجانية التعليم ، والأستاذ حيدر كامل زيدان والأستاذ أبي علي والعاملات معهما في مكتبة جامعة بابل ، والست رقية والعاملات معها في مكتبة التربية الفنية ، والست ازهار والعاملات معها في مكتبة الحلة العامة .
7. إلى العاملين في مكتبة الإمام علي عليه السلام ومكتبة الإمام الحكيم في النجف الأشرف ، والعاملات في المكتبة المركزية جامعة بغداد ، ومكتبة كلية الآداب جامعة بغداد ، والدار الوطنية للكتب والوثائق في بغداد ، ومكتبة الأوقاف العامة في بغداد .
8. إلى الأخ هادي ناصر (أبي آية) في مكتبة الصادق . والأخ نجاح (أبي حيدر) في مكتبة الرياحين ، والأخ باسم في مكتبة المرتضى ، وإلى الأخ باسل وناصر في مكتب مصادر (الراوي سابقا) في بغداد.
9. إلى الأخ الأستاذ علي يعقوب والست آمنة حبيب في مكتب الصفا لما بذلاه من جهد وصبر في طبع هذا البحث ، وأبي ذرى في مكتب عدن ، واسحق ومن معه في مكتب الوميض .

اقرار المشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد أن إعداد رسالة الطالب (حيدر غضبان محسن) الموسومة بـ ((الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي ، في ضوء الدراسات القديمة والحديثة)) قد جرى بإشرافي ، في قسم اللغة العربية في كلية التربية – جامعة بابل ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

المشرف على الرسالة :
الاسم : د . صباح عباس سالم الخفاجي
الدرجة العلمية : أستاذ .
الإمضاء :
التاريخ :

بناء على التوصيات المتوافرة ارشح هذه الرسالة للمناقشة .

رئيس قسم اللغة العربية :
الاسم : د. علي ناصر غالب .
الدرجة العلمية : أستاذ .
الإمضاء :
التاريخ :

قرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة : نشهد أننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ ((الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي ، في ضوء الدراسات القديمة والحديثة)) التي أعدها الطالب (حيدر غضبان محسن الجبوري) وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفي ماله علاقة بها ، وهي جديرة بالقبول بتقدير : (جيد جدا) لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

عضو اللجنة
الاسم : د. جواد كاظم عناد
الدرجة العلمية : استاذ مساعد .
الإمضاء :
التاريخ :

عضو اللجنة
الاسم : د. صباح عطيوي عبود
الدرجة العلمية : استاذ مساعد
الإمضاء :
التاريخ :

عضو اللجنة (المشرف)
الاسم : د. صباح عباس سالم

رئيس اللجنة
الاسم : د. علي عبد الحسين زوين

الدرجة العلمية : استاذ
الإمضاء :
التاريخ :

الدرجة العلمية : استاذ
الإمضاء :
التاريخ :

أصادق على ما جاء في قرار اللجنة المناقشة
عميد كلية التربية
الاسم : د. عبد الإله كربل رزوقي
الدرجة العلمية : أستاذ .
الإمضاء :
التاريخ :

مسرد الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
التمهيد : في تاصيل الدراسة الصوتية عند العرب (منهج الخليل في مقدمة كتاب العين)	
الفصل الأول (أسس دراسة الأصوات مفردة)	
أولا :المنهج الخارجي والغرض :	
1- منهج دراسة الأصوات مفردة	
2-الغرض من دراسة الأصوات مفردة	
ثانيا : الحرف والصوت والنفس	
1- مفهوم الحرف	
2- الفرق بين الصوت والنفس	
3- عدد الاصوات اللغوية	
ثالثا : اسس دراسة المخارج :	
1- مفهوم المخرج	
2- عدد مخارج الأصوات وأصولها	
3- طريقة ترتيب مخارج الأصوات	
4- تذوق مخارج الأصوات	
رابعا : اسس دراسة الصفات :	
1- في مصطلح الصفة	
2- مفهوم الصفة	
أ- ما درس من صفات صوتية في ذلك الباب	
ب- فائدة الصفة وأهميتها	
ج- الغرض من دراسة الصفة	

3- أداة تذوق الصفات	
4- الصفات القوية والضعيفة	
5- الصفات الأصلية والصفات العارضة	
6-مفهوم الخفاء	
7- تقسيم الصفات	
8- منهج دراسة الصفات	
الفصل الثاني (مخارج الأصوات وترتيب الأصوات فيها)	
أولا: مخارج الأصوات الصوائت والواو والياء الاحتكاكيتين	
أ- مخارج الصوائت الطوال	
ب- مخارج الصوائت القصار	
ج- مخرجا الواو والياء غير المديتين	
ثانيا: ترتيب الأصوات على مخارجها	
مخارج الحلق	
مخارج اللسان	
مخارج الشفة	
مخرج الخيشوم	
الفصل الثالث (الصفات المتضادة)	
أولا: الجهر والهمس	
أ- المفهوم اللغوي	
ب- المفهوم الاصطلاحي	
ج- موقفنا من مفهوم القدماء للجهر والهمس	
د- عدد الأصوات المجهورة والمهموسة	
هـ- مشكلة الهمزة والقاف والطاء	
ثانيا: الشدة والرخاوة	
1- المعنى اللغوي	
2- المعنى الاصطلاحي	
3-التجربة التي يتعرف بها على الأصوات الشديدة والرخوة	
4- الشدة والرخاوة بين القدماء والمحدثين	
5- عدد الأصوات الشديدة والرخوة	
6- مشكلة صوت الجيم	
7- صفة التوسط	
أ- المصطلح	
ب- مفهوم صفة التوسط	
1-اصل الأصوات المتوسطة	
2- عدد الأصوات المتوسطة	
أ- صوت العين	
ب- أصوات (ل ر ن م)	

ج- الألف والواو والياء	
3- مفهوم التوسط عند المحدثين	
8-تصنيف الأصوات بحسب صفات (الجهر والهمس) و(الشدة والرخاوة والتوسط)	
ثالثا: الإطباق والانفتاح	
1- المصطلح	
أ- المدلول اللغوي	
ب- علاقة المدلول اللغوي بالاصطلاحي	
ج- المدلول الاصطلاحي	
2- الإطباق والانفتاح عند المحدثين	
3- موقفنا من قضية الإطباق والانفتاح	
رابعا:الاستعلاء والاستفال (الانخفاض)	
1-الاستعلاء والانخفاض عند القدماء	
أ-المصطلح	
ب- المدلول اللغوي	
ج- نمو المصطلح وتكامله	
د- مواضع دراسة صفتي الاستعلاء والاستفال	
هـ- المدلول الاصطلاحي لصفتي الاستعلاء والاستفال عند القدماء	
2- الاستعلاء والاستفال عند المحدثين	
3- الطبقية والإطباق والتحليق والتغوير عند المحدثين	
خامسا: التفخيم والترقيق	
1- التفخيم والترقيق عند القدماء	
أ- المنهج	
ب- التفخيم والترقيق في اللغة	
ج- التفخيم والترقيق اصطلاحا	
2-التفخيم والترقيق عند المحدثين	
الفصل الرابع (الصفات المفردة)	
أولا: صفات سببت صفات أخر	
1- الغنة	
أ- الغنة عند القدماء	
ب- الغنة عند المحدثين	
2- الانحراف	
أ- الانحراف عند القدماء	
ب- الانحراف عند المحدثين	
3- التكرير	
أ- التكرير عند القدماء	
ب-التكرير عند المحدثين	
ثانيا: صفات ناشئة من صفات أخر	

1- القلقلة والاشراب والنفخ	
أ- عند القدماء	
ب- موقف المحدثين من فهم القدماء لصفة القلقلة /الاشراب /النفخ	
ج- القلقلة عند المحدثين	
2- صفة الاستطالة	
ثالثا:صفات نشأت بذاتها ولم تنشأ عنها صفات أخر	
1- التفشي	
2- الصفير	
أ- الصفير عند القدماء	
ب- الصفير عند المحدثين	
رابعا:صفات الأصوات الصوائت والواو والياء الاحتكاكيتين	
1- المد واللين	
أ- المد واللين عند القدماء	
ب- المد واللين عند المحدثين	
2- الهاوي والمتصل	
خامسا: صفات مختلف في مفهومها	
1- الهت	
2- الجرسي	
الخاتمة	
جريدة مناهل البحث	
ملخص الرسالة باللغة الانجليزية	

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد على فواضل نعمائك والشكر على سوابغ آلائك ، وصل يارب على نبيك الاكمل محمد وآله أئمة الهدى وسادات الورى وسفينة النجاة ... ، اما بعد ، ...

فيعد الدرس الصوتي المستوى الاول بين المستويات اللغوية واساسها الذي تبني عليه بل انه يتداخل معها تداخلا يصعب على الدارسين الفصل بينه وبينها .

وقد كان لعلماء العربية القدماء اسهامات واضحة في هذا المستوى اللغوي وقف الدارسون المحدثون امامها موقف الاشادة والاعجاب .

وكان ابو حيان واحدا من الذين اهتموا بهذا الدرس ، فكانت له جهود واضحة فيه من حيث النقولات التي جمعها من مصادر مفقودة عن علماء العربية المتقدمين ، او من حيث المنهج الخارجي والداخلي وشمولية دراسته الصوتية وما الى ذلك .

لذلك ارتاى الباحث ان يجعل رسالته للماجستير مختصة بابي حيان موازنة بين ارائه الصوتية واراء الدارسين قبله وبعده وما موقف الدراسات الصوتية الحديثة من تلك الاراء .... الخ .

ولما كان الدرس الصوتي دراسا واسعا شانه في ذلك شان المستويات اللغوية الاخرى اختص البحث بالاصوات المفردة (مخارج وصفات) ليستطيع الباحث الاحاطة بالموضوع وليبتعد عن الوصفية والتكرار في ما اذا كان الموضوع واسعا لا يستطيع الباحث فيه اطالة النظر في كل ما قيل ، زيادة على ان دراسة المخارج والصفات اساس الدرس الصوتي وبدايته التي ينطلق منها الدارسون في فهم القضايا الصوتية التركيبية .

واستقر موضوع رسالتي هذه بعد التعديل والتحوير فيه طيلة كتابتي للرسالة ، على (الاصوات المفردة عند ابي حيان الاندلسي في ضوء الدراسات القديمة والحديثة) .

وتوكلت على الله فشرعت اجمع مصادر ابي حيان لاستقاء جهده الصوتي منها ، وهنا اعترضت الباحث اول عقبة هي ان بعض مصنفات ابي حيان ما يزال مخطوطا كـ (التذييل والتكميل في شرح التسهيل) وبعضها الاخر كارتشاف الضرب حقق تحقيقا علميا رصينا اصوب وامتنن من التحقيق المتداول بين ايدينا . فسعى الباحث جاهدا من اجل الحصول على هذين المصدرين مراسلا المكتبات التي ثوت فيها المخطوطة (كمكتبة دار الكتب المصرية) بلساني في بعض الاحيان وبالاستعانة بمخاطبة مكتبة جامعة بابل ، بادارة الاستاذ حيدر زيدان ، في احيان اخرى . ولما علمت ان ما اسعى اليه موجود في بعض المكتبات الشخصية في العراق لم اتمهل في طلب تلك المصادر منهم ، فكان هؤلاء بين ممنّ وبين ناكر ان يكون المخطوط موجودا عنده . وقد اخذ هذا الامر مني شهورا تزيد على السنة خرجت منها بخفي حنين .

مما دفع الباحث الى ان يقطع الامل معتمدا - وبعد اتكاله على المولى العزيز – على طبعة الارتشاف بتحقيق الدكتور مصطفى النماس واعتمدت معها – لغرض التحقيق من سلامة النصوص – على مصورة مخطوط الارتشاف في المجمع العلمي العراقي .

اما ما ذكره ابو حيان من مادة تتعلق بالاصوات مفردة في كتابه التذييل والتكميل فقد اعتمدت على ما نقل من الكتاب في مصنفات بعض اللاحقين بابي حيان كشرح الواضحة للمرادي والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ولطائف الاشارات للقسطلاني وحاشية الجاربردي على شرح الشافيه لابن جماعة . وبغية المرتاد لابن غانم المقدسي واستفدت من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب لاحمد بن محمد المصري التلمساني . وقد افاد الباحث ايما افادة مما ذكره المرادي في شرح التسهيل وما ذكره السيوطي في همع الهوامع من اراء نسباها الى ابي حيان او لم ينسباها اليه . وقد اغنت تلك المصادر الباحث عن الرجوع الى النسخة الاصل من كتاب التذييل والتكميل .

واعتمد الباحث زيادة على ذنيك الكتابين اغلب مصنفات ابي حيان المطبوعة كـ (تقريب المقرب ، والمبدع الملخص من الممتع ، والبحر المحيط ، وتذكرة النحاة ، والادراك للسان الاتراك ، ومنهج السالك على الفية ابن مالك) . ولم اجد في كتابيه تحفة الاريب والارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء ما ينفعني في دراستي هذه كما لم اجد ذلك في كتابيه اللمحة البدرية في علم العربية والشذرة الذهبية في علم العربيه اللذين اطلعت على متنيها من خلال بعض شروحهما كالكواكب الدرية في شرح اللمحة المسمى بالفضة الذهبية في علم العربية لابن العباس العاتكي الحنبلي ، تحقيق محمد جاسم الساطوري ، وهي رسالة ماجستير في قسم اللغة العربية في كلية التربية جامعة الانبار وقد اعدت في عام (2000)

اما اهم ما افاد منه الباحث في رسالته فكتاب (النكت الحسان في شرح غاية الاحسان) بتحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي .

وكان من اهم المصادر التي عدت اليها في معرفة آراء القدماء كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي وكتاب سيبويه والمقتضب للمبرد والاصول لابن السراج وغيرها ، زيادة على كتب علم التجويد كالرعاية لمكي بن ابي طالب والتحديد لابي عمرو الداني وغيرهما من كتب علم التجويد والقراءات المخطوط منها والمطبوع .

اما دراسات المحدثين فكان اهمها في هذا البحث الدراسات الصوتية عند علماء التجويد للاستاذ الدكتور غانم قدوري ال حمد و الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس واصوات اللغة لعبد الرحمن ايوب وغيرها من المصادر التي يضيق بنا ذكرها في هذا الموضع .

ولما كان البحث مختصا بابي حيان الاندلسي واضعا جهده الصوتي امام جهد القدماء قبله وبعده – بقدر الامكان – ظهرت حاجة البحث الى تاصيل الدراسة الصوتية عند القدماء اهي عند الخليل ام سيبويه ؟ وهل حقا ان ما ذكر في مقدمة العين هو جهد صوتي خالص ؟ وهل رتب الخليل الاصوات في مقدمة كتابه العين بحسب المخارج او للامر حقيقة اخرى لم يلتفت اليها الدارسون قديما وحديثا ؟ واذا كانت الاجابة بالنفي ، فمن اين لنا ان نطلع على جهد الخليل الصوتي الخالص ؟ وقد سعى الباحث الى ايجاد اجابة واحدة على جميع الاسئلة السابقة واضعا سعيه هذا تمهيدا للرسالة ليكون نصاب الاعين حتى يكون القارئ على بينة في ما نذهب اليه في داخل البحث من آراء ظنها الدارسون انها لسيبويه ، وخمن آخرون انها للخليل من غير مرجح سوى ان الخليل كان استاذ سيبويه !

بعدها انتقل البحث الى صلب مادته وقد جاءت في اخر المطاف بخطة استوت في اربعة فصول تناولنا في الفصل الاول الاسس التي اقام عليها ابوحيان دراسته للاصوات مفردة من حيث منهجه ومفاهيمه لقضايا متعددة تتعلق بدراسته للمخارج والصفات مؤصلا لكل ذلك عند علماء العربية القدماء ذاكرا موقف الدراسات الحديثة من كل ذلك .

وخصصنا الفصل الثاني بدراسة مخارج الاصوات فكان على فرعين ، احدهما : درسنا فيه مخارج الاصوات الصوائت طوالها وقصارها . ومخارج الاصوات غير المدية . ودرسنا في الفرع الاخر ترتيب ابي حيان للاصوات على مخارجها ، وما اذا كان متابعا لمن سبقه في ذلك او مخالفا ؟ وما موقف الدراسات الحديثة من هذا الترتيب ؟

اما الفصل الثالث فدرسنا فيه الصفات المتقابلة للاصوات عند ابي حيان وعلماء العربية والمحدثين ، ودرسنا في الفصل الرابع الصفات النطقية المفردة (التي ليس لها ضد او مقابل) عند هؤلاء جميعا .

وانتهى البحث بخاتمة عرضنا فيها اهم النتائج التي توصلنا إليها وبجريدة مناهل البحث ، فخلاصة باللغة الانجليزية .

وقد كان منهجنا في دراستنا هذه . ان نعرض لكل صغيرة وكبيرة ذكرها ابو حيان وعلماء العربية – قديما وحديثا – في دراسة الاصوات مفردة مناقشين ومحللين وواصفين . وقد اعتمد الباحث في كثير من الاحيان على المعجمات اللغوية لتفسير الالفاظ التي جاءت في حدود القدماء وآرائهم الصوتية .

ولم يقنع الباحث بكل ما قيل في دراسة القدماء للاصوات مفردة . بل كان مدافعا لما يقال متشككا في صحة النتائج قديما وحديثا لا لغرض سوى الوصول الى الحقيقة ، فالشك بداية اليقين ، بطبيعة الحال ، وكثيرا ما انتهي بعد الشك والبحث والتاصيل الى ما ذكره الدارسون مطمئنا من دقة نتائجهم .

واود ان اشير ها هنا الى ان رسالتي هذه لم تكن بكرا فقد سبقنا إلى ما يشابهها الباحث خالد الخالدي في رسالته الموسومة بـ (الدرس الصوتي عند ابي حيان الاندلسي في ضوء علم اللغة الحديث) . الا ان ثمة فوارق بين رسالتنا هذه ورسالة الباحث خالد الخالدي ، منها ان رسالته تناولت جهد ابي حيان الصوتي كله وان اغفلت بعض القضايا المهمة فيه كظاهرة الهمز مثلا معتمدا كل الاعتماد على ما جاء في كتاب الارتشاف ولاسيما جزؤه الاول .وقد جاءت رسالته واضعة جهد ابي حيان من غير اتساع في تسليط الضوء على جهد القدماء قبله وبعده. وهذا ما يجعلنا نفتقد سمات التاثر والتاثير بين ابي حيان وسابقيه ولاحقيه وهذا سيفقدنا تمييز ارائه الاصيلة من التي شايع فيها سابقيه او التي تابعه فيها لاحقوه .وعليه فقد جاء موضوع الاصوات مفردة في جزء يسير من رسالته .

اما رسالتنا هذه فقد انكبت على جهد ابي حيان في الاصوات مفردة فقط . من غير اشارة الى جهده في دراسة الاصوات وهي مؤتلفة داخل البنية او التركيب اللهم الا ما ينفعنا في توضيح بعض آراء ابي حيان في دراسة الاصوات مفردة .زيادة على ان البحث قام بتقصي كل ما ذكره القدماء والمحدثون في دراسة الاصوات المفردة بقدر الامكان . ولا يرغب الباحث في ان يعرض جميع الفوارق بين الدراستين تاركا ذلك لالمعية القارئ وموضوعيته .

وهاقد اكتمل البحث وقوت جذوره ونمت ، وما زال قلمي يحوم على سطوره وفي النفس صادح يهمس : كان بالامكان ان تحذف هذه وان تغير هذه وان تقدم هذه على تلك ... وكم حاولت ان البي رغبة قلمي الحائم والصادح الهامس فوجدت نفسي كلما غيرت او حذفت تعود فترتأي امرا اخر غير الذي انتهيت اليه ، ولكن ما باليد من حيلة فنهاية الكمال غاية لاتدرك ، ولعل افضل ما يمكن ان اقوله في حق البحث والباحث ان البحث مازال متكاملا واننا سعينا وان ليس للانسان الا ما سعى .

ولا بد لي قبل ان اغادر هذه الصحائف ان اتقدم بالشكر والتقدير الى استاذي ومعلمي الاول الدكتور صباح عباس السالم الذي شاء الله تعالى –بمنه وتوفيقه – ان يكون المشرف على هذه الرسالة ، فقد بذل من الجهد ما بذل ، وعانى ما عانى في سبيل تسديد الاراء المبثوثة في هذه الرسالة حتى تخرج بصورتها التي هي عليها . فله مني دعاء الابن البار لوالده بان يمنحه الله حسن العاقبة والرضا في الدارين ، انه نعم المولى ونعم المجيب .

ولن انسى الرعاية التي لم يبخل بها علي استاذي الدكتور علي ناصر غالب ، فكان عالما خلوقا جوادا بفكره وبما يمتلكه من مصادر نفيسة اغنت البحث والباحث ، فله مني شكر يعجز التعبير عن بلوغ غايته .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الباحث

التمهيد

في تأصيل الدراســـة الصوتيـــة عنـــد العـــرب
(منهج الخليل في مقدمة كتاب العين)

تتخذ دراستنا هذه أول عمل منظم قام به الخليل بن احمد في دراسة اصوات العربية اساسا لها، لمعرفة ما جاء به اللغويون من بعد ، والتاصيل لدراسة ابي حيان الصوتية .

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي جابت في جهد الخليل هذا لم تصل الى الفهم الصحيح لمرامه . وها نحن ندلوا بدلونا مع الدالين باعادة النظر في ذلك الجهد عسى ان ناتي بفهم جديد لمرامه منه .

لم يكن للخليل عمل مستقل في الاصوات اللغوية سوى ما ذكره حمزة الاصفهاني بنسبته كتاب (تراكيب الاصوات) الى الخليل نفسه [1]. وما عدا ذلك الكتاب فكل ما يملكه التراث يشير الى مباحث اتى بها الخليل ضمن مقدمات لدراسات لغوية اكبر ، وهو ما فعله في معجم العين الذي كانت مقدمته اساسا تنظيريا يوضح عمله التطبيقي داخل المعجم ، فكان ان رتب الاصوات فيها وفق نظام راح الدارسون في فهمه الى مذاهب نوجزها بما ياتي:

1- ان الخليل قصد من ذلك النظام ترتيب الاصوات بحسب مخارجها ، وهو ما يذهب اليه اغلب الدارسين المحدثين [2] .

وتنبه اصحاب هذا المذهب الى ان الخليل" كان له منهج خاص في هذه الدراسة يتمثل في دراسة الصوت اللغوي منفردا ، ولكنه في الوقت نفسه كان ينظر الى هذا الصوت من خلال وظيفته وعلاقته بالاصوات الاخرى مرتبطة بالعمل المعجمي . وكل ذلك يجعل منهج الخليل منهجا مختلفا عن مناهج علماء الاصوات في دراسة اصوات اللغة . ولكنه يلتقي في بعض جوانبه مع دراسة هؤلاء العلماء " [3] .

وبما في هذا المذهب من دقة في فهم مراد الخليل ، الا اننا لا نوافق اصحابه في ذهابهم الى ان الترتيب الصوتي على وفق المخارج اساس النظام الذي وضعه الخليل في مقدمة العين .

2- اما المذهب الثاني فيرى ان الخليل لم يقصد في نظامه هذا توزيع الاصوات بحسب مخارجها بل كان هدفه ايجاد قوالب او مجموعات صوتية لا تاتلف الأصوات في كل مجموعة منها في بناء الكلمة [4] .

وهو مذهب صائب لكنه لا ينطبق على اهداف الخليل من نظامه اجمع بل على المرحلة الاخيرة من المراحل التي سلسل الخليل اهدافه فيها .

3-ويتلخص المذهب الثالث في قول الدكتور حسين نصار : " ان الخليل لم يبتكر في كتاب العين ومقدمته نظاما صوتيا واحدا محكما لمخارج الحروف ، وانما اضطرب بين عدة نظم يختلف بعضها عن بعض ، وتعليل هذه النظم ... ان هذا العلامة لم يكن قد استقر رايه على نظام واحد بعد ، وانه كان دائم التفكير في المخارج، دائم التجربة لنظمه ، والتغيير فيها . فكان آونة يصل الى شيء واخرى الى غيره " [5] . واستدل على مذهبه هذا بما فيه من الغموض ، بان " الليث كان من الامانة والعدل بحيث دون لنا كل هذه المراحل التي مرَّ بها الخليل ، على حين لم يدون سيبويه الا نظاما واحدا ، ونستمد الدليل على ذلك من بعض عبارات قصيرة قالها الليث عفوا ، مثل (وكان يقول كثيرا) ، و (الفاء و الباء و الميم شفوية، وقال مرة شفهية) ، (ولولا هتة في الهاء . وقال مرة : لولا ههة لاشبهت الحاء) " [6] . فما هي النظم التي لم يستقر الخليل عليها ؟ . وما هي تلك الاشياء التي يصل اليها آونة والى غيرها اخرى ؟! . وماذا يعني استدلاله بعبارات الليث القصيرة ؟!.وما نراها الا عبارات احتوت على الفاظ مترادفة المعنى ، وإلا فما الفرق بين الشفوية والشفهية ؟!. وبين قوله : هتة و ههة في الهاء ؟!.

ولمعرفة الصائب من تلك المذاهب شرعنا في اعادة النظر في ذلك النظام مما هدانا الى مذهب جديد يقربنا الى مراد الخليل من ترتيبه ، مستعينين بالمخطط رقم واحد لتوضيح ما نذهب اليه .

يشتمل النظام الابجدي العربي على ثمانية وعشرين رمزا لا يدل واحد منها على الصوائت الطوال[7] . وقد زيد في وقت لاحق ثلاثة رموز منه تدل على تلك الصوائت زيادة على ما كانت تدل عليه من وحدات

---

[1] ظ : التنبيه على حدوث التصحيف: 178.

[2] ظ : المعاجم العربية، د. عبد الله درويش : 17 . والنتاج الجديد كتاب العين للخليل : 498 . ومدخل إلى علم اللغة ، د. حجازي :44. ودراسة مقارنة للنواحي الصوتية في كتاب العين : 498.والتغيرات الصوتية في لهجة بغداد : 52. والأصوات الحلقية عند سيبويه و الاخفش :124 و 125. والواو في العربية : 12 . والدرس الصوتي والنحوي عند أبي عمرو الداني: 50 .

[3] التفكير الصوتي عند الخليل :77 . و ظ: البحث اللغوي في المصادر المطبوعة الجامعة لعلوم القرآن:31.

[4] ظ : الضاد في النظام الصوتي العربي :40.

[5] المعجم العربي ، د. حسين نصار : 1/245-246.

[6] م.ن : 1/245-246.

[7] ظ : فقه اللغات السامية ، بروكلمان : 37.

صوتية [1] .فالألف المنتصبة كانت تدل على الهمزة ، وزيد دلالتها على الصائت الطويل في (لا) . ورمز الياء كان يدل على الياء غير المدية وزيد دلالته على الياء الصائت الطويل . ورمز الواو كان يدل على الواو وزيد دلالته على الواو الصائت الطويل.

حتى جاء الخليل بن احمد فوضع لصوت الهمزة رمز (ء) وهو ما يعبر عنه بـ(راس العين)، وجعل الرمز القديم للهمزة وهو (الالف المنتصبة)رمزا للصائت الطويل في (لا) [2] . وبرمز الهمزة الذي زاده الخليل صارت رموز الاصوات تسعة وعشرين تدل على احدى وثلاثين وحدة صوتية . قال الخليل من طريق الاخفش الاوسط : " اما الحروف العربية فثمانية وعشرون اصلا .." [3] .وفي التهذيب " وروى غير ابن المظفر عن الخليل بن احمد انه قال : الحروف التي بني منها كلام العرب ثمانية وعشرين حرفا لكل حرف منها صرف وجرس . فاما الجرس: فهو فهم الصوت في سكون الحرف . واما الصرف : فهو حركة الحرف" [4] . وفي العين يكشف الخليل من مراده في الحروف المجروسة ، فيقول : " وجرس الحرف : نغمة الصوت . والحروف الثلاثة الجوف لا صوت لها ولا جرس ، وهي الواو والياء والالف اللينة وسائر الحروف مجروسة " [5] .وهذا يعني ان الخليل اقتصر على الاصوات التي تدخل اصولا في البناء العربي مقصيا الاصوات الجوفية عنها ، ذلك لان " الفتحة والكسر والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل به الى التكلم به ، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه . فالفتحة من الالف والكسرة من الياء والضمة من الواو ... فكل واحدة شيء مما ذكرت لك " [6] . وقال في العين " الياء خلقت من الكسرة ... " [7] . و " الواو خلقت من الضمة ... " [8] .

لقد رام الخليل في مقدمة كتاب العين ان يضع نظاما يرتب فيه الاصوات اللغوية ويوضح فيه منهجه في عمله التطبيقي داخل الكتاب ، فكان ان وضع نظاما رتب فيه تلك الاصوات على اساس مجموعة اهداف متسلسلة الخطا . وكانت خطوته الاولى ان يميز الاصوات التي تدخل في اصول البناء العربي من الاصوات الزوائد على البناء ليتوصل بذلك الى وضع جذور يمكنه بتقليباتها استقصاء مواد ابنية الكلام العربي فوجد ان اصول الكلام مبنية على الصوامت وصوتي الواو والياء غير المديين ، وان الصوائت زوائد عليه ، وقد اشار في اكثر من موضع الى الفارق بين الصوائت وصوتي الواو والياء غير المديين. يقول الخليل : " والواو والياء اذا جاءتا بعد فتحة قويتا ، وكذا اذا تحركتا كانتا اقوى . ومن تبيان ذلك ان الالف اللينة والياء بعد الكسرة ، والواو بعد الضمة اذا لقيهن حـرف ساكـن بعدهـن سقطن، كقولك : عبد الله ذُوْ العمامة ، كانك قلت : ذُلْ . وتقول رايتُ ذا العمامة ، كانك قلت : ذَلْ. وتقول : مررتُ بذي العمامة ، كانك قلت : ذِل . ونحو ذلك كذلك في الكلام اجمع . والواو والياء بعد الفتحة اذا سكنتا ولقيهما ساكن بعدهما فانهما يتحركان ولا يسقطان ابدا ، كقولك لَوِ انطلقت يافلان ، وقولك للمراة : اخشَيِ الله ، وللقوم : اخشَوِ الله . واذا وقفت قلت : اخشَوْا ، واخشَي " [9] .

وقال في اصل الواو في (فموان) : " 0000 فاذا ثنيت الفم قلت (فموان) ، كانت تلك الذاهبة من الفم الواو . قال الخليل بل الفم اصله فوه كما ترى ، والجميع افواه ، والفعل : فاه يفوه فوهاً : اذا فتـــح فاه للكلام " [10] .

والذي يظهر مما سبق أن صوتي الواو والياء غير المديين هما اللذين قصدهما الخليل من الاصوات المعلولة، وذلك لانهما تدخلان في اصول البناء الثلاثي المعتل فـ "الاسم لا يكون اقل من ثلاثة احرف ، حرف يبتدي به وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه ، فهذه ثلاثة احرف مثل : سعد و عُمَر ، ونحوهما من الاسماء .. فاما زيد و كيد فالياء متعلقة لا يعتد بها " [11] . قصد بالمتعلقة انها ليست من الاصوات الصامتة ولا الصائتة [12] ، على خلاف ما ذهب اليه الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي من انّ

---

[1] ظ : رسم المصحف ، د.غانم قدوري ال حمد : 71-72 و 87.

[2] ظ: المحكم في نقط المصاحف :6. ورسم المصحف ، د.غانم قدوري آل حمد : 574.والدراسات الصوتية في كتاب العين :61

[3] تذكرة النحاة: 29 .

[4] تهذيب اللغة : 50/1.

[5] العين : 51/6 (ج ر س) .

[6] كتاب سيبويه : 315/2.

[7] العين : 212/2 (ط ع ي).

[8] م . ن : 273/2 (و ع ي).

[9] تهذيب اللغة : 52/1 . و ظ: الخليل بن احمد الفراهيدي اعماله ومنهجه :131-132 .

[10] العين : 50/1.

[11] م.ن : 49/1 .

[12] ظ: التفكير الصوتي عند الخليل : 48.

" مراد الخليل من التعلق –هنا- بان الياء او الالف او الواو اذا وقعت في بناء لم تكن اصلا في بنائه وانما الاصل هو الاصوات الساكنة . وهذه الفكرة تؤيد المذهب القائل بثنائية الاصل السامي " [1] .

وبعد ان اعاد الخليل النظر في النظام الالف بائي" وجد مخرج الكلام كله من الحلق " [2] .وفي عبارة الخليل هذه – كما يرى الدكتور رشيد العبيدي – " تعميم يحتاج الى تقييد ، فقد اراد بالحلق هنا اطلاق الجزء على الكل ، والا فان الحلق يمثل جزءا من جهاز النطق وتنسب اليه الاصوات الحلقية 000، اما سائر الاصوات فتنسب الى مخارج اخر من الجهاز الصوتي كاللثة والاسنان " [3] .ولو جعلنا (من) في عبارة الخليل السابقة لابتداء الغاية لكان معنى كلامه انه وجد مدار الكلام كله مبتدأ بالحلق [4] .فالاصوات التي تدور فيها اصول الكلام العربي تصدر من الحلق فما بعده من المخارج . واصوات المد وابعاضها جوفية

وهذا دليل آخر على ارادة الخليل للصوامت صوتي الواو والياء غير المديين لاغير في نظامه . وما اشارته الى الصوائت الا عرض .

لم يكتف الخليل بمعرفة الاصوات التي منها اصول الكلام العربي ، بل شاء ان يبتديء بالثوابت منها مقصيا ما يتغير منه في كل باب . فهداه تفكيره الى ان يجعلها على قسمين ،اذ قال : " والحروف الثمانية والعشرون على نحوين معتل وصحيح . فالمعتل منها ثلاثة احرف : الهمزة والياء والواو . قال وصورهن على ماترى : أوى . قال : واعتلالها تغيرها من حال الى حال ودخولها بعضها على بعض واستخلافها بعضها من بعض . قال وسائر الحروف صحاح لا تتغير عن حالها ابدا غير الهاء المؤنثة ، فانها تصير في الاتصال تاءً .. " [5]. وكان قد اشار الى ان الالف اللينة والواو والياء المديتين في مجرى واحد ومدارج اصواتها مختلفة [6] وهي جوفية [7] . اما الهمزة فهي عنده " صوت مهتوت اقصى الحلق ، فاذا رفه عن الهمز صار نفسا تحوّل الى مخرج الهاء" [8] . وعبر عن اقصى الحلق (الحنجرة) بقوله : " جوف الحلقوم " [9] ولا يخفى علينا قوله ان اصوات المد من الجوف .

واشتراك الهمزة بمصطلح الجوف الأصوات المديّة ، مع اختلاف المراد منه في موضعيه ، هو الذي أدى إلى وهم اغلب الدارسين بذهابهم إلى أن الهمزة هوائية جوفية عند الخليل [10] . على حين ان الخليل – في اغلب الظن – قصد بالجوف مع الهمزة ابعد نقطة من الحلق (أقصاه) .

وبذلك تكون اصوات العلة عند الخليل هي (الهمزة) والواو والياء غير المديتين ، لا ما تصورته الدراسات الحديثة اجماعا [11] من انه اراد الواو والياء المديتين مع الالف اللينة والهمزة .ويدعم راينا هذا قول ابي حيان الاندلسي : " وما سوى حروف الذلاقة مصمت ، وهو عند الخليل تسعة عشر حرفا اخرج الهمزة وحرفي العلة فلم تنقسم الى الذلاقة والاصمات الا الحروف الصحاح "[12] .

لقد ادرك الخليل الفرق بين وظيفة اصوات المد واللين وبين وظيفة الواو والياء غير المديتين من حيث زيادة أصوات المد على البناء واصالة الصوتين غير المديين فيه .

وادرك مع ذلك الفرق بين الطبيعة النطقية لاصوات المد وبين طبيعة نطق الواو والياء غير المديتين فاصوات المد اصواتٌ " اتفق مبدؤها واختلف مجراها " [13] . "000 فمدرجة الالف شاخصة نحو الغار الاعلى ومدرجة الياء منخفضة نحو الاضراس ، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين ، كقولك للمراة :افعلي ، وتسكت . وللاثنين : افعلاً ، وتسكت . وللقوم : افعلوُ ، وتسكت . فانما يهمزن في تلك اللغة لانهن اذا وُقِف عندهن انقطع انفاسهن فرجعن الى اصل مبتدئهن عند الهمزة . فهذه حال الالف اللينة ، والواو الساكنة بعد الضمة والياء الساكنة بعد

---

[1] أبحاث ونصوص في فقه اللغة : 367.

[2] العين : 47/1.

[3] أبحاث ونصوص في فقه اللغة : 215.

[4] وللدكتور المخزومي اشارة الى ما نذهب اليه ، ظ: الخليل بن احمد الفراهيدي اعماله ومنهجه : 99.

[5] تهذيب اللغة : 50/1.

[6] ظ: م.ن : 50/1-51 .

[7] ظ: م.ن : 48/1.

[8] العين : 349/3 (هـ ت) .

[9] ظ: م.ن : 3/ 327 .

[10] ظ: الدراسات الصوتية في كتاب العين: 101-102.

[11] ظ: النظريات الصوتية في كتاب العين : 146 . و الخليل رائد علم الصوت . : 213. وفي الاصوات اللغوية : 71-72 . والصوت اللغوي في القرآن الكريم : 43 و 45 .

[12] الارتشاف : 12/1 .

[13] تذكرة النحاة :29.

الكسرة ، والالف اللينة بعد الفتحة وهؤلاء في مجرى واحد " [1] .ويمثل الخليل لقوله الاول (ما اتفق مبدؤها واختلف مجراها) ، بقوله : " مثل الجيم مع الياء ، والواو مع الباء ، والالف مع الهاء .ولبدو الياء والواو والالف من الجوف سميت جوفا ، وللينها وامتداد الصوت فيها سميت حروف المد واللين ، مع اختلاف مجاريها وتباين مباديها على ان لكل حيز منها متدرجا على مقدار مجاريه ومتبدلا من مدانيه ومواتيه " [2] . اما الواو والياء غير المديتين اللتان تكونان اصلا في البناء فقال الخليل فيهما :

" الشين والجيم والياء : شجرية ، لان مبدءها من الشجر ومجراها على وسط اللسان ووسط الحنك " [3] . وقال : " الباء والميم والواو : شفهية " [4] .

وعلى هذا يتضح بطلان المذهب القائل بقصور وصف طريقة نطق الاصوات المدية عند الخليل " لانه اغفل دور اللسان والشفتين في احداث الرنين الخاص بكل من اصوات المد " [5] . والى انه لم يتمكن من رصد الصوتين غير المديين بسبب طبيعة حدوثهما [6] .

وبذلك يكون عدد الاصوات التي تدخل اصولا في البناء عند الخليل ثمانية وعشرون ، وعدد الاصوات الزائدة على البناء ثلاثة . أي ان مجموع الاصوات عامة عند الخليل احدى وثلاثون. وهو ما التفت اليه علماء التجويد في ما بعد [7] .

وعلى ما ذكرنا نستطيع ان نوجه ما ذكر عن الخليل في عدة الاصوات من انها ثمانية وعشرون [8] ، وما ذكر عنه أيضا بانها تسعة وعشرون [9] .

فقد اقتصر في المذهب الاول على الاصوات التي تدخل اصولا في البناء .

اما في المذهب الثاني فاننا نرجح ان الخليل نظر الى عدة الاصوات من حيث رموزها الكتابية فرموز الاصوات مع ما زاده الخليل من رمز لصوت الهمزة تسعة وعشرون رمزا صوتيا ، وسياتي الحديث عن ذلك مشبعا في موضعه .

وبعد ان تخلص الخليل من مشكلة العلل بارجائها بعد الاصوات الصحيحة اتى الى المرحلة الثالثة ، وهي معرفة الاصيل من الدخيل في ابنية كلام العرب فكان ان جعل الاصوات الصحاح على قسمين: " منها مذلق ومنها مصمت . فاما المذلقة فانها ستة احرف في حيزين : احدهما حيز الفاء [10] فيه ثلاثة احرف كما ترى : ف ب م مخارجها من مدرجة واحدة لصوتٍ بين الشفتين لا عمل للسان في شيء منها . والحيز الاخر حيز اللام [11] فيه ثلاثة احرف كما ترى : ل ر ن ، مخارجها مدرجة واحدة بين اسلة اللسان ومقدم الغار الاعلى . فهاتان المدرجتان هما موضع الذلاقة ،وحروفها اخف الحروف في المنطق ،واكثر في الكلام واحسنها في البناء [12] .

اما المصمتة " فانها تسعة عشر حرفا صحيحا ، ... قال : وانما سميت مصمتة لانها اصمتت فلم تدخل في الابنية كلها . واذا عريت من حروف الذلاقة قلت في البناء ، فلست واجدا في جميع كلام العرب خماسيا بناؤه بالحروف المصمتة خاصة .." [13] .

واستثنى من ذلك بعض ابنية الرباعي التي يمكن معرفة اصالتها في البناء العربي للزومها لاحد صوتي الطلاقة (العين او القاف) او كليهما ، " ولولا ما لزمهن من العين والقاف ما حسن على حال ، ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء الا حسنتاه لانهما اطلق الحروف واضخمهما جرسا ، فاذا اجتمعا او احدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما " [14] . ثم قال :" فان كان البناء اسما لزمته السين او الدال مع لزوم العين او القاف ، لان الدال لانت

---

[1] تهذيب اللغة :51/1.
[2] تذكرة النحاة : 29.
[3] م.ن : 27.
[4] م.ن : 28 . والنص نفسه في كتاب الجمل في النحو للخليل بن احمد ، ط5 :249.
[5] الدراسات الصوتية في كتاب العين :126.
[6] ظ : م.ن :102.
[7] ظ : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 171.
[8] ظ : تذكرة النجاة : 25 و 29 . وتهذيب اللغة : 50/1.
[9] ظ :العين : 57/1. وتهذيب اللغة : 48/1.
[10] وهذا الاصطلاح ذكر في تذكرة النحاة :26. وفي مقدمة العين اصطلح على تلك الاصوات بـ (الشفوية) ، ظ : العين :51/1.
[11] وهو مصطلح ذكره ابو حيان في تذكرته :26. وفي مقدمة العين اطلق على اصوات ذلك الحيز مصطلح (الذليقة) ، ظ : العين :51/1.
[12] تهذيب اللغة : 50/1 .
[13] م.ن : 51/1 .
[14] العين : 53/1 ، و ظ : النقد اللغوي عند العرب ، د. نعمة العزاوي : 197.

عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء فحسنت ، وصار حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك " [1] .

ثم جاء الخليل الى المرحلة الرابعة من نظامه وهي : تقسيم الاصوات المصمتة على قسمين ، حلقية " وهي : ع ح هـ خ غ "[2] . وصتم : وهي الاصوات " التي ليست من الحلق "[3] ولامن الذلق ، أي التي ليست من مؤخرة جهاز النطق ولا من مقدمته . وعدد الاصوات الصتم : اربعة عشر [4] .اراد بذلك التقسيم معرفة ما كثر من تلك الاصوات وما قل منها في ابنية كلام العرب الاصيل ، فالاصوات الحلقية الخمسة التي ذكرها الخليل تشترك في انها اصوات رخوة وانها تصدر من اعمق مخرج وهو الحلق لذلك كان التحكم بها صعب فقل ورودها مع الاصوات الذليقة مقارنة بورود الاصوات المصمتة مع الاصوات الذليقة في ابنية كلام العرب. لذلك تكون الاصوات المصمتة على اربعة اقسام هي :

1- الحلقية .
2- الصتم .
3- الطليقة ، وهي مركبة من صوت حلقي (العين) . وصوت (القاف) من الاصوات الصتم .
4- السين والدال : وهما من الاصوات الصتم .

ومرجع تلك الأقسام – على ما يظهر – الى قسمي الحلقية والصتم .

وبذلك صارت الاصوات الصحيحة عند الخليل على ثلاثة مجاميع :

المجموعة الاولى : الاصوات الحلقية .

المجموعة الثانية : الاصوات الصتم .

والمجموعتان السابقتان تنتميان الى مجموعة اكبر هي مجموعة الاصوات المصمتة .

اما المجموعة الثالثة فهي : مجموعة الاصوات المذلقة .

ثم ابتدأ الخليل بالمرحلة الخامسة ، وهي تنظيم احياز كل مجموعة على اساس الاعمق فالاعمق ، فالحلقية تحتوي على حيزين هما : (ع ح هـ) ، و (خ غ) . قدم الحيز الاول على الثاني لانه اعمق . ولمجموعة الصتم خمسة احياز ، ابتدأها بحيز اللهاة – لانه الاعمق في ما بينه من الاحياز – وانتهى بالثنوية لانها ادناها . وللمجموعة المذلقة حيزان ، حيز الذلق : وعبر عنه (بحيز اللام) ، وحيز الشفة : وعبر عنه بـ (حيز الفاء) . وقدم حيز اللام على حيز الفاء لانه اعمق .

والذي نظنه ان سبب ترتيب الخليل للمجاميع الثلاثة مبتدأ بالمجموعة الحلقية فالصتم فالمذلقة هو : انه نظر الى اول الاحياز في كل مجموعة من المجاميع الثلاثة فوجد (ع ح هـ) اعمق الاحياز في المجاميع الثلاثة لذلك ابتدأ به والمجموعة التي تحتويه ثم نظر الى مجموعة الصتم فوجد اصوات حيز اللهاة تتصدرها وهي اعمق من احياز مجموعتها والمجموعة المذلقة فجعل المجموعة التي ينتمي اليها الحيـــز اللهوي بعد حيزي المجموعة الحلقيـــة . وجاءت بعد هاتين المجموعتين احياز المجموعة المذلقة لتاخر اول حيزفيها عن موضع انتاج الحيزين الاولين في المجموعة الحلقية والصتم .

لقد كان هدف الخليل من ترتيبه للاحياز تكوين مجموعات لا تنتظم اصوات كل واحدة منها في بناء، فالعرب " لا تالف في كلامها تجاور الحروف المتقاربة في مخارجها فاذا تجاور حرفان متقاربان في المخرج في كلمة واحدة تنافرا ، ويزداد التنافر شدة اذا كان من حيز صلب لا يؤدي عمله بسهولة ، كحيز الحلق . فالهاء والعين وهما متقاربان في المخرج لا ياتلفان في العربية الا اذا تقدمت العين نحو (عهد) ، و (عهن) او كانا مفصولين نحو : (هرع) و (هلع) ..." [5] . وكان الخليل بعمله هذا اول من تنبه الى ان العرب لا تالف في كلامها الاصوات التي مخارجها واحدة او متقاربة [6] .

لقد اكتفى الخليل بان يوزع الاحياز داخل كل مجموعة من المجاميع الثلاثة في نظامه على اساس الاعمق فالاعمق ، لكنه لم ينح ذلك المنحى في ترتيب الاصوات داخل كل حيز . فالهمز عنده " صوت مهتوت في اقصى

---

[1] العين : 1/53-54.
[2] تهذيب اللغة : 51/1 .
[3] العين : 107/7 (ص ت م) .
[4] ظ: تهذيب اللغة : 51 . وتذكرة النحاة : 26.
[5] النقد اللغوي عند العرب ، د. نعمة رحيم العزاوي :196.
[6] ظ: م.ن : 196 .

الحلق ، فاذا رفعه عن الهمز صار نفسا تحول إلى مخرج الهاء " [1] ،والهاء " نفس لا اعتياص فيها " [2] ، وهي بمنزلة الف المد ، لقربها منها واشبهها بها [3] . أي ان الهاء عند الخليل بعد الهمزة ، وهي نفس ، والنفس : " خروج النسيم من الجوف " [4] . فمتى يرفه عن الهمز يمتد النفس متصلا بمخرج الهاء .

ولاعتلال الهمزة أخرها مع العلل ، اما الهاء فلانها " مهموسة لا صوت لها " [5] . أخرها بعد العين والحاء المنتمين الى المخرج نفسه ، وكان ان ابتدأ بالعين لانها انصع الحروف في حيزها [6] . وهذا يعني انه لم يبتديء بالعين لانها اقصى الاصوات اللغوية[7] ، او الصوامت[8] .

لقد اعتد الخليل في توزيع الاصوات داخل احيازها بنصاعة الصوت بين اقرانه ، فالعين انصع الاصوات في حيزها ، وكذا العين والقاف والصاد والطاء والظاء والراء ، فهن فهن انصع الاصوات في احيازها لذلك ابتدأ بها هناك . يدلنا على ذلك عدة أمور هي :

1. ذكرنا أن الخليل قدم العين على أخواتها لأنها الانصع ، فإذا كان قصد الخليل من نظامه ترتيب الاصوات على مخارجها بحسب العمق فاننا لا يمكن أن نوافقه على أن يجعل العين أول أصوات مجموعتها لأنها الانصع مع ايمانه بان الهاء أعمق منها ، لأن ذلك سيعد خرماً لنظامه .
2. قال الخليل : " فاقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ، ثم الهاء ولولا هتة في الهاء ، وقال مرة (ههة) ، لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض " [9] . وبغض النظر عن قوله : (أقصى الحروف كلها العين ...) ننتهي إلى :

أ. ان الحاء فيها بحة ولولا تلك البحة لأشبهت العين .

ب. إن الهاء فيها هتة ولولاها لأشبهت الحاء .

ج. كنا قد علمنا أن العين مع القاف من أطلق الحروف وأضخمها جرساً .

وبذلك سيكون ترتيب هذه الاصوات بحسب الانصع فالانصع : (ع ح هـ) وهو ترتيب الخليل لها في مقدمة العين . وعلى كون القاف من اطلق الحروف وأضخمها تتضح لنا علة تقديمه القاف على الكاف .

د. وينفعنا في هذا الموضع ما ذهب إليه الخليل في علة تحسين البناء ـ ان كان اسماً إذا عري من أحرف الذلاقة فلزمته السين أو الدال مع لزوم العين والقاف " لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء فحسنت . وصار حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك "[10] . وهذا يعني أن ترتيب تلك الاصوات بحسب نصاعتها على ما يأتي : (ط د ت) و (ص س ز) وهو ترتيب الخليل لها في مقدمة العين .

هـ. ان الخليل وجد " العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم " [11] . فعبارة الارفع فالارفع التي ذكرها الخليل أيضا في علة ترتيب الاصوات (ع ح هـ) دليل كاف على أنه رام من الخطوة الاخيرة في نظامه ترتيب الاصوات بحسب الانصع فالانصع ، ويتضح ذلك بمعرفة معنى الارفع في اللغة ، قال الخليل : " رفعته رفعاً فارتفع . وبرق رافع أي ساطع ..."[12] . وجاء في اللسان : " ورَفاعة الصوت ورُفاعته ، بالضم والفتح : جهارته . ورجل رفيع الصوت جهيره "[13] . قصد بالجهير نصاعة الصوت ووضوحه لا معنى الجهر الاصطلاحي وعلى هذا تكون عبارة (الارفع فالارفع) بمعنى الانصع فالانصع أو الاوضح فالاوضح .

و. إنه وصف بعض الاصوات الصتم بأنها شواخص أو فخام وهي (ق ض ص ط ظ) [14] . والملاحظ على هذه الاصوات ما عدا الضاد إن كل واحدة منها جاءت الاولى في المجموعة التي تنتمي إليها . أما سبب تأخير الضاد

---

[1] العين : 349/3 (هـ ت) .
[2] م . ن : 54/1.
[3] ظ : كتاب سيبويه : 62/1.
[4] العين : 271/7.
[5] ظ : المزهر، للسيوطي : 90/1.
[6] م . ن : 90/1.
[7] ظ :المصطلح الصوتي ، د. عبد العزيز الصيغ : 67، والبحث اللغوي في المصادر المطبوعة : 32.
[8] ظ: النظريات الصوتية في كتاب سيبويه : 146.
[9] العين : 57/1-58 .
[10] م.ن : 53/1 –54 .
[11] م.ن : 47/1 .
[12] م.ن : 125/2 (ر ف ع) .
[13] اللسان : 131/8 (ر ف ع) .
[14] تهذيب اللغة : 51/1 . وتذكرة النحاة : 26 .

عن الجيم والشين في مجموعتها فلأنها لا تنتمي إلى مخرجي الجيم والشين بل تالية لهما . وسبب ضمه الضاد مع الجيم والشين أنه رام ان يكون مجموعات صوتية لاتاتلف في بناء لذلك جعلها مع الجيم والشين مشعرا بتاخيرها انها ليست من مخرجها .وهذا الامر يصدق على الفاء ذات المخرج المتركب فلا يعني تقديمه إياها على (ب م) أنها أنصع منهما بل لأنها من مخرج متقدم وكان سبب ضم هذا الصوت إليهما لأنه رام ان يكون مجاميع صوتية كل واحدة منها لا تأتلف أصواتها في المفردة . وسيأتي تفصيل كل ذلك في موضعه إن شاء الله .

هذه هي وجهة نظرنا في غرض الخليل من نظامه في مقدمة العين .

وبانعام النظر في عمله التطبيقي داخل المعجم نجد اهدافه تلك مطبقة فيها بلا زيادة او نقصان ، من حيث :

1-انه جعل لكل صوت من اصوات نظامه ما يمكن ان نصطلح عليه بـ (الفصل) وجعل اسم ذلك الصوت عنوانا للفصل الذي يشتمل المواد التي تبتديء بذلك الصوت . فللمواد التي تحتوي على العين فصل اطلق عليه (حرف العين) وكذا مع سائر الحروف . وكانه اتبع فيه منهجا افقيا .

2-ثم نظر الى الاصوات اللاحقة بالصوت الذي هو عنوان الفصل ، فرتبها على وفق تسلسلها في النظام . وكان ذلك بعد ان وزع مواد كل فصل (حرف) على ستة ابنية هي (الثنائي الصحيح ، فالثلاثي الصحيح ، فالثلاثي المعتل ، فالثلاثي اللفيف ، فالرباعي ، فالخماسي) . واطلق على مواد بناء كل مصطلح (الباب) فكان مع مواد كل باب من ابواب ابنيته ينظر الى الاصوات اللاحقة بالصوت الذي هو عنوان الفصل فيرتبها بحسب تسلسلها في النظام . وكانه اتخذ فيه منهجا عموديا .

3-بعدها نظر الى مواد ابواب ابنية غير الثنائي . فرتب الاصوات الثوالث على وفق تسلسلها في النظام وكان يسير فيه على منهج افقي .

والمخطط رقم (2) كفيل بان يوضح منهج الخليل في داخل المعجم تفصيليا .

والذي نريد قوله هو : اننا لا يمكننا استخلاص راي الخليل في توزيع الاصوات بحسب مخارجها من نظامه الذي وضعه في مقدمة العين ذلك لان ترتيبه للاصوات جاء موقوفا على مجموعة خطوات متسلسلة غايتها استقصاء الابنية الاصول التي منها كلام العرب .

ولكن هذا لا يعني اهمال خبرته الصوتية في ترتيبه فلا يمكن لاي عقلية ، ايا كانت ثقافتها ، ان تقوم بعمل الخليل بلا استعانة بعلم الاصوات (مخارجها وصفاتها).

وبما ان الخليل سخر معرفته بعلم الاصوات في نظامه فانه لابد له من طريقة يتذوق بها مخرج كل صوت لمعرفة الحيز الذي ينتمي اليه ، ولمعرفة العضو المشترك في انتاج الاصوات المنتمية لكل حيز ، وليعينه في تبيين نصاعة الحرف بين اقرانه من الاصوات داخل الحيز .

يصف كتاب العين طريقة الخليل في تذوق الاصوات بانه " كان يفتح فاه بالالف ثم يظهر الحرف ، نحو: ابْ ، اتْ ، احْ ، اعْ ، اغْ"[1] وجاء بالهمزة قبل الصامت لتكون " عمادا وسلما للسان الى حرف البناء ، لان اللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف فيحتاج الى الف الوصل "[2] . وبما ان " الحركة تقلق الحرف عن عن موضعه"[3] جيء بالصامت متجردا عن الحركة في حال تذوقه .

ولا يختلف الدارسون في ان الخليل في تذوقه السابق اعتمد على التجربة الذاتية [4] فكان مجربا واصفا في الوقت نفسه [5] . لكنهم يختلفون في حركة الهمزة قبل الصامت المراد تذوقه فراحوا في ذلك الى ثلاث مذاهب :

<u>الاول</u> : يرى ان الخليل كان يفتح همزة الوصل[6] .

<u>الثاني :</u> ويذهب الى انه كان يكسر تلك الهمزة[7] .

اما المذهب الثالث فانه اغفل التصريح بحركة الهمزة عند الخليل[8] .

---

[1] تهذيب اللغة:41/1.

[2] العين:49/1 .

[3] سر صناعة الاعراب :6/1.

[4] ظ: الاصوات اللغوية ، عبد القادر: 24. والتفكير. الصوتي عند الخليل :26 والتفكير اللغوي بين القديم والجديد :201.

[5] ظ: جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية :42. التفكير اللغوي بين القديم والجديد :201 . والخليل رائد علم الصوت :210.

[6] ظ: الخليل بن احمد الفراهيدي اعماله ومنهجه :109 . ودراسة السمع والكلام : 210 . والدراسات الصوتية في كتاب العين :48 .

[7] ظ:الاصول دراسة ابيستمولوجية : 116.

[8] ظ: جهود علماء العرب في الدراسة الصوتية :42 . التفكير الصوتي عند الخليل :16 . والتفكير اللغوي بين القديم والجديد :202 .

وستقتصر مناقشتنا على المذهبين الاولين ، لان الثالث منهما اغفل التصريح برايه في حركة الهمزة عند الخليل .
قد يظهر لنا اول الامر ان الرأي القائل بكسر الهمزة عند الخليل هو الصائب من خلال ما ياتي :
1- يقول الخليل موضحا اصل بناء الفم : " بل الفم اصله (فوه) كما ترى ، والجمع افواه ، والفعل فاه يفوه فوهاً ، اذا فتح فمه للكلام"[1] .
والفتح عنده " نقيض الانغلاق" [2] .
من هذا يتبين ان الخليل لم يقصد ، بقوله : (يفتح فاه) حركة الفتحة ، انما ابتداء نطقه بهمزة الوصل قبل الصامت المراد تذوقه .
2- نقل سيبويه في كتابه نصا للخليل يقول فيه : " لو سمَيتَ رجلا (باب) قلت : هذا إبُ وتقديره في الوصل : هذا ابُ كما ترى ، يريد الباء والف الوصل من قولك إضربْ ..."[3] وروي عنه ايضا: " ثم قال:كيف تلفظون بالحرف الساكن ، نحو ياء غلامي وباء اضرب ، و دال قد. فاجابوا : .... . فقال ، اقول : إب ، إي ، إد ، فأُلْحِقُ الفا موصولة . قال:كذلك اراهم صنعوا بالساكن ، الا تراهم قالوا : ابن واسم . حيث اسكنوا الباء والسين ، وانت لا تستطيع ان تكلمَ بساكن في اول اسم ، كما لاتصل الى اللفظ بهذه السواكن فالحقت الفا حتى وصلت الى اللفظ بها ، فكذلك تلحق هذه الالفات حتى تصل الى اللفظ بها كما الحقت المسكن الاول في الاسم "[4] .
وما مثّل به الخليل من امثلة وهي (اضرب ، اين ، اسم)في النصين السابقين كلها همزاتها مكسورة، وشرط المثل ان يطابق ما مثِّلَ لهُ ، أي انه جاء بهمزة الوصل في الباء والدال والياء مكسورة ايضا .
3- يقول الخليل ، كما نسب اليه : " واما قولهم : اثنان ، ابن ، اسم ، فكسروا الالف لان الذي بعدها ساكن ، فحركوا الالف الى الكسرة لان الكسرة اخت الجزم ، واخت الساكن كما ان الجزم في الافعال نظير الجر في الاسماء ومن ثم اذا حُرِّكَ المجزوم والموقوف حُرِّكَ بالكسر "[5] . ويوضح لنا ابن عصفور تلك المسالة فيقول:" وهذه الهمزة اجتلبت ساكنة ثم كسرت لالتقائها مع الساكن بعدها فحرِّكت بالكسر على اصل التقاء الساكنين ، ولا يعدل عن الكسر الى ضم او فتح الا بموجب .... "[6] .
ويقول ايضا : " وهمزة الوصل مكسورة في كل موضع على اصلها .. الا في موضع يعدل فيه عن الكسر الى الفتح او الضم بموجب .... "[7] .
ولا نظن أن هناك موجبا يجعل الخليل يعدل عن كسر همزة الوصل في تذوقه للاصوات الى الفتح او الضم ، فالحرف بعدها ساكن ولا مؤثر بعده يضطره الى تغيير حركة همزة الوصل .
4-ويرى الرضي ان " التوصل الى الابتداء بالساكن بهمزة خفية مكسورة من طبيعة النفس"[8].
والاكثرون عنده " على ان الابتداء بالساكن متعذر ، وذهب ابن جني الى انه متعسر لا متعذر ، وقال يجيء ذلك في الفارسية ، نحو : شتر و سطام "[9] ثم يضيف " والظاهر انه مستحيل ولا بد من الابتداء بمتحرك ، ولما كان ذلك المتحرك في شتر وسطام في غاية الخفاء ظن انه ابتديء بالساكن بل هو معتمد قبل ذلك الساكن على حرف قريب من الهمزة مكسورة .... "[10] .فمع حركة الكسرة تنسحب عضلتا الفكين الى الخلف لتكون متكأً يوصل الى النطق بالصامت ، وكأن اعضاء النطق جميعها انسحبت معه الى الخلف متخذةً وضع التاهب للانطلاق الى الامام بانتاج أي صامت . تماما كقوس النابل -مع بساطة التمثيل ، إنْ صحَّ – الذي يُسحَبُ وتره الى الخلف وبه تنسحب مكونات القوس جميعها لتزيد من قوة انطلاق السهم منه وسرعته. ولو نظرنا الى العدائين لوجدناهم ياخذون وضع الانحناء مع الرجوع الى الوراء قليلا تاهبا للانطلاق وما اتخاذهم ذلك الوضع الا لانه يزيد من سرعة الانطلاق في بدايته [11].

---

(1) العين :50/1 .
(2) العين : 194/3 (ف ت ح).
(3) كتاب سيبويه : 63/2.
(4) كتاب سيبويه : 62/2 .
(5) الجمل في النحو ، للخليل بن احمد الفراهيدي :247.
(6) شرح جمل الزجاجي ، لابن عصفور (الشرح الكبير) : 324/2.
(7) م . ن : 325/2.
(8) شرح شافية ابن الحاجب ، للرضي الاسترابادي : 22/2.
(9) م . ن : 127/2.
(10) م . ن : 127/2.
(11) للمزيد من الاطلاع ، ظ: العاب الساحة والميدان تعلم تكنيك تدريب :27 .

ولعل هذا هو الذي دفع الرضي الى جعل كسر همزة الوصل من طبيعة النفس وهو ما تذهب اليه الدراسات الصوتية الحديثة الان [1].

ولا خلاف في صحة ما استدللنا به على كسر همزة الوصل ، الا ان ذلك لا يمكن ان يسقط على طريقة تذوق الخليل بملاحظة بسيطة هي : اننا علمنا ان الخليل في نظامه ، اخرج الحركات بنوعيها منه أي ان الواو والياء فيه ليستا مديَّتين . ولو تذوقنا هذين الصوتين بان نسبقهما همزة وصل مكسورة لما تغيرت الواو عن كونها غير مدية ، لكن ذلك يجعل الياء مدية (صائت طويل) لانها ستسبق بكسرة ، مما يجعلنا نضَّعف الراي القائل بان الهمزة في تذوق الخليل مكسورة .

وبعد ان تَكَشَّفَتْ استدلالات كسر همزة الوصل في تذوق الخليل والرد عليها ، لم يبق الا المذهب القائل بفتح تلك الهمزة عنده .

ولنا في ترجيح هذا المذهب استدلالان ، احدهما : ان الخليل صرّح في قوله : (بفتح فاه) بفتح الهمزة ، وهو مُشْبِهٌ مقولة ابي الاسود الدؤلي لمن يقرا عليه القرآن محاولا وضع علامات الشكل على الفاظه : "اذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف .... "[2] يقصد الفتحة[3] . والاستدلال الاخر هو : اننا لو تذوقنا الاصوات التي تدخل اصولا في البناء ، بان نسبقها همزة وصل مفتوحة لما وجدنا أي تغيير في انتاج الواو والياء غير المديتين .

اما مع الاصوات الجوفية ، فان للخليل طريقة اخرى في تذوق مخارجها تستخلصها من خلال رؤيته للحركات بانها ابعاض اصوات المد واللين . أي ان عملية نطق اصوات المد واللين عنده تكون بسبقها همزة وصل تحمل حركة مجانسة لصوت المد المراد نطقه .

لقد تظافرت عند الخليل في مقدمة كتاب العين عدة اهداف بترتيب الاصوات اللغوية كان اساسها الاول الاقتصار على الاصوات التي تدخل اصولا في البناء العربي ، اما اصوات المد واللين (الروائد على البناء) فانه اقصاها عن ذلك النظام . وهدف الباحث من تبيين منهج الخليل في كتاب العين ومراده من ترتيب الاصوات في مقدمته ، ان يخلص الى ان كتاب العين لا يمثل رايا خالصا في ترتيب الاصوات على مخارجها عند الخليل . لذلك فان الباحث سيعتمد مع كتاب العين على مصادر اخرى نقلت آراء الخليل في دراسة مخارج الاصوات وصفاتها كتهذيب اللغة للازهري ، والمحيط للصاحب بن عباد وتذكرة النحاة لابي حيان الاندلسي وغيرها .

---

[1] ظ: ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين في العربية الفصحى : 178-179 .

[2] المحكم في نقط المصاحف ، للداني : 3-4 .

[3] ظ: البحث اللغوي عند العرب ، د. احمد مختار عمر : 61 . و لمحة عن المصادر العربية القديمة لدراسة الصوت : 52.

الخطوة الاولى (الهدف الاول) استقصاء الاصوات التي منها اصول كلام العرب وقد رتبها على نظام الالف باء تاء	اصوات النظام الالف بائي أ ب ت ث ج ح خ د د ر ر س س ص ص ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ ـَو ـَي			
الخطوة الثانية (الهدف الثاني) معرفة الاصوات الصحيحة من العلل . وقد رتبها بحسب نظام الالف باء تاء	الصحاح ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ			العلل أ و ي
الخطوة الثالثة (الهدف الثالث)معرفة البناء الاصيل في العربية من دخيله .	مصمتة ت ث ج ح خ د ذ ز س ش ص ض ط ظ ع غ ق ك هـ مع بقية الاسماء الرباعية المعراة من الدليقة رمع الابنية الرباعية المعراة من لذلاقة		ذلقية ب ر ف ل م ن	
الخطوة الرابعة (الهدف الرابع) معرفة الاصوات التي تكثر في اصول ابنية العربية من قليلها	حلقية ح خ ع غ هـ	صتم ت ث ج د ذ ز س ش ص ض ط ظ ق ك		
الخطوة الخامسة (الهدف الخامس) ترتيب الاصوات على وفق الانصع فالانصع في داخل احيازها التي رتبت بحسب الاعمق فالاعمق في كل مجموعة من المجاميع الثلاث	حلقية ع ح هـ – غ خ 1 2	لهوية شجرية اسلية لطعية ثنوية ق ك - ج ش ، ض – ص س ز - ط د ت – ظ ذ ث 3 4 5 6 7	ذلقية شفوية رل ن – ف،ب م 8 9	

الالف والواو والياء المديات هوائية جوفيه لاحيز لها تنسب اليه . وهي غير داخلة في اصول ابنية الكلام العربي .

مخطط رقم (1)

يوضح مراد الخليل من ترتيبه لاصوات النظام الالف بائي في مقدمة معجمه العين

مخطط يوضح المنهج التطبيقي لما نظّره الخليل في معجم العين - رقم (2)

التطبيـق الأفقـي في المعجـم عامـــة

الثنائي :	ح .....م.	الثلاثي الصحيح:	ح .....م.	الثلاثي المعتل :	أ و ي /1	الثلاثي اللفيف :	أ و ي /2
=	هـ..... م.	=	هـ..... م.	=	=	=	=
=	خ..... م.	=	خ..... م.	=	=	=	=
=	غ..... م.	=	غ..... م.	=	=	=	=
=	ق..... م.	=	ق..... م.	=	=	=	=
=	ك..... م.	=	ك..... م.	=	=	=	=
=	ج..... م.	=	ج..... م.	=	=	=	=
=	ش..... م.	=	ش..... م.	=	=	=	=
=	ض..... م.	=	ض..... م.	=	=	=	=
=	ص..... م.	=	ص..... م.	=	=	=	=
=	س..... م.	=	س..... م.	=	=	=	=
=	ز..... م.	=	ز..... م.	=	=	=	=
=	ط..... م.	=	ط..... م.	=	=	=	=
=	د..... م.	=	د..... م.	=	=	=	=
=	ت..... م.	=	ت..... م.	=	=	=	=
=	ظ..... م.	=	ظ..... م.	=	=	=	=
=	ث..... م.	=	ث..... م.	=	=	=	=
=	ذ..... م.	=	ذ..... م.	=	=	=	=
=	ر..... م.	=	ر..... م.	=	=	=	=
=	ل..... م.	=	ل..... م.	=	=	=	=
=	ن..... م.	=	ن..... م.	=	=	=	=
=	ف ب م.	=	ف ب م.	=	=	=	=

ولم يذكر فيها سوى المعتل و اللفيف من الثلاثي لأنه استوفاها في ما سبق من الأبواب

ولم يذكر فيها سوى أحرف من المعتل من الثلاثي واللفيف منه لأنه استوفاها في ما سبق من الأبواب .

ولم يذكر فيها سوى اللفيف من الثلاثي لأنه استوفاها في ما سبق من الأبواب

وجعلها في باب واحدٍ لم يذكر فيه سوى الثلاثي اللفيف لأن المعتل منه استوفاه في ما سبق من الأبواب

التطبيـق العمـودي فـي المعجـم ، كـل فصـلٍ على حدة .

الرباعي :	ح .....م.	الخماسي :	ح .....م.
=	هـ..... م.	=	هـ..... م.
=	خ..... م.	=	خ..... م.
=	غ..... م.	=	غ..... م.
=	ق..... م.	=	ق..... م.
=	ك..... م.	=	ك..... م.
=	ج..... م.	=	ج..... م.
=	ش..... م.	=	ش..... م.
=	ض..... م.	=	ض..... م.
=	ص..... م.	=	ص..... م.
=	س..... م.	=	س..... م.
=	ز..... م.	=	ز..... م.
=	ط..... م.	=	ط..... م.
=	د..... م.	=	د..... م.
=	ت..... م.	=	ت..... م.
=	ظ..... م.	=	ظ..... م.
=	ث..... م.	=	ث..... م.
=	ذ..... م.	=	ذ..... م.
=	ر..... م.	=	ر..... م.
=	ل..... م.	=	ل..... م.
=	ن..... م.	=	ن..... م.
=	ف ب م.	=	ف ب م.

الفصل الأول
أسس دراسة الأصوات مفردة

أولا :المنهج الخارجي والغرض :

1-منهج دراسة الأصوات المفردة:

الفت الدراسات النحوية القديمة ان تأتي بدراسة مخارج الأصوات وصفاتها مقدمة لدراسة الإدغام على النهج الذي اتبعه سيبويه في كتابه .

ولم يتغير ذلك النهج في المصنفات النحوية عند سائر النحويين ، الا تصنيف ابن مالك في كتابه التسهيل ، الذي جعل فيه دراسة الأصوات مفردة في باب تضمن سبعة فصول ، الخمسة الأخيرة منها خصصت لدراسة الإدغام [1] .

---

[1] ظ : التسهيل : 319 و 320 .
[2] شرح التصريح : 2 / 353 .
[3] التقريب : 130 . وذهب الى ذلك في كتابه المبدع : 2 .
[4] المقرب : 355 .
[5] ظ: التقريب : 196 .
[6] ظ: المبدع : 87-93 .

لقد اخرج ابن مالك دراسة مخارج الأصوات وصفاتها من كونها مقدمة لدراسة الادغام من كلمتين وجعلها في باب من فصوله دراسة الإدغام . وعلى الرغم من حداثة تبويب ابن مالك في عصره ظل عملا شكليا لا يمس أصول دراسة الصوت اللغوي .

ودراسة القدماء لهذين الموضوعين – نعني مخارج الأصوات و الإدغام من كلمتين – لا تخلو من وجود علاقة وشيجة بينهما ، لاحظها القدماء فجمعوا بينهما بان جعلوا دراسة الاصوات مفردة مقدمة لدراسة الادغام من كلمتين او بجعلها في باب من ضمن فصوله دراسة الإدغام . تلك العلاقة هي ان الموضوعين لا يتعلقان بالدراسة الصرفية ولا بالدراسة النحوية ، أي انهما ينتميان لعلم اخر التفت اليه المحدثون وهو(علم الاصوات) ، وذلك الامر لا يختلف عن كل القضايا الصوتية التي تحدث داخل التركيب كالتقاء الساكنيين و الوقف .. ، التي احتار العلماء في وضعها لعدم وجود حقل خاص يجمع اشتاتها . يقول الشيخ خالد الازهري و" لشبه التصغير والتكسير والنسب والوقف والامالة بعلم النحو من حيث التعلق بالمركبات ذكرت معه ، وابن الحاجب وطائفة ذكروها في علم التصريف وهو الاولى "[2] . ولعمل ابن مالك اثر واضح في دراسة ابي حيان للاصوات مفردة ، اذ كان ابو حيان مترددا في قبول ما دأب عليه النحويون . فراح في مصنفاته الاول - التي ارتكز اغلبها على ايجاز مصنفات ابن عصفور - يفرد تلك الدراسة في باب تلاه باب الادغام من كلمتين .وهو ما نجده في كتابيه: (تقريب المقرب ، والمبدع الملخص من الممتع) . ومع تحديد ابي حيان لمنهجه في ذينك الكتابين بانه سيوجز في الاول كتاب المقرب وفي الثاني كتاب الممتع في التصريف " من غير اصلاح لما وهن من حدوده ، ولا تحرز عما تعرض اليه من منقوده ، ولا استدراك لما من الاحكام الضرورية اهمل ، ولا لما من الابواب الشهيرة اغفل " [3] ، و لم يلتزم بذلك المنهج من حيث التبويب . واهم ما كان في عمل ابي حيان رفعه كلمة (ذكر) من قول ابن عصفور في المقرب : " ذكر مخارج الحروف الاصول " [4] ليضع محلها كلمة (باب) في كتاب التقريب [5] ويشمل ذلك عمله في المبدع ايضا [6] .

ونرى في كتابيه غاية الاحسان وشرحه النكت الحسان تبويبا اخر لدراسة الاصوات المفردة . اذ بوب ابو حيان موضوعات كتابيه على ثلاث مجاميع ، الاولى : احكام الكلم حالة التركيب [1] ودرس فيه الادغام من كلمتين [2] . و الثانية احكام الكلم حالة الافراد [3] ، وجعل المجموعة الثالثة من موضوعات كتابيه في ضمن عنوان (الحروف) [4] ، وقد افرد في اول المجموعة الثالثة بابا للاصوات الفرعية [5] فبابا لدراسة الامالة [6] . فبابا لمخارج الاصوات الاصول وصفاتها[7] ، ثم جاءت بعد تلك الابواب ابواب لدراسة حروف المعاني فالضرورة الشعرية . ومع هذا فانه ذكر في صفات الاصوات ان دراسته هذه " هي المؤثرة في الادغام "[8] .

ولا نجد مسوغا لتبويب ابي حيان موضوعات مجموعة (الحروف) غير انه وضع تلك الموضوعات في قسم واحد لاشتراكها في اصطلاح واحد هو (الحرف) .

وقد انتهى ابو حيان في كتابه ارتشاف الضرب الى ان يجعل دراسة مخارج الاصوات وصفاتها مقدمة لدراسة الاحكام الافرادية التي تعتري الكلم ، فقال : " ونقدم القول في مواد الكلم وهي حروف المعجم حروف العربية عددا ومخرجا وصفة"[9] . وبعد ان انهى دراسة الاصوات مفردة قال : " وقد فرغنا من ذكر حروف المعجم عدا ومخرجا وصفة ، وهذه الحروف هي مواد الكلم العربية كما ذكرنا .. "[10] وهو ما التفت اليه ايضا في كتاب الادراك عند تعريف التصريف بقوله : " التصريف : علم باحكام الكلمة قبل تركيبها مع كلمة اخرى و الكلمة ناشية من حروف المعجم وحروف المعجم في هذا اللسان ثلاثة وعشرون حرفا ..." [11]. وفي النصوص التي ذكرها ابو حيان في الادراك و الارتشاف اشارة واضحة الى احساسه بوجوب دراسة مكونات الكلم وهي حروف المعجم ، من حيث مخارجها وصفاتها قبل الشروع في دراسة احكام الكلم الافرادية .

ولا يخلو تراثنا اللغوي من جهود سابقة على صنيع ابي حيان في محاوو لة دراسة الاصوات المفردة باطار اوسع من كونها مقدمة لدراسة الادغام

---

(1) ظ: النكت الحسان : 34 .
(2) ظ: م . ن : 175 – 179
(3) ظ : م . ن : 205 .
(4) ظ : م . ن : 270 .
(5) ظ : م . ن : 270 –272 0
(6) ظ : م . ن: 272- 275 .
(7) ظ : م . ن : 275 – 286 .
(8) م . ن : 278 . وورد معناه في : 175 .
(9) الارتشاف : 1 / 4 .
(10) م.ن : 12/1 .
(11) الادراك : 101 .

وبالانتقال الى القرن الرابع الهجري يطالعنا عالمان بارزان بتبويب منطقي لدراسة مخارج الاصوات وصفاتها ، احدهما الفيلسوف الفارابي الذي وضع في كتابه (احصاء العلوم) تنظيرا مهما بوب فيه الموضوعات اللغوية تبويبا يصلح لدراسة كل لسان ، وخصص ذلك التنظير بهيكل اللغة نثرا ونظما ، فبعد ان ذكر الفارابي القضايا اللغوية التي تتعلق بالحفظ وهي : (علم اللغة – ويقصد به علم مدلول الكلم – وحفظ الخطب و الاشعار) ذكر قوانين (اقيسة) الدرس اللغوي ورتبها مبتدئا بالقوانيين الصوتية فالصرفية فالنحوية . يقول الفارابي في ما يدرسه علم قوانين الالفاظ المفردة : بانه " يفحص اولا في الحروف المعجمة : عن عددها ومن اين يخرج كل واحد منها في الات التصويت وعن المصوت منها حتى يحدث عنها لفظة دالة، وكم اكثر ما يتركب ، وعن الحروف الثابتة التي تتبدل في بنية اللفظة عند لواحق الالفاظ ... وعن الحروف التي بها يكون تغاير الالفاظ عند اللواحق ، وعن الحروف التي تندغم عندما تتلاقى "[1] 0 فهو يدرس في علم قوانين الالفاظ المفردة اول ما يدرس طريقة نطق الاصوات وصفاتها ، ووظيفتها داخل البنية من حيث الاصول و اللواحق ..... الخ .

و العالم الاخر اللغوي المشهور ابن جني الذي وضع مقدمة اثيرة في الدراسات الصوتية صدرها كتابه سر صناعة الاعراب تمهيدا لدراسة احكام كل حرف على حده . وفي دراسة كل حرف من حروف المعجم ياتي الى ذكر مخرجه وصفته اولا ثم ينتقل الى ذكر حالة ذلك الحرف داخل المفردة فالقضايا النحوية التي يرد فيها ، وان تداخلت في اغلب الاحيان دراسته الصرفية في النحوية لشدة الرابط بينهما ، فالكتاب في عمومه – كما يرى الباحث – يشير الى تسلسل منطقي للدراسة اللغوية ففي المقدمة يشرع ابن

[1] احصاء العلوم : 60 .

جني في ذكر مخارج الحروف وصفاتها وما يتعلق بها من حدود وتقاسيم . ثم ينتقل الى مادة الكتاب وهي بيان احكام كل حرف على حدة ، موردا اول الامر قضاياه الصوتية فالصرفية فالنحوية .

ومع تغاير منهج ابي حيان في ارتشافه مع منهج ابن جني في سر صناعته لكنه يتفق معه في تسلسل الدراسة اللغوية ابتداء بالجزء فالكل . واهم الفوارق بينهما هي ان ابا حيان جاء بالدراسة الصوتية المفردة مقدمة لدراسة الاحكام الافرادية للكلم ثم شفعها بدراسة احكام الكلم الافرادية ثم بالاحكام التركيبية . اما ابن جني فانه جاء في سر صناعته بالدراسة الصوتية مقدمة للدراسة الصرفية و النحوية معا وان لم يشر الى ذلك صراحة .

و المرحلة المهمة التالية لهذا هي ما كتبه السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) فوضع لكتابه منهجا منطقيا درس فيه العلوم اللغوية و البلاغية . وقد اورد اول العلوم اللغوية دراسة الاصوات مفردة ونص فيها على اهمية تقديم الدراسة الصوتية على الصرفية [1] .

ان ابا حيان بدأ كتابه الارتشاف بالصوت وثنى بالاحكام الافرادية ثم ثلث بالاحكام التركيبية ، وهو بهذا مشابه في منهجه لمنهج السكاكي في مفتاحه الا ان ابا حيان يفترق عنه في نقطتين ، احداهما : ابتداؤه دراسة

[1] ظ : مفتاح العلوم : 109 .

الاصوات المفردة بالمخارج فالصفات في حين ان السكاكي يبدأ بالصفات ويثني بالمخارج ، و الاخرى هي : ان ابا حيان اقتصر في ارتشافه على الموضوعات التي تهتم بالوضع اللغوي وهي : (علم احكام الكلم الافرادية ، وجعل مقدمته في دراسة الاصوات مفردة . وعلم احكام الكلم التركيبية) . اما السكا كي فدرس زيادة على ذلك العلوم التي تهتم بفضيلة اللغة وهو ما يتعلق بعلمي البيان و البديع وما يحتاجا اليه من علمي الحد و الاستدلال . [2] ولا يغفل الباحث ما لعلماء التجويد من اثر بارز في دراسة الاصوات . وذلك لان علماء التجويد قد خصصوا كتبا مستقلة لبحوثهم الصوتية ، وهي التي تعرف بكتب علم التجويد[3]. واقدم ما الف في علم التجويد القصيدة الخاقانية لابي مزاحم الخاقاني (ت 325 هـ) وكتاب الرعاية لمكي (ت 437) وكتاب التحديد للداني (ت 444) . ومن ثم فاننا لا نستبعد اثر علماء التجويد في منهج او طريقة الدراسة الصوتية مفردة عند ابي حيان ولا سيما اذا علمنا انه احد علماء القراءات و التجويد المشهورين.

وعلى الرغم من كل تلك الجهود السباقة ، فان منهج دراسة ابي حيان للاصوات مفردة لا يعني انه مقلد فيها لمن سبقه . ففي الارتشاف منهج يكاد يتفرد به عن سائر المصنفات التي خصصت بالدراسة النحوية و الصرفية السابقة عليه و اللاحقة به .

2-الغرض من دراسة الاصوات مفردة عند ابي حيان :

ذكرنا سابقا ان ابا حيان في مصنفاته الاول افرد دراسة الصوت المفرد في باب خاص عن دراسة الادغام ، لكنه ذكر في تلك المصنفات ان الغرض منها هو ان تكون ممهدة لدراسة الادغام . وهذا لا يعني انه قصد من تلك الدراسة الادغام وحده والا لتابع فيها جمهور النحويين الذين جعلوها مقدمة لدراسة الادغام او جعل الادغام في كلمتين جزاء من تلك الدراسة . يقول ابن غانم المقدسي (ت 1004 هـ) : " قال الاستاذ ابو حيان في شرح التسهيل : انما ذكر النحويون صفات الحروف لفائدتين : احداهما لاجل الادغام . ثم قال : و الفائدة الثانية – وهي الاولى في الحقيقة – بيان الحروف العربية حتى ينطق من ليس بعربي بمثل ما ينطق به العربي ، فهو كبيان رفع الفاعل ونصب المفعول به . فكما ان نصب الفاعل ورفع المفعول به لحن ، كذلك النطق بحروفها مخالفة مخارجها لما روي من العرب في النطق بها لحن "[1] . وليس من شك انه قصد بالمذهب الاول سيبويه ومن تابعه في دراسة الاصوات مفردة ، قال سيبويه بعد ان ذكر مخارج الاصوات وصفاتها : " وانما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الادغام وما يجوز فيه ، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه ، وما تبدله استثقالا كما تدغم ، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك " [2] . قصد بالمذهب الثاني طائفة من النحويين وعلماء الفصاحة ، يقول ابن جني في تعريف النحو : بانه " انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية و الجمع و التحقير ... وغير ذلك ، ليلحق من ليس من اهل اللغة العربية باهلها في الفصاحة ، فينطق بها وان لم يكن منهم ، وان شذ بعضهم عنها رد به اليها "[3] . وعلى الرغم من تعميم ابن جني في تعريف النحو بحيث انه جعله شاملا لعلمي الاعراب و الصرف الا انه هدف من تلك الدراسة الحاق من ليس من اهل اللغة العربية باهلها في الفصاحة فينطق بها وان لم يكن منهم ... .

وكان الغرض الثاني الذي رجحه ابو حيان شائعا عند علماء التجويد الذين قصدوا من دراسة الاصوات التنبيه على اللحن في النطق وهو ما اطلق عليه(اللحن الخفي) . فاللحن على - ما ذكره علماء التجويد نوعان ، لحن جلي : " وهو تغيير كل واحد من المرفوع و المنصوب و المجرور و المجزوم باعراب غيره . او تحريف المبني عما قسم له من حركته او سكونه ، كقولنا قام زيد ، او ما اشبه ذلك من تغيير الاعراب و البناء . ولا فرق بين المعرب و المبني في وجود الاخلال بالمعنى و العرف فيه عند طروء الخلل عليه " [4] . و النوع الآخر هو (اللحن الخفي) :" فانه وان وافق الجلي في طروء الخلل على اللفظ به إلا أن طروءه غير مخل بالمعنى ولا مقصر باللفظ عن الدلالة على ما كان يدل عليه من قبل لان الخفي هو مثل تكرير الراءات وتطنين النونات وتغليظ اللامات واسمانها الملين وتليين المشدد ... وذلك غير مخل

---

[2] ظ : م . ن : 339 وما بعدها .
[3] ظ: لمحة عن المصادر العربية القديمة : 51-52 .
[1] بغية المرتاد : 126 – 127 .
[2] كتاب سيبويه :2 / 406- 407 .
[3] الخصائص : 34/1 .
[4] الموضح في التجويد : 57 .

بالمعنى ولا مقصر باللفظ عن الدلالة عليه ... " [5] . أي إن اللحن الخفي :" هو الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج
او الصفات او ما يطرا لها من الاحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق " [1] لذلك كان اللحن الخفي هو ميدان عمل علماء التجويد . اما اللحن الجلي فلم يتطرقوا اليه لانه ميدان عمل النحاة و الصرفيين [2] . ويتضح غرض علماء التجويد من دراستهم للاصوات من خلال ما عرفوا به التجويد بانه " احكام القراءة و اتقانها ، ويقال في تعريفه : هو اعطاء كل حرف حقه مخرجا وصفة . وقال بعضهم : تجويد القراءة هو تصحيح الحروف وتقويمها واخراجها من مخارجها و ترتيبها مراتبها وردها الى اصولها و الحاقها بنظائرها . وقد اتضح بذلك ان تجويد القراءة يتوقف على اربعة امور :
احدها : معرفة مخارج الحروف .
الثاني : معرفة صفاتها .
الثالث : معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الاحكام .
الرابع : رياضة اللسان وكثرة التكرار " [3] .
ان قصد علماء التجويد من دراسة الاصوات هو تبيين النطق الصحيح لها . لذا فالفارق بين دراسة علماء التجويد ودراسة النحويين هو ان علماء التجويد اهتموا بمستوى واحد من مستويات الدرس اللغوي وهو المستوى الصوتي فعملوا على استقصاء الاصوات اللغوية وبينوا مخارجها وصفاتها وما يطرأ عليها من تغيير داخل المفردة و التركيب تحرزا من اللحن الخفي ، أي انهم تتبعوا الصوت اللغوي من نقطة خروجه الى الحالات التي يصير اليها داخل المفردة و التركيب ، فكان الصوت مدار دراستهم و التنبيه على نطقه بصورة صحيحة غاية تلك الدراسة .
اما النحويون فلم يتجهوا الى دراسة الصوت بمعزل عن بنية الكلمة و تركيبها مع غيرها ، ذلك لانهم نظروا الى تلك المستويات على انها اما مفردة او مركبة وكانت غايتهم في تلك الدراسات استقصاء الكلام العربي لوضع اقيسة وقواعد تسدد اللسان وتسلمه من اللحن ، لذلك اهتمت دراستهم ببنية اللفظة ومدلولها ، وبهيكل التركيب ومدلوله ، أي انهم لم يكتفوا بدراسة الوضع اللغوي متجردا عن دلالته . ومن هنا توزعت دراستهم الصوتية في حقلين ، احدهما : أحكام الكلم حالة الأفراد ، وأحكامها حالة التركيب . وكان منهم من جعل دراسة الأصوات مفردة مقدمة دراسة الإدغام ومنهم من جعلها على العكس من ذلك ، وجعلها آخرون مقدمة لدراسة الأحكام الافرادية كما فعله شيخنا أبو حيان .
لقد كانت دراسة علماء التجويد للأصوات منغلقة على صون اللسان من اللحن الخفي في قراءة القران وتجويده وهذا يعني أنهم لم يقصدوا إلى تعليم غير العربي العربية كما لاحظناه عند ابن جني . بل إن انغلاقهم على دراسة الأصوات اللغوية من دون المستويات اللغوية الأخرى لا نعدمه عند دارسي الفصاحة إلا أنهم اهتموا بالوضع اللغوي على مستوييه (الافرادي و التركيبي) لغرض الإجادة في نطق الألفاظ نطقا فصيحا وهم في ذلك أوسع في دراستهم اللغوية من دراسة علماء التجويد لان من قضايا الوضع اللغوي دراسة الاصوات وان تلك الدراسة اس الفصاحة الذي تنبني عليه القضايا اللغوية الاخرى ، فالفصاحة اذن كما ذكر عبد الوهاب القرطبي(ت461 هـ) هي : " ايصال اللفظ الى السمع في احسن صورة من النطق " [1] وان عمادها : " معرفة مخارج الحروف من مواضعها واحوازها لتاتي عند النطق بها على كمال اللفظ ..." [2] .
لذلك لا نستبعد ان تكون دراسة علماء التجويد اساسها الدراسات التي عقدها القدماء في الفصاحة بل انها منها ، ذلك لان المقصود من التنبيه على اللحن الخفي عند علماء التجويد " هو تحصيل الفصاحة التي هي تؤام البلاغة وعديلتها "[3] . ولعل الفارق بين دراسة علماء التجويد للاصوات وبين دراسة اهل الفصاحة لها هو ان دراسة اهل التجويد للاصوات جاءت اوسع واشمل من دراسة اهل الفصاحة لها .
وبما ان دراسة اهل الفصاحة للاصوات فائدتها صيانة اللسان من اللحن وتعليم غير العربي التكلم بفصيح كلام العرب فاننا نذهب الى ان ابا حيان في مذهبه الذي رجح فيه دراسة الاصوات مفردة لغرض " بيان الحروف

---

[5] م . ن : 60.
[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 50.
[2] ظ : م.ن : 57 .
[3] شرح الواضحة : 31 . و ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 60 .
[1] الموضح في التجويد :66 .
[2] م . ن :66 –67 .
[3] م . ن : 66 .

العربية حتى ينطق من ليس بعربي بمثل ما ينطق به العربي ..." هو من اثر ثقافته بدراسة علماء الفصاحة و البلاغة لا علماء التجويد فقط كما حسبه بعض العلماء المحدثين [4] . تلك الثقافة تبرز واضحة في ما الفه ابو حيان في البلاغة و الفصاحة من منظومات [5] ، وفي ما ذكره في كتابه البحر المحيط من اراء في الفصاحة و البلاغة .. وسبب ترجيحنا اثر علماء الفصاحة في غرض ابي حيان من دراسة الاصوات مفردة وانه لم يتاثر في ما ذكره اهل التجويد هو انه لم يفرد لدراسته الصوتية بابا خاصا جمع فيه اشتات تلك الدراسة وانما ذهب في ذلك مذهبين برزا واضحين في كتابه ارتشاف الضرب وهو ذكره دراسة الاصوات مفردة مقدمة للاحكام الافرادية وجعل القضايا الصوتية الاخرى متناثرة في الاحكام الافرادية وفي الاحكام التركيبية . فلتقديمه دراسة الاصوات مفردة على الاحكام الافرادية اثره – على ما نظن – دراسة اهل الفصاحة لها بتقديم تلك الدراسة على غيرها من الموضوعات . وتوزيعه القضايا الاخرى في الاحكام الافرادية وفي الاحكام التركيبية من اثر الدراسات النحوية فيه . ولعل خير دليل على ما نذهب اليه هو ان تصنيف ابي حيان لموضوعات ارتشاف الضرب – بصورة عامة – لا نجد له نظيرا عند غير السكاكي صاحب مفتاح العلوم ، والسكاكي - كما نعلم - من اهل الفصاحة و البلاغة .

ثانيا : الحرف والصوت والنفس :

1-مفهوم الحرف:

يتفق علماء العربية على مفهوم محدد للحرف ميزوه من المفهوم العام للصوت الساذج . فالخليل بن احمد ومتقدمو النحاة اشعرونا بامتياز مدلول الحرف من مدلول الصوت وان لم يذكروا ذلك صراحة، قال الخليل :" جرس الحرف : نغمة الصوت ، و الحروف الثلاثة الجوف لا صوت لها ولا جرس ، وهي الواو و الياء و الالف اللينة وسائر الحروف مجروسة " [1] . وقال في الغنة بانها : " صوت فيه ترخيم نحو الخياشم ، يغور نحو الأنف بعون من نفس الأنف . قال الخليل : النون اشد الحروف غنة . " [2] . ومن صفات الأصوات عند سيبويه ومتقدمى النحاة " الشديد : وهو الذي يمنع الصوت ان يجري فيه ..." [3] . ومنهـا " المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام . وان شئت مددت فيها الصوت "[4] .

لقد تابع أبو حيان الاندلسي متقدمي النحاة في عدم الإشارة إلى الفرق بين الحرف و الصوت مكتفيا بايرادهما معا في نصوص عديدة من مصنفاته يقول : "الغنة : صوت يخرج من الخيشوم عند النطق بالحرف . فإذا أمسكت بأنفك لم يجر ذلك الصوت . وحرف الغنة النون و الميم ... و الغنة زائدة ... وهي علامة قوة الحرف "[5] . وقال في صفة الراء : " و المكرر الراء . قال سيبويه وغيره : وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكرره و انحرافه الى اللام فصار كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه " [6] . فالغنة و التكرير وغيرها من الصفات أصوات حروف عندهم أي إن الصفات الصوتية قاصرة عن إبراز الصوت اللغوي بصورة واضحة دون حدوث اعاقة تامة او جزئية من أعضاء النطق لهواء النفس او اتخاذ تلك الأعضاء اوضاعا معينة لا تعوق خروج النفس الا انها تميز الصوت الناتج من سائر الاصوات وهو ما يحدث مع انتاج اصوات المد و اللين . وبمعنى اخر : ان الصوت عند علماء العربية كل اثر سمعي ساذج يصدر عن انسان او حيوان . وان الحرف كل صوت ذي دلالة مقصودة ، يقول الفارابي : " و الاصوات و النغم التي يستعملها الحيوان عند الانفعالات الحادثة فيها ليست هي التي يستعملها الانسان علامات في الدلالة على الامور "[7] . ثم يقول : " ومن فصول الاصوات الفصول التي بها تصير الاصوات حروفا " [8] ويعرض ابن جني الفرق بين

---

[4] ظ : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 49 – 50 .
[5] للاطلاع ، ظ: أبو حيان النحوي : 257-259 .
[1] العين : 51/6 (ج ر س) .
[2] م . ن : 4 / 348 (غ ن) . و ظ : اللسان : 315/13 (غ ن ن) .
[3] كتاب سيبويه : 405/2. وظ : سر صناعة الاعراب: 61/1 . و الموضح في التجويد :89.
[4] كتاب سيبويه : 406/2. و ظ: سر صناعة الاعراب: 63/1 . و النكت في تفسير كتاب سيبويه : 1247/2 .
[5] النكت الحسان : 280- 281 .
[6] م . ن : 280 .
[7] الموسيقى الكبير : 64 .
[8] م . ن : 1072 .

الحرف و الصوت بصورة واضحة في قوله :" اعلم ان الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق و الفم و الشفتين مقاطع تثنية عن امتداده و استطالته فيسمى المقطع اينما عرض له حرفا وتختلف اجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها " [1]. ويرى ايضا:" ان الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه كحرف الحبل ونحوه "[2]. ويرى ابن سينا ان الحرف " هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت اخر مثله في الحدة و الثقل تميزا في المسموع "[3] . فمدلول الصوت اعم من مدلول الحرف ، وهو من العوامل المكونة للحرف ، يقول القسطلاني : " و الحروف جمع حرف ، وهو صوت معتمد على مقطع محقق او مقدر . و الصوت هو الحاصل من دفع الرئة الهواء المحتبس بالقوة الدافعة فيتموج ، فيصدم الهواء الساكن فيحدث الصوت من قرع الهواء بالهواء المندفع من الرئة "[4] .
ويجعل ابن المظفر الرازي (من علماء القرن السابع الهجري) الحروف على ثلاثة انواع هي " فكرية ، ولفظية ، وخطية .
فالحروف الفكرية هي : صور روحانية في افكار النفوس مصورة في جوهرها قبل اخراجها ، معانيها الالفاظ.
و الحروف اللفظية هي : اصوات محمولة في الهواء ، مدركة بطريق الاذنيين ، بالقوة السامعة .
و الحروف الخطية هي : نقوش خطية بالاقلام في وجوه الالواح وبطون الطوامير ، مدركة بالقوة الناظرة ، بطريق العينين .
و الحروف الخطية : وصفت ليدل بها على الحروف اللفظية .
و الحروف اللفظية : وصفت ليدل بها على الحروف الفكرية التي هي الاصل .
و الحروف اللفظية : انما هي اصوات تحدث في الحلقوم و الحنكين ، ومن اللسان و الشفتين ، عند خروج النفس من الرئة ، بعد ترويحها الحرارة الغريزية التي في القلب ، وهي ثمانية و عشرون في العربية ، وتزيد و تنقص في بعض اللغات " [5] . لقد عبر الرازي " عن تصور دقيق للبنية الصوتية للغة تمثلها حقيقتان: الاولى صورة فكرية في عمق فكر الانسان ، و الثانية [كذا] اصوات مسموعة (محمولة في الهواء) .." [6] .

وقد صرح عدد من علماء العربية بان مصطلح الحرف يدل على الرمز المكتوب او صورة الصوت المكتوبة، قال المرادي :- " و الحروف المشار اليها حروف (أ ب ت ث الى اخره) . وتسمى حروف الهجا و التهجي . ويسميها سيبويه و الخليل حروف العربية أي اللغة العربية وتسمى حروف المعجم مقدر المعنى الاعجام وهو من اعجمت الشيْ ، اذا بينته ، و الهمزة في اعجمت على هذا المعنى للازالة أي ازلت عجمته اما بنقطة او بشكلة وتسمى ايضا حروف ابي جاد .. " [1] . وقال احمد بن محمد الجزري :" و الحروف جمع حرف ويريد حرف الهجاء لا حرف المعنى ، وسمي بذلك لانه غاية الطرف و غاية كل شئ حرفه أي طرفه و ما دونه الصوت وحده : هواء متموج بتصادم جسمين ومن ثم عم به ، و الحرف : صوت معتمد على مقطع محقق او مقدر ويختص بالانسان وضعا ..."[2] .
ولا نود ان نعرض جميع ما لدينا من نصوص للقدماء [3] تميز بين الحرف و الصوت وتبين مرادهم من مصطلح الحرف ؛ لانها جميعها تصب في مفهوم واحد هو ان " الصوت قبل ان يصير حرفا لا شان له باللغة

---

[1] سر صناعة الاعراب :6/1 .
[2] م . ن : 14/1 .
[3] اسباب حدوث الحروف : 4
[4] لطائف الاشارات : 1/ 183.
[5] كتاب الحروف ، للرازي ، تح ؛ د . رمضان عبد التواب ، ضمن كتاب ثلاثة كتب في الحروف : 141 . و تحقيق د. رشيد العبيدي : 208-209 .
[6] الفونيم بين النحو العربي القديم وعلم اللغة الحديث :82 . وفي اشارة الرازي هذه يد السبق على ما يصطلح عليه المحدثون بـ (الفونيم) وعرفوه بانه : " صوت كلامي يتصوره المتكلم في فكره ويستهدف اخراجه عند التكلم ."
ينظر : Jones, D . , on phonemes in Travauxdu Cercl Lingustique depague : p :22 . نقلا من البحث السابق . او انه، كما يرى ياكبسون ، " صوت يتصوره المتكلم او يقصده ، يقابله الصوت المنطوق (يتقابلان كما تتقابل) الظاهرة الصوتية النفسية تجاه الحقيقة الصوتية الفيزياوية " ينظر : Jakoson , Fundamentals of language , mouton : P : 11. نقلا من البحث السابق .
[1] شرح التسهيل ، للمرادي : 247 و .
[2] الحواشي المفهمة في شرح المقدمة : 11ظ .
[3] ظ (على سبيل المثال) : الايضاح في علل النحو ، للزجاجي :54 . وسراج القارئ المبتدئ : 387 و . وشرح المقدمة الجزرية ، لزادة : 9 . و المعجب في علم النحو : 209-210 .

الانسانية المكونة من الالفاظ الدالة " [4] . او ان الصوت هو ما يصدر عن الانسان و الحيوان ساذجا غير متشكل و الحرف ما يصدر عن الانسان فقط وهو ما " يمكن ان يكون صوتا لغويا يفاد منه في تشكيل الالفاظ اللغوية " [5] . وهذا يعني ان الحرف عند القدماء هو الوحدة الصوتية الملفوظة التي تحمل صورا صوتية متعددة[6] . وهو ما عبروا عنه بحروف المعجم او حروف خط المعجم .

ومن خلال ما سبق ينكشف لنا سبب الغلط الذي وقع فيه بعض المحدثين الذين ذهبوا الى ان استعمال القدماء لمصطلح (الحرف) دلالة على الصوت هو " خلل في الاصطلاح اكثر من كونه خللا في الادراك .."[7] ، او انهم قصدوا بالحرف مخرج الصوت [8] . وسبب ذلك الغلط هو انهم قوموا الدراسات الصوتية عند القدماء باستعمال نتائج دراساتهم الحديثة " ولا شك في ان هناك فرقا بين استخدام النتائج الحديثة في تصحيح المفاهيم اللغوية غير الدقيقة في دراسة المتقدمين للغة وبين استخدامها في تقويم جهودهم في ميدان اللغة ، فالدراسات الحديثة لا تؤدي دورها بدون [كذا] الاستفادة منها في فهم الظواهر اللغوية على حقيقتها ، بغض النظر عن رأي المتقدمين ، ولكن تقويم دراستهم للغة بالنظر إليها من خلال ما حققته الدراسات اللغوية الحديثة يعد خطأ منهجيا يشبه الخطأ الذي يقع فيه من يحكم على جهود علماء المسلمين في ميدان الطب -في القرون الماضية – من خلال ما وصل اليه علماء الطب اليوم" [1] .وقد دفع هذا الخلط عند المحدثين – الى ان يظنوا ان مصطلح (الصوت) عند القدماء ، كابن جني ، مرادف لمعناه الذي هو عليه اليوم [2]. فالقدماء قصدوا بالحرف الصوت الصادر من الانسان والذي يدل على واحد من الأحرف العربية. على حين جعل المحدثون الحروف رموزاً تدوينية فقط وهي ليست باصوات . فالحرف الواحد قد يتفق باشكال متعددة . و ان الصوت الواحد قد يكتب في بعض اللغات بطرق مختلفة [3] . أي ان " الاصوات تتابع في الزمن ، والحروف تتابع في المكان ، فالكتابة محاولة لنقل هذه الصورة الصوتية في بعدها الزماني الى الصورة المرئية في بعدها المكاني" [4] .

2-الفرق بين الصوت و النفس :

انتهينا في ما سبق إلى أن مصطلح الصوت عند القدماء هو اعم من مصطلح الحرف فكل حرف صوت ولكن ليس كل صوت حرف . ذلك لان الصوت هو كل حدث مسموع لا يشكل وحدة دلالية مع غيره من الأصوات . في حين كان الحرف عندهم الوحدة الصوتية التي تحمل دلالات محددة داخل المفردة وهو ما يقابل عند المحدثين الصوت اللغوي . وسنأتي في هذا الموضوع إلى التفريق بين الصوت و النفس اللذين استعملهما علماؤنا في دراسة الصفات بكثرة . ولا يحدد أبو حيان مفهوم الصوت و النفس، شانه في ذلك شان النحاة السابقين، الا ان كثرة استعماله لهما في مواضع محددة دليل على وضوح مفهومهما وان لم يصرح بهما، قال أبو حيان في الأصوات المهموسة إنها:" حروف ضعف الاعتماد عليها في مخارجها عند النطق بها فجرى معها النفس فخفي الصوت بها " [6] .

و الجهر " ضد الهمس فاذا منع النفس ان يجري معه حتى ينقضي الاعتماد كان مجهورا " [7] . اما صفة الشدة فهي :" امتناع الصوت ان يجري في الحرف " [8] . وان الاصوات الشديدة هي " التي لا يخالطها صوت " [9] وغيرها من المواضع .

---

(4) ابحاث في اصوات العربية : 88 0 و الى ذلك ذهب د. هادي نهر ، ظ: الحروف و الاصوات العربية : 217-222 .
(5) ابحاث في اصوات العربية :88.
(6) ظ : دراسة مقارنة للنواحي الصوتية في كتاب العين و النظرية الحديثة في علم الصوت : 499 –500 . و الدراسات الصوتية في كتاب العين 57-58 .
(7) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا : 35 .
(8) في البحث الصوتي عند العرب : 30.
(1) المصوتات عند علماء العربية : 391 .
(2) تاصيل المصطلح الصوتي : 14
(3) ظ : اللغة وعلم النفس : 79 .
(4) اصول تراثية : 83-84 . وورد معنى شبيها به في : علم الاصوات العام : 151-152 .
(6) النكت الحسان : 278 .
(7) الارتشاف : 10/1 .
(8) م.ن : 10/1.
(9) النكت الحسان : 279

ولا يختلف استعمال ابو حيان لهذين المصطلحين عن استعمال سيبويه واغلب العلماء لهما ولا سيما علماء التجويد . الذي لم يختلف المحدثون معهم في تحديد مفهوم المصطلحين ، قال المرعشي : " اعلم ان النفس الذي هو الهواء الخارج من داخل الإنسان ان كان مسموعا فهو صوت والا فلا "[1] و النص ذو دلالة واضحة على ما انتهى اليه المحدثون . وعلى الرغم من هذا فقد كان للقدماء مفاهيم خاصة في مصطلحي (الصوت و النفس)غير التي شاعت عند سيبويه ومتابعيه سنتطرق لها في فصل الصفات بعونه تعالى.

3-عدد الاصوات اللغوية :

يذهب ابو حيان الاندلسي في الارتشاف الى انها " التسعة و العشرون حرفا "[2] . وهو ما ذكره في غاية الاحسان بقوله " الحروف تسعة وعشرون . يجمعها قولك :

قد غشني ذو عشرة لاحظ مصطخب ضبح سكت ازف "[3]

ولو احصينا حروف البيت السابق بعد إسقاط المتكرر منها لوجدناها ثمانية وعشرين حرفا ، لان الهاء ليست موجودة فيه ، الا اننا لوعدنا الى اصل التاء في عشرة لوجدنا انها الهاء التي تظهر في الوقف وبذلك يصح قول ابي حيان انها تسعة وعشرون .

ويعلق ابو حيان في النكت الحسان على نص غاية الاحسان السابق قائلا : " وفي الحقيقة انما هي ثمانية وعشرون . لان لام الالف هي لام . وانما جرى في هذا على قول من تقدمه "[4] وتعليل ابي حيان على ان الحروف ثمانية وعشرون فيه غرابة ولا نظنه صحيحا ، لان الخلاف في عدد الحروف بين النحاة ليس مرده اللام من قولهم (لام الف) انما كان في (الهمزة) او (الالف) فقولهم (لام الف) لقولهم(الف) أي الالف التي في(لا) و الالف في(لام) . وهذان القولان جاءا تفريقا بين الالف الصامت الطويل ، وبين الالف التي هي الهمزة وزيادة اللام في (لام) وفي (لا) لتكون ممهدة للفتحة بعدها، لان الحركة لا يمكن الابتداء بها ، قال ابن جني :" واعلم ان واضع حروف الهجاء لما لم يمكنه ان ينطق بالالف التي هي مدة ساكنة . لان الساكن لايمكن الابتداء به ، دعمها باللام قبلها متحركة ليمكن الابتداء بها ، فقال : هـ ، و،لا، ي فقوله (لا) . بزنة ما ، ويا ، ولا تقل كما يقول المعلمون : (لام الالف) وذلك ان واضع الخط لم يرد ان يرينا كيف احوال هذه الحروف اذا تركب بعضها مع بعض ، ولو اراد ذلك لعرفنا كيف تتركب الطاء مع الجيم و السين مع الدال ، و القاف مع الطاء ، وفي ذلك مما يطول تعداده ، وانما مراده ماذكرت لك من انه لما لم يمكنه الابتداء بالمدة الساكنة ابتداء باللام ، ثم جاء بالألف بعدها ساكنة ليصح لك النطق بها ، كما صح لك النطق بسائر الحروف غيرها ، وهذا واضح " [5] .

ومهما كان الامر فاننا لا نستطيع ان نجعل من كلام ابي حيان في النكت رايا ثابتا له ، اذ سرعان ما عدل عنه في مصنفاته اللاحقة ، اذ قال : انها تسعة وعشرون حرفا . بل انه ادرك سببا من اسباب اختلاف النحاة في عدد الاصوات اللغوية ، قال السيوطي :" و الحروف تسعة وعشرون .قال ابو حيان : ولا خلاف في ذلك الا في الهمزة ، فزعم انها ليست من حروف المعجم بدليل انها لا تثبت على صورة واحدة فكانتا عنده من قبيل الضبط اذلو كانت حرفا لكان لها شكل تثبت عليه كسائر الحروف" [1] . وهو ما ذكره ابو حيان ملخصا بقوله في الارتشاف : " خلافا للمبرد في زعمه ان الهمزة ليست منها " [2] ، أي من الحروف .

وهذا يعني ان ابا حيان انتهى في الارتشاف الى ان عدد الأصوات تسعة وعشرون وفاقا لما ذكره سيبويه[3]، وابن السراج [4] ، وجمع غفير من القدماء [5] ، وعلماء التجويد [6]. مخالفا بذلك المبرد الذي اهمل الهمزة[7]،

---

(1) جهد المقل : 96 .
(2) الارتشاف :1 / 4 .
(3) النكت الحسان : 270.
(4) م.ن : 270.
(5) سر صناعة الاعراب : 43/1 – 44 .
(1) الهمع : 6/ 291 .
(2) الارتشاف : 1/ 4 .
(3) ظ : كتاب سيبويه : 2 / 404 .
(4) ظ : الاصول : 399/3 . و الموجز : 165 .
(5) ظ : الجمل للزجاجي : 375 . و الممتع : 663/2 . و المنهاج في شرح جمل الزجاجي : 208 .
(6) ظ: الرعاية :72 . والتحديد : 104 . والموضح في التجويد : 77 .
(7) ظ : المقتضب : 1/ 192

وخلافا لابن دريد الذي رأى ان " الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الاسماء و الافعال و الحركات و الاصوات تسعة وعشرون حرفا مرجعهن الى ثمانية وعشرين حرفا" [8] .وسبب تلك المرجعية عنده " الالف الساكنة وذلك انه لا يكون الا ساكنا ابدا فمن اجل ذلك لم يبداوا به فاذا احتجت الى ان تحركه تحوله الى لفظ احد الحروف المعتلات (الياء و الواو و الهمزة) ، فمن ثم لم يعد في الحروف المعجمة حين وجدوه راجعا الى الثمانية و العشرين فان اللسان ممتنع من ان يبتدئ بساكن او يقف على متحرك فاذا كانت كلمة اولها الف صارت همزة لحركتها و انتقالها الى حال الهمزة فلذلك قالوا في الالف ماقالوا " [9] 0

فلو اردنا ان نعتد بصور الهمزة مثلما اعتد بعض النحويين القدماء بصورة الهمزة مع الالف وعدوها حرفا مغايرا للالف المفردة لاصبح عدد الاصوات في احوالها الكتابية اثنين و ثلاثين حرفا لانه سيكون اربع صور للهمزة المفردة هي : (ء) و المقترنة بالالف (أ) ، و المقترنة بالواو (ؤ) ، و المقترنة باليـاء (يء) . الا ان هذا غير منطقي لانه لا يتناول جوهر الحرف و انما هي صورة ناشئة من اقتران الهمزة بالحركات السابقة لها او التي عليها .

ولنا في نظرة القدماء الى عدد الاصوات اللغوية رأي يوجه مذاهبهم ،فقد رام القدماء من مصطلح الحروف – كما ذكرت – الصوت اللغوي الملفوظ الذي يشكل وحدة صوتية لها وظيفة داخل البناء العربي . وينفعنا في ذلك ماذكره أستاذنا الدكتور غانم قدوري ال حمد في علة جعل الذال حرفا و الظاء حرفا اخر و عدم عد اللام الرقيقة و اللام الغليظة حرفين عند القدماء وهو " قدرة الذال
و الظاء على التبادل في الموقع مع تغيير المعنى على نحو في الامثلة السابقة مثل (محذورا ومحظورا) فالفرق بين الكلمتين الذي ادى الى اختلاف المعنى هو وجود الذال في الكلمة الاولى ووجود الظاء في الكلمة الثانية اما اللام الرقيقة واللام الغليظة فليس لهما هذه القدرة على تبادل الموقع و تغيير المعنى ، فهما في الواقع تنوع صوتي لحرف واحد هو اللام ..." [1] . ولهذا اتخذ القدماء الرمز المتعارف على كل صوت لغوي دليلا على اصل كل وحدة صوتية بما فيها صورها التي تتفرع عنها. وعلى ذلك يمكننا توجيه مذاهب القدماء في عدة الأصوات اللغوية وهي :

1- ما يراه الخليل من ان الأصوات عددها ثمانية وعشرون يقول : " الحروف التي بني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفا لكل حرف منها صرف وجرس . أما الجرس : فهو فهم الصوت في سكون الحرف . واما الصرف فهو حركة الحرف " [2] . ومن خلال قول الخليل (الحروف التي بني منها كلام العرب ...) ، وما ذهب اليه في مفهوم جرس الحرف بانه " نغمة الصوت و الحروف الثلاثة الجوف لا صوت لها ولا جرس ... وسائر الحروف مجروسة "[3] . تخرج الى انه قصد بعدد الاصوات في النص السابق الوحدات الصوتية التي تدخل في اصول البناء العربي و التي بتغيرها يتغير المعنى الاساس للمفردة مستثنيا من ذلك الوحدات الصوتية التي لا تدخل في أصول البناء العربي (الصوائت الطوال) . قال سيبويه : " وزعم الخليل ان الفتحة و الكسرة و الضمة زوائد يلحقن الحرف ليوصل الى التكلم به (و البناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه) فالفتحة من الالف و الكسرة من الياء و الضمة من الواو فكل واحدة شيء مما ذكرت لك" [4] . وقوله : (و البناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه) ، زيادة على ما ذكرنا ، دليل كاف على ادراكه لوظيفة الصوائت بنوعيها بعدم دخولها في اصول البناء العربي . وهذا يعني ان الخليل راعى وظيفة الصوت دون رمزه الكتابي في عدة الاصوات .

2- ومن خلال مذهب الخليل السابق نخلص ايضا الى ان عدد الوحدات الصوتية الاصول ثمانية و عشرون وان الزوائد على البناء العربي ثلاثة وحدات هي الواو و الياء و الالف (الصوائت الطوال) وبذلك يكون مجموع الوحدات الصوتية عند الخليل بنوعيها – و ان لم يشر الى ذلك صراحة – احدى وثلاثين وحدة

---

[8] جمهرة اللغة : 1/ 4 .
[9] م . ن : 7/1 .

[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 235 .
[2] التهذيب : 50/1 .
[3] العين : 51/6 (ج ر س) .
[4] كتاب سيبويه : 2/ 315 .

صوتية وهو ما ذهب إليه بعض علماء التجويد في ما بعد لاخراجهم اصوات المد و اللين من الاصوات التسعة و العشرين[5] .

3- ويرى الخليل أيضاً ان في العربية تسعة وعشرين حرفا ، كما ذكره في كتاب العين [1]. وعلى الرغم من كثرة التحريفات و الاوهام التي وردت بعد عبارة الخليل هذه نستطيع ان نوجه كلامه هذا بانه اعتمد رموز الوحدات الصوتية بنوعيها (الاصول و الزوائد) مع ما ابتكره رمزا لصوت الهمزة وهو راس العين (ء) وقد سار على مذهب الخليل الاخير جمهور علماء العربية [2] ، ومنهم سيبويه وابو حيان موضوع الدرس . ودليلنا على ان سيبويه ومشايعيه راعو صورة الوحدة الصوتية المكتوبة (رمزها) في حديثهم على عدد الأصوات اللغوية ما ياتي :

1- ما ذكره بعض النحويين من ان عدد الأصوات قائم على رموز حروف المعجم او على المشهور من ترتيب حروف المعجم . كقول ابن جني : " اعلم ان أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا...على المشهور من ترتيب حروف المعجم " [3] .وكقول أبي حيان في مقدمة أحكام الكلم الافرادية من الارتشاف : " ونقدم القول في مواد الكلم ، وهي حروف المعجم ... فعددها تسعة وعشرون حرفا ..."[4]

2- ما ذكره بعض النحويين من ان الاصوات الفرعية لا تتبين الا بالمشافهة او انها لا صور لها ، قال سيبويه بعد ان ذكر الاصوات الاصول و الفروع جملة : " وهذه الحروف التي تتمتها اثنين و اربعين جيدها ورديئها اصلها التسعة و العشرون لا تتبين الا بالمشافهة" [5] .قصد بالتي (لا تتبين الا بالمشافهة) الاصوات الفرعية ، قال ابن جني : "ولا يصح امر هذه الحروف الاربعة عشر اللاحقة للتسعة والعشرين حتى كملتها ثلاثة واربعين ، الا بالسمع والمشافهة "[6] .الا ان المبرد استبدل قول سيبويه (لا تبين الا بالمشافهة) بقوله :" ونفسر هذه التي ليس لها صور مع استقصائنا القول في غيرها ان شاء الله " [7] ، قصد بالتي ليس لها صور الاصوات الفرعية . ومن خلال تلك النصوص يتضح لنا ان الاصوات الاصول لها صور يمكن ان تدرك بها من غير السمع او المشافهة ، تلك الصور هي رموز الخط المعجم السابقة الذكر .

3- ما رد به بعض النحاة كابن جني و الزمخشري على المبرد لذهابه الى ان الهمزة لا صورة لها وكان ردهم بان الحروف موجودة في اللفظ ويستدل عليها بالعلامات في الخط ، يقول ابن جني ان " جميع هذه الحروف انما وجب اثباتها واعتدادها لما كانت موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط و الهمزة ايضا موجودة في اللفظ كالهاء و القاف وغيرهما ، فسبيلها ان تعد حرفا كغيرها " [7] .

4- ما ذكره أبو حيان الأندلسي في النكت الحسان من تعليل غير دقيق لكون اصل الحروف ثمانية وعشرين وهو ان (لام ألف)لام .

5- ولا ننسى السبب الذي اقصى به المبرد الهمزة عن الاصوات او اقصى به ابن دريد الالف عن عدد الاصوات ؛ لان الهمزة عند الاول متغيرة لا صورة ثابتة لها وهوحال الالف دون سائر الاصوات عند ابن دريد .اما بقية الاصوات فلان صورها ثابتة عندهما اعتد بها في عدد الاصوات . ونظرة المبرد وابن دريد وان كانت غير صحيحة الا انها تعبرعن مراعاة النحاة لرمز الصوت في النظام الف بائي في اثناء حديثهم على عدد الأصوات اللغوية.

هذا الذي ذكرناه دليل على ان سيبويه وأشياعه كابي حيان الأندلسي قصدوا بعدد الأصوات اللغوية رموز الوحدات الصوتية التي يضمها النظام الألف بائي . وانهم حين ردوا على المبرد انما لانه جعل الهمزة لا صورة لها . والا فهم ملتفتون وموافقون له من حيث ان الهمزة وحدة صوتية لها صورة ملفوظة ولها مخرج وصفة وان اختلفوا في موضعها وصفتها . ولا يعني استدلالنا ذلك موافقتنا القدماء في ما ذهبوا اليه بقدرما يعني توضيحاً لما ارادوا ان يقولوه في دراسة الصوت اللغوي بالمفاهيم التي تعارفوا عليها وبالأدوات التي استعانوا بها في دراسة الاصوات اللغوية .

ثالثا :اسس دراسة المخارج :

---

[5] ظ : الموضح في التجويد : 121 . و النشر : : 1/198-199 . وشرح المقدمة الجزرية ، لزادة : 12 . ولطائف الإشارات:1/189 . ورسالة في التجويد، لعبد الحسين مبارك : 9 . وشرح المقدمة الجزرية ، لمؤلف مجهول : 1.

[1] ظ : العين : 1/57 .
[2] ظ : الاصول : 3/399 . وسر صناعة الاعراب: 1/41 . و الممتع : 2/663 .
[3] سر صناعة الاعراب : 1/41 .
[4] الارتشاف : 1/ 4.
[5] كتاب سيبويه : 2/ 404 .
[7] المقتضب : 1/ 195 .
[8] سر صناعة الاعراب : 1/43 .

1-مفهوم المخرج :

لتوضيح مفهوم القدماء لمخارج الاصوات اهمية بالغة في الكشف عن السبب الذي صنفوا على اساسه الاصوات اللغوية ولا سيما اصوات المد و اللين وصوت النون الخفيفة (الغنة) .

لقد كان لابي حيان الاندلسي منهج مخالف لمنهج جمهور النحاة في دراسة الصوت اللغوي بجعله دراسة الصوت المفرد مقدمة لدراسة احكام الكلم الافرادية الا انه لم يذهب بعيدا عن الاصول التي درس فيها الصوت اللغوي مفردا من ذلك ما حد به المخرج بانه: " الموضع الذي ينشا منه الحرف " [1] .وهذا مشبه لقول الداني :" ومعنى المخرج انه الموضع الذي ينشا منه الحرف "[2] .ويسمي القرطبي مايسامت الحرف " ويحاذيه من الحلق و الفم و اللسان و الشفتين مخرجا " [3] . وفي هذه النصوص ملاحظتان يجدر بنا الوقوف عليهما احداهما ما يشمله مصطلح الحرف عند القدماء و الاخرى ما يقصده القرطبي بقوله (يسامت الحرف ويحاذيه). اما الاولى فان الحرف كما ذكر القسطلاني يطلق على اصوات المد و اللين (الصوائت الطوال) وسائر الاصوات الاخرى [4] . واما الاخرى فيمكننا معرفة مراد القرطبي من قوله (مايسامت الحرف) بالرجوع الى المعجمات اللغوية ، فالسمت " الناحيـــــة المقصودة " [5] ، و السامت " القاصد سمتاً من السموت أي ناحية من النواحي "[6] . فما يسامت الحرف هو ما يدخل في سمت الحرف . نقول : وكانت الشمس في سمت الرأس . أي في قمةالرأس ولذلك سميت الشمس عند الظهيرة السمت . اذا فما يسامت الحرف ما يصحبه من أقصى جهة نطقه التي هي (جوهر المخرج) .

وبذلك يكون مفهوم المخرج عند القدماء ومنهم ابو حيان – الهياة التي تتخذها اعضاء النطق في حيز ما عند انتاج الصوت اللغوي و التي بها يمتاز صوت من صوت أي ان كل عضو من اعضاء الجهاز الصوتي حاذى الصوت او اتجه نحو نقطة صدوره ليكون علامة مميزة له سمي مخرجا. يقول علي القارئ: " فحيث انقطع الصوت كان مخرج المحقق. وحيث يمكن انقطاع الصوت في الجملة كان مخرجه المقدر فتدبر"[1] . أي ان ذهاب بعض القدماء الى ان الالف المدية من اقصى الحلق و الياء المدية من الشجر و الواو المدية من الشفة هو اصطلاح تقديري لان اعضاء النطق مع اصوات المد و اللين حاذتها حتى صارت علامة مميزة لها من سائر الاصوات الاخرى . نخلص من ذلك الى ان دلالة المخرج عند القدماء على قسمين :

1- المخارج المحققة : وهي التي تعترض الصوت عند خروجه مع النفس في الحلق و الفم و الشفتيين . وهذا الاعتراض على نوعين : أ- شديد او انفجاري . ب- رخو او احتكاكي .

2- المخارج المقدرة : وتختص بها اصوات المد و اللين .

ان فكرة المخارج المقدرة التي نادى بها المتاخرون نجد جذورها عند الخليل ، اذ قال :" اما الحروف العربية فثمانية وعشرون اصلا ، ولها ستة عشر حيزا ، فمنها ما اتفق مبدؤها و اختلف مجراها مثل الجيم مع الياء والواو مع الباء و الالف مع الهاء . ولبدو الياء و الواو و الالف من الجوف سميت جوفاً " [2] .أي ان هذه الاصوات تتفق في بداية خروجها من الجوف لكن مجاريها تختلف باختلاف هياة اعضاء النطق التي تتخذها تلك الاعضاء مع انتاج كل صوت ، مد و لين ليمتاز من غيره لذلك قال :(مثل الجيم مع الياء) و (الواو مع الباء) و (الالف مع الهاء) .

ويلتزم المحدثون مفهوما واحدا للمخرج ، فهو عندهم :" الموضع الذي يحدث فيه اعتراض لمجرى الهواء أثناء محاولة الخروج فيه "[3] .ويقول الدكتور محمود فهمي حجازي :" و توصف النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء التي يصدر منها مصطلح المخرج (Point of Articulation) " [4] .

---

[1] النكت الحسان : 275 .

[2] التحديد :104 .

[3] الموضح : 71 .

[4] ظ : لطائف الاشارات : 1/ 184.

[5] الفرق بين الحروف الخمسة :557 .

[6] م . ن : 578 .

[1] المنح الفكرية : 2 ، نقلا من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 123-124 .

[2] تذكرة النحاة : 29 .

[3] الاصوات الحلقية عند سيبويه و الاخفش الاوسط : 111. و ظ : المظهر الصوتي و الاملاء : 74 .

[4] مدخل الى علم اللغة ، د . محمود فهمي مجازي : 43 . و ظ : أبحاث ونصوص في فقه اللغة : 194 و 218 . وفي الأصوات اللغوية : 70.

وهذا معناه ان مفهوم المخرج عند المعاصرين مقتصر على المخارج المحققة التي تنتج الأصوات الصوامت والواو و الياء الاحتكاكيتين ، أما أصوات المد فلا مخارج لها على الرغم من اتخاذ اللسان و الشفتين أوضاعاً محددة عند النطق بكل صوت منها .

وبعد تبيين مفهوم المخرج عند أبي حيان وعلماء العربية نأتي الى توضيح مفهوم الحيز عندهم .

على الرغم من استعمال أبي حيان مصطلح الحيز ، فانه لم يحدد فهمه له غير ان المواضع التي ذكره فيها توضح مراده منه ، يقول أبو حيان في مخارج اللام و النون و الراء :" ومذهب الجمهور انها ثلاثة مخارج وهو الصحيح لتباينها عند الاختبار "[1] . ثم قال :" و الذليقة ، قال مكي : ثلاثة الراء واللام و النون وفي بعض نسخ العين للخليل : حروف الذلق : ر ، ل ، ن ، ف ، ب ، م ، ويجمعها (مل فنبر) . والذلق : الطرف من كل شيء و الفاء و الباء والميم في حين خروجها من الشفة لا عمل فيها . وثلاثة في حيز : اللام و الراء و النون "[2] .

فاللام و النون و الراء كل واحد منها في مخرج الا انها تنتمي الى حيز واحد وهذا يعني ان الحيز عند ابي حيان مشتمل على مجموعة من المخارج واول من استعمل هذا المصطلح – أي الحيز – الخليل بن احمد الفراهيدي ، وقد اختلف الدارسون المعاصرون في مراد الخليل منه فمنهم من يرى ان الخليل قصد به الأصوات التي تنتمي مخارجها الى حيز واحد [3] ، ومنهم من يرى انه قصد بالحيز المخرج " [4] ، أو ان الحيز عنده جزء من المخرج [5] . ونرى ان استعمال الخليل لكلمة (الحيز) كان استعمالا اقرب الى مفهومه اللغوي . جاء في اللسان : " و الحوز الجمع ، وكل من ضم شيئا الى نفسه فقد حازه "[6] وفيه ايضا :" وحوز الدار وحيزها : ما انضم اليها من المرافق و المنافع ، وكل ناحية على حدة حيز، بتشديد الياء .."[7] أي ان الحيز عند الخليل هو ما انضم من الاصوات في مجموعة ما ، سواء كانت تلك الاصوات من مخرج واحد كما في الاصوات الاسلية، ام كانت من مخارج متقاربة كما في الاصوات الشجرية ومنها (الجيم و الشين) من مخرج و الضاد من مخرج مقارب لمخرج الجيم و الشين .لذلك فاننا نجد الخليل يستعمل الحيز مرة مع مجموعة الأصوات المنتمية إلى مخرج واحد فيقول :" أما الحروف العربية فثمانية وعشرون اصلا ، ولها ستة عشر حيزا "[8] .أي مخرجا ، ويستعمله أخرى – كما في مقدمة كتاب العين – دلالة على المجموعات الصوتية ، التي تحتوي كل مجموعة منها على أصوات متقاربة المخرج او على أصوات من مخرج واحد .أما سيبويه فقد استعمل مصطلح (الحيز) على الموضع من جهاز التصويت الذي يشمل على اكثر من مخرج اذ قال: " و الظاء و الثاء و الذال أخوات الطاء و الدال و التاء لا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام لأنهن من حيز واحد وليس بينهن الا ما بين طرف الثنايا وأصولها "[9] وقد تابعه في ذلك بعض علماء العربية [10] ومنهم ابو حيان كما يظهر من كلامه السابق .

وكان من علماء العربية من استعمل مصطلح (الحيز) مرادفا لمصطلح (المخرج) قال القسطلاني:

" اعلم أن المخارج : جمع مخرج اسم للموضع الذي ينشا منه الحرف ، وهو عبارة عن الحيز المولد له "[1].

2-عدد مخارج الأصوات وأصولها :

عدد مخارج الأصوات عند أبي حيان ستة عشر مخرجاً [2] . وزعها في كتابيه (الغاية و النكت) على أربعة أصول مرتبة على ما يأتي : 1- للحلق ثلاثة مخارج [3] .

2- للسان عشرة مخارج [4] .

3- للشفة مخرجان [5] .

4- للخيشوم مخرج واحد [6] .

---

[1] الارتشاف : 5/1 .

[2] م . ن : 12/1 .

[3] ظ : جهود الكوفيين في علم الاصوات : 46 . و الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 174 .

[4] ظ : علم اللغة العام (الاصوات) : 77 و الظواهر الصوتية عند الكوفيين : 132 .

[5] ظ : المصطلح الصوتي ، الصيغ : 51.

[6] اللسان : 5/ 341(ح و ز) .

[7] م . ن : 5 / 342(ح و ز) .

[8] تذكرة النحاة : 29 .

[9] كتاب سيبويه : 2/ 419. [1.] شرح المفصل لابن يعيش : 132/10 .

[1] لطائف الإشارات : 1/ 184 . و ظ : الحواشي المفهمة في شرح المقدمة : 11 ظ . وشرح المقدمة الجزرية ، لزادة : 9 . وشرح المقدمة الجزرية ، لمؤلف مجهول : 1.

[2] ظ : الارتشاف : 1/ 4 .

[3] ظ : النكت الحسان : 275.

[4] ظ: م . ن : 276 .

[5] ظ : م . ن : 277.

وقد جعل أبو حيان الأصل الثاني من أصول المخارج وهو (اللسان) متفرعاً إلى أربعة أقسام أخرى تتوزع عليها مخارج اللسان العشرة ، وهي [7] :

1- أقصى اللسان : ونفهم من حديثه ان له مخرجين .
2- وسط اللسان : ونفهم من كلامه ان له مخرجاً واحداً .
3- حافة اللسان : ونفهم من كلامه أيضاً أن له مخرجين .
4- طرف اللسان : ونفهم من حديثه ان له خمسة مخارج.

ذلك التصنيف هو ما عمل به أبو حيان في الارتشاف من غير إشارة إلى التقسيمات السابقة . وتصنيفه الذي في الارتشاف شائع عند جمهور النحاة ابتداء من الخليل وسيبويه وثمة وهم وقع فيه بعض علماء العربية ولا سيما علماء التجويد وهو ان عدد المخارج سبعة عشر عند الخليل ظنا منهم انه ادخل أصوات المد و اللين في مخرج نسبه إلى الجوف [8] ، وليس كذلك لان الخليل حين ذكر المخارج أشار إلى أنها تبدأ من الحلق و الجوف سابق على الحلق وانه ذكر في غير كتاب العين ان تلك الأصوات " اتفق مبدؤها و اختلف مجراها ... ولبدو الياء والواو و الألف من الجوف سميت جوفا ..." [9] .لذلك فان نسبة الخليل هذه الأصوات إلى الجوف لا على أنها ذوات مخارج مقدرة انما لنفيه ان يكون لتلك الأصوات مخرجا .

ونجد لما نذهب إليه اكثر من دليل نقلي عن علماء العربية الذين نقلوا آراء الخليل في دراسة الصوت المفرد في مصنفاتهم كالصاحب بن عباد الذي ذكر عن شيخه المبرد أن الخليل يرى أن مخارج أصوات الحلق ثلاثة [1] وهذا ما ذهب اليه سيبويه في ما بعد . والسيوطي الذي يرى ان عدد المخارج " ستة عشر مخرجا عند الخليل وسيبويه والأكثر " [2] . وذكر السيوطي في موضع آخر ان الخليل يرى ان اللام و النون و الراء كل من مخرج ، قال :" وموضع الخلاف بينهم مخرج اللام و النون و الراء فهو عند هؤلاء مخرج واحد وعند الخليل ومن وافقه ثلاثة مخارج" [3] .ونظن ان السيوطي نقل هذين النصين من كتاب شرح التسهيل لابي حيان .

زيادة على ذلك فقد نقل ابو حيان نصوصا منسوبة الى الخليل في دراسة الصوت تبين ان مخارج الاصوات عنده ستة عشر [4] . كل ذلك يدل على ان الخليل هو الاول في مذهبه الى ان المخارج ستة عشر لا سيبويه . وان المذهب القائل بان عدد المخارج عند الخليل سبعة عشر غير صائب لان ما ورد في كتاب (العين) لا يمكن ان يمثل رايا خالصا في دراسة الصوت اللغوي المفرد .

أما التقسيم الذي استعمله ابو حيان للمخارج في غايته ونكتها فانه اقل شيوعا من تقسيمه في الارتشاف .

ويمكن ان نجمل علماء العربية الذين تابعهم ابو حيان او ماثلهم في تقسيمه لاصول المخارج في طائفتين : تبرز أولاهما بميزتين هما : ان لها يد السبق في الإشارة الى اصول المخارج وان جهودها تنظيرية لم تدخل ميدان التطبيق . واول من نلمحه اشار الى توزيع المخارج على اصولها الخليل بن احمد وقد ذكر ذلك في كتاب العين في اثناء حديثه على الأصوات المذلقة . قال الخليل :" اعلم ان الحروف الذلق و الشفوية ستة وهي : ر ل ن ، ف ب م وانما سميت هذه الحروف ذلقا لان الذلاقة في النطق انما هي بطرق اسلة اللسان و الشفتين وهما مدرجتا هذه الاحرف الستة منها ثلاثة ذلقية :ر ل ن ، تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم وثلاثة شفوية: ف ب م مخرجها من بين الشفتين خاصة لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح الا في هذه الاحرف الثلاثة فقط ولا ينطلق اللسان الا بالراء واللام و النون واما سائر الحروف فانها ارتفعت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مخرج التاء الى مخرج الشين بين الغار الاعلى وبين ظهر اللسان . ليس للسان فيهن عمل[اكثر]* من تحريك الطبقتين بهن ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء و اللام و النون واما مخرج الجيم و القاف و الكاف فمن بين اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم واما مخرج العين و الحاء و الهاء و الخاء و الغين فالحلق واما الهمزة فمخرجها من اقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فاذا رفه عنها لانت فصارت الياء و الواو و الالف عن غير طريقة الحروف الصحاح"[5] .

---

[6] ظ: م . ن 278 .
[7] ظ: م . ن : 276-277.
[8] ظ : النشر 1/ 198 –199 . و الحواشي المفهمة :12و . وشرح المقدمة الجزرية ، لزاده : 12 .
[9] تذكرة النحاة : 29 .
[1] المحيط في اللغة: 1/ 51.
[2] الهمع : 6/ 291 .
[3] م.ن : 6/ 291.
[4] ظ : تذكرة النحاة : 29-31 .
[5] العين : 1/ 51-52.
*** في المتن (كثر) ، وصوابه ما اثبتناه .**

فالخليل يشير الى ثلاث مناطق نطقية كل منها لها عمل بارز في مجموعة من الاصوات تختص بها سائر الاصوات اللغوية :

- فالشفتان لا تعمل في شيء من الأصوات اللغوية من غير الفاء و الياء و الميم .
- و اللسان لا يعمل في شيء من الأصوات إلاّ في الأصوات المنحصرة بين النون و القاف مع فارق فاعليته من حيث الكثرة و القلة في إنتاج كل صوت .
- و الحلق لا يعمل في غير الأصوات الستة (ع ح هـ خ غ) .

أما الجوف فهو مصدر أو بداية إنتاج الأصوات المدية (الألف و الواو و الياء) التي تختلف مجاريها باختلاف هيأة أعضاء النطق التي تتخذها عند إنتاج كل صوت منها.

ونجد التقسيم نفسه عند ابن جني إلا انه أبدل الفم باللسان فقال :" اعلم ان الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق و الفم و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع اينما عرض له حرفاً . وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها " [1] فهو يرى ان الحـــرف (الصوت اللغوي) يحدث من خلال المقاطع (المخارج) التي تعرض للصوت العارض مـــع النفس .أي إن المخارج (الأصوات الأصول) عند ابن جني مقاطع موجودة في (الحلق والفم و الشفتين) وهو ما أشار إليه مكي بن أبي طالب (ت 437هـ) بقوله :" اعلم أن المخارج على الاختصار ثلاثة : الحلق و الفم و الشفتان "[2] ، وكأن ابن جني ومكي – كما يرى الأستاذ الدكتور غانم قدوري – قصدا بالفم " المكان الذي يسترخي فيه اللسان وما يتصل به أثناء حركته " [3] .ويرجع ابن المظفر الرازي مخارج الأصوات إلى أربعة أصول إذ قال :" و الحروف اللفظية انما هي أصوات تحدث في الحلقوم و الحنكين وفي اللسان و الشفتين عند خروج النفس من الرئة بعد ترويحها الحرارة الغريزية في القلب "[4] .فالحنكان اللذان أضافهما الرازي على أصول المخارج يشكلان مع اللسان و الأسنان الأصل الذي أطلق عليه سابقوه تسمية (الفم) في حين اكتفى بعضهم بـ(اللسان) اصطلاحاً عليه . ويسوغ ابن جماعة عدم ذكر هؤلاء الحنك في أصول المخارج بقوله :" إنما لم يذكر الحنك لأنه ليس بمخرج مستقل [5] ، أي إن الحنك يعمل مع اللسان في إنتاج الأصوات التي تتم فيه وليس الحنك مستقلاً بها .

---

[1] سر صناعة الإعراب: 1 / 6 .

[2] الكشف : 1 / 139 .

[3] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 187.

[4] الحروف ، تح : د.رمضان عبد التواب : 147 .

[5] حاشية الجاربردي ، لابن جماعة ، ضمن مجموعة الشلفية : 1/ 335 . وهو ما ذكره الجاربردي عن صاحب شرح الهادي من ان الأصول تعود إلى ثلاثة مخارج هي (الحلق ، اللسان ، الشفتان) ، ظ : شرح الشافية للجاربردي ، ضمن مجموعة الشافية : 335/1 .

ويعترضنا في هذا الموضع السؤال الآتي :هل المخرج الخيشومي آخر المخارج الصوتية بحسب ترتيب المخارج الأعمق فالأعمق؟

ولم يناقش واحد من المحدثين هذه القضية ،مع اتفاقهم على أنّ المنهج السائد في دراسة مخارج الأصوات عند القدماء هو تدرجها بحسب الأعمق فالأعمق .

والحق إن مخرج الخيشوم ـ كما نراه ـ لا يمثل آخر المخارج الصوتية من حيث التسلسل المعهود عند القدماء بل هو مخرج له مجراه الخاص المنعزل عن المخارج المتدرجة في الفم . فمخارج الأصوات عند القدماء تبدأ بالحلق وتشمل اللسان وتنتهي بمخرجي الشفتين . أما المخرج الخيشومي فله مجراه الخاص حيث الأنف . فالوحدات الصوتية المعبّر عنها بحروف خط المعجم وهي التسعة والعشرون ، تدور مخارجها قبل التأليف في الأصول الثلاثة السابقة وهي (الحلق ، اللسان ، الشفتان) . أما صور تلك الوحدات الصوتية والتي تحدث داخل التأليف فهي متنقلة بين تلك الأصول الثلاثة وقد تتعدى بعض الصور لتشمل (الخيشوم) مخرجا لها كما يحصل في النون التي لم يبق منها إلا الغنة (النون المخفاة) ، و مخرج الخيشوم ـ مع ذلك ـ موطن لإنتاج صفة صوتية تعمل مع الموضع او المخرج المولد للصوت في إعطاء صوره كاملة لحقيقة الصوت اللغوي المنطوق كما نلاحظه مع صوت النون المظهرة والميم .

ولعلّ السبب في جعل بعض القدماء الذين ذكروا مخرج الخيشوم آخر المخارج الصوتية أمران، أحدهما : كونه مستقلا ، والآخر : انه مخرج مساعد لأنه لا يمثل نقطة ارتكاز في إنتاج الصوت المغن وإنما نقطة الارتكاز تحدث في موضع من مواضع الفم كطرف اللسان مع النون ،وكطرف الشفتين مع صوت الميم.

وفي نظرة القدماء لعدد المخارج وأصولها لمحة لطيفة ، وهي :

إنهم بعد أن أحصوا الوحدات الصوتية (باعتبار رموزها المكتوبة) وجهوا النظر إلى عدد المخارج التي تتم فيها تلك الوحدات الصوتية فكانوا في ذلك على مذهبين :

أحدهما : وهو إحصاء المخارج التي تتم فيها الوحدات الصوتية فقط ، بغض النظر عن المخارج التي تنفرد في تكوين بعض الصفات ، كمخرج الخيشوم الذي تنتج فيه الغنة . وهو ما لاحظناه في توزيع الخليل بن احمد للمخارج على أصول ثلاثة تنحصر فيها مخارج الوحدات الصوتية فقط ، تلك الأصول مرتبة على النسق الآتي : (الشفتان ، اللسان ، الحلق) . وقد تابعه في ذلك ابن جني في أثناء تعريفه للصوت وكيفية استحالته حرفاً (صوتاً لغوياً)؛ وقد عمل بذلك المذهب وطبقه احمد بن عمار المهدوي[1] وابن الطحان .أما المذهب الآخر : فتستند فكرته على أساس دراسة الصوت المفرد الذي يحمل وظيفة داخل التأليف ، وأن تلك الأصوات داخل البنية لا تثبت على مخرج معين يمكن حصره في مجموعة قوانين يقاس عليها ؛ لأن الأصوات داخل المفردة ستخضع إلى قوانين التأثر والتأثير مما يجعلها متنوعة المخارج والصفات فكان أن الزم القدماء أنفسهم بإحصاء المخارج التي تنتج فيها الأصوات قبل تأليفها والمخارج التي يمكن أن تصير إليها وهي مؤلفة داخل التأليف ، لذلك انحصرت المخارج عندهم في أربعة أصول هي : (الحلق ، الفم أو اللسان ، الشفتان ، الخيشوم) وراح أصحاب هذا المذهب بعد ذلك يوزعون الوحدات الصوتية على تلك الأصول الأربعة للمخارج ، فكانت الأصول الثلاثة الأول مستوفية لإنتاج الوحدات الصوتية أجمع قبل تأليفها في المفردة . لكنها قاصرة عن شمول ما يمكن أن تتنقل فيه تلك الأصوات من مخارج داخل التأليف . لذلك وضعوا مخرج الخيشوم لإنتاج صفة الغنة التي تعتري بعض الأصوات في داخل التأليف ، بل إن الغنة ملازمة لبعض الأصوات قبل تأليفها كما هو الحال في إنتاج صوتي النون والميم.

والمنعم النظر في دراسة الإدغام عند سيبويه و متقدمي النحاة ومتابعيهم يجد أدلة كثيرة على إدراكهم أثر تجاور الأصوات في تغير مخارجها وصفاتها ولا أدل على ذلك من قول المبرد : " ومن الشفة مخرج الواو والباء والميم إلا إن الواو تهوي في الفم حتى تتصل بمخرج الطاء والضاد وتتفشى حتى تتصل بمخرج اللام ، فهذه الاتصالات تقرب بعض الحروف من بعض وإن تراخت مخارجها "[2] .

ومما يلفت الانتباه أن بعض من ذهبوا إلى أنّ أصول المخارج ثلاثة هي (الحلق ، اللسان ، الشفتان) حين صنفوا الأصوات على مخارجها أفردوا للخيشوم آخر المخارج الصوتية وجعلوا فيه صوت الغنة ، أو النون

---

[1] ظ : الارتشاف : 7/1 ، والنكت الحسان 278 .

[2] المقتضب : 194/1 .

المخفاة [1] . بل إنّ منهم من جعل مخارج الأصوات تعود إلى اصلين هما (الحلق) و (الفم) وجعل من الفم مخرج الشفة والخيشوم[2] ، وكأنه أراد من عده الخيشوم من المخارج الفموية الإشارة إلى أنه لا يمثل نقطة ارتكاز أساسيه في إنتاج الصوت اللغوي بل هو عامل يساعد الفم في إنتاج الصوت اللغوي .

إن عمل القدماء في توزيع الأصوات على مخارجها وتوزيع المخارج إلى أصول ثلاثة لدليل على أدراك واضح منهم بان تلك الأصول هي التي تعمل على إنتاج الوحدات الصوتية الأصول وما الخيشوم إلا مخرج ثانوي .

ويستأنس الباحث بذكر رأي الدكتور غانم في الغنة ومخرجها من أنه لا سبيل إلى ذكر الغنة هنا إلا إذا أريد بها النون المخفاة [3] ،ففي هذا الرأي إشارة واضحة إلى ما نذهب إليه ؛ لأن النون لا تكون خفية إلا في داخل التأليف .

لقد سار على هذا المنهج متقدمو النحاة وإن لم يعترفوا بقلة إفرادهم مخرج الخيشوم لصوت الغنة او النون الخفية ، كالخليل بن احمد الفراهيدي الذي روى الأخفش عنه أنه وزّع الأصوات اللغوية على ستة عشر مخرجاً كان آخرها الخيشوم [4] . وقد ذكر أوّل الرواية أن الأصوات الجوفية تتفق مبادءها من الجوف وتختلف مجاريها في الفم . وتابع الخليل في ذكر مخرج الخيشوم سيبويه والمبرد وابن السراج وجمع من علماء العربية . وقد افصح عن أصول المخارج الأربعة وطبقها بعض العلماء كابي عمرو الداني وأبي حيان الأندلسي في كتابه النكت.

ب. تعد جهود هذه الطائفة مكمله لجهود سابقيهم ، فالداني (ت 444هـ) يذكر مخارج الأصوات الستة عشر ويوزعها على أصول أربعة هي[5] :

1- للحلق : ثلاثة مخارج.
2- للسان : عشرة مخارج .
3- للشفة : مخرجان .
4- الخياشم : لها المخرج السادس عشر فقط .

وقسم الداني اللسان على أربعة فروع هي[6] :

- أقصى اللسان : له مخرجان .
- ووسطه : له مخرج واحد .
- وطرفه : له خمسة مخارج .
- ولحافته : مخرجان .

وقد تابع الداني على هذا التقسيم ابن الطحان في كتاب (مخارج الحروف وصفاتها) غير انه جعل عدد المخارج خمسة عشر وزعها على ثلاثة أصول هي نفسها التي وضعها أبو عمرو الداني باستثناء الخياشم التي لم يعتد ابن الطحان بها مخرجاً ولا أصلاً [7] على خلاف الجمهور ؛ لأنّ الخيشوم – على ما نظن- يمثل مخرجاً لصفة الغنة والمراد من مخارج الأصوات عنده المخارج التي لها دخل في إنتاج الوحدات الصوتية بغض النظر عن المخارج التي تصير إليها صورها أو المخارج التي تنفرد في إنتاج بعض الصفات .

ويعلل ابن جماعه سبب إدخال الجمهور الخيشوم في المخارج بأن الخياشم " للنون الخفيفة فإنها مخرجة على الاستقلال "[8] . وسنعرض لهذه القضية بشكل مفصل في ما بعد.

---

[2] من هؤلاء ابن جني في سر صناعة الإعراب ، قارن بين تعريفه للصوت :6/1 وبين توزيعه الأصوات على مخارجها في :48/1.

[3] ظ :سراج القارئ المبتدئ: 388ظ – 392 .

[4] ظ :الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:220.

([4]) ظ: تذكرة النحاة : 29-30 .

([5]) ظ: التحديد : 104 – 106 .

([6]) ظ: م.ن : 104 –106 .

([7]) ظ: مخارج الحروف : 79-83 .

[8] ظ : حاشية الجاربردي ، لابن جماعه ضمن مجموعة الشافية : 335/1 .

وقد تابع ابن الطحان أبا عمرو الداني في تجزئة اللسان إلى أربعة أصول فرعيه كذلك ، مشيراً إلى عدد مخارج كل جزء منه .

وللامام يحيى بن حمزة العلوي منهج مطابق لمنهج أبى عمرو الداني [1] إلا إنه لم يشر إلى أجزاء اللسان الأربعة التي تتوزع عليها مخارجه العشرة . وانه استعمل (اللسان)[2] مصطلحا للأصل الثاني من أصول المخارج الأربعة مشركا معه (الفم) اصطلاحاً عليه ، قال بعد ان أنهى حديثه على المخارج : "فهذه جملة الحروف التسعة والعشرين ، ثلاثة من الحلق ،وعشرة من الفم ، واثنتان من الشفة، وواحد من الخيشوم، وكملت ستة عشر ..."[3].

ومن خلال ما سبق نجد أبا حيان قد تابع الخليل وسيبويه في عد المخارج ستة عشر مخرجاً.

ونجده قد تابع أبا عمر الداني في عدد أصول هذه المخارج وهي الأربعة المذكورات .

ومع ذهاب أبي حيان إلى أن المخارج ستة عشر ، ذكر في توزيعه أن بعض الأصوات تتقدم أو تتأخر عن بعضها الآخر ، وأن منها ما هو على رتبة واحدة .

وهذا الذي يذهب إليه ابو حيان لا يعني ان لكل حرف مخرجا ، فالأصوات " التي تخرج من مخرج واحد يمكن ان ترتب في داخل ذلك المخرج على أساس ان الصوت المهموس واحد يمكن أن يكون متقدما نسبيا على الصوت المجهور وأن الصوت المنفتح يكون متقدما على الصوت المطبق ، وذلك التمايز بين أصوات المخرج الواحد يكون جزئياً ودقيقاً بحيث لا يحمل الدارس على جعل مخرج مستقل لكل صوت من تلك الأصوات المشتركة في مخرج واحد "[4] .

وهو ما فسّر به محمد المرعشي كلام ابن الحاجب في الشافية من أن مخارج الحروف ستة عشر على التقريب " وإلا فلكلّ حرف مخرج "[5] . يقول المرعشي : " اعلم أن في عددها* اختلافا بين العلماء ، والمختار إنها عند الجمهور سبعة عشر ، بعضها كلي منقسم إلى مخرجين جزئيين أو أزيد ، وبعضها جزئي غير منقسم ، فلكل حرف مخرج جزئي ، كما قاله الرضي. والمخارج السبعة عشر متمايزة تمايزا بيّنا ، بخلاف المخارج الجزئية المشتركة في مخرج كلي من هذه السبعة عشر "[6] .

ومع ذهاب بعض علماء العربية إلى ترتيب الأصوات في داخل مخارجها إلا إن منهم من لم يشر إلى ذلك . ويرجع سبب ذلك ـ على ما نراه ـ إلى أنّ هؤلاء الدارسين راموا من دراسة مخارج الأصوات معرفة سبب إدغام بعض الأصوات في بعض ، تلك المعرفة كافية لادراك سبب إدغام بعض الأصوات في بعض . والى ذلك ذهب ابن خروف في توجيه دراسة سيبويه لمخارج الأصوات ، الذي رأى : " أن سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد "[7] .

وكلام ابن خروف وإن التمسنا فيه دليلاً لرؤيتنا في مذهب بعض القدماء في ترتيب الأصوات على مخارجها إلا انه غير دقيق بنسبته ذلك العمل إلى سيبويه ؛ ذلك لأن سيبويه أشار في مواضع من كتابه إلى رتبة بعض الأصوات داخل المخرج الذي تنتمي إليه ، فقد رأى أن " الهمز أقصى الحروف وأشدها سفولاً وكذلك الهاء لأنه ليس في الستة الأحرف أقرب إلى الهمز فيها و إنما الألف بينهما "[8] . وهذا مطابق لترتيبه الأصوات جملة في كتابه[9] ، ومطابق لما ذكره العلماء عن سيبويه في ترتيب أصوات الحلق[10] .

---

(1) ظ : المنهاج في شرح جمل الزجاجي : 805 و 806 – 807 .
(2) ظ : م.ن : 805 و 806 .
(3) م.ن : 807 .
(4) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 185 .
(5) شرح الشافية : 250/3 . و ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :181 .
* أي المخارج .
(6) جهد المقل : 94 . و ظ:الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 182 .
(7) الارتشاف : 6/1 . والنشر : 200/1 .
(8) كتاب سيبويه : 253/2 .
(9) ظ : م.ن : 404/2 .
(10) ظ : سر صناعة الاعراب : 46/1 . والموضح في التجويد : 78 .

ومهما كان الأمر فإن مقالة ابن خروف غير صادقه على ترتيب سيبويه للأصوات على مخارجها، لكنها تصدق على ترتيب بعض النحويين كابن السراج [1] و الانباري[2] ويحيى العلوي[3] وغيرهم .

نخلص من كل ذلك إلى أنّ مذهب ابي حيان في ترتيب الأصوات على مخارجها هو :

1- إن عدد المخارج التي تتوزع عليها الأصوات ستة عشر ، آخرها مخرج ثانوي .

2- وإن أصول تلك المخارج أربعة هي : (الحلق ، اللسان ، الشفتان ، الخيشوم) .

3- إن الأصل الأول وهو (الحلق) مقسّم إلى ثلاثة أجزاء هي :(أقصاه ووسطه وأدناه إلى الفم) . وإن الأصل الثاني وهو اللسان مقسم إلى أربعة أجزاء هي :(أقصاه ،ووسطه ، وطرفه ، وحافته) .

4- إنّ بعض المخارج الصوتية تتوزع فيها الأصوات بتقديم بعضها على بعض.

ولا يعّد أبو حيان مبدعاً في هذا بل هو متأثر لما فعله الداني في تحديده .

3- طريقة ترتيب مخارج الأصوات :

رتّب أبو حيان الأندلسي مخارج الأصوات ترتيباً تصاعدياً ابتداءً بأقصى الحلق وانتهاءً بالشفتين فالخيشوم [4] . وهو ما دأب عليه القدماء منذ عصر الخليل . وقد ذكرنا سابقا أنّ للخليل كلاما في كتاب العين مثّل البذرة الأولى لترتيب المخارج ابتداءً بالشفتين وانتهاء بالحلق وذلك في نصه الأثير الذي ذكره عرضا في أثناء حديثه على الأصوات المذلقه ، وقد رتب فيه أصول المخارج الثلاثة على التسلسل الآتي : (الشفتان، فاللسان ، فالحلق).

ولم نجد صدى لعمل الخليل السابق إلا عند ثلّة من علماء العربية ولاسيما علماء التجويد ، قال الجعبري : " كلّ مقدار له نهايتان أيهما فرضت أوله كان مقابلها آخره ولما كان وضع الإنسان على الانتصاب لزم فيه أن يكون رأسه أوله ورجلاه آخره ، ومن ثمّة كان أول الأدوات الشفتين وأوّلهما مما يلي البشرة وثانيهما اللسان واوله ما يلي الاسنان وآخره مما يلي الحلق وهو ثالثها واولها مايلي اللسان وآخره مما يلي الصدر ولو كان وضعه على التنكيس لانعكس ولمّا كان مادة الصوت الهواء الخارج من داخل كان أوله أخر الحلق وآخره أوّل الشفتين ... "[5].

وقد نقل هذا النصّ عدد من علماء التجويد [6] ، غير أنّ أحداً من علماء العربية لم يعمل بهذا الترتيب سوى ما ذكره المرعشي من أنّ هذا الترتيب "هو الذي اختاره بعض العلماء هكذا قاله البعض "[7] .

أما دارسو الأصوات المحدثون فقد اتبعوا الترتيب الأخير للمخارج اي الابتداء بالشفتين والانتهاء بالحنجرة (أقصى الحلق) ، متأثرين في ذلك الدراسات الغربية : " ونحن لا نرى مجّرد اتباع علماء الأصوات الغربيين لترتيب معين لمخارج الحروف مسوّغا للعدول عن الترتيب الذي سارت عليه جماهير علماء العربية وعلماء التجويد إضافة إلى أنّ كلا الترتيبين يؤدي إلى نتيجة واحدة ... "[8] . وعلى الرغم من ذلك فإن ترتيب المخارج ابتداء بالشفتين وانتهاء بالحنجرة (أقصى الحلق) لا يمكن أن يكون بالدقة التي عليها الترتيب التصاعدي[9] ، " لأنّ الصوت اللغوي يحدث في أثناء عملية خروج الهواء (الزفير)، وإنّ أولّ نقطه ينتج فيها الصوت اللغوي هي أقصى الحلق "[10] .

4-تذوق مخارج الأصوات :

---

[1] ظ : الأصول : 3/400-491 . والموجز : 166-167 .

[2] ظ : أسرار العربية : 208 – 209 .

[3] المنهاج في شرح جمل الزجاجي : 800 .

[4] ظ : النكت الحسان : 276-278. والارتشاف : 1/5-7 .

[5] شرح الشافية ، للجاربردي ، ضمن كتاب مجموعة الشافية : 1/335 .

[6] ظ : الحواشي المفهمة ، لمحمد بن الجزري : 13ظ-14و .والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 189-190 .

[7] بيان جهد المقِل :1 ظ ، نقلا من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 190 .

[8] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 189 .

[9] ظ :م.ن :190-191 . والأصوات الحلقية عند سيبويه والأخفش : 141.

[10] البحث اللغوي في المصادر المطبوعة:29.

بعد توضيح مفهوم المخرج فمفهوم الحرف صار واضحا لدينا ما يقصده النحاة من مصطلح (مخارج الحروف) التي تعني : هيأة أعضاء النطق التي تتخذها حال صدور الوحدة الصوتية التي تحمل وظيفة في داخل البناء العربي وهي ما اصطلحوا عليها بـ (الحرف). وكان لهم أن يلتمسوا طريقاً دقيقاً لمعرفة المخرج الأصيل لتلك الوحدات الصوتية من خلال تجريدها من التأثر والتأثير الذي يحصل في خلال تآلف الحروف فيداخل المفردة وذلك بأن يؤتى بالوحدة الصوتية خالية من الحركة مع سبقها بهمزة وصل . وكانت حركة تلك الهمزة عند الخليل ـ كما بيناها في تمهيد رسالتنا ـ مفتوحة ، ذلك لأنه قصد من تصنيفه الأصوات الصوامت والواو والياء غير المديتين فقط ، وكسر الهمزة يعني إرباك لنظام الخليل من حيث زيادة صوت مد ولين (صائت طويل) على نظامه ، وافتقاره ـ من ناحية أخرى ـ لصوت غير مدي وهو الياء غير المسبوقة بحركة مجانسة لها . أما مع أصوات المد واللين فكان يسبقها بهمزة وصل متحركة بحركة مجانسة لصوت المد المراد نطقه .

وقد تابع أبو حيان الأندلسي تلك الطريقة بمظهرها العام ، إلا إنه خالف الخليل في حركة همزة الوصل لاختلاف منهجه في دراسة مخارج الأصوات وصفاتها مع منهج الخليل في كتاب العين. يقول أبو حيان موضحا طريقته في تذوق مخارج الأصوات : " واختبار المخرج وتحققه يكون بابتداء همزة الوصل جائياً بعدها بالحرف ساكناً ملحوظاً به صفات ذلك الحرف "[1] . وكلام أبي حيان عام تابع فيه أبا عمرو الداني [2] ، ولا يمكننا من خلاله استخلاص الحركة التي يستعملها أبو حيان مع همزة الوصل . وسبيلنا لمعرفة حركة همزة الوصل عند أبي حيان طريقين ، أحدهما : المنهج الذي رتب فيه ابو حيان الأصوات بحسب مخارجها ، والأخر ما ذكره العلماء القدماء في توضيح طريقة التذوق .

والناظر في ترتيب أبي حيان يجده على الأساس الذي اتبعه سيبويه وشاع عند جمع غفير من العلماء كأبن جني والقرطبي سواء أكانت وظيفتها في تفسير المعاني الأساسية للكلمة كما نجده في الأصوات الصوامت والواو والياء غير المديتين ، أم في زيادة وتحوير المعنى الأساسي ويخص الأصوات (الصوائت الطوال) . وهذا يعني أن الأصوات التي ستدخل في التصنيف نوعان : أصوات المد واللين (الصوائت الطوال) ذات المخارج التقديرية ، والأصوات الصوامت ذات المخارج المحققة .

فأصوات المد واللين كل واحد منها يحتاج إلى الحركة التي هي منها فالفتحة قبل الألف، والضمه قبل الواو، والكسرة قبل الياء، بحسب ما يراه القدماء . أما الصوامت من الأصوات فالهمزة قبلها تقبل أي حركة ؛ لأنها لا تؤثر تأثيراً كبيراً في مخرج الصوت وصفته.

ولا نجد لسيبويه نصا يبين فيه طريقة تذوقه لمخارج الأصوات ، لكننا نستطيع ان نلتمس طريقته من خلال ما وصفه ابن جني والقرطبي ، اللذان استعملا مع الأصوات الصوامت همزة وصل مكسورة[3] . ومع أصوات المد واللين (الصوائت الطوال) همزه متحركة بحركة ملائمة لكل صوت من أصوات المد واللين (الصوائت الطوال)[4] .

فالتلوين الحركي مع همزة الوصل هو الذي ذهب بالداني وأبي حيان إلى عدم التصريح بحركة الهمزة وهو ما نجده عند القسطلاني ، يقول : " وتقريب معرفته (يقصد مخرج الحرف) أن يسكن الحرف ، وتدخل عليه همزة وصل لتتوصل إلى النطق به فيستقر اللسان بذلك في موضعه ، فيتبين مخرجه "[5]. ويبرز على القارئ تذوق مخارج الأصوات بصورة أكثر وضوحا في قوله : " وإذا أردت أن تعرف مخرج حرف صريحاً بعد تلفظك به صحيحا فسكّنه أو شدد ، وهو الأظهر . وأدخل عليه همزة الوصل بأي حركة وأصخ* إليه السمع فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المقدّر فتدّبر "[6] . وهذا يعني أنّ لجمهور النحاة طريقة واحدة في تذوق الوحدات الصوتية من خلال تجريدها من البناء و الحركة مع سبقها بهمزة وصل ، إلا إنهم اختلفوا في حركة تلك الهمزة فمنهم من يجعلها مكسورة مع الأصوات الصوامت ومنهم من يفتحها مع تلك الأصوات .

---

[1] الارتشاف :1/7-8 .

[2] ظ : التحديد : 104 .

[3] ظ : سر صناعة الاعراب: 6/1 . والموضح في التجويد : 72 .

[4] ظ : سر صناعة الاعراب :8/1 . والموضح في التجويد : 72 .

[5] لطائف الإشارات : 188/1 .

* في المتن (وأصغ)بالغين ، والصواب ما أثبتناه .

[6] جهد المقِل : 96-97 .

أما أصوات المد واللين (الصوائت الطوال) فإن حركة همزة الوصل التي تسبقها في أثناء تذوقهم لها تكون مختلفة بحسب الصوت الصائت الذي يلحقها ؛ فهي مكسورة مع الياء المدية ومفتوحة مع الألف ومضمومة مع الواو المدية.

رابعا : اسس دراسة الصفات :

1-في مصطلح الصفة :

استعمل أبو حيان مصطلح (الصفة) لذلك النمط من دراسة الأصوات مفردة [1] .

وبأنعام النظر في مصنفات متقدمي النحاة ننتهي إلى انهم لم يستعملوا مصطلح (الصفة) عنوانا" لتلك الدراسة . فهذا سيبويه يفرد بابا" ضمن دراسة الإدغام عنوانه كما قال : " هذا باب عدد الحروف العربية ، ومخارجها ، ومهموسها ، ومجهورها ، وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها "[2] .

فالباب إذن يدرس ثلاثة قضايا هي :

1- عدد الأصوات العربية ؛ أصولها و فروعها .

2- مخارج الأصوات .

3- مهموس الأصوات ومجهورها ، و أحوال مجهورها ومهموسها وأختلافها .

لقد عبّر سيبويه عن القضية الثالثة بعبارة هي أقرب إلى الإيجاز لما سيذكره في ذلك الباب ، أي انه لم يطلق عليها مصطلحا معينا شأنه في ذلك شأن أغلب أبواب الكتاب الأخرى التي تقترب عناوينها من الإيجاز لما سيشرحه في كل باب.

إلا إن الذي يلفت النظر عبارة آخر دراسته للأصوات مفردة وهي : " إنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه . وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استثقالاً كما تدغم وما تخفيه وهو بزنة المتحرك "[3] .

فما الذي قصده سيبويه من كلمتي (وصفت) و(الصفات) في نصه الأخير ؟

لقد ظن بعض الباحثين أن سيبويه قصد من كلامه الأخير دراسة الصفات من غير المخارج[4] وكأنه فهم من كلمتي (وصفت) و (الصفات) أنّ سيبويه رام منهما معناهما الاصطلاحي .

ولا نوافق الباحث في فهمه كلام سيبويه ، لأن الظاهر من كلمتي (وصفت) و (الصفات) عند سيبويه أنهما تشملان دراسة المخارج والصفات معاً لا الصفات وحدها ، وشفيعنا في هذا القول ما يأتي :

1- إنّ سيبويه صدر دراسة الأصوات مفردة بعنوان يعد تعداداً لأهم ما يدرسه في ذلك الباب ولم يكن استعماله بالمعنى الاصطلاحي . ولو كان قصده من تينك الكلمتين الصفات الصوتية وحدها لصدر كلمة الصفات في عنوان بابه وهو أغنى له من التعداد أو الإيجاز.

2- انه جاء بدراسة الصفات الصوتية بعد أن أتى على ذكر المخارج مباشرة من غير فاصل بينهما يشير إلى أن موضوع المخارج انتهى وابتدأ بموضوع آخر كانت نهايته تلك العبارة .

3- إنّ استعمال سيبويه لكلمتي (وصفت) و (الصفات) استعمال لغوي أي انهما بمعنى (بينت) أو (وضحت) أو ما شاكل ذلك .

4- أشار سيبويه في دراسة إدغام المتقاربين إلى أنّ من أسباب ذلك الإدغام قرب المخرجين وتشابه الصوتين في بعض الهيئات أو الأحوال النطقية ، من ذلك قوله في جواز إدغام الهاء مع الحاء في مثل قولك : (أحبه حملا) : " البيان احسن لاختلاف المخرجين ولأن حروف الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها ، والإدغام فيها

---

[1] ظ : المبدع :88 . والتقريب : 197 والنكت الحسان : 278 . والارتشاف : 1/ 10 . وذكر في مقدمة دراسة الإدغام في كتاب التدريب قوله : " سيأتي تبيين المخرج والصفة في الباب بعد هذا " ، التدريب :227 . وهذه إحالة تائهة تقصيناها في كتاب التدريب كله فلم نجدها .

[2] كتاب سيبويه : 404/2 .

[3] كتاب سيبويه : 2/ 406- 407 .

[4] ظ : ما ذكره الكوفيون من الإدغام : 128 (مقدمة المحقق) .

عربي حسن لقرب المخرجين و لانهما مهموسان ، رخوان فقد اجتمع فيهما قرب المخرج والهمس"[1] . بل إنه ذكر انّ من الأصوات ما يدغم لقرب مخرجيهما فقط لأنّ هياتيهما النطقية مختلفة ، قال في إدغام الحاء والعين : " ولم يدغموها في العين اذ كانت من حروف الحلق لأنها خالفتها في الهمس والرخاوة فوقع الإدغام لقرب المخرجين ولم تقوا عليها العين إذ خالفتها فيما ذكرت لك ... "[2]، وقال أيضاً : " ومما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد وإذا تقارب المخرجان قولهم : يطّوّعون ، في يتطوعون ويذّكرون في يتذكرون ، ويسّمّعون في يستمعون ... "[3] .

وعلى هذا النهج سار المبرد ،فلم يطلق مصطلحا على دراسة الصفات فجاء عنوان بابه موجزاً أيضا، إذ قال : " هذا باب مخارج الحروف وقسمة اعدادها في مهموسها ومجهورها وشديدها ورخوها، وما كان منها مطبقا وما كان من حروف القلقلة وما كان من حروف المد واللين وغير ذلك "[4] .

أما ابن السراج فقد استعمل لدراسة الصفات عنوانا هو : (أصناف الحروف)[5] . وإن رام منه ابن السراج ما رامه منه سيبويه.

واستعمل ابن جني عبارة (أجناس الحروف) [6] عنوانا لتلك الدراسة . وهو مصطلح عام أيضاً يمكن أن يدخل فيه غير مفهوم الصفات .

وفي القرن الخامس الهجري يطالعنا استعمال جديد للمصطلح عند أوّل مصنفين في علم التجويد هما مكي بن أبي طالب وأبي عمرو الداني . فقد أطلق مكي على الباب الذي درس فيه الصفات (باب صفات الحروف وألقابها وعللها)[7] . قال في أوله : " لم أزل أتتبع ألقاب الحروف التسعة والعشرين وصفاتها وعللها حتى وجدت من ذلك أربعة واربعين لقباً ، صفات لها ، وصفت بذلك على معاني وعلل ظاهرة فيها ... "[8] . وقال في موضع آخر : " وهذه أربعة وثلاثون لقبا للحروف .. وبقيت عشرة ألقاب تمام أربعة و أربعين لقبا" لقبها بذلك الخليل بن احمد في أول كتاب العين ... "[9] . فمكي بن أبي طالب يستعمل مع مصطلح (الصفة) ، مصطلح (اللقب) ويعاقب بينهما كما لاحظناه من النصوص السابقة. إلا إن المصطلح الأول أكثر شيوعاً واستعمالا عنده حتى انه لم يستعمل غيره في كتاب الكشف[10].

أما أبو عمرو الداني فانه استعمل مصطلح الصفة ولم يمازجه بغيره [11] ، مما يدل على أنّ المصطلح عند الداني أكثر رسوخاً وأقرب إلى الاصطلاح من استعمال مكي بن أبي طالب.

وبهذا يكون ظهور مصطلح الصفة على يد مكي بن أبي طالب وأبي عمرو الداني إلا إن الأول منهما استعمل له مرادفا وهو (اللقب) ، أما الداني فلم يشرك مع الصفة مصطلحا أخر . وهذا يعني ان مصطلح الصفة من وضع علماء التجويد بل انه شاع في دراساتهم ولاسيما في قصيدة الشاطبي[12] وشراحها[13] . وهذا ما لم يقل به أحد .

ولا نستبعد ان يكون سبب اختيار كلمة (الصفة) لتشيع مصطلحا لمثل تلك الدراسات وعنواناً لها هو استعمال سيبويه آخر دراسته للأصوات المفردة لكلمتي (وصفت) و (الصفات) وان كان استعماله لهاتين الكلمتين بالمعنى اللغوي قاصدا به جميع ما تشمله دراسة الأصوات مفردة.

---

(1) كتاب سيبويه : 412/2 .
(2) م.ن : 413/2 .
(3) كتاب سيبويه : 425/2 .
(4) المقتضب : 192/1 .
(5) الأصول : 401/3 .
(6) ظ: سر صناعة الإعراب : 60/1 .
(7) الرعاية : 91 .
(8) م.ن : 910 .
(9) م.ن : 113 .
(10) ظ : الكشف : 26/1 أو 128 .
(11) ظ : التحديد : 104 – 107 .
(12) ظ : حرز الأماني : 177 .
(13) ظ : كنز المعاني : 1185 .

2- مفهوم الصفة :

يمكن ان نتبين مفهوم الصفة عند علماء العربية من خلال ما يأتي:

أ. ما درسوه من صفات صوتية في هذا الباب.

ب. فائدة الصفة وأهميتها عند علماء العربية .

ج. الغرض من دراسة الصفة عند علماء العربية.

أ- ما درس من صفات صوتيه في ذلك الباب :

لم يضع أبو حيان مفهوما محددا للصفة ، إلا أننا نستطيع أن نفهم مراده منها من خلال ما درسه من صفات صوتية .

ففي النكت الحسان يعرض لنا أبو حيان اثنتين وأربعين صفة وهي[1] : (المهموس ،المجهور ، الشديد ، الرخو، المطبق ، المنفتح ، المستعلي، المستفل ، اللين، الصفيري، المتفش، المستطيل، المكرر، المنحرف، الغنة، الهاوي، المتقلقل، الراجع، الهوائي،الخفي،المشرب، المصمت، الزائد، المذبذب، الأصلي، المبدل، المعلول، المفخم، الامالي، الجرسي، المهتوت، المتصل، الحلقي، المصتم، الشجري، الاسلي، النطعي، اللثوي، الشفهي، الجوفي، اللهوي، والمذلق).

ويمكننا تصنيف ما ذكره ابو حيان من صفات على ما يأتي:

1- صفات تتعلق بطبيعة إنتاج بعض الأصوات وهي:
(الإحدى والعشرون الأولى مع المفخم والجرسي والمهتوت والمتصل والامالي).

2- صفات منسوبة إلى مواضع نطقها أو مقاربها : وهي(الصفات الثمانية الأخيرة قبل صفة المذلق).

3- صفات تتعلق بالدراسة الصرفية، وهي :(الزائد ، المذبذب ، الأصلي).

4- صفات تحدث في أثناء تألف الأصوات في المفردة ولا علاقة لها بتغيير المعنى ولا بوصف الهيأة النطقية أثناء إنتاج الصوت : (المبدل والمعلول).

5- صفات يمتاز بها البناء العربي من غيره وهي : (المذلق ، المصمت ، المصتم).

وهذا يعني ان مفهوم الصفة عند أبي حيان في كتابيه غاية الإحسان ونكتها عام يدور حول اعتبارين صفات الأصوات باعتبار نطقها وصفات الأصوات وهي مؤتلفه داخل المفردة (صوتاً ، صرفاً ، ... الخ).

وليس من شك في أن أبا حيان افاد في كتابيه السابقين مما ذكره مكي ابن ابي طالب من صفات في كتابه الرعاية وهي أربع و أربعون صفة [2] .

إلا إن أبا حيان جعل صفتي المد واللين وصفة اللين في لقب واحد أطلق عليه مصطلح اللين ، في حين فصل بينهما مكي بن ابي طالب ، وأن أبا حيان فصل بين المصمت والمذلق في حين جمعهما مكي في نقطة واحدة . وقد أنكر أغلب علماء العربية العدد الذي ذكره مكي للصفات ، قال أبو عبد الله محمد بن الحسن الفاسي بعد ان أشار إلى صفات الحروف : " وقد بالغ في ذلك أبو محمد مكي رحمه الله في كتاب الرعاية "[3] .

واتخذ أبو حيان في كتابه شرح التسهيل المسمى بالتذييل والتكميل مفهوماً آخر للصفة، ذلك لأنه اقتصر على ذكر الصفات التي تعد أحوالا نطقية ترافق الأصوات عند إنتاجها ، كما ذهب ابن مالك . ولا يفترق أبو حيان عن ابن مالك في مفهوم الصفات إلا في أمرين ، أحدهما : انه ذكر من الصفات التي هي أحوال مرافقة لإنتاج الأصوات ما لم يذكره ابن مالك في تسهيله.

والأخر : انه حذف من الصفات التي ذكرها ابن مالك ما لم يدخل ضمن الأحوال المرافقة لإنتاج الأصوات كصفة العلة .

ودليلنا في انتحاء أبي حيان ذلك المنحى وان لم نقع على آراء أبي حيان في دراسة الأصوات مفردة من كتابه التذييل أمران ، أحدهما : انه ذكر في كتابه ارتشاف الضرب صفات صوتيةً لا تتعدى عن كونها أحوالا مرافقةً لإنتاج الأصوات . منها ما ذكره ابن مالك ومنها ما لم يذكره . مضيفاً إلى ذلك صفتي الذلاقه والاصمات . وإشارته إلى اختلاف النحاة في حقيقة الهمزة صحيحة هي أم معتلة .

---

[1] ظ: النكت الحسان : 278 –286 .

[2] ظ : الرعاية : 91 –117 .

[3] اللآلئ الفريدة، للفاسي : 211 ، نقلاً من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 229 .

اما ذكره حقيقة الهمزة فلا نظنه قصد بذلك الاعتداد بصفة الاعتلال لأنه لو رام الاعتداد بها لكان ذكره مشتملا على الأصوات المعتلة جميعها كما فعل في كتابيه الغاية والنكت إلاّ انه اكتفى بذكر حقيقة الهمزة .

ولما كان كتاب الارتشاف تلخيصاً لما ذكره ابو حيان في التذييل فهذا يعني ان ما ذكره من صفات صوتية في الارتشاف موجود في التذييل ولو كانت هناك صفات أخرى موجودة في التذييل لذكرها ابو حيان في الارتشاف وإلا لكان مقصراً في تلخيصه.

والدليل الآخر على ما نذهب إليه هو الملاحظة التي نقد بها المرادي في شرح التسهيل ابن مالك لما ذكره من صفات في تسهيله ، قال المرادي : " وأهمل المصنف ما ذكره غيره من الصفات المؤثرة في الإدغام [كـ]* الصفير والتفشي والاستطالة .وذكر حروف العلة وهي ما لا يحتاج إليه في الإدغام "[1] .

وإذا ما علمنا أن المرادي في شرحه للتسهيل كان جامعاً لأغلب آراء أبي حيان ، ومتابعا له في المنهج وفي عرض المادة والاستشهاد بآراء علماء العربية ، ننتهي إلى أننا نرجع نسبة تلك الملاحظة النقدية إلى أبي حيان وان لم يشر المرادي إلى ذلك صراحة . ولاسيما إذا علمنا ان لملاحظة المرادي السابقة وجوداً عملياً في كتاب الارتشاف .

ويدل اقتصار أبي حيان على الصفات التي تعد هيآت نقطية في كتابه شرح التسهيل ، وان كان المنهج يقتضي ذلك . انه عدل عن نظرته لمفهوم الصفة التي طبق عليها دراسته للصفات في كتابيه غاية الإحسان والنكت. والدليل على ذلك ما يأتي:-

1- ان غرض ابي حيان من دراسة الصفات فائدتان ـ كما ذكر ـ كلتاهما تؤكدان ان الصفات الصوتية عنده هي أحوال نطقية .وسيأتي الحديث على ذلك مفصلا.

2- ان ابا حيان انتقد ابن مالك على إدخاله صفة العلة مع الصفات المؤثرة في الإدغام ،كما نفهمه من كلام المرادي السابق.

3- انه أهمل الحديث على الصفات التي تعد نسبا إلى المخارج في موضع دراسته للصفات، بل انه ذكرها في أثناء حديثه على المخارج الصوتية .

وأيا كان غرض ابي حيان من ذكره للصفات في شرحه للتسهيل فإننا ننتهي مطمئنين إلى انه استقر في كتابه الارتشاف على ان الصفات لا تتعدى ان تكون هيآت مرافقه لإنتاج الصوت ،وان ذكر معها في ذلك الكتاب الذلاقة والاصمات .وشفيعنا في ذلك انه جعل أداته في تذوق الصفات والمخارج ان تأتى بالصوت ساكنا مسبوقاً بهمزة وصل[2]. وهذا يعني انه قصر مفهوم الصفات على كونها هيآت نقطية لا غير .

لقد تابع أبو حيان الأندلسي ما شاع عند علماء العربية بعدم وضعه حدا للصفة ، وان اختلفوا في ما تدرسه الصفات . ومع ذلك نستطيع ان نلتمس مفهوم الصفة عند هؤلاء العلماء من خلال ما درسوه فيها وما ذكروه عرضا في مفهومها.

فسيبويه لم يتعد في دراسته للصفات عن كونها أحوالا نطقية ، وبذلك وصفها في عنوان الباب الذي درس فيه الأصوات مفردة ، اذ قال : " هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها ، وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها "[3] .فهو يصف الصفات بأنها أحوال مختلفة تعرض للصوت عند نطقه .

ووصفها المبرد بأنها أعراض تفصل بين الأصوات ، فقال : " واعلم أنَّ كلَّ مدغم فيما بعده إذا كان من كلمتين فإظهار الأول جائز ، لأنه غير لازم للثاني إلا انه في بعض احسن منه في بعض على قدر تداني المخارج وبعدها . فإذا لقيت التاء دالا او طاء كان الإدغام احسن ؛ لان مخرج الثلاثة واحد ، و إنما يفصل بينهما أعراض فيها ... "[4].

قصد بقوله : (و إنما يفصل بينها أعراض فيها) الصفات.

والأعراض من عرض ، ومن معانيها اللغوية :الظهور والبروز والبدو، قال الخليل : " واعرض الشيء من بعيد ؛ أي ظهر وبرز تقول : النهر معرض لك أي موجود ظاهر لا يمنع منه ... ، قال عمرو بن كلثوم :

---

* زيادة من الباحث يقتضيها السياق .

(1) شرح التسهيل، للمرادي : 250 ظ .

(2) ظ : الارتشاف : 1/7-8 .

(3) كتاب سيبويه : 2/404 .

(4) المقتضب : 1/251 .

و أعرضت اليمامة واشمخرّت كأسيافٍ بأيدي مصلتينا

أي بدت" [1] وقال أيضاً : " وعَرض له خير أو شر ، أي بدا "[2] .

وإذا كان العَرض كل ما ظهر أو برز أو بدا ، فإن هذا يعني أن الأمور التي تمتاز بها الأشياء من غيرها تسمى أعراضاً . ولما كان التمايز سمة الأعراض فهذا يعني أنها لا تفترق عن مفهوم الصفة التي ينماز بها صوت من صوت حال نطقه .

ويؤيد ذلك ما ذكره المبرد في كتاب المقتضب إذ لم يتعد بها عن كونها أعراضاً أو أحوالاً نطقية[3]، وعلى ذلك سار ابن السراج فلم يذكر من الصفات سوى التي تعدّ أحوالاً أو أعراضاً نطقية [4] .

أما ابن جني فقد سار على منهج آخر من حيث المفهوم ، لأنه درس في ذلك الموضوع الصفات التي تناولها سابقوه مع زيادة تخرج من كونها أحوالاً نطقيةً كـ (الذلاقة والاصمات ، والصحة والاعتلال ، والسكون والحركة ، والأصل والزيادة ، وحروف الإبدال)[5] . وتابعه في ذلك عبد الوهاب القرطبي [6] .

ومع استعمال مكي بن أبي طالب مصطلح الصفة الذي مازجه في بعض الأحيان بمصطلح اللقب إلا إنه وسّع مفهومها بحيث جعلها تشمل صفات تخرج عن كونها أحوالاً نطقية فذكر أربعة وأربعين صفة لم نجد لها شيوعا إلا عند نفرٍ قليل من علماء العربية ومنهم أبو حيان .

أما أبو عمرو الداني فقد استعمل مصطلح الصفة مقتصراً به على الصفات التي تعدّ أحوالاً نطقية ترافق الصوت عند إنتاجه [7] . فكان بذلك أول عالم عربي استعمل مصطلح الصفة وأطلقه على مفهومه الدقيق الذي رامه متقدمو النحاة .

وقد استعمله الشاطبي بالمفهوم نفسه في قصيدته حرز الأماني المعروفة بالشاطبية[8]. وتابعه في ذلك بعض شراح الشاطبية [9] .

وعلى الرغم من استقرار مصطلح الصفة ومفهومه عند بعض علماء التجويد استعمل بعضهم المصطلح نفسه ذاكراً تحت عنوانه صفات لا تعدّ من الأحوال النطقية[10] ومنهم من تقيد بمفهوم الداني واصطلاحه[11] .

وبعد استقرار المصطلح عند علماء العربية وشيوعه فيما بينهم ، لم يبق للصفة إلا محاولة تحديد مفهومها . وقد جاءت تلك المحاولة متأخرة على يد الجعبري الذي صاغ حداً للصفة يتلاءم والمفهوم الذي ارتضاه لها ، قال القسطلاني : " والصفات جمع صفة ، وهي لفظ يدلُّ على معنى في موصوفه ، أما باعتبار محله أو باعتبار نفسه ، وهو معنى قول الجعبري : لفظ يدل على معنى في موصوفه ذاتي أو خارجي" [12] وقد قصرها على أنها " كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج وتتميز بذلك الحروف المتحدة بعضها عن بعض" [13] .

وعلى المفهوم الأخير سار دارسو الأصوات المحدثين ، فهي تدرس " التحركات النطقية وأبعادها التكوينية" [14] . أو هي كما يقول الدكتور محمد البكاء : " الخاصية التي تصاحب قيام الحاجز الصوتي" [15]، قصد بالحاجز الصوتي العائق الذي يمثل مخرج الصوت.

---

[1] العين : 272/1 (ع ر ض) .
[2] م.ن : 273/1 (ع ر ض) .
[3] ظ : المقتضب 194/1-196 .
[4] ظ : الأصول : 401/3-404 .
[5] ظ: سر صناعة الإعراب : 62/1 و .
[6] ظ: الموضح في التجويد : 91، 94 –95 .
[7] ظ: التحديد : 107-112 .
[8] ظ : حرز الأماني : 177، 178 –179 .
[9] ظ: كنز المعاني : 1185-1190 .
[10] ظ: الشافية ، ضمن كتاب مجموعة الشافية : 340/1 . والتسهيل : 320 .
[11] ظ: المقرب 356-359 .
[12] لطائف الإشارات : 196/1 .
[13] شرح المقدمة الجزرية ، لزادة : 20-21 .
[14] الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر : 271 .
[15] المظهر الصوتي والإملاء : 74.

وقد ارتضى جان كانتينو تقسيما آخر للصفات يخرج منه صفتي الشدة والرخاوة وما بينهما ، إذ قال: " فمن الممكن اذن أن تصنف الحروف :

أ.حسب النقطة التي يقوم عندها ذلك الحاجز (مخارج الحروف) .

ب.حسب درجة أهمية ذلك الحاجز (أي درجات الانفتاح)

ج. حسب مختلف الخاصيات التي تصاحب قيام ذلك الحاجز (أي صفات الحروف)"[1] .

وعلى هذا الأساس آخذ كانتينو علماء العربية لعدم تفريقهم "بين درجات الانفتاح وبين النطق بل نراهم يرتبون هذين النوعين من الخصائص في باب واحد هو باب صفات الحروف ..."[2] .

ولا يوجد مسوغ عمل عليه كانتينو بين درجات الانفتاح والصفات الصوتية بل الاولى أن لا يفصل بينهما كما فعل القدماء والمحدثون .

ب.فائدة الصفة وأهميتها:

يتداخل موضوع أهمية الصفة في موضوع مفهومها تداخلا كبيرا بحيث يصعب على الدارس الفصل بينهما ، بل لدراسة أهمية الصفة أثر بارز في إدراك مفهومها . ولا نريد من هذا الموضوع تبيين الغرض من دراسة الصفة إنما قصدنا إلى معرفة واقعها المادي في تمييز بعض الأصوات من بعض إذا كانت الصفة محددة بمفهوم الأحوال النطقية .

لقد أدرك أبو حيان أن الصفات الصوتية التي تعد أحوالاً نطقية ما هي إلا ظواهر نوعية تعتري الأصوات اللغوية في أثناء إنتاجها أو في أثناء تآلفها داخل المفردة ، بخلاف المخارج التي تعد ملامح مكانية تبين مكان ولادة الصوت اللغوي من الجهاز الصوتي . لذلك يمكن أن يكون للصوت اللغوي أكثر من حال ينماز به من غيره من الأصوات في حين لم يكن للصوت سوى نقطة واحدة يمكن انتاجه فيها ، ويظهر ادراك أبي حيان للفرق بين الصفة والمخرج من خلال ما يأتي :

1. " كل صفة لها لقب اصطلح عليه ، لاختلاف الصفات ، منها ألقاب الحروف لأضدادها ألقاب مضادة لتلك الألقاب ، وألقاب لم يستعمل لها ضد إلا انك تتبين الضد بنفي ذلك الضد"[3].

بينما لم نجده يضيف مخارج الأصوات إلى الأضداد لاستحالة الاضداد فيها ولانها – أي الاضداد - تحدث في النوع لا المكان .

2. وقال أيضا " ومنها حروف اجتمع لها صفتان أو ثلاثة "[4] .

أما المخارج فلا يمكن أن تتعدد في صوت واحد .

3. وقال : " وأكثر الحروف قد تشترك في بعض الصفات وتفترق في بعض والمخرج واحد . وقد تتفق في الصفات أو في بعضها والمخرج مختلف "[5].

4. "لا توجد أحرف تتفق صفة ومخرجاً لا يلزم من ذلك اتحادها" [6].

ولعل أبا حيان أخذ هذه المفاهيم مما ذكره مكي في كتاب الرعاية[7] ، ولنا عود إلى مراد مكي من أهمية الصفة في ما بعد .

وليس من شك في أن متقدمي علماء العربية أدركوا أهمية الصفة من حيث الفرق بين وظيفتها ووظيفة المخرج ، قال المازني : " إن الذي فصل بين الحروف التي ألف منها الكلام سبعة أشياء : الجهر والهمس والشدة والإرخاء ، والإطباق ، والمد واللين ، قال : لأنك إذا جهرت أو همست أو أطبقت أو شددت أو مددت أو لينت اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد ، قال : فعند ذلك يأتلف الكلام ويفهم المراد "[8] .

---

[1] دروس في علم أصوات العربية : 22 .

[2] م.ن : 33 .

[3] النكت الحسان : 278 .

[4] م.ن : 278 .

[5] م.ن : 278 .

[6] النكت الحسان : 278 .

[7] الرعاية: 91 .

[8] م.ن : 117 .

وذكرنا في موضع سبق أن المبرد يرى أن الصفات أعراض مختلفة في الأصوات . تفصل بعضها عن بعض إذا كانت متحدة المخرج كاصوات (الطاء ، والدال ، والتاء) .

وكان لمكي بن أبي طالب أكثر من إشارة تبين أهمية الصفة أو اللقب ودورها في تمييز الأصوات بعضها من بعض ، فقال : " فذلك أربعة وأربعون لقباً بتكرير لقب واحد ، فاعرف هذه الصفات والألقاب ، واختلاف معانيها وأحكامها وطباعها فلولا اختلاف صفات الحروف ومخارجها وأحكامها وطباعها التي خلقها الله جل ذكره عليها ما فهم الكلام ولا علم معنى الخطاب ولكانت الأصوات ممتدةً لا تفهم من مخرج واحد ، وعلى صفة واحدة كأصوات البهائم "[1] .

ويظهر الشاطبي أهمية الصفة والفائدة منها في قوله[2] :

وهاك موازين الحروف وما حكى جهابذة النقاد فيها محصـــلا
ولا ريبـة في عينـهن ولا ريـا وعند صليل الزيف يصدق الابتلا

قال أحمد بن محمد الجزري : " أعلم ان المخرج كالميزان يعرف به كميته والصفة لـه كالناقد يعرف بها النسبة "[3] .

وجمع القسطلاني بين ما ذكره مكي بن أبي طالب والشاطبي في قوله على فائدة الصفات : " وفائدتها : تمييز الحروف المتشاركة في المخرج ، إذ لولاها لا تحدث ، فالمخرج يبين كمية الحرف كالميزان والصفة تبين كيفيته كالناقد ... "[4] .

لقد شاع ما ذكره مكي والشاطبي عند علماء العربية بشكل واضح مما يدل على وضوح الفائدة من الصفات وأهميتها في تمييز الأصوات اللغوية [5] .

وليس من الغلو أن نضيف لأهمية الصفة كان له أثر واضح في ادراكهم للوضوح السمعي في بعض الأصوات أو في تمييز الصوت القوي من الضعيف وهو ما سيأتي الحديث عليه.

ج. الغرض من دراسة الصفة :

وبمعرفة غرض أبي حيان وعلماء العربية من دراسة الصفات الصوتية تكتمل حلقة المفهوم ويتضح مرادهم من مصطلح الصفة .

وتنحصر المواضع التي درس فيها أبو حيان الصفات الصوتية في ثلاثة هي :

1. إنها جاءت خدمة لدراسة الإدغام . وذلك واضح في مصنفاته الآتية : (التقريب ، التدريب، المبدع ، شرح التسهيل المسمى بالتذييل والتكميل) .
2. إنها جاءت في قسم لم يكن من ضمن الأحكام الافرادية ولا التركيبية وهو قسم الحروف . وهو ما ذكره في كتابيه غاية الاحسان والنكت الحسان .
3. إنه أتى بدراسة الصفة ضمن دراسة الأصوات مفردة التي كانت مقدمة للأحكام الافرادية . وهو ما عمل به في كتاب ارتشاف الضرب .

ففي كتبه الثلاثة (التقريب ، والتدريب ، والمبدع) لم يضف أبو حيان على ما ذكره ابن عصفور ، من حيث اقتصاره على ذكر الصفات التي تؤثر في الإدغام أما في شرح التسهيل فقد تابع أبو حيان ابن مالك في غرض دراسة الصفات إلا انه زاد عليه ملاحظة أخرى، ستأتي في موضوعها . ويستوقفنا تصنيف أبي حيان للصفات في كتابه غاية الإحسان والنكت لأنه جاء بها ضمن دراسة الحروف إلا انه لم يغير نظرته في الغرض من دراسة الصفات ، قال في حقيقة الإدغام : "ولا يكون إلا في مثلين أو متقاربين والتقارب يكون

---

[1] م.ن : 116-117 .
[2] حرز الأماني : 177 .
[3] الحواشي المفهمة : 17 .
[4] لطائف الإشارات : 196/1 .
[5] ظ: شرح الشافية ، للجابردي ، ضمن مجموعة الشافية : 240/1. وحاشية الجاربردي ، لابن جماعة ، في المجموعة نفسها :240/1 .

في المخرج أو في الصفة أو فيهما وسيأتي ذكر مخارج الحروف وصفاتها المؤثرة في الإدغام وغير المؤثرة"[1] .

وسار أبو حيان في تصنيف الصفات على المنهج الذي ذكره أول دراسته للإدغام فجعلها على صنفين، أحدهما : وجعل فيه الصفات مؤثرة في الإدغام ولم يذكر فيه أبو حيان غير الصفات التي تعد أحوالاً نطقية أو هيآت نطقية [2] ، وجعل في الآخر :الصفات غير المؤثرة في الإدغام وأدخل فيه أبو حيان صفات صنفناها على خمسة مجموعات[3] .

ومع متابعة أبي حيان لمكي بن أبي طالب في ذكر الصفات فقد خالفه في تصنيفها. فمكي يجعل الصفات على قسمين ، لم يفصح عن حقيقة الأول وذكر فيه أربعاً وثلاثين صفة[4] . أما في القسم الآخر فذكر فيه الصفات على ما ذكره الخليل من ألقاب منسوبة إلى مخارجها ، وعددها عشرة[5] ، لكن مكياً اقتصر في كتاب الكشف على بعض الصفات المؤثرة في الإدغام[6] . وبهذا العمل تكون الصفات التي ذكرها في الرعاية ولم يذكرها في الكشف هي صفات غير مؤثرة في الإدغام وتقع فيها الصفات التي هي نسب إلى مخارجها أما أبو حيان فصنفها على صنفين ، أحدهما وذكر فيه الصفات المؤثرة في الإدغام وقصره على الصفات التي تعد أحوالاً نطقية ،وذكر في الآخر الصفات غير المؤثرة في الإدغام وحشر فيه باقي الصفات التي ذكرها مكي في كتاب الرعاية وإذا كان أبو حيان متأثراً خطى ابن عصفور فإننا لا نستبعد أن يتعدى أثر ابن عصفور في ابي حيان إلى منهجه في تصنيف الصفات في كتابه غاية الإحسان والنكت الحسان .

لقد ذكر ابن عصفور في آخر دراسته للصفات في كتاب المقرب أن ما ذكره من الصفات هو المؤثر في الإدغام ، قال : " فهذه جملة الصفات المؤثرة في الإدغام "[7] . ولا نستبعد أن يستفيد أبو حيان من هذه الملاحظة فيوسعها في كتابيه الغاية والنكت ليجعل الصفات على صنفيهما المذكورين .

وصنيع أبي حيان هذا يدل على أنه مازج بين ثقافتين ، إحداهما : ثقافته في علم التجويد ، وذلك بذكره الصفات التي ذكرها الداني في الرعاية ، والثقافة الأخرى هي : ثقافته النحوية التي استفاد فيها من فكر ابن عصفور . وكان أثر الثقافة الأخيرة واضحاً في منهج تصنيفه للصفات.

ويطغي الطابع النحوي على ابي حيان في تصنيف الصفات ومفهومها في كتابه شرح التسهيل ، ففيه يقصر أبو حيان الفائدة من الصفات بمفهومٍ لا يتعدى بها عن كونها أحوالاً نطقية فجعل للصفات فائدتين "إحداهما

---

(1) النكت الحسان : 175 .
(2) ظ: م.ن : 278-281 .
(3) ظ: م.ن : 281-285 .
(4) ظ: الرعاية : 92-113 .
(5) ظ: م.ن : 113 .
(6) ظ: الكشف : 1/137-138 .
(7) المقرب : 359 .

لأجل الإدغام"[1] . قال السيوطي : " ليعرف ما يدغم في غيره لقربه منه في المخرج والصفة أو في إحداهما، وما لا يدغم لبعده من في ذلك "[2] .

أما الفائدة الثانية فقال فيها أبو حيان : "والأخرى ، وهي الأولى في الحقيقة : بيان الحروف حتى ينطق من ليس بعربي بمثل ما ينطق العربي ..."[3] . وقد خلصنا في موضوع سبق من الحديث على الأصول التي استقى منها أبو حيان فكرته في الغرض من دراسة الصفات . أما هاهنا فان معالجتنا للنص ستنبني على مفهوم الصفة التي حددها أبو حيان بنقطتين كلتاهما تدل على أن الصفات عنده لا تخرج عن كونها صفات نطقية ترافق الصوت عند إنتاجه . فكان بذلك مخالفاً للمنهج والمفهوم اللذين سار عليهما ابن مالك في تسهيله لانه صنف الصفات في ذلك الكتاب على قسمين لم يصرح بحقيقة الأول إلا انه ذكر فيه الصفات التي عبر عنها ابن عصفور وأبو حيان بأنها مؤثرة في الإدغام مع زيادة بعض الصفات كالعلة، وتقصيره في ذكر بعضها . أما القسم الاخر فقال ابن مالك فيه : " وما سوى هذه من القاب الحروف نسب إلى مخارجها أو ما جاورها"[4] . وشرح ذلك المرادي بقوله : "وذلك نحو الحلقية فإنها منسوبة إلى المخرج ونحو الهوائية فإنها منسوبة إلى الهواء وليس المخرج لكنه جاور المخرج ..."[5] . ولا نستبعد أن تكون تلك الملاحظة هي الأخرى من ملاحظات أبي حيان التي أخذها المرادي بلا إحالة إلى مصدرها .

والمنهج الذي سار عليه إبن مالك في تصنيف الصفات مشابهٌ إلى حدٍّ ما لتصنيف مكي بن أبي طالب للصفات مع اختلافٍ بينهما في عدد الصفات ومفهومها .

ولما كان لمنهج أبي حيان في كتاب الارتشاف خصوصية يمتاز بها من مصنفاته السابقة من حيث : انه جاء بدراسة الأصوات مفردة مقدمة لدراسة الأحكام الافرادية لا الإدغام من كلمتين وحده ، وإنه كتاب أوجز فيه ما ذكره في شرح التسهيل وأوضح ما استغلق من قضاياه فلذلك استدعت دراسة الصفات الصوتية أن تتوسع فائدتها – وإن لم يصرح أبو حيان بذلك – لتكون كاشفة مع دراسة المخارج عن ماهية مواد الكلم العربية (حروف المعجم) مع الفائدة الثانية التي ذكرها أبو حيان في شرح التسهيل وهي بيان أصوات العربية ليتمكن غير العربي من نطقها كما ينطقها العربي نفسه .

3-أداة تذوق الصفات :

ولأبي حيان في تذوق الصفات عدة طرق تعود جميعها إلى الملاحظة الذاتية . واحدة منها طريقة عامة استعملها في تذوق مخارج الصوت قال أبو حيان : " واختبار المخرج وتحققه يكون بابتداء همزة الوصل جائياً بعدها بالحرف ساكناً ..."[6] . ويضيف أبو حيان على ما تعارفه علماء التجويد قوله : " ... ملحوظاً به صفات ذلك الحرف"[7].

لقد أدرك علماء العربية أن تلك الطريقة في تذوق الأصوات يلمح بها مخرج الحرف وصفته إلا أنهم اكتفوا بذكر تلك الطريقة مقترنة بالمخرج فقط – كما مر ذكره -. ولا نجد في ما بين أيدينا من مصنفات علماء العربية من يشير إلى الملاحظة التي أضافها أبو حيان على تذوق المخارج لذلك فإننا نرجح أن يكون لابي حيان يد السبق بإشارته تلك .

وكانت لأبي حيان طرق أخرى تختص بتذوق بعض الصفات أدركها علماء العربية قبله منذ الخليل وسيبويه ، من ذلك أداته في تذوق الغنة ، قال أبو حيان في تعريف الغنة : انها " صوت يخرج من الخيشوم عند النطق بالحرف فإذا أمسكت بأنفك لم يجر ذلك الصوت..."[8].

---

[1] بغية المرتاد : 126. وظ : شرح التسهيل ، للمرادي : 249و .
[2] همع الهوامع : 496/6 .
[3] بغية المرتاد : 126 .
[4] التسهيل : 320 .
[5] شرح التسهيل ، للمرادي : 250 ظ .
[6] الارتشاف : 7/1 .
[7] م. ن: 7/1-8 .
[8] النكت الحسان : 280 .

وثمة طريقة أخرى استعملها أبو حيان في معرفة الصوت المجهور من المهموس وهي (الاعتماد بترديد الحرف) قال أبو حيان : "والهمس الصوت الخفي الضعيف ، وسميت كذلك لأنها حروف ضعف الاعتماد عليها في مخارجها عند النطق بها فجرى معها النفس فخفي الصوت بها ... . والجهر ضد الهمس ، وصفت بذلك لأنها حروف قوي الاعتماد عليها في مخارجها واشبع ومنع النفس ان تجري معها عند النطق بها , ... "[1].

وهو ما أشار اليه الخليل وفصل فيه سيبويه فقال : "وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس ولو ردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه فإذا أردت إجراء الحروف فانك ترفع صوتك ان شئت بحروف اللين والمد او بما فيها منها وان شئت أخفيت"[2] .

ويمكن أن نفيد من الأداة التي استعملها أبو حيان في تذوق الصفات بصورة عامة ، وهي سبق الصوت الساكن بهمزة وصل ، في الاطمئنان إلى أن مفهوم الصفة عنده هو أنها أحوال نطقية فقط .

وقد نقل بعض المصنفين في القراءات تجربة بدائية أخرى للتفريق بين الصوت المجهور والصوت المهموس وبين الصوت الشديد والصوت الرخو وغيرها من الصفات النطقية . وهي أن يسكن الصوت اللغوي بعد أن يسبق بهمزة وصل . وقد نسبوا هذه التجربة إلى قراء القرآن ولا سيما السبعة منهم[3] .

4-الصفات القوية والضعيفة :

وردت عند أبي حيان أكثر من إشارة إلى قوة بعض الأصوات على بعض وذلك لملازمتها لبعض الصفات في أثناء إنتاجها من ذلك قوله في الأصوات المهموسة : "وبعضها أضعف من بعض ، فالصاد والخاء أقوى مما عداها ، لان في الصاد ، اطباقا واستعلاء وصفيراً ، وفي الخاء استعلاء ، وكل ذلك من صفات القوة" [4] . وقال في الأصوات المجهورة : "وبعضها أقوى من بعض بحسب ما يكون فيه من الصفات القوية غير الجهر والاستعلاء والإطباق والاستطالة"[5] . أما الصفيري فـ " هو الصاد والسين ، والزاي ، وأقواها الصاد للاطباق والاستعلاء ، ويليها الزاي للجهر الذي فيها ، والسين أضعفها للهمس الذي فيها"[6]. وقال في الغنة : " وهي من علامة قوة الحرف"[7].

فالأصوات المهموسة كلها ضعيفة إلا إنها متدرجة في الضعف لشمول بعض الأصوات على بعض صفات القوة مع الهمس وأن الصوت يزداد قوة كلما اتصف بعدد أكثر من صفات القوة .

وقد ذكر أبو حيان الفائدة من معرفة قوة الصوت اللغوي وضعفه في أثناء حديثة على الغنة وحرفيها إذ قال : "وهي من علامة قوة الحرف والميم أقوى من النون ... ولذلك لم تدغم النون في الميم ولا في شيء من مقاربها و أدغمت النون فيها لان الأضعف يدغم في الأقوى ولا يجوز العكس إلا شاذاً ..."[8] .

فمراد إبي حيان من قوة بعض الأصوات على بعض معرفة سبب من أسباب التأثر والتأثير اللذين يحدثان بين الأصوات في داخل البناء ولا شك في أن مسألة قوة الصوت وضعفه قضية معيارها السمع أكثر من كونها نطقية فالأصوات الأوضح في السمع هي الأصوات المؤثرة في ما جاورها وقلما نجد صوتاً ضعيفاً يؤثر في قويٍّ يجاوره .

وعلى الرغم من إفصاح أبي حيان عن غرض معرفة قوة الصوت وضعفه بـ "أن الصوت الأضعف يدغم في الأقوى ولا يجوز العكس إلا شذوذاً..." نستبعد أن تكون فائدة أبي حيان من ذلك مقصور على الإدغام

---

[1] م.ن : 278.

[2] كتاب سيبويه : 2/405-406 .

[3] ظ: الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة، ضمن اطروحة الدكتوراه (الجامع النحوي، حياته وآراؤه مع تحقيق كتاب الكشف) : 6/1 . والإيضاح في القراءات (الباب التاسع والعشرون) : 94-95 .

[4] النكت الحسان : 278 .

[5] م.ن : 279 ، وظ : الارتشاف : 10/1 .

[6] النكت الحسان : 279 .

[7] م.ن : 281 .

[8] م.ن : 281 .

ذلك لانه في مواضيع أخرى كالقلب يقول في تعريف القلب بأنه " جعل صحيح استفاد منه أو عليل مكان نظيره متجانسين صفة* متقاربين مخرجاً ، لموجب ..."[1]

ومع استعمال أبي حيان لمعيار قوة الصوت وضعفه في معرفة ما يؤثر من الأصوات في غيره في داخل البناء لم يفصح عن مفهوم القوة والضعف ، ولم يذكر عدد الصفات القوية والضعيفة سوى ما ذكره عرضاً في أثناء حديثه على بعض الصفات .

وتبرز أهمية معيار القوة والضعف في دراسة الصفات عند علماء العربية أول ما تبرز في المصطلحات التي أطلقوها على تلك الصفات . وهي ألقاب تحاكي حال الصوت المنتج قال مكي في أول دراسته للصفات : "وهذه الصفات والألقاب إنما هي طبائع في الحروف خلقها الله عز وجل على ذلك ، فسميت تلك الطبائع التي فيها بما نذكر من الألقاب اصطلاحاً ..."[2] .

بل إن من علماء العربية من راح يقرّب مفهوم الصفات الصوتية بما يشابهها من أصوات الطبيعة وهو ما فعله إبن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف كقوله : " والخاء عن حك كل جسمٍ لين حكاً كالقشر بجسم صلب "[3] . وقوله : " والطاء تحدث عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان بل يحصل هنالك هواءٌ له دويّ ويسمع عن القلع أيضا مثله "[4] ، وغير ذلك من تشبيهاته اللطيفة [5] .

ومن المصطلحات التي أطلقها القدماء - منذ الخليل بن أحمد - على بعض الصفات ولها علاقة بالقوة والضعف مصطلحا (الجهر والهمس) بل إن من علماء العربية من استعمل بعض المصطلحات التي يبرز فيها وضوح الصوت السمعي على غيره من ذلك تصنيف الأصوات إلى مصوتة وصامتة ، " فالمصوتة، وهي التي تسمى في النحو حروف المد واللين ولايمكن الابتداء بها ... . وأما الصوامت فمنها ما لا يمكن تمديده كالباء والتاء والدال والطاء وهي لا توجد إلا في (الآن) الذي هو آخر زمان حبس النفس وأول زمان إرساله ..."[6].

كل تلك المصطلحات تدل بشكل عام على إدراك القدماء لمفهوم القوة والضعف في دراسة الصفات الصوتية .

ولو عدنا إلى التراث لنلتمس مفهوم القوة والضعف لانتهينا إلى أن الخليل بن أحمد له يد السبق في هذا المضمار مع قلة ما بين أيدينا من نصوص تنسب إليه في ذلك . فالمصادر اللغوية تشير إلى أن الخليل هو أول من استعمل مصطلحي الجهر والهمس والشدة والرخاوة، كما سيأتي . زيادة على أنه صنف الأصوات في مقدمة العين على نظام ضمّ خمسة أهداف متسلسلة الخطى . كان آخرها توزيع الأصوات المنتمية إلى حيز واحد بحسب الانصع فالانصع. وكنا قد بينا أنه قصد من نصاعة الحرف وضوحه السمعي.

واستعمل الخليل أيضا معيار القوة والضعف في غير هذا المضمار - أي الوضوح السمعي في خارج التركيب - فذكرت لنا المصادر أنه وصف بعض الأصوات بأنها خفية ويقابلها الجلد . وسيأتي الحديث على ذلك في موضوع الخفاء .

وأفاد سيبويه من معيار قوة الصوت وضعفه في دراسته لقضايا تركيب الأصوات ولا نستبعد أن يكون سيبويه قد أفاد من خبرة أستاذه الخليل في مفهوم قوة الصوت وضعفه .

لقد ذكرنا سابقا إن لدراسة المخارج أهمية كبيرة في معرفة أسباب إدغام بعض الأصوات في بعض لتقاربها واتحادها في المخرج ، وعلى هذا الأساس نلاحظ علماء العربية يصنفون دراستهم للإدغام على ثلاث مجاميع هي : الحلقية ، اللسانية ، الشفوية . وأساس هذا التصنيف نطقي (حلقي) يعتمد على تحديد مواضع نطق الأصوات لمعرفة ما تدغم فيه الأصوات مما لا تدغم فيه ، وبهذا ندرك السر وراء إرجاع مخارج الأصوات عند بعض علماء العربية إلى أصول ثلاثة أو أربعة مع الغنة .

---

* في المتن (صيغة) وهو تحريف .

[1] النكت الحسان : 262 .

[2] الرعاية : 91 .

[3] أسباب حدوث الحروف : 17 .

[4] م. ن : 18 .

[5] ظ: م.ن : 17 –18 .

[6] التفسير الكبير : 1/ 29-30 .

وذكرنا أيضا أن القدماء أدركوا أن أسباب الإدغام لم تقتصر على تقاربها واتحادها في نقاط إنتاجها، بل أدركوا أن للصفات أثراً واضحاً في إدغام بعض الأصوات في بعض . لقد أفصح سيبويه عن سبب قلب بعض الأصوات إلى أصوات مقاربة لها في المخرج ومن ثم يدغم فيه إذ قال في إدغام العين في الحاء واستحالة العكس : "ولم يدغموها في العين إذ كانت من حروف الحلق لأنها خالصةٌ في الهمس والرخاوة فوقع الإدغام لقرب المخرجين ولم تقوَ عليها العين إذ خالفتها فيما ذكرت لك ولم تك حروف الإدغام أصلا للإدغام فمع هذا فأن التقاء الحائين أخف في الكلام من التقاء العينين إلا ترى أن التقاءهما في باب ردَدَتَ أكثر ، والمهموس أخف من الجهر . فكل هذا يباعد العين من الإدغام إذا كانت هي والهاء من حروف الحلق"[1] .

وإشارة سيبويه واضحة إلى أن الصوت المجهور أقوى من الصوت المهموس . أي إن الصوت الحلقي المجهور أثقل نطقاً من الصوت الحلقي المهموس لذلك جاز ابدال الأثقل إلى الأخف ولم يجز العكس .

زيادة على أن سيبويه استعمل معيار القوة والضعف في مواضِع أخرى غير الإدغام كتعليله لإبدال السين صاداً في مثل (سقت) بالقاف ، إذ ذكر أن القاف أقوى من السين على بعدها منها لأنها تصعد إلى الحنك الأعلى لذلك قلبت السين صاداً ...[2] ، واستعمل سيبويه معيار القوة والضعف أيضاً في مواضع كثيرة من الإمالة[3] .

لقد أدرك القدماء أن معيار قوة الصوت وضعفه من حيث التأثير في ما يجاوره من الأصوات داخل البناء تعتمد على أساسين أحدهما الجانب العضوي , فكلما قوي عمل اللسان في إنتاج الصوت أصبح ذلك الصوت قوياً وكلما ضعف اعتماد الصوت على اللسان أصبح الصوت ضعيفاً من ذلك امتناع قلب الياء واواً في مثل سيود لأن الياء - كما ذكر المبرد-[4] (من موضع الحروف) أي من الموضع الذي يكثر فيه إنتاج الأصوات - وهو اللسان – (والواو من الشفة وليس من مجمع الحروف) (وانما الإدغام نقل الأثقل إلى الأخف) أي إن الياء أخف والواو أثقل . والأساس الآخر : أساس سمعي ويتضح ذلك في الصفات السمع كصفة الجهر والهمس .

وكان لابن جني دورٌ بارزٌ في توضيح مفهوم قوة الصوت وضعفه من خلال ما ذكره في أبواب متفرقة من كتابه الخصائص ، إذ قال في باب ذكر علل العربية اكلامية هي أم فقهية علّة إهمال ما أهمل من الأبنية العربية "أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة ، فاكثره متروك للاستثقال ، وبقيته ملحق به ، ومقفاة على إثره . فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه ، نحو : سصْ ، وحَسْ ، وظث ، وثظ ، وخش ، وشخ ، وهذا حديثٌ واضح لنفور الحس عنه ، والمشقة على النفس لتكلفه . وكذلك نحو : قج ، وحق ، وكق ، وقك ، وكج ، وجك . وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد، لتقارب مخارجها عن معظم الحروف أعني حروف الفم . فإن جمع بين اثنين منهما قدم الأقوى على الأضعف نحو : أهل ، واحد ، وأخ ، وعهد ، وعُهر"[5] .

لقد أرجع ابن جني سبب تقديم أقوى الصوتين المتقاربين إن اجتمعا في كلمة إلى أمرين كلاهما يعبران عن تعليل أدائي مرده ميل المتكلم إلى النفس أو السهولة في عملية النطق ، فرأى "أن جمع المتقاربين يثقل على النفس فلما اعتزموا النطق بهما قدموا أقواها لأمرين ، أحدهما : أن رتبة الأقوى ، أبدا أسبق وأعلى . والآخر : إنهم إنما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفساً ، وأظهر نشاطاً ، فقدم أثقل الحرفين وهو على أجمل الحالين ، ..."[6]-.

فالصوت القوي عند ابن جني هو الصوت الثقيل ، لذلك عاقب بين (الأثقل والأقوى) في ما سبق من النصوص . والذي يلاحظ على كلام ابن جني السابق أن معيار القوة أو الثقل في الأصوات يرجع إلى أمرين كلاهما يحدثان داخل المفردة وهما :

1. الوضوح السمعي : وذلك كما في وضوح الطاء على الدال ، أو الهمزة على الهاء .

---

[1] كتاب سيبويه : 413/2 .
[2] ظ: كتاب سيبويه : 428/2 .
[3] ظ: م.ن : 262/2 و 264 و 265 و266 و 268 .
[4] ظ: المقتضب :221/1-222 .
[5] الخصائص : 54/1 .
[6] م.ن : 55/1 .

2. الثقل الادائي وذلك لان نطق التاء في (وتد) تحتاج إلى نشاط أظهر ونفس أقوى من نطق الدال فيها . فلذلك قدم أثقل الحرفين .

ولم يقتصر ابن جني في استعمال مفهوم قوة الصوت على طبيعة الابنية العربية بغض النظر عن معانيها . إنما حاول أن يربط بين مدلول اللفظ والأثر السمعي الذي تسببه أصوات ذلك اللفظ." من ذلك قولهم: خضِم وقضم . فالخضم لأكل الرطب لذلك اختاروا الخاء لرخاوتها للرطب . والقضم للصلب اليابس وهو ملائم لصلابة القاف. وكذا الأمر مع النضح للماء ونحوه ، والنضخ أقوى من النضح ."فجعلوا الحاء – لرقتها – للماء الضعيف ، والخاء – لغلظها - لما هو أقوى منه" [1] .

وبين في بعض المواضع السبب الذي تكمن فيه قوة الصوت على آخر مقارب له إذ قال : "ومن ذلك قولهم : الوسيلة والوصيلة ، والصاد، كما ترى ، أقوى صوتا من السين لما فيها من الاستعلاء ، والوصيلة أقوى من الوسيلة ..."[2] .

ولا يفيدنا في هذا الموضوع مذهب ابن جني في العلاقة بين الدال والمدلول أقصدية أم اعتباطية . المهم في ما ذكرناه من نصوص هو مفهوم قوة الصوت وضعفه الذي استعمله إبن جني في منظارين ، أحدهما : في طبيعة بناء الأصوات وتلاؤمها داخل المفردة وقد استعمل فيه مع مصطلح (الأقوى) مصطلح (الأثقل) . فإذا ما اجتمع صوتان متقاربان قدم الأقوى منهما لانه أثقل من مجاوره .

والإطار الآخر هو إنه ربط بين دلالة الألفاظ وبين قوة الأصوات المؤلفة لتلك الألفاظ أو ضعفها . وقد علل في بعض المواضع سبب تلك القوة بأنها - كما نفهمه من كلامه السابق – تحمل صفات قوية كالاستعلاء أو التصعد . وأن من أسباب ضعف الحرف أنه يحمل صفة ضعيفة كالاستفلال .

وبعد أن انتهينا من الحديث على موقف ابن جني من قوة الصوت وضعفه اتضح لنا قصور فكرة الدكتور ابراهيم انيس من أن كلام ابن جني في قوة الصوت وضعفه ، يناقض بعضه بعضاً "[3] أو انه "غامضٌ لا نستطيع تفسيره في ضوء القوانين الصوتية الحديثة"[4]. وان ذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن ابن جني ربما أراد "بالحرف الأقوى ، الأكثر وضوحاً في السمع ، أو الذي يحتاج إلى جهد عضلي أكثر..."[5] .

ورأى الدكتور حسام النعيمي أن ابن جني لا يريد بلفظ الحرف الأقوى صفة مطلقة فيه تصح في كل موضع، وإنما يكون الحرف أقوى من الثاني بصفة من الصفات في موضع ، ويكون غيره أقوى في موضع آخر بصفة أخرى ، ..."[6] ، واستشهد الدكتور حسام بما ذكره ابن جني من ان الهمزة أقوى من الحاء والخاء في مثل (أصل وأحد وأخ) وقوة العين على الهاء في مثل (عهد) ، وغيرها من الأمثلة .

فكلام الدكتور حسام النعيمي – وان صح في عدم ثبات معيار القوة والضعف عند ابن جني - لم يتقص مفهوم القوة والضعف ومدلولاتها عند ابن جني بالشكل الذي عرضناه .

لقد كان لعلماء التجويد أثر بارز في تعداد الصفات القوية والضعيفة قال مكي في الأصوات المهموسة: "وبعض هذه الحروف المهموسة أضعف من بعض ، فالصاد والخاء أقوى من غيرهما ، لان في الصاد أطباقاً واستعلاءً وصفيراً ، وكل هذه الصفات من صفات القوة ، وفي الخاء استعلاء"[7] .

وذكر أهمية قوة الصفة في قوة الحرف فقال : " قدر ما في الحرف من الصفات القوية ، كذلك قوته وعلى قدر ما فيه من الصفات الضعيفة كذلك ضعفه "[8] .

و أشار إلى غاية إدراك قوة الصوت وضعفه في قوله : "فاعرف الصفات الضعيفة والصفات القوية تقو بذلك على تجويد لفظك لكتاب الله – جل جلاله – فإذا كان أحد الصفات الضعيفة في حرف كان فيه ضعف ، وإذا اجتمعت فيه كان ذلك أضعف له ، كـ (الهاء) التي هي مهموسة رخوة . منفتحة خفية وكل واحدة من هذه

---

[1] ظ : الخصائص : 2/157-158 .
[2] م.ن : 2/162 .
[3] موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس : 30 .
[4] م.ن : 30 .
[5] م. ن: 30 .
[6] الدراسات اللهجية عند ابن جني : 288 .
[7] الرعاية : 92 . وظ: م.ن : 93 .
[8] م.ن : 93 .

الصفات من صفات الضعف في الحروف ولذلك بينت الهاء بواو مرة وبياء مرة زيد ذلك بعدها لضعفها وخفائها . في قولك (ربما هو) و (عصا هو) و (بهي) و(فيهي) ولم يفعل ذلك بشيء من الحروف غيرها كذلك الصفات القوية ، إذا كان أحدهما في حرف قوي بذلك فإذا اجتمعت في حرف كان ذلك أقوى له كـ (الطاء) الذي اجتمع فيه الجهر والشدة والإطباق والاستعلاء ونحو (الصاد) الذي اجتمع فيه الصفير والإطباق والاستعلاء ، فهو دون الطاء في القوة إذ عدمت[كذا] الجهر والشدة ..."[1] .

فغاية مكي إذا معرفة قوة الصوت وضعفه وإعطاء كل صوت حقه في تجويد القرآن مشيراً بذلك إلى أن أساس ذلك يعود إلى قارئه لا متلقيه زيادة على أن مكيا لم يحدد المقادير التي تبرز قوة الصوت على غيره في النطق والذي نرجحه إنه قصد من كلامه السابق توضيح أثر الصوت القوي في الصوت الضعيف داخل المفردة ، لذا فيجب على القارئ أن ينطق الصوت القوي بصورة أوضح من التي ينطق بها الصوت الضعيف الذي يجاوره .

ولعل السبب في عدم إعطاء مكي درجة وضوح كل صوت هو : إن ذلك المعيار متقلب تبعاً لقوانين التأثر والتأثير داخل المفردة ، وهو أمر لا يمكن إحصاؤه .

ولم يكتف مكي بن أبي طالب بذلك الغرض في معرفة قوة الصوت وضعفه بل زاد في كتاب الكشف غرضاً آخر غير تجويد اللفظ القرآني ، إذ قال في مقدمات أصول الإدغام والإظهار : وهو على ضربين : أحدهما إذا كان الحرفان متقاربين في المخرج والحرف الأول أضعف من الثاني فيصير بالإدغام إلى زيادة قوّة ، لانك تبدل من الأول حرفاً من جنس الثاني . فإذا فعلت ذلك نقل لفظٌ ضعيف إلى لفظ القوة . فذلك حسن جيد . والضرب الثاني : أن يكون الحرفان المتقاربان في القوة سواء كالمثلين فيحسن الإدغام ، إذ لا ينتقص الأول من قوته قبل الإدغام . وضرب ثالث من إدغام المتقاربين قليل ، وهو أن يكون الحرف الأول أقوى من الثاني فيصير بالإدغام أضعف من حاله في الإدغام ..."[2] .

ويتضح أثر مكي بن أبي طالب في أبي حيان الأندلسي في دراسة قوّة الصوت وضعفه بمقابلة ما ذكره أبو حيان على ذلك في كتابيه غاية الإحسان ونكتها مع ما ذكره مكي بن أبي طالب في كتابيه الرعاية والكشف .

ولعل أبا حيان في كتاب التذييل والتكميل قد جمع هذين الغرضين من دراسة قوة الصوت وضعفه بفائدتين ، احداهما تتعلق بقوانين التأثر والتأثير بحيث يؤثر القوي في الضعيف ، والفائدة الثانية تتعلق بالأداء في مضامينه جميعاً من ذلك أبراز الصوت القوي بصورة أوضح من الصوت الضعيف[3] .وليس من شك في أن الغرض الآخر من دراسة الأصوات المفردة كان أول من أشار إليه علماء الفصاحة كما مر ذكره – ولا شك أيضا – في أن علماء التجويد وأبا حيان استفادوا من ذلك .

ولم يكن أبو حيان أول نحوي يستعمل معيار القوة والضعف لغرض دراسة الإدغام إنما سبقه إلى ذلك الاستعمال بعض النحويين كعبد الرحمن الانباري[4] ، وأبي علي الشلوبين[5] . وابن الحاجب[6] .

ولا بد من الإشارة إلى أن معيار القوة والضعف ليسا من (صفات الأصوات) بل تصنف صفات الأصوات عليهما فيقال : الصفات القوية والصفات الضعيفة . ومع هذا فإننا لا نعدم من اللغويين من صنف الأصوات بحسب قوّتها وضعفها كما ذكره النابلسي وكما صرّح به علماء التجويد من غير تطبيق[7] . إلا ان عملهم هذا لا ينفي ما نذهب إليه من أن معيار القوة والضعف ليسا من صفات الأصوات ، لأن أصحاب تلك التصانيف ذكروا في كل موضع أن سبب قوة الصوت أو ضعفه هو اتصافه ببعض صفات القوة أو الضعف.

ننتهي من كل ذلك إلى أن معيار القوة والضعف معروف عند قدماء اللغويين ابتداءً من الخليل بن أحمد وربما وضع لذلك معايير لم تصل الينا وإن لعلماء التجويد يد السبق في توضيح ذلك المعيار وتصنيفه وهم الذين تأثرهم أبو حيان .

---

(1) م.ن : 95 .
(2) الكشف : 135/1 .وله كلام يشبهه في :136/1 .
(3) ظ: بغية المرتاد : 126-127 ، وشرح التسهيل ، للمرادي : 249 ظ . وهمع الهوامع : 296/6-297 .
(4) ظ: أسرار العربية : 210-211 .
(5) ظ: التوطئة : 383 .
(6) ظ: الإيضاح في شرح المفصل : 285/2-286 و 497/2-498 .
(7) ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 273 و228-232 .

وبموازنة ما قدمه قدماء علماء العربية بما صنعه المحدثون في دراسة قوة الصوت وضعفه فإننا ننتهي إلى إحلال عمل القدماء في ذلك مع الفارق الكبير بين دراسة القدماء والمحدثين لما امتلكه المحدثون من أجهزة حديثة في قياس درجة وضوح كل صوت ولما دعت إليه طبيعة التطور في الدراسات اللغوية والصوتية .

لقد اهتم المحدثون بقوة الصوت وضعفه في دراساتهم الصوتية واستفادوا في ذلك من النتائج التي توصل إليها علم الصوت السمعي (الاكستوكي) ، وكان غرضهم في تلك الدراسة نظرية المقطع التي "قامت في أساسها على تفاوت الأصوات في درجات اسماعها . فقد اهتم الأصواتيون ببيان درجة إسماع كل صوت أو بترتيب الأصوات في مجموعات بحسب درجات اسماعها . وأصبح الحديث عن هذه النقطة ضروريا قبل الحديث عن أجزاء المقطع أو مكوناته"[1] .

زيادة على ذلك انهم استفادوا من دراسة قوة الصوت أو ضعفه في معرفة ما يؤثر من الأصوات في آخر "فان الأضعف بموقعه في المقطع ، أو بامتداده النطقي ... (كذا) هو الذي يكون عرضه في التأثر والتأثير ..."[2] .

5- الصفات الأصلية والصفات العارضة :

قال أبو حيان في الغنة : "وحرف الغنة النون والميم . والغنة زائدة فيهما كالإطباق الزائد في حروف الإطباق . وكالصفير الزائد في حروف الصفير وهي من علامات قوة الحرف . والميم أقوى من النون لان لفظها لا يزول عنها مع الغنة والغنة لا تزول عنها . ولفظ النون قد يزول عنها فلا تبقى منها إلا الغنة ، ولذلك لم تدغم النون في الميم . ولا في شيء من مقاربها . وأدغمت النون فيها ، لان الأضعف يدغم في الأقوى ، ولا يجوز العكس إلا شاذاً ..."[3] .

ولم يفصح أبو حيان عن مراده من زيادة الصفة وأصالتها . إلا أننا نفهم من كلامه أنه قصد بالصفات الزائدة الصفات الإضافية التي يحملها صوت ما يفتقر إليها صوت آخر مقارب له . وكلام أبي حيان مشبه إلى حد كبير قول مكي : "حرفا الغنة النون والميم الساكنتان سميتا بذلك لان فيهما غنة تخرج من الخياشم عند النطق بهما ، فهي زائدة فيهما كالإطباق الزائد في حروف الإطباق ، وكالصفير الزائد في حروف الصفير ، فالغنة من علامات قوة الحرف ومثلهما التنوين "[4] .

وهو مشبه أيضا كلام الداني في قوله : "وحرف الغنة : الميم والنون ، لانهما غنة في الخيشوم ... ويسمى الميم الحرف الراجع لأنها ترجع إلى الخيشوم لما فيها من الغنة ، وهي أقوى من النون لأن لفظهما لا يزول ولفظ النون قد يزول عنها فلا يبقى فيها إلا الغنة..."[5].

وكان أبو حيان قد مازج بين ما قاله مكي في الرعاية وبين ما ذكره الداني في التحديد فاستخلص النص السابق الذي ذكره في النكت .

وللداني خطوة واضحة في تمييز الصفة الأصلية من العارضة وتبيين الغرض من معرفة ذلك بقوله : "والحروف التي تمنع من الإدغام في مقاربها لزيادة صوتها ثمانية يجمعها قولك: فزم ضرس سعر. الشين والضاد والسين والصاد والزاي والراء والفاء والميم ..."[6] .

وقد انسحب مفهوم زيادة الصفة إلى بعض النحويين فصرحوا بذلك في مواضع عديدة من دراسة الإدغام، قال عبد الرحمن الانباري (ت 577 هـ) : "إنما لم يجز أن تدغم الميم في الباء نحو : (أكرم بكراً) كما يجوز أن تدغم الباء في الميم نحو : (اصطحب مطراً) لان الميم فيها زيادة صوت وهي الغنة ولو أدغمت في الباء لذهبت الغنة التي فيها ، بخلاف الباء فأنه ليس فيها غنة تذهب بالإدغام، فكذلك أيضاً لا يجوز أن تدغم الراء

---

[1] دراسة الصوت اللغوي : 287 .

[2] م.ن: 372 . ولمن يريد المزيد من الاطلاع حول دراسة المحدثين للوضوح السمعي وفائدته عندهم، ظ:دراسة السمع والكلام : 267-268 . والتشكيل الصوتي : 131 . وأصوات اللغة : 134 – 140 . وعلم الأصوات العام : 96-100 . والأفكار الأساسية بعلم الأصوات الحديث : 106 ، 11 . والتقاء الساكنين والتخلص منه: 9و18 و 37 و 38 و 140 و141.

[3] النكت الحسان : 281 .

[4] الرعاية : 106 –107 .

[5] التحديد : 111 .

[6] م.ن :111-112.

في اللام كما يجوز أن تدغم اللام في الراء لأن في الراء زيادة صوت وهو التكرير فلو أدغمت في اللام لذهب التكرير الذي فيها بالإدغام ، بخلاف اللام فأنه ليس فيها تكرير يذهب بالإدغام ..."[1]. ثم قال : "وكذلك حرف فيه زيادة صوت ، لا يدغم فيها هو أنقص صوتاً منه وإنما لم يجز إدغام الحرف في ما هو أنقص صوتاً منه ، لانه يؤدي إلى الاجحاف به أو إبطال ما له من الفضل على مقاربة"[2] .

لقد أفصح الانباري عن الغرض من معرفة زيادة الصفة ونقصانه فلما كانت الزيادة من علامات قوة الصوت اللغوي فان ذلك الصوت لا يدغم في ما هو أضعف منه بل العكس لان أدغامه في ما هو أنقص منه يعني نقصان صفة من صفات الصوت القوي وهذا اجحاف به على ما ذكر الانباري .

ولو عدنا إلى متقدمي النحاة لنلتمس لديهم مفهوم أصالة الصفة وزيادتها لما وجدناهم يعرفون بذلك سوى ما ذكر سيبويه عنواناً لدراسة الأصوات المفردة وذلك بقوله : "هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها ، واختلافها"[3] . فسيبويه لا يذكر مصطلح الصفة إنما يأتي إلى ذكر ما تدرسه الصفات والظاهر من عنوان سيبويه أن معياره الأساس في دراسة الصفات هو الجهر والهمس ، ومن ثم أحوال الصوت المجهور والمهموس المختلفة أي ما يرافق الصوت من صفات غير الجهر أو الهمس .

لقد أدرك سيبويه في صفتي الجهر والهمس ميزتين لا تحملها الصفات الأخرى لذلك جعلهما – على ما نظن – أساس دراسته للصفات وتلكما الميزتان هما :

1. إن صفتي الجهر والهمس تتمان من أقصى نقطة في جهاز التصويت وهو ما عبر عنها سيبويه في قوله (صوت الصدر) أي الصوت الخارج من الحنجرة – بتعبير المحدثين – أي الجهر .
2. إن لصفتي الجهر والهمس وظيفة كبيرة في إدغام بعض الأصوات في بعض أو لا تكاد تظاهيه أي صفة من الصفات الأخرى وهو أمر واضح من خلال عبارات اللغويين التي تنص على إدغام المهموس في المجهور ولا يصح العكس إلا شذوذاً .

ومع ذلك ان هذا لا يعني أن سيبويه جعل الجهر والهمس أصل الصفات والبقايا زوائد عليها إنما يدل ذلك على شعوره بأهمية الجهر والهمس في تأثير الأصوات بعضها في بعض .

ويمكننا الاعتراف بإدراك القدماء إلى حقيقة الصفة الزائدة والصفة الأصلية من خلال أمرين أحدهما، إنهم أشاروا إلى قوة الأصوات اللغوية بمرافقتهما بعض الصفات التي لا تحملها الأصوات الضعيفة ، والآخر: ما صرحوا به في بعض المواضع من أن بعض الأصوات يمتاز من بعضها الآخر بصفات لو زالت عنه لا تحدث مع بعضها بعضا، قال سيبويه : "...ولولا الإطباق لصارت الضاد دالاً والصاد سيناً والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها"[4] . وهذا دليل كافٍ على إدراك سيبويه ومن حذا حذوه حقيقة الصفة الأصلية والصفة الزائدة .

لقد كان لعلماء التجويد يد السبق في تصريحهم بأن من الصفات ما هو أصلي ومنها ما هو زائد . فابن الجزري يصنف الصفات الصوتية في مقدمته الجزرية إلى صنفين ، أحدهما : ذكر فيه الصفات الآتية (الجهر والهمس والشدة والرخاوة وما بينهما والمستعلي والمستفل والانفتاح والإطباق والمصمتة والمذلقة).

وفي المجموعة الأخرى (الصفير والقلقلة واللين والمنحرف والمكرر والمتفشي والمستطيل). وعلّق على صنيع الجزري هذا ، أحد علماء التجويد ، بعد أن أنهى الحديث على صفات المجموعة الأولى ، قائلاً : "لما ذكر صفات الأصلي شرع في صفات العارض وهي التي اختصت ببعض الحروف دون بعض "[5] . وهو ما عبر عنه المحدثون بتعابير عدِة ، قال الدكتور أحمد مختار عمر في الفرق بين السين والصاد : "ولا شك أنّ السين أكثر بساطة من الصاد ، لأن الأخيرة تقتضي عملية إضافية على حركات نطق السين . وهذه العملية تتمثل في حركة مؤخرة اللسان إلى أعلى وحركة جذره إلى الخلف"[6] .

---

(1) أسرار العربية : 210 .
(2) م.ن : 211 .
(3) كتاب سيبويه : 402/5 .
(4) م.ن : 406/2 .
(5) شرح المقدمة الجزرية ، لمؤلف مجهول : 9 .
(6) دراسة الصوت اللغوي : 395 .

وعبر عن زيادة الراء – بالتكرير- على صفات اللام بتعبير آخر ، قائلاً " اللام والراء من مخرجٍ واحد ، وكلاهما من النوع المجهور . ولكن تتميز [كذا] الراء بأنها صوت مكرر يضرب اللسان معه في اللثة ضربات متتالية مما يجعله صوتاً مركباً بالنسبة لصوت اللام"[1] . واستعمل تعبيراً ثالثاً في وصف زيادة صفات القاف على الكاف ، إذ قال : " تعد الكاف أيسر نطقاً من الكاف ، من ناحيتي مخرجها وعدم تدخل مؤخرة اللسان – بحركة ثانوية – في أثناء نطقها أما القاف فمخرجها متطرف من ناحية ونطقها يصحب بحركة ثانوية لمؤخرة اللسان ، من ناحية أخرى ، مما يكسبه بعض القيمة التفخيمية "[2] .

وكان غرض الدكتور أحمد مختار عمر في معرفة الصفات الزائدة والأصلية هو الاستدلال على ان اللغات تميل " إلى الإكثار من نطق الأصوات البسيطة أي التي لا تحمل صفات إضافية "[3] . واستعمل لدعم ما يراه إحصاءآت لتكرار بعض الأصوات أكثر من بعض في القرآن الكريم .

6-مفهوم الخفاء :

لم يحصر أبو حيان مصطلح الخفاء في مفهوم واحد محدد بل كان له في ذلك المصطلح عدة مفاهيم هي :

1. قلة الوضوح السمعي وذلك في صفة الهمس . وقد ذكر أن معناه اللغوي هو الخفاء . وبذلك يكون معنى الخفاء مع الهمس مرادفاً لمعنى الصوت الضعيف .
2. النون الخفية أو الخفيفة : وهي النون الساكنة التي لم يبق منها إلا الغنة . أي انه أراد بذلك الغنة .
3. أصوات المد واللين مع الهاء ، وقد وصفها أبو حيان بأنها أصوات خفية قائلاً : "سميت بذلك لخفائها في اللفظ ولخفاء الهاء قوتها العرب بصلة الياء والواو* بعدها . وحذفها بعضهم إذا كان قبلها ساكن لالتقاء الساكنين ولم يعتد بالهاء لخفائها . والألف أخفاها لانه لا علاج للسان فيها وقد ذكر بعض أهل العلم أن في الهمزة خفاء يسيراً وفي النون خفاءاً كذلك وتكون على هذا ستة أحرف "[4] .

ومصطلح الخفاء مصطلح قديم ذكرت المصادر أن أول من استعمله الخليل بن أحمد ، قال أبو جعفر النحاس في قراءة (فيهو هدى)[5] : " وزيدت الواو عند الخليل لان الهاء خفية فقويت بحرف جلد متباعد عنها"[6] . وقال أيضاً في قوله تعالى ﴿ يؤده إليك ﴾[7] في قراءة (يؤدً هو إليك) : "فهذا الأصل لأن الهاء خفية فزعم الخليل : أنها أبدلت بحرف جلد وهو الواو..."[8] . وشاع هذا الاصطلاح أي الخفي والجلد عند جمهور من علماء العربية[9] . إلا ان سيبويه استعمل بدل الخفي الضعيف مع الجلد وعبّر بالضعيف عن الواو إذا كان قبلها كسرة أو أن تقع بعد مضموم أو أن تقع بعد الياء . كما في مُوْتَعِد ومُوْتقد ، قال : "فلما كانت هذه الأشياء تكتنفها مع الضعف الذي ذكرتُ لك صارت بمنزلة الواو في أول الكلمة وبعدها واو في لزوم البدل لما اجتمع فيها فأبدلوا حرفاً أجلد منها لا يزول وهذا كان أخف عليهم..."[10] .

وقبل أن نتطرق إلى موقفنا من مراد القدماء من مصطلح الخفي نود أن نعرض موقف المحدثين من فهم مراد القدماء من هذا المصطلح لعله يعيننا في توجيه مراد القدماء منه. لقد ناقش الدكتور عبد الصبور شاهين عبارة سيبويه التي تنص على أن الألف والواو والياء من أخفى الأصوات[11] ، فرأى أن سيبويه قد أخطأ في عدّ

---

(1) م.ن : 396 .
(2) م.ن : 397 .
(3) م.ن : 398 .
* في المتن (والوا) وهو تحريف مطبعي .
(4) النكت الحسان : 282 .
(5) البقرة / 2 .
(6) إعراب القرآن ، للنحاس : 180/1 .
(7) آل عمران /75 .
(8) م.ن : 388/1.
(9) ظ: إعراب القرآن ، للنحاس : 199/1 ، ومعاني القرآن ، للأخفش : 25/1 .والمنصف :223/1 . والبغداديات : 504 . والمحرر الوجيز :333/1 . الأصول : 249/1 .
(10) كتاب سيبويه : 356/2-357 .
(11) ظ: م.ن : 406/2 .

الألف مثل الواو والياء ، لان الفرق بين الألف وبين الواو والياء " هو الفرق بين الحركة البسيطة ونصف الحركة الناشئ عن الحركة المزدوجة ، هذه شيء وتلك شيء آخر"[1] .

ولاشك في عدم صحة هذا الرأي ، لأن الدكتور عبد الصبور شاهين عدّ الواو والياء في تصنيف سيبويه بهما صوتي المد واللين وجعلهما أساساً يتفرع منهما الصوتان غير المديين. زيادة على أن سيبويه رأى أن الواو والياء في الأصوات الخفية هما من أصوات المد واللين لا كونهما صوتين غير مديين كما ظن الدكتور عبد الصبور شاهين .

وقد رفض الدكتور عبد الصبور على الأساس الذي بناه أن تكون الألف خفية لأنها وهذين الصوتين شيء آخر[2] ، ثم قال : " ولا مشاحة في أن الواو والياء صوتان مجهوران كما أن وصف سيبويه لهما باللين الذي يقصد بهِ اتساع مخرجهما لهواء الصوت يتحقق مع ما ذهب إليه المحدثون من وصفهما بأنهما انطلاقيان غير محتكين ، غير أن سيبويه قد رتب على اتساع مخرجهما حكماً آخر هو أنهما من أخفى الحروف ، ولا شك أنه لا يقصد بذلك الهمس أو شيئاً كالهمس ..."[3]. قصد بذلك "ضعفهما في السلوك اللغوي (أي الصرفي) "[4]، لذا فهي كالصوامت التي تمتاز بضعف وضوحها السمعي إذا قيس بأصوات اللين[5] . فلهذين الصوتين نوع من الحفيف الضعيف الذي يفرقهما عن الصوائت الطوال ذوات قوة الإسماع[6] .

ولا نخالف الدكتور عبد الصبور شاهين في أن صوتي الواو والياء غير المديين أخفت صوتاً من الأصوات الصوائت التي تعدّ أعلى الأصوات وضوحاً في السمع . لكن هذا لا يعني أن الواو والياء غير المديين صوتان خفيان ، ذلك لأن ثمة أصواتا صامتة أخفى منهما في السمع ، زيادة على أن الدكتور عبد الصبور أسقط رؤيته الحديثة على كلام سيبويه ففهم منه ما لم يقصده سيبويه .

وذهب الدكتور غالب المطلبي إلى أن القدماء "أرادوا بمصطلحهم هذا تصوير درجة الاحتكاك في الصوت، فكلما قلّ الاحتكاك زاد الخفاء في الصوت . ومن أجل ذلك أدرجوا في قائمة الأصوات الخفية تلك الصوامت التي تكون درجة الاحتكاك فيها واطئة جداً كالهاء مثلاً ولعل عبارة الاسترابادي على أنّ الألف والواو والياء أخفى الحروف لاتساع مخرجها تشير إلى شيء من هذا"[7] .

وقد بين الدكتور صباح عطوي رؤية الدكتور المطلبي بعد أن رأى أن القدماء " لا يقصدون قلة الوضوح السمعي كيف هذا وهم أطلقوا عليها أصوات المد التي يستطيل بها الصوت ، بل سماها ابن جني الأحرف المصِّوتة الممطولة"[8] ، قال الدكتور صباح : " والراجح أنّ الخفاء عندهم يتصل بعمل أعضاء النطق ، فهذه الأصوات متسعة المخارج لأننا لا نصادف عند التصويت بها عائقاً أو حائلاً يثنيها عن امتدادها واستطالتها، كما في الأصوات الأخرى التي تنشأ بها عائقاً أو حائلاً يثنيها عن امتدادها واستطالتها ، كما في الأصوات الأخرى التي تنشأ أجراسها نتيجة اعتماد الأعضاء على منطقة المقطع كما يقول القدماء ..."[9] . ثم قال : "فهم أرادوا أن يصوروا درجة الاحتكاك قليلاً وخفاء الصوت ولهذا كانت الهاء خفية لان الاحتكاك فيها قليل"[10] .

وما ذهب إليه الدكتور المطلبي والدكتور صباح عطيوي مذهب دقيق إلا انهما وضحا رؤية القدماء بأن الأصوات الخفية هي الأصوات التي اتسعت مخارجها وهذه الرؤية كما نراها عند القدماء لا تعطي معنى الخفاء بقدر ما تمثل سببا من أسباب الخفاء الذي سيأتي الحديث عليه .

ورأى الأستاذ الدكتور غانم قدوري حمد أن الأصوات الخفيفة الأربعة "تشترك في كون مخارجها متسعة ، ولكن كيف يمكن أن توصف بأنها خفيفة ؟ . إن تفسير الخفاء باتساع المخارج غير كافٍ ، فقول

---

(1) القراءات القرآنية : 40 .
(2) ظ: م.ن : 40 .
(3) ظ: القراءات القرآنية : 40 .
(4) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 328 .
(5) ظ: القراءات القرآنية : 41 .
(6) ظ: م.ن : 42-43 .
(7) في الأصوات اللغوية : 103 ، هامش رقم (188) .
(8) التقاء الساكنين : 141 . وينظر رأي ابن جني في كتاب الخصائص : 126/3 .
(9) م.ن : 141 .
(10) م. ن: 141 .

المرعشي في تفسير خفاء حروف المد : (وانما خفاء حروف المد فلسعة مخرجها) لا يزال بحاجة إلى بحث ينبني على التعرف على الخصائص الفيزيائية والسمعية لهذه الأصوات وهذا أمر لا نملك وسائل القيام به الآن"[1] .

لقد انتهى أستاذنا الدكتور غانم قدوري آل حمد إلى نتيجته السابقة بعد أن استبعد تفسير الخفاء بقلة الوضوح في السمع لانه "ينطبق على صوت الهاء دون حروف المد ، ومن ثم وجب البحث عن تفسير آخر لا يترتب عليه مثل هذا التناقض"[2] . ومع انتهائه إلى أن تلك الأصوات تشترك في كون مخارجها متسعة[3] إلا أنه بقي محتملاً لذلك بقصور يده عن الوسائل التي تمكنه من معرفة الخصائص (الفيزياوية) والسمعية لهذه الأصوات .

ولا نرى ثمة حاجة ماسة إلى معرفة الخصائص الفيزياوية والسمعية التي يسببها اتساع المخارج لأن القدماء لم يرجعوا إخفاء أصوات المد إلى خصائصها الطبيعية أو السمعية بل قصدوا إلى توضيح ظاهرة صوتية تعتري هذه الأصوات خاصة من دون غيرها .

وقد ابتدأ الدكتور عبد العزيز الصيغ لمعرفة مراد القدماء من مصطلح الخفاء بعرض المعنى اللغوي لتلك المفردة[4] ، وانتهى من ذلك إلى أنه يعطي معنيين هما : الخفاء والظهور لذلك فهو من الأضداد مستفيداً مما ورد في لسان العرب[5] . إلا إن الدكتور لم يستفد من هذا المعنى اللغوي في معنى اللفظ الاصطلاحي وليس من مسوَّغ نحمل عليه عمل الدكتور الصيغ سوى أنه ارتضى في منهجه أن يقدم المعنى اللغوي للمصطلحات أول الأمر سواء أكان مفيداً له أم غير مفيد في دراسته للمصطلح .

وانتقل الدكتور الصيغ بعد ذلك إلى المعنى الاصطلاحي فرأى أن معناه : "عدم وضوح الصوت لاتساع المخرج"[6] . وأحال على كتاب الرعاية الذي لم نجد فيه أصلاً لمثل هذا الكلام ! .

ومع ذلك فان في تعريف الدكتور الصيغ ملاحظة جديدة وهي إنه أدرك أن اتساع المخرج ليس من أسباب الخفاء وليس الخفاء نفسه ، لكنه رأى أن نتيجة اتساع المخرج هي عدم وضوح الصوت وهي نتيجة خاطئة ولا شك لأن القدماء - كما رأينا في كلام الدكتور صباح عطيوي – أدركوا أن الأصوات الصوائت من أشد الأصوات وضوحاً في السمع . وعلى تلك النتيجة راح الدكتور الصيغ يغلط النحاة في تسميتهم أصوات المد الثلاثة بـ (الخفية) لأنها ليست خفية أي غير واضحة في السمع[7] .

وللدكتور عبد القادر عبد الجليل – وإن لم يتعرض لمفهوم مصطلح الخفاء – رأي جدير بالاهتمام لأنه عرض مفهوم مصطلح الجلد المقابل مصطلح الخفاء ، فرأى أن القدماء أطلقوا هذا المصطلح "على صوت التاء لثباته على هيئة واحدة في جميع ما تصرف منه، قال المازني في صيغة افتعل من اتّعد واتاس،" فابدلوا مكانها (الواو والياء) حرفاً أجلد منهما . مخرجه من المخرج الذي بعده ليثبت على هيئة واحدة في جميع ما تصرف منه" .

نفهم من النص السابق ما ياتي :

1. إن التاء صوت أجلد لثباته على هيأة واحدة في الأفعال المبدؤة بالواو أو الياء في صيغة افتعل ومشتقاتها.
2. إن الصوت الاجلد هو الصوت الذي لا يزول ولا يبدل منه صوت علة .
3. إن أصوات العلة أصوات غير جلدة في " السياقات التي يحدث فيها التغيير والزوال"[8] .

لقد أدرك الدكتور عبد القادر عبد الجليل أن الصوت الجلد عند القدماء لا يكون إلا داخل المفردة – وان قصره على التاء في صيغة افتعل – وهو الصوت الثابت الذي لا يزول ، وهي رؤية صائبة نوعاً ما لأنها

---

[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 328 . ونص المرعشي الذي ذكره الدكتور غانم في كتاب جهد المقل : 134 .
[2] م.ن : 327 .
[3] م.ن: 327 –328 .
[4] ظ: المصطلح الصوتي ، للصيغ : 169 .
[5] ظ: اللسان : 234/14 (خفا) .
[6] المصطلح الصوتي ، للصيغ : 169 .
[7] ظ: المصطلح الصوتي ، للصيغ : 169-170 .
[8] المصطلح الصوتي ، د. عبد القادر : 129 . ونص المازني الذي ذكره د.عبد القادر في كتاب المنصف : 222/1 .

تنظر إلى قوة الصوت في داخل المفردة إلا إن الذي يضعفها هو قصر الدكتور عبد القادر ذلك المصطلح عند القدماء على صوت التاء في حين أن القدماء زادوا عليها أصواتاً سنذكرها في موضعها .

ولو عدنا إلى استعمالات اللغويين لمصطلح الخفاء والمداليل التي قصدوها منه لوجدناها منحصرة بتعامل الأصوات داخل التأليف فالهمس الصوت الخفي ، وكان مراد النحويين منه معرفة ما يؤثر من الأصوات بعضها في بعض داخل المفردة. والنون الساكنة المخفاة لا تحدث إلا بمجاورة بعض الأصوات التي لا تبقى منها إلا الغنة . وكذا الإخفاء الذي جعله سيبويه ضرباً من ضروب الإدغام فهو كالاختلاس ، ولا يحدث إلا في داخل التركيب أيضاً .

وعلى هذا تنتهي إلى أن تلك الظاهرة تحدث في الأصوات الصائتة وهي مؤتلفة في داخل المفردة ، يدلنا على ذلك قول مكي : "وإنما سميت بالخفية لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها ، إنما لفظها في هذا خفي بين حرفين ، أو بعد حرف ..."[1] . وهو ما ذكره أبو حيان في النكت[2] .

ننتقل بعد أن خلصنا إلى أن خفاء أصوات المد واللين والهاء لا يكون إلا في أثناء التقابل الصوتي إلى خطوة متقدمة بمعرفة درجات الخفاء في تلك الأصوات . أما الألف فقد صرح القدماء بأنها أخفى هذه الأصوات . وأما الهاء فهي أبداً خفية ولا تأتى جلدةً إلا بعد حركة أو ألف في آخر الكلمة قال المبرد : "والهاء تزاد لبيان الحركة ، ولخفاء الألف. فأما بيان الحركة فنحو قولك :ارمِه ، ﴿ وما أدراك ماهية ﴾ [3]، ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ [4]. وأما بعد الألف فقولك : يا صاحباه ، ويا حسرتاه" [5] .

والواو والياء فلا تكونان جلدتين إلا إذا جاءتا بعد ألف أو هاء . قال أبو جعفر النحاس في قراءة (فيهو هدى) لقوله تعالى : ﴿ فيه هدى ﴾ [6] " وزيدت الواو عند الخليل لان الهاء خفية فقويت بحرف جلد متباعد منها" [7] . وكذلك علل زيادة الواو في (يؤدهو) في قراءة (يؤدِّهو إليك) لقوله تعالى ﴿ يؤده إليك﴾ [8] .

وما عدا ذلك فالواو والياء خفيتان ، قال المبرد : "الجيم : وهي تبدل إن شئت مكان الياء المشددة في الوقف للبيان ، لأن الياء خفية ، وذلك قولك تميمج في تميمي ، وعلج في علي "[9] . وذكر ابن عطيه والقرطبي أن أصل اتخذتم في قوله تعالى : ﴿ قل أتخذتم عند الله عهداً ... ﴾ [10] " أإتخذ ، سهلت الهمزة الثانية لامتناع همزتين فجاء ايتخذتم فاضطربت الياء في التصريف جاءت ألفاً في يأتخذ ، وواو في متخذ فبدلت بحرف جلد من جنس ما بعدها وهي التاء أدغمت ثم اجتلبت ألف وصل للنطق ... " [11] .

وبذلك تكون الألف دائماً خفية تليها الهاء التي لا تكون جلدة إلا بعد ألف أو حركة تليهما الواو والياء اللتان تكونان جلدتين إذا جاءتا بعد غير الألف أو الهاء . وزاد بعض علماء العربية على تلك الأصوات النون[12] ، و قيل أن في الهمزة خفاء يسيراً[13] .

نفهم من كلام القرطبي السابق أن سبب إبدال الياء في (ايتخذتم) تاء لتصبح (اتخذتم) هو اضطرابها في التصريف فهي تأتي مرة ألفاً في ياتخذ ومرة واواً في موتخذ لذلك (بدلت بحرف جلد ثابت من جنس ما بعدها وهي التاء) وهذا يعني أن الصوت الجلد هو الصوت الثابت الذي لا يتغير . وذكرنا سابقاً أن سيبويه أبدل الخفي بالضعيف وهو أقرب إلى ضعف تلك الأصوات وهي مؤتلفة في المفردة[14] .

---

(1) الرعاية : 102 .
(2) ظ: النكت الحسان : 282 .
(3) القارعة / 10 .
(4) الأنعام /90 .
(5) المقتضب : 60/1 .
(6) البقرة /2 .
(7) إعراب القرآن ، للنحاس : 180/1 .
(8) آل عمران /75 .
(9) المقتضب : 65/1 .
(10) البقرة /8 .
(11) الجامع لأحكام القرآني : 396/1-397 . والنص بمعناه في المحرر الوجيز : 333/1.
(12) ظ: المقتضب : 227/1 . والرعاية : 103 . والنكت الحسان : 802 .
(13) ظ: الرعاية : 103 . والنكت الحسان : 282 .
(14) ظ: كتاب سيبويه : 356/2 –357 .

والذي يلاحظ على المواطن التي تأتي فيها تلك الأصوات خفية أنها تنحصر في واحدةٍ من قاعدتين ، أحداهما : أن يبدل الصوت الخفي بصوتٍ جلد ويأتي في مواضع مختلفة من المفردة . والأخرى : أن يقوى الصوت الخفي بصوت جلد ويقتصر على آخر المفردة عند الوقف .

ففي القاعدة الأولى يكون الصوت الخفي صعب النطق ويتطلب في أثناء نطقه تكلف أعضاء النطق وإجهادها . لذلك أبدل الصوت الخفي بصوت يقوى اللسان على نطقه .

أما في القاعدة الثانية فإن الصوت الخفي في آخر المفردة عرضةً للتغيير ولا سيما إذا جاء الوقف على تلك المفردة ، لذلك زيد لبيان الصوت الخفي والمحافظة على بقائه وسلامته من الحذف صوت جلد . ومن غير الصوت الجلد فمن الصعب على أعضاء النطق المحافظة على الصوت الخفي بلا تكلف وإجهاد .

من هذا يتبن لنا أن مفهوم الخفاء يدور في إطار الميل إلى السهولة والخفة في نطق الأصوات مؤتلفة فالأصوات الخفية هي أصوات مضطربة كثيرة التغيير يصعب على أعضاء النطق المحافظة على سلامتها من غير إجهاد أو تكلف .

وليس من الغلو إذا ما حاولنا أن نربط بين معنى الخفاء اللغوي ونظرتنا لمفهوم الخفاء عند القدماء، ذلك أن من معاني تلك الكلمة هو التستر ، جاء في اللسان : "أخفيت الشيء أي سترته ، ولقيته خفياً أي سراً"[1] و "الخفاء : الكساء، وكل شيء غطيت به شيئاً فهو خفاء..."[2] فالصوت الخفي هو الصوت المضطرب الدائم التستر وراء أصوات أخرى .

لقد علل القدماء سبب تسمية تلك الأصوات بالخفية بأنها أصوات اتسعت مخارجها فأصوات المد واللين تخرج من غير عائق "والهاء خفية تقارب مخرج الألف"[3] ، أما النون فهي "حرف اغن مضارع حروف المد واللين"[4] وسبب تلك المضارعة أنها تخرج من الخيشوم من غير عائق يعترضها وإن كانت تمر بالفم ثم ترجع إلى الخيشوم لتخرج منه .

أما سبب عد بعض القدماء الهمزة أن فيها بعض الخفاء فيمكن أن يوجه على أن الهمزة كثيرة التغيير مضطربة في داخل المفردة لا يعمل في إنتاجها اللسان ولا أي عضو من أعضاء الفم . ومع هذا فقد وصفها أغلب علماء العربية بأنها حرف جلد، ويمكن ان نوجه هذه الرؤية بأن الهمزة نبرة في الصدر تخرج بجهد وهي أشبه بالتهوّع .

ولعل السبب في امتياز الأصوات الخفية بأنها ذات مخارج متسعة هو أن ذلك الاتساع يصعب سيطرة أعضاء النطق على تلك الأصوات في أثناء إنتاجها فهي تنتج منسابة من الصدر إلى الخارج من غير عائق لذلك رأى الداني أنها تسمى بحروف اللين "لضعفها وخفائها"[5] .

نخلص من كل ذلك إلى أن مفهوم الخفاء عند القدماء – وإن لم يصرحوا به – مخالف لمفهومه عند المحدثين الذين لم يبعدوه عن الوضوح السمعي . أما القدماء فقد راموا منه الأصوات كثيرة التغيير داخل المفردة لاتساع مخارجها . بحيث يصعب التحكم فيها في أثناء إنتاجها مما يتطلب تغيرها طلباً للسهولة وتيسير النطق. فهي أصوات تخفى في اللفظ بحيث تستتر وراء أصوات أخرى أجلد وأقوى منها .

7-تقسيم الصفات :

استعمل أبو حيان الأندلسي في مصنفاته التي درس فيها الأصوات مفردة أكثر من منهج في تقسيم الصفات الصوتية ؛ فقد اتخذ في كتابيه غاية الإحسان ونكتها منهجين في تقسيم الصفات ، الأول : عام وصنف فيه الصفات بحسب الغرض فجعلها على نوعين ،أحدهما : صفات مؤثرة في الإدغام – وهي الأحوال النطقية للأصوات ، والآخر: صفات غير مؤثرة في الإدغام . وقد تأثر في ذلك مكياً وابن عصفور .

ورجحنا – على حداثة هذا التصنيف – أن أبا حيان متأثر صنيع مكي بن أبي طالب في كتابيه الرعاية والكشف وصنع ابن عصفور أيضاً .

---

[1] اللسان : 235/14 (خفا) .
[2] م.ن : 236/14 (خفا) .
[3] المقتضب : 155/1 .
[4] م.ن : 263/1 .
[5] التحديد : 109 .

أما التقسيم الاخر للصفات عند أبي حيان في ذينك الكتابين فخصصه بالصفات المؤثرة في الإدغام حيث جعلها على صنفين أحدهما : صفات لها ضد ، والاخر : صفات لم يستعمل لها ضد . فقال : "ومنها ألقاب الحروف لاضدادها ألقاب مضادة لتلك الألقاب وألقاب لم يستعمل لها ضد ، إلا انك تتبين الضد بنفي ذلك اللقب "[1] .

وإشارة أبي حيان إلى ان لألقاب بعض الصفات ألقاباً مضادة ، كان قد أشار إليها الشاطبي في قصيدته بقوله[2] :

- وجهرٍ ورخوٍ وانفتاحٍ صفاتها ومستفلٍ فاجمع بالأضداد أشملا

وشرح شعلة قول الشاطبي بانه "لما تبين المخارج ذكر صفات الحروف وهي الجهارة والرخاوة والانفتاح والاستفال ، واضدادها : الهمس والشدة والإطباق والاستعلاء . ومعنى (فاجمع بالاضداد أشملا) اجمع بمعرفة الأضداد شمل جميع الحروف لان جميعها تنقسم إلى كل ضدين من الأضداد الثمانية "[3] .

أما متقدمو علماء العربية فقد أدركوا حقيقة المصطلح من غير الإشارة إليه ، فسيبويه في كتابه يكتفي في موضع دراسته للصفات بذكر الصفات المتضادة وهي (الجهر والهمس، والشدة والرخاوة ، والإطباق والانفتاح) . أما الصفات الأخرى فذكرها متناثرة في كتابه .

ويلاحظ من دراسة سيبويه للصفات إنه استعمل منهجاً طريفاً في دراسة صفات (الشدة والرخاوة وما بينهما) لم يلتفت إليه الدارسون . فبعد أن أتم الحديث على الأصوات الشديدة والرخوة انتقل إلى التعريف بأصوات ثمانية هي (العين ، واللام ، والنون ، والميم ، والراء ، والواو والألف والياء) . وقد وصفها بصفاتها التي ليس لها ضد ما عدا العين التي ذكرها في آخر حديثه على الأصوات الرخوة ووصفها بأنها "بين الرخوة والشديدة "[4] . وهذا يعني أن سيبويه يصف صفات تلك الأصوات في موضع ذكره لها في الأصوات المتوسطة . وسار على ذلك المبرد[5] وابن السراج[6] .

إلا ان ابن جني اتخذ منهجاً جديداً وهو إنه لم يدرج في الصفة المتوسطة صفات جميع الأصوات المنتسبة إلى التوسط بل اكتفى بذكر تلك الأصوات فقط ثم عرض لصفات الأصوات المتوسطة الأخرى والتي ليس لها ضد في موضع متأخر[7] . وشاع هذا التصنيف عند علماء العربية جميعاً .

وقد ذهب أحد المحدثين إلى أن مبحث دراسة الصفات عند سيبويه "لم يكن منه حديثٌ عن الصفات التي لها أضداد ، والصفات التي ليس لها أضداد "[8] . وذهب أيضا إلى أن ابن جني "مهد للفرق بين الصفات التي لها أضداد والصفات الاخرى التي ليس لها أضداد حين جعل انقسامات الحروف من حيث الصفات مجموعة على شكل ثنائيات كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والإطباق والانفتاح والاستعلاء والانخفاض"[9]. وقد ردّ الدكتور الصيّغ هذا الكلام[10] .

أما الرأي الثاني فرد الدكتور الصيغ عليه بقوله : " ولا أدري كيف يستقيم ذلك ، ولا يختلف اثنان على أن هذا الذي ذكره من أنه صنيع إبن جني هو ما فعله سيبويه ، ويتميز ابن جني في تفصيله في مسائل صوتية أخرى أما موضوع الصفات فان أبن جني لا يكاد يحيد عن سيبويه"[11] .

ونحن مع الصيغ في ما ذهب إليه إلا اننا نخالفه في أن ما ذكره ابن جني هو ما ذكره سيبويه ذلك لان ابن جني خالف سيبويه في المنهج حيث جمع جميع ما رام الحديث عليه من صفات متضادة وغير متضادة في

---

[1] النكت الحسان : 278 .
[2] حرز الأماني : 179 .
[3] كنز المعاني : 1185 –1186 .
[4] كتاب سيبويه : 406/2 .
[5] ظ: المقتضب: 196/1 .
[6] ظ: الأصول : 403/3 .
[7] ظ: سر صناعة الاعراب : 61/1 .
[8] مبادئ اللسانيات : 80-81 .
[9] م.ن: 81 .
[10] ظ: الأصوات عند سيبويه : 84 .
[11] م.ن : 84 .

موضوع الصفات أما سيبويه فقصر الحديث على (الجهر والهمس ، والشدة والرخاوة وما بينهما ، والإطباق والانفتاح) أما الاستعلاء والاستفال فذكره في غير موضعه .

ويختلف الاثنان أيضاً في أن سيبويه – كما ذكرنا – ذكر في أثناء عرض الأصوات المتوسطة صفاتها غير المتضادة في حين ذكر ابن جني الأصوات الثمانية من غير أن يذكر صفاتها غير المتضادة . ثم ذكر تلك الصفات بعد استيفاء كلامه على الصفات المتضادة ولم يستعمل مصطلح الصفات المتضادة عالم قبل الشاطبي بحسب ما نعلم . ولعل إشارته جاءت توخياً للإيجاز الذي يتطلبه النظم .

وإذا ما عدنا إلى الملاحظة الثانية التي ذكرها أبو حيان في نكته وهي أن لبعض الصفات ألقابا "لم يستعمل لها ضد ، إلا انك تتبين الضد بنفي ذلك اللقب لوجدنا أول من يشير إلى ذلك ابن الحاجب الذي استشهد على ذلك بقوله : "كما تقول : ما عدا الراء من الحروف ليس بمكرر وليس لها لقب باعتبار نفي التكرار "[1] . ولا شك في أن ابن الحاجب قد استوحى رأيه في الصفات غير المتضادة من الشاطبي إذ انه أول من أشار إلى فكرة الصفات المتضادة ولم يستعمل أبو حيان غير تقسيم الصفات بحسب المتضادة منها وغير المتضادة في كتابيه شرح التسهيل والارتشاف . لكننا نجده في الارتشاف يضيف على ذلك توزيع الأصوات إلى مجهورة شديدة ، ومجهورة رخوة ، ومهموسة شديدة ، ومهموسة رخوة ، أما المتوسطة فمجهورة أبداً[2] . وهذا التقسيم لم يستعمله القدماء إلا قلالٌ – بحسب ما نعلم – كابن كيسان ، الذي ورد له نص في لسان العرب لابن منظور قال فيه : "قد يكون المجهور شديداً ويكون رخواً ، والمهموس كذلك "[3] ونحن لا نستبعد استفادة أبي حيان من نص إبن كيسان السابق، لا سيما إذا علمنا أنه قد اطلع على لسان العرب أي اطلاع حتى كتب فيه قصائد ومقطعات شعرية عديدة[4] .

ومن هؤلاء أيضا إبن دريد إذ قال : "أعلم أن هذه الحروف ربما كانت مهموسة رخوة وفيها بعض ما في غيرها ..."[5] . أما ابن الحاجب فله في ذلك تقسيم يقترب منه صنيع أبي حيان في الارتشاف أيما اقتراب[6] . ولعله استفاد من صنيع ابن الحاجب أيضاً في ذلك .

ولعل الغرض من ذلك التقسيم هو معرفة الصوت القوي من الضعيف فكلما اجتمع أو ازدادت صفات القوة في صوت قوي ذلك الصوت على غيره في أثناء تألف الأصوات في داخل المفردة ، قال مكي بعد ذكره لصفات القوة : "فبهذه الصفات يقوى الحرف وبعدمها يضعف ، وكلما تكررت فيه الصفة القوية كان أقوى للحرف ، وكذلك إذا تكررت في الحرف الصفة الضعيفة كان أضعف. ومن الحروف ما يلزمه صفة قوية وصفة ضعيفة . وربما لزمه صفتان قويتان وثلاث وأربع كالصاد التي هي مجهورة مطبقة مستعلية مستطيلة مفخمة ، وكالطاء التي هي مجهورة شديدة مطبقة مستعلية . وربما لزمت الحرف صفتان ضعيفتان وصفة قوية كالسين التي هي مهموسة رخوة ، وفيها صفير"[7] .

8- منهج دراسة الصفات :

تشكل الصفات الصوتية عاملاً أساسيا في تكوين الصوت اللغوي وتميزه من سائر الأصوات الأخرى، فلا يمكن أن يتم الصوت اللغوي بالاقتصار على المخرج ولا بالاقتصار على الصفات من تحديد نقطة ولادته ، لذلك كان من اللازم في تكوين الصوت اللغوي وجود نقطة مكانية يولد فيها هذا الصوت ووجود أكثر من ظاهرة نوعية ترافق ولادته .

لقد أدرك علماء العربية هذه الحقيقة كما لاحظنا ، إلا انهم اختلفوا في طريقة العرض فمنهم من يقدم دراسة المخارج على دراسة الصفات وهو المذهب السائد عند علماء العربية ، ومنهم من يقدم دراسة الصفات

---

[1] الإيضاح في شرح المفصل : 485/2 .
[2] ظ: الارتشاف : 10/1 .
[3] لسان العرب : 13/1 .
[4] ظ: ديوان أبي حيان الأندلسي : 120-121 و122 و 129 – 132 .
[5] جمهرة اللغة : 8/1 .
[6] ظ: الإيضاح في شرح المفصل : 487/2 .
[7] الكشف : 138/1 .

على دراسة المخارج ولا نجده إلا عند قليل من علماء العربية . وعلى المذهب الأول سار أبو حيان فجاء بدراسة الصفات بعد أن أتم حديثه على المخارج في جميع مصنفاته .

لقد اتبع علماء العربية - سوى بعض علماء التجويد - المنهج الذي يفرق بين دراسة المخارج ودراسة الصفات في مصنفاتهم ، وهو عمل نظري لا نجد له واقعاً تطبيقياً لذلك لم يفصل بينهما المحدثون في دراساتهم الصوتية يقول الدكتور عبد الصبور شاهين في تقسيم سيبويه للمخارج "إن تقسيم سيبويه لها قائم على أساس الفصل بين المخرج والصفة على حين مضى اللغويون المحدثون إلى عدم الفصل بينهما باعتبار الصوت وحدة متكاملة"[1] . وعلل الدكتور الصيغ سبب فصل سيبويه بين دراسة المخرج ودراسة الصفة بأنها "مسألة يقتضيها الدرس والتحليل وليس يعني ذلك أن الفصل قائم على نظرة تجعلهما متغايرين وإنما هما ركيزتان يقوم على أساسهما الصوت ، فالصوت مخرج وصفة"[2] .

وبأنعام النظر في دراسات القدماء للأصوات المفردة والغرض من دراستها يمكن أن نقع على تلك المسألة التي يقتضيها الدرس والتحليل . فالمخارج ما هي إلا نقاط تحدد فيها ولادة الصوت اللغوي وهي متسلسلة العمق في الجهاز الصوتي، يتبين من ذلك أن تصنيف الأصوات بحسب مخارجها يعرفنا مدى تقارب الأصوات بعضها من بعض مما يجعلنا ندرك سبب عدم تلاؤم بعض الأدوات مع بعض داخل المفردة أو بالعكس . فالأصوات التي هي من مخرج واحد لا يمكن أن تجتمع في كلمة واحدة . وفي دراسة الإدغام عند علماء العربية ملمح بارز لما نذهب إليه فعندما صنفوا الاصوات ابتدءوا بما يمكن أن تدغم فيه الأصوات الحلقية فاللسانية وهكذا . ولو أعدنا النظر في تصنيف المخارج على أصول ثلاثة أو أربعة لاتضح لنا الأمر بصورة أكثر .

أما أثر الصفات فواضح من حيث إنها توضح لنا أسباب أثر بعض الأصوات في بعض فنجد الأصوات المجهورة الشديدة تؤثر في الأصوات المهموسة الرخوة فتغيرها ، وهكذا .

لقد كان لقضية الدراسة والتحليل دافع بارز وراء فصل القدماء بين دراسة المخارج والصفات فالغرض من دراسة الأصوات مفردة معرفة قوانين تألفها في داخل المفردة والتركيب وقد لا حظ القدماء أن الذي يحكم تلك القوانين هو المخرج الصوتي والصفة لذا كان مما لا بد منه التفصيل في الحديث على كل واحدة منهما وتبيين أثرها في تألف الأصوات مفردة .

---

[1] العربية الفصحى : 5 (مقدمة المترجم) . وقد نسبه الدكتور الصيغ إلى المستشرق هنري فلش وهو وهم ، ظ: الأصوات عند سيبويه : 82 .

[2] الأصوات عند سيبويه : 83 .

الفصل الثاني
مخارج الاصوات

اولاً : مخارج الأصوات الصوائت و الواو والياء الاحتكاكيتين :

سنحاول في هذا الموضع الإجابة على مجموعة أسئلة توضح لنا بعض الإشكالات التي يمكن أن ترد على توزيع أبي حيان الأصوات بحسب مخارجها، وهي:

1- ما مخارج الأصوات الصوائت الطوال عند أبي حيان؟
2- ما موقفه من مخارج الحركات القصار؟.
3- في أي نقطة يولد صوتا الواو والياء غير المديين؟ وهل فرّق أبو حيان بينهما وبين مخارج الأصوات المدية؟.

أ-مخارج الصوائت الطوال :

جعل أبو حيان أصوات المد واللين (الصوائت الطوال) في ثلاثة مخارج على ما يأتي:

1- الألف: قال أبو حيان: "أقصى الحلق: وهو للهمزة والهاء والألف على رتبة واحدة.. خلافاً لأبي الحسن شريح في زعمه أنّ الألف هوائية لا مخرج لها فحروف الحلق عنده ستة، وقد روي هذا عن الخليل"[1].

[1] الارتشاف: 5/1. وذهب إلى ذلك في كتاب النكت الحسان 275-276.

2- الياء: وهي عنده مع الجيم والشين "من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك. خلافاً للخليل في الياء إذ زعم أنها هوائية لا مخرج لها كالألف.."[2].
3- الواو: وهي عنده مع الباء والميم " ممّا بين الشفتين فتنطبقان مع الباء والميم لا في الواو. خلافاً للخليل في الواو إذ هي عنده هوائية لا مخرج لها..؟[3].

ولا خلاف في أنّ أبا حيان قصد بمخرج الألف المخرج التقديري أما الياء والواو، فنذهب إلى أنه يراها على نوعين: كلاهما متحدان في الهيأة التي تتخذها أعضاء النطق عند صدور الصوت. وهو ما تابع فيه سيبويه[4] ومتابعيه[5] مع فارق بسيط بين أبي حيان وهؤلاء في الواو والياء، وسيأتي توضيح ذلك .
ويعلل الجعبري جعْل سيبويه ومتابعيه الألف من مخرج الهمزة لـ (أنّ مبتدأه مبدأ الحلق، ثم يمتد ويمر على الكل، ومن ثم نُسبَ إلى كلّ مخرج وخصّه دون أُختيه للزومه. وهذا معنى قول مكي: لكن الألف حرف يهوي في الفم حتى ينقطع مخرجه في الحلق. وقول الداني: لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم، وعلى هذا يدل جعل الشاطبي وغيره الألف حلقيا"[1]. وهذا حال الواو والياء عند سيبويه ومتابعيه، فهما يهويان من مخرجيهما في الفم حتى يتصلا بالألف.

وأصل المخارج التقديرية نجدها عند الخليل، إذ قال: "أما الحروف العربية فثمانية وعشرون أصلاً، ولها ستة عشر حيزاً، فمنها ما اتفق مبدؤها وأختلف مجراها مثل: الجيم مع الياء، والواو مع الياء، والألف مع الهاء. ولبدوّ الياء والواو من الجوف سمّيتْ جوفاً.."[2] أي إنّ هذه الأصوات تتفق في بداية خروجها من الجوف لكنّ مجاريها تختلف باختلاف هيأة أعضاء النطق التي تتخذها مع إنتاج كل صوت مد ولين ليمتاز به من غيره، لذلك قال: (مثل: الجيم مع الياء، والواو مع الباء، والألف مع الهاء).

أما أبو حيان فإنه يرفضُ أن تكون الياء والواو هوائية أو جوفية، لأنّ الأولى تصدر من وسط اللسان ووسط الحنك، والثانية من الشفة. ولعلّ سبب رفض أبي حيان هذا هو ما رآه من إمكانية النطف بذينك الصوتين مسبوقين بالفتحة، ولما فهمه من قول سيبويه أنّ الياء من وسط اللسان ووسط الحنك، والواو شفوية.
ونرى أنّ أبا حيان لم يكن موفقاً في مذهبه هذا، وأنّ سيبويه –وإنْ أشار إلى أن الواو والياء غير المديتين تخرجان من مخارج الصوامت- ذكر في بعض المواضع من كتابه أن أصوات (المد واللين ذوات مخارج متسعة)[3]، وقد ذكر ابن جني والقرطبي أيضاً أن تذوق أصوات المد واللين يكون بسبقها همزة وصل متحركة بما يجانس صوت المد الذي يعقبها وقد تابعا سيبويه في ذلك كما مرّ ذكره. زيادة على أننا لو نظرنا إلى ما تشمله صفتا الشدة والرخاوة من أصوات عند سيبويه لما وجدنا أصوات المد واللين فيها[4]، وهذا دليل على أن أصوات المد واللين ذوات مخارج مقدرة عنده.

نخلص من ذلك إلى:
1- إنّ ما ذُهبَ إليه من أنّ سيبويه ومشابهيه قصدوا بالواو الشفوية والياء اللسانية ما تقصده الدراسات الحديثة (أي إنهما صوتان غير مديين)[4]، ليس بالمذهب الصائب لما ذكرناه سابقاً. فسيبويه لم يقصد بهذين الصوتين سوى كونهما جوفيين هوائيين وما نسبة الواو إلى الشفة والياء إلى اللسان إلاّ تقديراً.

---

[2] م. ن: 6/1
[3] م. ن: 7/1. و ذهب إلى ذلك في كتاب النكت الحسان: 277. ونقل السيوطي هذا النص بالمعنى ونسبه إلى أبي حيان ونظنه من كتاب شرح السهيل، ظ: الهمع: 293/6.
[4] ظ: كتاب سيبويه: 405/20.
[5] ظ: الأصول: 400/3. وسر صناعة الاعراب: 1/ والتجديد: 106. والموضح في التجويد: 79.
[1] لطائف الإشارات: 190/1.
[2] تذكرة النحاة: 29.
[3] ظ: كتاب سيبويه: 285/2 و406.
[4] ظ: م.ن: 406/2.
[4] ظ: التغييرات الصوتية في لهجة بغداد:61 . والواو في العربية: 13-14. والدرس الصوتي عند أبي عمر والداني: 55 و64.

2- إنّ أبا حيان قصد ما قصده سيبويه في مخرج الياء والواو، إلاّ أنّه غلط في فهمه لمراد سيبويه على الياء التي تخرج من وسط اللسان ووسط الحنك، والواو التي تخرج من الشفة. فراح ينفي كونهما جوفيين أو هوائيين.

وإذا كان مراد أبي حيان من الألف في أقصى الحلق والياء في وسط اللسان.. والواو في الشفة أنها أصوات صوائت طوال على أساس كونها وحدات صوتية أساسية، فهل أقصى الحلق ووسط اللسان والشفة هي الأعضاء الوحدية في إنتاج تلك الأصوات؟

يمثل المحدثون أجزاء اللسان التي تساهم في إنتاج الصوائت بالمخطط الآتي[1]:

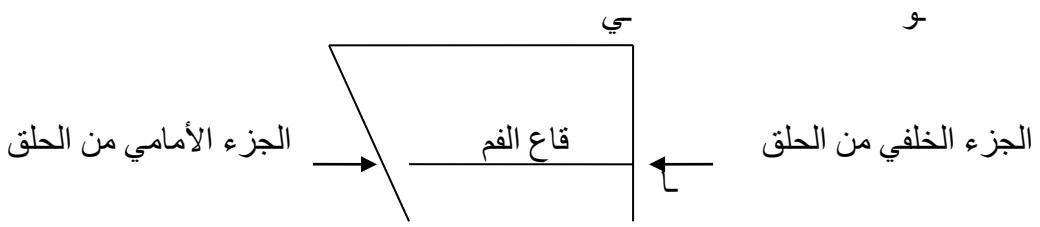

فالياء الصانت الطويل تكون بارتفاع وسط اللسان الى أقصى حالة ممكنة من الارتفاع من غير أن يزيد ذلك الارتفاع إلى درجة الاحتكاك، ومعه تنسحب الشفتان إلى الخلف.

ويتم إنتاج الواو الصائت الطويل بارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك الرخو من غير أن يحدث معه احتكاكا مع ضمّ الشفتين (استدارتهما)[*].

أما الألف فيستلقي اللسان معه في قاع الفم، وإنتاج الشفتين بشكل اعتيادي[2].

هذا يعني أن عملية إنتاج كل صائت تكون بأكثر من عضو من أعضاء الجهاز النطقي. ومع تمايز تلك الأوضاع لا تعوق خروج الهواء الذي تهتز معه الأوتار الصوتية عند النطق بتلك الأصوات.

ولما نظر القدماء إلى أقرب عضو من لحظة إنتاج الصوت وتمايزه من غيره سواء أكان ذلك الاقتران محققاً أم مقدراً يصبح واضحاً لدينا سبب ذهابهم إلى وصف مخرج كل صوت صائت بالعضو الذي يكون له الاثر الظاهر في إنتاجه، وقد أشار إلى ذلك الدكتور حسام النعيمي بقوله: "إن علماء العربية ألفوا الإشارة إلى موضع واحد عند كلامهم على مخارج الحروف هو الموضع الأظهر.."[1].

ب- مخارج الصوائت القصار :

بينا سابقاً أن القدماء حين صنفوا الأصوات على مخارجها راعوا وظيفة الصوت في ذلك التصنيف، فما لم تكن له وظيفة أقصوه عن نظامهم هذا. ولا ينكر أحد ما للحركات (الصوائت القصار) من وظيفة (فونيمية) في تغيير المعاني الأساسية للكلمات. وهي بذلك تحمل وظيفة كوظيفة الفوينمات أي الوحدات الصوتية الصامتة. فالكلمات (جَنّة، وجُنّة، وجِنّة) تختلف ولادتها الواحدة عن الأخرى باختلاف حركة الجيم[2]. وهذا يعني أن هناك نوعين من الصوائت لكل نوع منهما وظيفة:

---

[1] ظ: مناهج البحث في اللغة: 138. وأصوات العربية بين التحول والثبات: 20.

[*] لا ينتج صوت الواو –كما يرى أستاذنا الدكتور صباح السالم- إلا في مجرى صوتي طويل مستدير شبيه بالأنبوب ولذلك نجد صوت الحيوانات طويلة الخطم كالكلاب والذئاب وبنات آوى يغلب عليها صوت الواو في نباحها وعوائها.

[2] ظ: المصوتات عند علماء العربية: 412-413.

[1] أصوات العربية بين التحول والثبات: 22.

[2] ظ: الفوينم بين ا لنحو العربي القديم وعلم اللغة الحديث: 81.

النوع الأول: صوائت لها قابلية تغيير المعنى الأساس للكلمة وهي الصوائت القصار.
النوع الآخر هو: صوائت تزيد أو تحوّر المعنى الأساس وهي الصوائت الطوال.
وكلا النوعين زائد على جذر الكلمة.

فإذا كانت الحركات (الصوائت القصار) هي فوينمات أو وحدات صوتية أساسية، فهل التفت القدماء إلى طبيعة جدوتها؟ وهي أدخلوها في تصنيف الأصوات؟. فإن كان الأمر كذلك فأين محلها من تصنيفهم المخرجي للوحدات الصوتي؟

نصّ أبو حيان على أن المتحرك: "هو الناشئ عن مد الصوت به حرف مد ولين. فالحركات أبعاض حروف العلة، ولذلك سمّاها القدماء الحروف الصغار"[3].

وأشار في مواضع من مصنفاته إلى أن الكسرة مناسبة لليـاء والضمـة مناسبـة للواو والفتحة مناسبة للألف[1]. وأشار أيضاً إلى أن الإشباع الحركي بابه الضرورة الشعرية[2]. وكان كثيراً ما يوجه القراءات القرآنية بأنها من قبيل الإشباع الحركي[3].

ومذهب أبي حيان هذا شائع عند جمهور القدماء[4]، ابتداء بالخليل الذي نفهم من طيّات كلامه أن الحركات هوائية لا مستقر لها، إذ قال: "والألف حرف هوائي لا مستقر له فأشبه الحركة فاستحالت حركته..."[5] ويتبين المبرد ذلك بقوله: "والضمة مستقلة في الواو، لأنها من مخرجها وهما جميعاً من أقل المخارج حروفاً" [6] وقال أيضاً: "والفتحة من مخرج الألف.."[7] ونقول بناءً على ما ذكر أن الكسرة عنده من مخرج الياء.

وقد ذكر ابن جماعة سبب تسكين الحرف عند تذوقه، في قوله: "وإنما تسكن لأنه لو حرّك لأمتزج مخرجه مخرج الحركة وهو مخرج الألف أو الواو أو الياء بحسب الفتحة والضمة والكسرة[8].

---

[3] تذكرة النحاة: 62.

[1] ظ: البحر المحيط: 372/1 و64/2 و184/3 و49/4-50 و389/5 و260/6 و292/7.
[2] ظ: م. ن: 75/3 و389/4 و432/5-433 و416/6.
[3] ظ: البحر ا لمحيط: 329/4 و302/5 و342/5-343.
[4] ظ: المحتسب: 258/1-259. والكشاف: 122/2 والتبيان، للعكبري: 594/1.
[5] اعراب النحاس: 277/1 ونسب هذا الرأي إلى الخليل أيضاً في: 255/5.
[6] المقتضب : 1/ 92 .
[7] م.ن : 155/1 .
[8] حاشية الجاربردي ، لابن جماعة ، ضمن مجموعة الشافية : 1/ 334

ومما لاشك فيه أنّ الذي ذكره المبرد من أن الصوائت القصار من مخارج الصوائت الطوال، هو الذي يذهب إليه النحاة جميعهم ولاسيما الذين ذكروا أن الصوائت القصار أو الحركات أبعاض حروف المد واللين، قال السيرافي في تعليقه على قول الخليل: "أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن ليوصل إلى التكلم به، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو، فكل واحد شيء مما ذكرت لك"[1]. قال السيرافي: "قوله فالفتحة من الألف الخ. يعني أن الفتحة تزاد على الحرف ومخرجها من مخرج الألف وكذلك الكسرة من مخرج الياء والضمة من مخرج الواو. وقال بعضهم: الفتحة جزء من الألف وهكذا. بدليل أنا متى أشبعنا الضمة مثلاً صارت واواً في مثل قولنا: زيدو. وبدليل أن س لما ذكر الألف والواو والياء قال لأن الكلام لا يخلو منهن أو من بعضهما"[2]. ورأى أبو علي الفارسي في سبب قولهم: (قرأ – يقرأُ، وجأَ- يجأُ): لأنهم "اتبعوا الهمزة وأخواتها ما جانسها من الحركات وما كان من حيزها وهي الفتحة ولم يفعلوا ذلك مع الحروف المرتفعة عن الحلق حيث يقربن من الفتحة قرب الحلقية منها..؟[3]. وذهب ابن جني في علة عدم تقريب الكسرة والواو من الألف إلى: "أن الفتحة اول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة. فإذا بدأت بالفتحة وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو، فجاز أن تشمها شيئاً من الكسرة أو الضمة لتطرقها إياها. ولو تكلفت أن تشم الكسرة أو الضمة، رائحة من الألف لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق، فكان ذلك انتقاص عادة الصوت بتراجعه إلى ورائه، وتركه يتقدم إلى صدر الفم والنفوذ بين الشفتين.."[4].

وندعم ذلك بما يراه القدماء في سبب فتح عين أغلب الأفعال الماضية والمضارعة لكون عينها أو لامها أحد أصوات الحلق[5].

فالتجانس بين الفتحة والأصوات الحلقية ناتج من كون الفتحة –على ما يرونه- ناشئة من مخرج الألف

التقديري وهو أقصى الحلق. وذلك التجانس كان من الظواهر الشائعة في اللغات السامية كما أثبتته الدراسات المقارنة[1].والذي نرجحه هو إنّ القدماء اكتفوا في توزيع الأصوات على مخارجها بذكر مخارج أصوات المد واللين، مشيرين بها إلى مخارج الحركات (الصوائت القصار)، لكونها من جنس الصوائت الطوال ولأنها أصل لها. وإذا اتضح لنا مراد النحاة من مخارج الصوائت بنوعيها فهل يمكننا أن نعرف الكمية التي تشغلها رموز الصوائت القصار والطوال عندهم؟.

يعيننا في الجواب على السؤال السابق توجيه علماء العربية لبعض ظواهر التقصير الحركي في الآي القرآني والقراءات القرآنية.

1- وجه علماء العربية قراءة ابن عامر وغيره، (يا أبتَ)، فتح التاء في قوله تعالى[2](وإذ قال يوسف يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)، بأن القارئ "أراد يا أبتا، فحذف الألف

---

[1]) كتاب سيبويه: 315/2.
(2) تقريرات زيد من شرح أبي سعيد السيرافي ضمن حاشية كتاب سيبويه: 2:315.
(3) الحجة، لأبي علي الفارسي: 70/1.
(4) سر صناعة الاعراب: 54/1.
(5)م.ن: 54/1.

[1] ظ: فقه العربية المقارن، د. البعلبكي: 42.
[2] من (يوسف/4).

تخفيفاً.."[3]. ووجهها أبو حيان بقوله: "ووجه الاقتصار على التاء المفتوحة، أنه اجتزأ بالفتحة عن الألف التي هي بدل من الياء.."[4].

2- وجه علماء العربية قراءة (كيدونِ)، بكسر النون في قوله تعالى[5]: (.. قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) بأن أَلها: كيدوني، والياء محذوفة[6]. ووجهها أبو حيان بقوله: "اجتزاءً بالكسرة عنها"[7].

3- وقد وجهوا قراءة: (أُمِّ)، بكسر الميم في قوله تعالى[8]: (قال ابن أمِّ..) بأنها على طرح أو حذف ياء الإضافة[9]. وقد ذهب أبو حيان إلى أنه "اجتزيء بالكسر كما اجتزؤا بالفتحة عن الألف المنقلبة عن ياء المتكلم"[10].

4- وقد يستعمل أبو حيان بدل الاجتزاء تعبيراً آخر يدل عليه قال في علة كسر راء (المقتر) في قوله تعالى[1] (وأطعموا القانع والمقتر..) ، "أراد المقتري، لكنه حذف الياء خفيفاً واستغناء بالكسرة عنها"[2].

واستعمال أبي حيان تعبيري (الاجتزاء) و(الاستغناء) تعليلاً لتقصير الصائت الطويل شائع عند القدماء.

وقد استعمل بعض القدماء، كالعكبري، تعبير (الاكتفاء) بدلاً من (الاستغناء) أو (الاجتزاء) دلالة على تقصير الصائت الطويل[3]. ونرى أن استعمال لفظتي (الاكتفاء) و(الاجتزاء) استعمال صحيح. أما استعمال لفظة (الاستغناء) فعني قصور لأن هذه اللفظة تدل على إلغاء الأصل وحلول آخر محله.

والذي نريد قوله هو: أن القدماء حين قيدوا أصوات المد واللين بـ (الألف المسبوقة بالفتحة، والواو المسبوقة بالضمة، والياء المسبوقة بالكسرة) قصدوا أن تلك الأصوات زمنها النطقي منضم بين رمز الصوت ورمز الحركة التي تجانسه، وهذا ما تفهمه من كلام أبن جني على الحركات في أكثر من موضع في سر صناعة الاعراب:

1- قال في أثناء حديثه على علة قلب الياء الساكنة المسبوقة بالضمة واواً، وعلى قلب الواو الساكنة المسبوقة بكسرة ياءً: "وإنما قلبت هذه الحروف بعد هذه الحركات لأنك إذا بدأت بالكسرة فقد جئت ببعض الياء وآذنت بتمامها، فإذا تراجعت منها إلى الواو فقد نقصت أوله قولك بآخره، وخالفت بين طرفيه، وكذلك إذا بدأت بالضمة ثم جئت بعدها بالياء.."[4].

2- وقال على أنواع الصوامت المتحركة: ".. فالمتحرك إذن ثلاثة أضرب: مفتوح ومكسور ومضموم. فالمفتوح هو الذي إذا أشبعت قولته حدثت عنها ألف. ضاد (ضَرب)، لك أن تشبع الفتحة فتقول: (ضارب).."[5] وكذا الحال مع المكسور والمضموم.

---

[3] المحتسب: 323/1. وظ: معاني القرآن، للقراء: 32/2. واعراب القرآن، للنحاس: 311/2 . والتبيان، للعكبري: 721/2.
[4] البحر ا لمحيط: 279/5.
[5] الأعراف: 156.
[6] اعراب القرآن، للنحاس: 2 /169 .
[7] البحر المحيط: 4:446.
[8] من الأعراف/ 150.
[9] ظ: معاني القرآن، للفراء: 394/1. والكشاف: 161/2. والتبيان، للعكبري: 596/1.
[10] البحر المحيط: 396/4. وذهب إلى ذلك في النهر الماد، في حاشية البحر المحيط: 395/4.

[1] من الحج: 136.
[2] البحر المحيط: 6:370.
[3] التبيان للعكبري/ 714/2.
[4] سر الصناعة: 19/1.
[5] م.ن: 1:27.

3- وقال على لسان سائل مفترضٍ: "فإن قلتُ: ما تنكر أن تكون الحركة تحدث مع الحرف المتحرك البتة ثم تأتي بقية حرف اللين التي هي مكملتة للحركة حرفاً، مستأنفة بعد الحركة التي حدثت مع الحرف البتة.. ونظير هذا: رجلٌ له عشرون غلاماً ، فقدم ومعه منهم عشرة، ثم وافى بعد استقراره بمن وافى في جملته من غلمانه بقيتهم، فليس نأخر منهم بموجب تأخر من تقدم منهم.."[1]. ثم أجاب بقوله: "إن هذا التمثيل إنما يصح فيما أمكن تقطعه وتجزؤه، لأنه قد يمكن أن يحضر بعض الغلمان مع مالكهم ويغيب بعض. فإما من اتصلت أجزاؤه وتتابعت وتوالت شيئاً فشيئاً، ولم يمكن قطعها ثم العود إلى تمامها فمحال أن يكون له حكم إلاّ وهو مشتمل عليه، وذلك حكم حرف المد الذي يحدث عن تمكين الحركة ومطلها واستطالتها.."[2].

يتبين لنا من نصوص ابن جني والنصوص التي قبلها أن القدماء قسّموا الزمن النطقي للصوائت الطوال بين رمز الحركة ورمز الصوت الذي هو من جنسها.

ولعل المناصفة الزمنية في رمز الصوت الصائت الطويل كانت بسبب نظرة القدماء للأصوات داخ البنية فالفتحة ملازمة أبداً للألف داخ البناء، والضمة ملازمة للواو المدية، والكسرة ملازمة الياء المدية.

نخلص من ذلك إلى:

1- إنّ القدماء أدركوا مخارج الحركات القصار ، من خلال ما يأتي:
   أ- ما ذكرناه من كلام المبرد وابن جني السابق.
   ب- ما ذكره القدماء من أن الحركات منها أصوات المد واللين.
   ج- لإثارتهم إلى أن الحركات من جنس أصوات المد واللين.
   د- لما ذكروه من أن الحركات من الممكن أن تشبع فتصير أصوات مد ولين. وإن أصوات المد واللين يمكن أن تحذف ويجتزأ عنها بالحركات التي هي من جنسها قبلها.

2- إنّ رموز أصوات المد واللين عند علماء العربية رموزٌ مركبة من: (رمز الحركة، ورمز الصوت الذي امتد منها).
   فالألف: صوت مد ولين، ورمزه/ سَا.
   والياء: صوت مد ولين، ورمزه: سِيْ.
   والواو: صوت مد ولين، ورمزه: سُوْ.
   فإذا ما قُصر أحد هذه الأصوات قالو:
   حذفت الألف، أو حذفت الياء، أو حذفت الواو، يقصرون به: رمز الألف، ورمز الياء، ورمز الواو.
   وقد يستعملون مع أقوالهم السابقة تعابير ترادف (الاجتزاء) كأن يقولوا: حذفت الألف اجتزاءً بالفتحة، أو اكتفاء بالفتحة لأصوات في استعمال استغناء. وهكذا مع الواو والياء المحذوفتين.

3- أما من حيث الزمن أو الكمية النطقية –إن صح التعبير- للصوائت القصار فإنهم ولاشك يقرون بأنها أقصر زمناً من الحركات الطوال.

(الصوائت الطوال): يدلنا على ذلك قول أبي علي الفارسي في سبب تسميته للحركات حروفاً: "وهذا الذي يسميه أهل العربية حقيقة إنهُ حرف، فالفتحة كالألف والضمة كالواو والكسرة كالياء في أنهن حروف. كما أنهن حروف إلا أن الصوت بهن أقل من الصوت بالألف واختيهما،..."[1] وماذكره ابن جني من أنها أصوات ناقصة تقلقل الحرف عن موضعه[2].

ج-مخرجا الواو والياء غير المديتين :

انقسم علماء العربية في وصنف مخرجي الواو والياء غير المديتين إلى مذهبين: فمنهم من فرق بين طبيعة إنتاج الصوائت وبين طبيعة إنتاج الواو والياء غير المديتين. وأول من أشار إلى ذلك –كما سبق ذكره- الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي استقر على أن الصوائت الطوال جوفية تتفق مبداؤها وتختلف مجاريها. وإن الواو المسبوقة بغير الحركة المجانسة لها تمزج من الشفة.وإن الياء المسبوقة بغير الحركة المجانسة لها تخرج من الشجر.

---

[1] م.ن: 31/1.
[2] سر الصناعة: 32/1.
[1] البغداديات: 487-488.
[2] ظ: سر صناعة الاعراب: 26/1.

وعلى هذا سار بعض علماء التجويد، لذلك كانت الأصوات عندهم واحد وثلاثين تتوزع على سبعة عشر مخرجاً واحد منها مخرج مقدّر وهو الجوف والبقية مخارج محققة.

أما المذهب الآخر، فأصحابه لم يميزوا بين مخارج الصوائت الطوال وبين مخارج الواو والياء غير المديتين فجعلوا الألف في أقصى الحلق على أساس مخرجها المقدر والياء المدية (الصامت الطويل) في وسط اللسان والواو (الصائت الطويل) في الشفة. وأشاروا إلى أن الصوائت الطوال قد تكون مدية لينة أي (جوفية) وقد تكون لينة أو نضارع الصوامت كما في الواو والياء المسبوقتين بغير الحركتين المجانسة لهما. وهو ما ذهب إليه سيبويه وتابعه جمهور اللغويين وبعض علماء التجويد، وهو مذهب أبي حيان أيضاً.

وعلى الرغم من عدم إفصاح ابي حيان عن المنطقة التي ينتج فيها صوتا الواو والياء غير المديين، فالياء اللسانية والواو الشفوية قصد بهما صوتي المد واللين (الصوانت الطوال) مع شمول مخرجيهما لإنتاج الحركات (الصوائت القصار) التي هي بعضها. فكان بذلك موافقاً للخليل، ولسيبويه ومتابعيه، سوى أنه لم يتفق مع الخليل إلى أن الياء والواو المديتين جوفيتان. وإن كان مقدراً بصفة المد التي تلحقها بسبقها بالحركة المجانسة لكل صوت منهما كما سيأتي(*) ولعل السبب في ذلك هو أن أبا حيان رأى امكانية الاتيان بالياء والواو ساكنتين مسبوقتين بحركة الفتحة، تلغى الحركة تسلب من الصوت صفة المد أو الجوفية، وبمعنى آخر إن أبا حيان كان يتذوق مخرج الياء والواو بطريقتين الأولى أن يسبق الياء همزة وصل مكسورة والواو همزة وصل مضمومة. والأخرى أن يسبقهما بهمزة وصل مفتوحة. وهذا يعني أن الواو والياء غير المديين من جنس الصوائت الطوال أو أن أصلها عند أبي حيان هو (الصوائت الطوال). وكأن أبا حيان جعل أصوات المد (الألف والواو والياء) وحدات صوتية أساسية وجعل الواو والياء غير المديتين صوراً صوتية تتفرع عنها. وذلك مشبه إلى حد ما صوت اللام الذي يأتي مضمماً (مطبقاً) حالة سبقه بالضمة والفتحة ومرفعاً (مفتحاً) بالكسرة.

ولنا دليل على كون الواو والياء غير المديين عن الواو والياء المديتين عند ابن حيان وبعض علماء العربية أي انها فرع من الأصوات الطوال.هو تصريح أبي حيان وجمهور النحاة بأن إدغام الياء في الياء نحو (عصييّ) و(معزُوّ) من إدغام المتماثلين في كلمة وإن إدغام الواوين، نحو (غَزُوْ وَاقد) من إدغام المتماثيلين في كلمتين. وعلى أساس الوجهة العصرية، وتفريق القدماء بين الواو والياء غير المديتين والصوانت لا يكون الصوتان من إدغام المتماثلين، بل هو من إدغام المتقاربين زيادة على كونه إدغاماً حاصلاً بين احد الصوائت واحد الصوتين غير المديين .

وإذا نظرنا إلى رأي القدماء من حيث اتفاق تلك الأصوات (غير المدية والصوائت) بطبيعة الأوضاع التي تتخذها أعضاء النطق في أثناء إنتاج تلك الأصوات، لسوّغ لنا ذهابهم إلى أن الإدغام في مثل تلك الأصوات من إدغام المتماثلين. لأن الواو غير المدية لا تفرق عن نظيرتها الصانتة إلا بالاحتكاك (الخفيف) الذي يزيد عنها صفة المد.

إن أبا حيان لم يذكر مخرجي صوتي الواو والياء غير المديين ولا صفاتها بل اكتفى بالإشارة إلى مخارج الأصوات الصانتة وصفاتها مشيراً داخل عمله التطبيقي إلى أن الصوتين غير المديين من الصوائت، وسيأتي الحديث على ذلك في موضوع الصفات.

أما المحدثون فقد اتفقوا على أن صوتي الواو والياء غير المديين صوتان لهما مخارج متحققة عن طريق الاحتكاك الحاصل في أقصى اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى عند إنتاج الواو غير المدية،

(*) سنفصل الحديث في صفتي المد واللين واختلاف القدماء فيهما عند الحديث على صفات الأصوات.

واحتكاك وسط اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى في إنتاج الياء غير المدية[1] .

ثانيا : ترتيب الأصوات على مخارجها :

لقد ذهب أبو حيان في أصول دراسة الأصوات مفردة مذهب أغلب علماء التجويد من حيث : تحديد مفهوم المخرج ، وأداة تذوقه لمخارج الأصوات ، وتقسيمه المخارج الستة عشر على أصول اربعة هي : (الحلق ، واللسان ، والشفتين ، والخيشوم). ويتضح ذلك من خلال مقابلة أصول دراسته بأعمال عالم التجويد أبي عمرو الداني .

أما من حيث توزيع الأصوات على مخارجها فنجده يتخذ لنفسه منهجاً خاصا في الترتيب يرجع إلى تذوقه الشخصي لمخرج كل صوت . والذي يظهر (من أول وهلة) أن أبا حيان رتب الأصوات على مخارجها في غاية الإحسان والنكت الحسان والارتشاف ؛ متابعا ابن السراج في ذلك [2] . وبإنعام النظر في الترتيبين نجد أن ابن السراج اكتفى بذكر أصوات كل مخرج من غير أن يرتبها على مخارجها ؛ ولعل السبب في ذلك هو انه قصد من ذكرها التعريف بمخارج الأصوات فقط - بغض النظر عن توزيع الأصوات في داخل كل مخرج – لتكون تلك الدراسة ممهدة لدراسة الإدغام بمعرفة مخرج الصوت من غير الإشارة إلى رتبته في ذلك المخرج . أما أبو حيان فانه نص في ما نقلته النصوص من تذييله وما ذكره هو في الارتشاف والنكت الحسان على ترتيب الأصوات في كل مخرج. فكان مخالفا لظاهر ترتيب ابن السراج.

مخارج الحلق :

لقد جعل أبو حيان للحلق ثلاثة مخارج وسبعة أصوات [3] .

المخرج الأول :

قال أبو حيان : " المخرج الأول : أقصى الحلق ؛ وهو للهمزة والهاء والألف على رتبة واحدة خلافا لأبي الحسن في زعمه ان الهمزة أول وأن الألف والهاء في رتبة واحدة . وخلافا لأبي العباس احمد بن عمار المهدوي وغيره في زعمه أن الهمزة أول وهي من أول الصدر وآخر الحلق وهي أبعد الحروف مخرجا ثم الألف تليها وهي صوت لا يعتمد ثم الهاء بعدها . وخلافا لمن زعم أن الهاء قبل الهمزة في الرتبة وأنها أدخل إلى الصدر ، وخلافا لأبي الحسن شريح في زعمه أن الألف هوائية لا مخرج لها فحروف الحلق عنده ستة وقد روي هذا عن الخليل "[4] . ويحدد أبو حيان في نكته منطقة أقصى الحلق بقوله : " المخرج الأول : أقصى الحلق مما يلي الصدر "[5] .

وجعل أبي حيان أصوات أقصى الحلق في رتبة واحدة مذهب تفرد به – بحسب اطلاعنا المتواضع – من بين آراء النحاة في ترتيب هذه الأصوات في داخل أقصى الحلق ؛ ولعل سبب ذلك الاختلاف ناتج من اختلاف ذوق كل واحد منهم . إلا أن الذي ذهب إليه أبو حيان يتفق وأغلب النتائج التي انتهت إليها الدراسات الحديثة بعدها الهمزة والهاء صوتين حنجريين[6] . أما الألف فيرى الدكتور حسام النعيمي أنها ناتجة " بالصفة لا بالمخرج حيث الوتران الصوتيان - ذلك أنهم [أي النحاة] أحسوا ولادتها في هذا الموضع ولم يكونوا على علم بالوترين الصوتيين وأثرهما في صفة الصوت فحسبوه أثراً في المخرج ..."[7] . وتعليل الدكتور النعيمي صائب من حيث ولادة الألف بالصفة لا بالمخرج إلا ان النحاة لم يتوهموا في صفة الصوت فحسبوها أثرا في المخرج لأنهم أدركوا طبيعة انتاج صوت الألف الذي لا يعمل اللسان والشفتان في انتاجه .

وعليه يكون لأقصى الحلق عند أبي حيان نوعان من المخارج كلاهما على رتبة واحدة وهما :

1. مخرج الهمزة والهاء : وهو مخرج محقق .
2. مخرج الألف : وهو مخرج مقدر .

---

[1] ظ: الصوتان عند علماء العربية: 414.

[2] ظ: الاصول : 3/400-401 . والموجز : 166-167 .

[3] ظ: النكت الحسان : 275 .

[4] الارتشاف : 5/1 .

[5] النكت الحسان: 275 .

[6] ظ: مناهج البحث في اللغة :125 و 131 . والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : 18 .ودراسة السمع والكلام : 200. وعلم الاصوات العام : 76 . والهاء في اللغة العربية : 8 .

[7] أصوات العربية بين التحول والثبات : 18 .

وإدخال أبي حيان الألف في أصوات الحلق موافق لما يذهب إليه سيبويه في كتابه[1] ، مع الافتراق بينهما في الترتيب ذلك لأن سيبويه يرى " أن الهمز أقصى الحلق وأشد سفولاً وكذلك الهاء لأنه ليس في الستة الأحرف أقرب إلى الهمزة منها وإنما الألف بينهما ... "[2] .

واستدلالا بهذا النص سوّغ الدكتور غالب المطلبي سبب إدخال سيبويه الألف في أقصى الحلق مع الهمزة والهاء فقال : " ... وليس لذلك من مسوغ سوى أن سيبويه فكر بان الهمزة والالف صوتان مستقلان ، ولان الالف كذلك فكأنه خارج من الحلق شأنه شأن الاصوات الحلقية التي هي أصوات مستقلة "[3] . والذي نراه هو ان سيبويه لم يقصد بذهابه إلى " أن الهمزة أقصى الحلق وأشد سفولاً ..." وضع اللسان في أثناء النطق بالهمزة ، انما كان قصده - على أغلب الظن - أن الهمزة أكثر سفولاً في الحلق من صوتي الالف والهاء ، أي أعمق من الالف والهاء .

ويرى الباحث أن أصوب تعليل يمكن الركون إليه لصنيع سيبويه ومشايعيه السابق هو :

1- ان سيبويه ومشايعيه حين ذكروا مخارج الاصوات نظروا إلى وظيفتها داخل البنية بكونها وحدات صوتية يتغير بتغيرها معنى الكلمة أو يتحور . وبذلك يستساغ عندنا ادخال سيبويه الالف مع اصوات الحلق لأن للالف وظيفة في تحوير المعنى الاصلي للكلمة بالزيادة عليه .
2- إن سيبويه ومشايعيه فهموا المخرج فهما أوسع من المفهوم العصري . فالمخرج عندهم هو : الهيأة التي تتخذها أعضاء النطق في حال انتاج الصوت والتي بها يتميز صوت من صوت آخر؛ محققة كانت تلك المخارج أم مقدرة ، والدليل على ذلك هو : ان سيبويه وضع في دراسة مخارج الأصوات الألف في أقصى الحلق – كما تبين – إلا انه ذكر في موضع آخر أن الألف " ليس منها علاج على اللسان والشفة ولا تحرك أبدا فإنما هي بمنزلة النفس "[4] .
3- إن سيبويه اعتد بخط حروف المعجم رموزاً للوحدات الصوتية المنطوقة ولحروف المعجم تسعة وعشرون خطا منها خط الألف اللينة .

المخرج الثاني :

قال أبو حيان في النكت الحسان : " وسط الحلق وله : العين ، والحاء وهي بعد العين في الرتبة "[5] . فهو على هذا متابع للخليل وسيبويه ومشايعيه .

ويبدو أن أبا حيان قد عدل عن مذهبه هذا إلى تقديم الحاء على العين في كتابه التذييل والتكميل . قال السيوطي : " والذي رجّحه أبو حيان أن رتبة العين بعد الحاء ... "[6] . وقال القسطلاني : " ... قال أبو حيان في شرح التسهيل : وهذا هو الأظهر "[7] ، يقصد تقديم الحاء على العين ، أما في الارتشاف فقال : " وسط الحلق : وهو للعين والحاء ، وظاهر كلام سيبويه أن الحاء بعد العين وهو نص كلام مكي بن أبي طالب ويظهر من كلام المهدوي أن العين بعد الحاء وهو نص أبي الحسن بن شريح "[8] .

فابو حيان في هذا النص لا يذكر موقفه من ترتيب أصوات الحلق .

والذي نرجحه هو أن أبا حيان يذهب إلى أن الحاء قبل العين كما يراه شريح والمهدوي لسببين ، احدهما : ان المصادر اتفقت على أن ابا حيان يرى أن الحاء قبل العين ، والآخر هو : ان ما ذكره أبو حيان في الارتشاف لا يمثل رأيا واضحا في ترتيب أبي حيان لصوتي العين والحاء إنما هو مجموعة خلافات بين علماء العربية في ترتيب الصوتين . ولو كان ذكره العين قبل الحاء يمثل رأيا له لكان شائعاً عند العلماء الذين نقلوا عنه .

وبذلك يكون لابي حيان مذهبان في ترتيب صوتي وسط الحلق وهما : ما ذهب إليه في غاية الاحسان ونكتها من أن العين قبل الحاء وهو متابع للخليل[9] وسيبويه[1] وظاهر ترتيب ابن السراج[2] في ذلك، والآخر ما

---

[1] ظ: كتاب سيبويه : 404/2 .
[2] م.ن : 253/2 .
[3] في الاصوات اللغوية : 79 .
[4] كتاب سيبويه : 357/2 .
[5] النكت الحسان : 276 .
[6] الهمع : 292/6 .
[7] لطائف الاشارات : 190/1 .
[8] الارتشاف : 51/1 .
[9] ظ: المحيط في اللغة ، للصاحب بن عباد : 51/1 .

ما آل إليه في شرح التسهيل من أن الحاء قبل العين وقد تابع في ذلك الحسن شريح والمهدوي من علماء التجويد . اما في كتابه ارتشاف الضرب فانه لا يبين موقفه من ترتيب هذين الصوتين مكتفياً بذكر اختلاف علماء العربية فيهما .

والعين والحاء صوتان يتفرد في انتاجهما الحلق عند أغلب المحدثين[3] لأن اقصى الحلق عند القدامى هو الحنجرة عند المحدثين . وادنى الحلق عند القدامى هو المنطقة اللاحقة لمخرج القاف عند أغلب المحدثين.

المخرج الثالث :

يقول ابو حيان في نكته : " المخرج الثالث : أدنى الحلق إلى الفم ، وله الخاء والغين ، والغين قبل الخاء فيه ، ونص مكي بن ابي طالب على تقديم الخاء فيه على الغين "[4] . والذي يبدو أن هذا المذهب هو ما استقر عليه أبو حيان في كتابه التذييل ، يقول السيوطي : " والذي رجحه ابو حيان ان رتبة العين بعد الحاء ورتبة الغين قبل الخاء "[5] .

فالسيوطي في نصه السابق لم يذكر المصدر الذي نقل منه الرأي المنسوب لأبي حيان . والذي حدا بنا إلى أن نرجح ان يكون مصدره في ذلك كتاب شرح التسهيل لابي حيان هو ان القسطلاني ذكر في كتابه (لطائف الاشارات) ترجيح أبي حيان لتقديم صوت الحاء على العين وأحال على شرح التسهيل لابي حيان[6]. وذكر السيوطي رأي أبي حيان في رتبة الخاء والغين بعد ذكره لرتبة العين والحاء عند أبي حيان دليل على ان الرأيين نقلا من كتاب شرح التسهيل المسمى بالتذييل .

أما في ارتشاف الضرب فان ابا حيان لم يشر إلى مذهبه في رتبة الغين والخاء مكتفيا بعرض مذاهب علماء العربية في ذلك ، يقول : " المخرج الثالث : ادنى الحلق إلى الفم وهو الغين والخاء ، ويظهر من كلام سيبويه أن الغين قبل الخاء . وهو قول ابي الحسن* ، ونص مكي على تقديم الخاء فيه على الغين ، وزعم ابن خروف أن سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد "[7] .

لقد اتفق علماء العربية ابتداءً بالخليل وسيبويه على أن للحلق ثلاثة مخارج هي (أقصاه ، ووسطه ، وأدناه) واختلفوا في عدد الاصوات الحلقية وفي ترتيب تلك الاصوات على مخارجها . فلعلماء العربية في عدد الاصوات الحلقية مذهبان ، أحدهما : يرى أن أصوات الحلق ستة هي (الهمزة ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء) . وهو مذهب الخليل بن أحمد قال الصاحب بن عباد : " ... فقد قرأت على شيخنا أبي العباس المبرد – رحمه الله – ما أحكيه ؛ قال : قد ثبت عندنا عن الخليل أنه قال : مخارج حروف الحلق ثلاثة : فالاول مخرج الهمزة والهاء ، والثاني مخرج العين والحاء ، والثالث مخرج الغين والخاء"[8] . وهو مذهب بعض علماء التجويد وبسبب اقصائهم الالف عن اصوات الحلق لانها لا مخرج لها فهي هوائية، ولانها عند الخليل - كما ذكرنا - لا تدخل في اصول البناء العربي ، أو لانها عند بعض علماء التجويد ذات مخرج مقدر منسوب إلى الجوف[9] .

والمذهب الآخر : يرى أن أصوات الحلق سبعة اعترافا منهم بان الالف من الحلق مع الاصوات الستة التي ذكرها أصحاب المذهب السابق وهو ما ذهب إليه سيبويه وجمهور من النحويين[10] ، وبعض علماء التجويد[11] . وعلة إدخالهم الالف في الحلق كما ذكره القسطلاني هي أن " مبتدأه من الحلق ، ثم يمتد ويمر على

---

(1) ظ: كتاب سيبويه : 405/2 .

(2) ظ: الاصول : 400/3 . والموجز : 166 .

(3) ظ: الافكار الاساسية بعلم الصوت الحديث : 113 . وعلم اللغة العام (الاصوات) :90 . وعلم الاصوات ، مالمبرج : 126 (دراسة المترجم) . والاصوات اللغوية ، د. عبد القادر : 180و 180 و183 و 184 . ومقارنة معجمية بين اللغة الاكدية واللغة العربية : 42-43 .

(4) النكت الحسان : 276 .

(5) الهمع : 292/6 .

(6) ظ: لطائف الاشارات : 190/1 .

* يقصد الاخفش .

(7) الارتشاف : 5/1-6 .

(8) المحيط في اللغة : 51/1 .

(9) ظ: الحواشي المفهمة : 13ظ . والنشر : 198/1-199 . ولطائف الإشارات : 189/1 .

(10) ظ: المقتضب : 192/1 . والإيضاح في شرح المفصل : 280/2 . وشرح جمل الزجاجي ، لابن هشام : 445 .

(11) ظ: التحديد : 104 . والموضح في التجويد : 78 . وكنز المعاني : 1177-1178.

الكل ، ومن ثم نسب إلى كل مخرج ، وخصه* دون اختيه للزومه وهذا معنى قول مكي : لكن الالف حرف يهوي في الفم حتى ينقطع مخرجه في الحلق ..."[1] . أي ان مخرج الالف تقديري لا محقق .

والذي يلاحظ في تعليل أصحاب المذهبين السابقين في عدة اصوات الحلق أن اساس الخلاف بينهم ظاهري لأن اصحاب كلا المذهبين يتفقون على أن مخرج الالف مقدر .

أما من حيث ترتيب الاصوات الحلقية عند علماء العربية - بغض النظر عن الذين لم يرتبوا اصوات كل مخرج ؛ كابن السراج[2] و الانباري[3] - فكانت لهم مذاهب مختلفة في ذلك ، فالخليل يرتبها الترتيب الاتي : (الهمزة فالهاء فالعين فالحاء فالغين فالخاء) . وسيبويه يحشر الالف بين الهمزة والهاء . ومنهم من جعل الهاء والالف على رتبة واحدة كابي الحسن الاخفش[4] ، بل ان الفيلسوف الكندي يضع الخاء والغين في مخرج واحد هو اللهاة[5] . وأبو حيان يجعل الهمزة والهاء والالف على رتبة واحدة ويقدم الحاء على العين ، والغين على الخاء . ومرد ذلك الخلاف هو استعمالهم التجربة الذاتية أداة للتوصل إلى معرفة مخرج كل صوت وهي تجربة بدائية تختلف من فرد إلى آخر.

وبهذا تتضح لنا مذاهب القدماء في عدد مخارج الحلق وفي عدد اصوات الحلق وفي ترتيب تلك الاصوات في داخل مخارجها . أما المحدثون فلم يكونوا على مذهب موحد في ذلك فمنهم من تابع القدماء في تقسيم الحلق إلى ثلاثة مخارج[6] . وذهب أغلبهم إلى أن مخرج الحلق يشمل العين والحاء فقط - كما مر ذكره – وقد استصعب بعض المحدثين كالدكتور سلمان حسن العاني تحديد موقع الأصوات الحلقية والحنجرية على الرغم من استعماله للأجهزة الحديثة في معرفة مخرج كل صوت وحالته[7] . ولا شك في أن تلك الصعوبة التي واجهت بعض المحدثين في معرفة مخارج تلك الأصوات بالدقة هو عدم استعمالهم الأداة الدقيقة في استنباط مخرج تلك الأصوات أي إنهم اعتمدوا على أجهزة حديثة ذات دقة في وصف كل مخرج إلا انهم لم يحسنوا اختيار الأشخاص ذوي النطق السليم للأصوات . وبذلك تكون المشكلة عكسية مع القدماء لأن أغلب علماء العربية كانوا ذوي نطق سليم للأصوات لكونهم من علماء القراءات والتجويد والذي يعوزهم الأجهزة الدقيقة في وصف مخرج كل صوت . أما المحدثون فيعوزهم النطق السليم للأصوات على الرغم من امتلاكهم التقنيات الحديثة في قياس مخرج كل صوت وصفته .

مخارج اللسان :

مخارج أقصى اللسان

الأول : مخرج صوت القاف :

وجعله أبو حيان في نكته المخرج الاول بين مخارج اللسان، يقول : " ... (وللسان عشرة) يريد مخارج ، (وثمانية عشر) يريد حرفاً . الاول : أقصى اللسان ، وله القاف ، مما يلي من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك "[8] . وعده في الارتشاف المخرج الرابع بالنسبة للمخارج الستة عشر فقال : " المخرج الرابع [أول*] أقصى اللسان ، وهو القاف وهو مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك . وقال شريح : القاف مخرجها من اول اللهاة فيما يلي الحلق ومخرج الخاء منه "[9] . فالقاف عند ابي حيان في المخرج الرابع من المخارج الستة

---

* يقصد سيبويه .

[1] لطائف الإشارات : 190/1 .

[2] ظ: الاصول : 400/3 . والموجز : 166 .

[3] ظ: اسرار العربية : 208 .

[7] ظ: الهمع : 292/6 .

[5] ظ: المصوتات الوترية :

[6] ظ: فقه اللغات السامية ، بروكلمان : 39 .والتطور النحوي :11 . ودروس في علم اصوات العربية : 23. والاصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : 70 . ودراسات في فقه اللغة : 278 . وفقه اللغة وخصائص العربية : 46 . وعلم اللغة العربية: 140 . والتصريف العربي ، من خلال علم الاصوات الحديثة : 53 . وحروف الحلق : 1-4 . ولهجة تميم : . ومباحث في علم اللغة واللسانيات :71 . وفقه العربية المقارن ، رمزي منير البعلبكي : 41 .

[7] ظ: التشكيل الصوتي : 93 .

[8] النكت الحسان : 276 .

* زيادة من مصورة المجمع : 4/ظ.

[9] الارتشاف : 6/1 .

عشر وهو المخرج الاول بين مخارج اللسان . وهو ما تابع فيه الخليل[1] وسيبويه[2] وابن السراج[3] ومن حذا حذوهم من علماء العربية[4] .

الثاني : مخرج صوت الكاف :

وله المرتبة الثانية من مخارج اللسان يقول أبو حيان في النكت : " الثاني : وله الكاف من اسفل منه، من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك "[5] .

لذلك فمخرج الكاف الخامس بين المخارج الستة عشر وهو المخرج الثاني من مخارج اللسان . وقد تابع في ذلك المتقدمين من علماء العربية كالخليل[6] وسيبويه[7] وابن السراج[8] وابن دريد[9] وغيرهم[10] .

لقد كان لعلماء العربية في ترتيب (الغين والخاء والقاف والكاف) مذاهب متعددة مرجعها إلى اختلافهم في وصف مخرج كل صوت منها لاعتمادهم على الطريقة البدائية في تذوق مخارج الأصوات – كما ذكرنا - ولأن مخارج تلك الأصوات متقاربة في ما بينها[11] . فقد جعل ابن سينا القاف بعد الخاء وقبل الغين والكاف[12] ، ومنهم من اكتفى بتقديم الخاء على الغين - كما مر ذكره - جاعلاً بعدهما القاف فالكاف. وقد ذهب الفيلسوف الكندي إلى مذهب فريد لانه وصف القاف والكاف بانها تخرج من الحنك[13] ، ولعله قصد بالحنك أقصاه . وهو تصوير دقيق ، على ما نظن .

ولو عدنا إلى وصف القدماء لمنطقة اللهاة ولدورها في انتاج الاصوات لأمكننا أن نسوغ ما ذهبوا إليه في موضع كل صوت من الاصوات الاربعة السابقة .فاللهاة عند الخليل : " لحمة مشرفة على الحلق"[14]. وهي كما وصفها مكي وابو حيان (ما بين الحلق والفم)[15] . والقاف والكاف عند الخليل " لهويتان لأن مبدأها من اللهاة ، إلا أن مخرج القاف من فوق حنكها ومجرى الكاف من أسفله"[16] . ويبدو ان (الهاء) في (اصلها) تعود إلى اللهاة . أي ان الحنك الرخو من اللهاة عند الخليل وهو مخرج القاف ، والكاف من أسفله . ويرى الخليل في نص آخر أن القاف " من فوق اللسان مبدؤه وعلى فويق الحنك مجراه ثم تكون الكاف من أسفله حتى يدنو من محله "[17] . فالخليل يعبر عن عضوين بارزين في انتاج ، القاف والكاف وهما (فوق اللسان) و (فويق الحنك) الذي نسبه إلى اللهاة في نص سبق . وفي العين حدد الخليل منطقة فوق اللسان فقال: " أما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم "[18] . فمن أقصى الفم عكدة اللسان وفويق الحنك الرخو مخرج القاف وأسفل منه الكاف .

ويفرق سيبويه بين مخرج القاف ومخرج الكاف بطريقة لطيفة بـ " انك لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت : قق قق ، لم تر ذلك مخلاً بالقاف ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخل ذلك بهن فهذا يدلك على أن معتمدها على الحنك الأعلى "[19] .

---

[1] ظ: تذكرة النحاة : 29.
[2] ظ: كتاب سيبويه : 405/2 .
[3] ظ: الأصول : 400/3 . والموجز : 166 .
[4] ظ: سر صناعة الإعراب : 47/1. والممتع : 669/2 .والتسهيل : 319 .
[5] النكت الحسان : 276 .
[6] ظ: تذكرة النحاة : 29 .
[7] ظ: كتاب سيبويه : 404/2 .
[8] ظ: الاصول : 400/3 . والموجز :166 .
[9] ظ: جمهرة اللغة : 8/1 .
[10] ظ: سر صناعة الإعراب : 47/1 . والكشف : 139/1 . والتحديد : 104 . والمنهاج في شرح جمل الزجاجي : 806 .
[11] ظ: علم اللغة العام (الأصوات) : 95 . وفقه اللغة ، د. عبدة الراجحي : 135 .
[12] أسباب حدوث الحروف : 9-10 .
[13] المصوتات الوترية :
[14] العين : 88/4 (ل هـ و) .
[15] ظ: الرعاية : 114. والنكت الحسان : 285 .
[16] تذكرة النحاة : 27 .
[17] م.ن : 29 .
[18] العين : 52/1 .
[19] كتاب سيبويه : 427/2 .

ولو زدنا على طريقة سيبويه إخراج اللسان إلى أقصى حد ممكن وحاولنا نطق الاصوات الاربعة السابقة للاحظنا ما يأتي : ان نطقنا صوت الخاء وان كان فيه بعض صعوبة في تلك الحالة يأتي سليماً وان أقصى نقطة في اللسان تحتك بأقصى اللهاة . أما الغين فان اقصى اللسان يرتفع بصورة أكثر مما هو عليه مع الخاء ليصدم مع اللهاة بشكل ضربات متتالية ومع القاف فإن النطق يستحيل مازال اللسان ممتداً إلى الخارج لأن عملية نطق صوت القاف تحتاج إلى أن يرتفع أقصى اللسان ليلتصق مع اللهاة في نقطة أدنى من ارتفاعه مع صوت الغين ، وكذا صوت الكاف إلا انه أسفل من القاف مخرجاً . وهذا يعني أن ترتيب الاصوات بحسب الاعمق فالاعمق على مايأتي : (خ غ ق ك) . بل إن الجزء الذي ينتج صوتي الخاء والغين وهو أبعد نقطتين في أقصى اللسان مع ما يقابلهما من اللهاة وهو الجزء الذي أسماه أدنى الحلق .

ولعل سبب اخراج الغين والخاء من مخارج اللسان عند القدماء هو اننا - كما لاحظنا من الطريقة السابقة - نستطيع أن ننطق الصوتين بصورة صعبة من غير تحريك ما فوق عكدة اللسان . أما مع صوتي القاف والكاف فلا يتم إلا بارتفاع أبعد نقطة في عكدة اللسان لتلتصق باللهاة . وهذا يعني أن للسان دوراً هاماً في انتاج صوتي القاف والكاف يفوق في أهميته إنتاج صوتي الخاء والغين .

ونستدل بذلك أيضا على أن تلك الأصوات لم تتطور ولم تتغير طبيعة إنتاجها فنطقها اليوم على الطريقة السابقة موافق لما وصفه القدماء مع اختلاف في التعبير . والمخطط الآتي يعين الباحث في توضيح ما يرمي إليه :

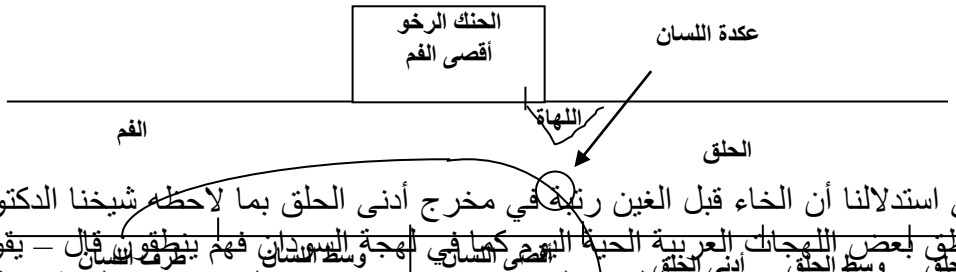

ونزيد على استدلالنا أن الخاء قبل الغين رتبة في مخرج أدنى الحلق بما لاحظه شيخنا الدكتور صباح عباس السالم في نطق بعض اللهجات العربية الحية اليوم كما في الهجة السودان فهم ينطقون قال – يقول : غال يغول بين القاف والغين . ولهجات عشائر الدليم يقولون في غنم : قنم . وهي ليست قافا خالصة . وليست هذه الظاهرة في العربية وحدها أي انحراف الغين إلى القاف وبالعكس فهي موجودة في الفارسية أيضا ، فهم يكتبون آقاي – بمعنى سيدي – بالقاف ، وينطقونها (آغاي) بالغين . ويكتبون كلمة (غشمر) بالغين ، وينطقونها (قشمر) بالقاف . فلو كانت القاف تالية لصوت الخاء لكان من الاولى للناطق أن يقربها من الخاء لا الغين .

لقد التفت الدكتور غانم قدوري إلى وجوب الحفاظ على وصف الاقدمين لمخارج أصوات ادنى الحلق واقصى اللسان مستشهدا بطريقة سيبويه السابقة وانتهى إلى قوله : " ويبقى بعد ذلك أمر القاف والغين والخاء متداخلاً . إلى حد كبير ، ولكن يترجح لدي أن الغين والخاء أعمق من القاف ، وان مخرجها يحاذي التجويف الحلقي ، بينما يحاذي مخرج القاف أقصى الحنك الاعلى ، ولنا في موقف القراء من اخفاء النون قبل هذه الحروف الثلاثة دليل على مانحن بصدده ، فاكثر القراء يظهرون النون قبل الغين والخاء ولم يخفها إلا نفر قليل منهم بينما لم يختلف في وجوب إخفاء النون قبل القاف . وهو أمر قد يدل على أن القاف أقرب إلى الفم من الغين والخاء "[1] واستشهد بقول السيرافي : " فصار الغين والخاء حيزا مفردا بين حروف الحلق وحروف الفم ... . وانهما حيز لا يختلط بحروف الحلق ولا حروف الفم في الادغام "[2] . وكان الدكتور حسام النعيمي قد ردد الكلام السابق من غير الاحالة على مصدره[3] . زيادة على ذلك فليس أدل على ادراك القدماء لدور أقصى اللسان في انتاج اصوات (غ خ ق) من أنهم عدوا تلك الاصوات من المستعلية التي يرتفع أقصى اللسان معها .

ومع اعتمادنا على الملاحظة الذاتية البسيطة نشك في صحة ما ذهب إليه بعض المحدثين الذين انتهوا إلى نتيجة خالفت ما انتهينا إليه ولا سيما من ذهب إلى أن القاف يتقدم مخرجها على مخارج أصوات (الغين والخاء والكاف)[4] .

---

[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 199 .
[2] شرح كتاب سيبويه للسيرافي : 6/511-512 ، نقلا من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 199 .
[3] اصوات العربية بين التحول والثبات :24-25 .
[4] ظ: علم اللغة العام (الاصوات) : 109 .

وسط اللسـان :

مخرج الجيم والشين والياء :

وهو المخرج الثالث بين مخارج اللسان عند أبي حيان، يقول في النكت : " الثالث : وسط اللسان ، بعد مخرج الكاف ، وله : الجيم والشين والياء "[1] . وله – كما في الارتشاف – الرتبة السادسة بين المخارج الستة عشر[2] .

والذي يظهر من كلام أبي حيان في نكته أنه اكتفى بوسط اللسان في وصف المنطقة التي تنتج فيها تلك الاصوات ، وأنه لم يفصح عن رتبة تلك الاصوات داخل مخرجها . أما في كتاب الارتشاف فيقول : " المخرج السادس وهو للجيم والشين والياء ، وهي من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك ، خلافا للخليل في الياء إذ زعم أنها هوائية لا مخرج لها كالالف . ويظهر أن الجيم قبلهما ، خلافا للمهدوي في زعمه أن الشين تلي الكاف والجيم والياء يليان الشين"[3] .

وفي هذا النص يشير أبو حيان إلى مسائل هي :

1- انه زاد على وصفه (وسط اللسان) في كتابه النكت قوله : " وبين وسط الحنك" فكان مطابقا لوصف سيبويه[4] ومن تابعه في ذلك[5] .

2- إنه قصد بالياء الياء التي جعلها الخليل هوائية (أي صوت المد واللين) زيادة على الحركة التي هي بعض ياء المد ، وصوت الياء غير المدي على أن المد صفة زائلة مع صوت (الياء والواو) وبزوال تلك الصفة تصبح الياء غير مدية .

3- انه افصح عن رتبة الجيم في ذلك المخرج فقال : " ويظهر أن الجيم قبلهما " . ويدعم هذا قول السيوطي : " وقدم أبو حيان الجيم "[6] .

أما الشين والياء فلنا في رتبتهما عند ابي حيان احتمالان ، احدهما : أن يكونا في رتبة واحدة . والآخر : أن يكون صوت الشين عنده قبل صوت الياء .

والذي نرجحه الاحتمال الثاني لما يأتي :

أ-إنه رتب تلك الاصوات في غاية الاحسان والنكت والارتشاف على التسلسل الاتي (ج ش ي).

ب-اننا لو نظرنا إلى صفات تلك الاصوات لوجدنا الجيم انفجارية (شديدة) والشين احتكاكية (رخوة) والياء مدية يمكن أن يزول المد عنها فتصير احتكاكية . أي ان أبا حيان ذكر تلك الاصوات - بقصد أو من غير قصد – على وفق صفاتها في الانغلاق والانفتاح فبدأ بالانفجاري فالاحتكاكي فالمدي الذي يعتريه في زوال المد بعض الاحتكاك .

وأيا كان ترتيب أبي حيان لصوتي الشين والياء بعد الجيم فانه مخالف لمن ذهب إلى أن الشين تتقدم على الجيم والياء كالمهدوي . وكان المهدوي متابعا للمبرد في ذلك ، قال المبرد بعد أن ذكر مخرج الكاف : " وبعدها مخرج الشين ، ويليها مخرج الجيم "[7] . يقول أحد الباحثين معلقا على نص المبرد السابق : " ويلحظ أيضا انه لم يضع الياء في موضع آخر من الجهاز الصوتي وهنا لا نجد إلا احتمالين ، أحدهما : انه تركها سهواً . والآخر

---

[1] النكت الحسان : 276 .
[2] ظ: الارتشاف : 6/1 .
[3] م.ن : 6/1 .
[4] ظ: كتاب سيبويه : 405/2 .
[5] ظ: سر صناعة الاعراب : 1/ 47 . والتحديد : 105 . واسرار العربية : 208 .
[6] الهمع : 288/6 .
[7] المقتضب : 192/1 .

: إنها سقطت بالنسخ وهذا أقرب فيما يبدو لنا "[1] . ونضيف إلى ترجيح احتمال الباحث الثاني بأن المبرد قال في توضيح القرب بين النون المتحركة واللام : " فاما النون المتحركة فاقرب الحروف منها اللام، كما أن أقرب الحروف من الياء الجيم "[2] .

فاذا كان مخرج الجيم بعد مخرج الشين وان الجيم أقرب الحروف من الياء فهذا يعني أن الياء بعد الجيم أي إن الاصوات الشجرية عند المبرد مرتبة على ما يأتي (ش ج ي) . ولعله أخذ هذا الرأي من الخليل ، كما ذكره أبو حيان في تذكرته[3] .

أما الدراسات الحديثة فلا تختلف مع القدماء في مخرج أصوات (ش ج ي) إلا أنها استعملت مصطلحات متعددة ذات مدلول واحد على ذلك المخرج تلك المصطلحات هي : (الغار)[4] و (الحنك الصلب)[5] و (وسط الحنك)[6] .

---

[1] الأصوات اللغوية عند المبرد : 66.

[2] المقتضب : 192/1 .

[3] ظ: تذكرة النحاة : 29-30 .

[4] ظ: المدخل إلى علم اللغة ، د. رمضان عبد التواب : 50 . واصول تراثية : 124 . والمصطلح الصوتي ، د. عبد القادر : 66 .

[5] ظ: دراسة الصوت اللغوي : 106 . وعلم اللغة العام (الاصوات) : 67 .

[6] ظ: الاصوات اللغوية ، د.عبد القادر : 175 .

إلا إن الدكتور إبراهيم أنيس آخذ على استعمال مصطلح (الغاري) بان "الغار في الحقيقة يشمل كل أجزاء الحنك الأعلى"[1] . وكان قد فضل استعمال (وسط الحنك) أو (الشجري) مصطلحا على مخرج تلك الأصوات[2] وهو رأي يؤيده بعض المعاجم اللغوية المختصة فالحنك ترجمة لكلمة (Palate) ، أما وسط الحنك او(الحنك الصلب) فهو ترجمة للمصطلح (hard palate) [3] .

أما عدد تلك الأصوات عند المحدثين فهي ثلاثة (الجيم والشين والياء) باختلاف الترتيب عند مَنْ فرّق بين مخارج الأصوات على أساس كونها وحدات صوتية ، بغض ا لنظر عمّا إذا كانت صامتة أو صائتة فأصوات وسط الحنك عندهم خمسة[4] :

1- الكسرة (الصائت القصير).
2-الياء المدية(الصائت الطويل).
3-الياء غير المدية.
4-الشين.
5-الجيم.

وهم بذلك يعودون إلى ما أراد بعض القدماء قوله في توزيع الأصوات بالنظر إلى وظيفتها داخل البنية من غير أن يفصلوا بين الصوائت بنوعيها وبين الصوامت . وهو ما نلمحه عند سيبويه ومتابعيه كأبي حيان الأندلسي . وَلَوْ أردنا أن نوافق أصحاب هذا المذهب من المحدثين فإننا لا نبلغ بهذه الأصوات ذلك العدد بل هي أربعة لأن الكسرة وياء المد صوتٌ واحد لا يفرق بينهما إلا الزمن، وما هذا بكلامنا لكنه كلام الخليل كما مر .

حـافـة اللسـان :

أولها : مخرج صوت الضاد :

ولصوت الضاد عند أبي حيان المخرج الرابع بين مخارج اللسان[5] ، وهو المخرج السابع في المخارج الستة عشر[6] .

لقد اكتفى أبو حيان في النكت الحسان بالإشارة إلى المنطقة التي تعمل في إنتاج صوت الضاد من اللسان فقط ، قال : "حافة اللسان ، وله : الضاد . أولها من الجانب الأيسر عند الأكثر والأيمن عند الأقل "[7]-.

وذكر السيوطي رأياً نسبه إلى أبي حيان هو نفسه الذي ذكره في النكت الحسان مع شيء من الزيادة ، قال السيوطي : " وعلى رأي الأولين قال أبو حيان : خروج الضاد من الجانب الأيسر عند الأكثر والأيمن عند الأقل ، ويحكى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انه كان يخرجها من الجانبين معاً "[8] .

والذي يظهر ان هذا النص من شرح التسهيل لأبي حيان ، لأن ما حكاه أبو حيان عن عمر غير موجود في بقية مصنفاته النحوية . وفي الارتشاف يتوسع أبو حيان في وصف مخرج الضاد فيقول: " وهي من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر أو الأيمن عند الأقل . وكلام سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين خلافاً لمن ذهب إلى أنها تختص بالجانب الأيمن ، وخلافاً للخليل في زعمه أنها شجرية من مخرج الجيم والشين "[9] .

يتبين لنا من النص السابق ما يأتي :

1. ان أبا حيان لم يكتف بمنطقة (حافة اللسان) وصفاً لمخرج الضاد كما فعل في النكت الحسان بل زاد عليها قوله إنها من أول تلك الحافة وأشار إلى المنطقة التي تلتقي بها تلك الحافة مع الأسنان بقوله : (وما يليه من الأضراس) .

---

(1) الأصوات اللغوية : 78 .
(2) ظ: م.ن : 78 . والمصطلح الصوتي ، الصيغ : 113.
(3) ظ :معجم مصطلحات علم اللغة الحديث ،القسم العربي الانجليزي منه :34 . والقسم الإنجليزي العربي منه :35و65. ويؤيد هذا ما ذكره المسدي في قاموس اللسانيات من ان الغارترجمة للمصطلح الفرنسي (**Palais**) أما الحنك الصلب فترجمة للمصطلح الفرنسي(.**palais dur**) ،ظ:قاموس اللسانيات:القسم العربي الفرنسي :113. و الوجيز في فقه اللغة : 193 و194 . والمدخل إلى علم اللغة ، د. رمضان عبد التواب : 50-51 . وأصول تراثية : 124 .
(4) ظ: دراسة الصوت اللغوي:317.
(5) ظ: النكت الحسان : 276 .
(6) ظ: الارتشاف : 6/1 .
(1) النكت الحسان : 276 – 277 .
(8) الهمع : 292/6 .
(9) الارتشاف : 6/1.

2. إن أبا حيان يذهب إلى أن الضاد تخرج من الجانبين ، إلا انها من الجانب الأيسر – وهو ما عليه نطق أكثر العرب – أمكن من إخراجها من الجانب الأيمن الذي عليه الأقلية وهو ما ذهب إليه المبرد من غير ترجيح بقوله : "فبعض الناس تجري له في الأيمن وبعضهم تجري له في الأيسر"[1] . وشفيعنا في ما نراه من ترتيب أبي حيان أنه وصف مخرج اللام بقوله : "ويأتي إخراجها من كلتا حافتي اللسان اليمنى واليسرى إلا ان إخراجها من حافته اليمنى أمكن ، بخلاف الضاد ، فإنها من اليسرى أمكن "[2] .

3. إن أبا حيان خالف الخليل في ذهابه إلى أن (ج ش ض) شجرية : والحقيقة هي ان أبا حيان لم يصب في مخالفته رأي الخليل ؛ ذلك لأن رأي الخليل السابق موجود في مقدمة كتاب العين . وتلك مقدمة - كما ذكرنا – لا تمثل رأياً خالصاً في ترتيب الأصوات على مخارجها عند الخليل لأنها امتزجت بمجموعة أهداف رامها الخليل من نظامه الذي ذكره في مقدمة العين .

ولنا في مذهب الخليل وجهة نظر تسوغ وضعه الضاد بعد صوتي (ج ش) في حيز واحد أطلق عليه مصطلح (الشجر) . فالخليل يعرف الشجر بقوله : "والشجر : مخرج الفم"[3] . و"كل فرجة بين شيئين فهو فرج"[4] . وإذا علمنا أن الجيم والشين والياء عند الخليل "مجراها على وسط اللسان ووسط الحنك"[5] . وأن الضاد "حافية لأنها من حافة اللسان وما يليها من الأضراس"[6] أمكننا القول : إن منطقة الشجر محصورة بين وسط اللسان وأول حافته ، مع الحد الفاصل بين الطبق اللين والصلب .

وهو على هذا الوصف يشترك في إخراج الأصوات الآتية : (الجيم ، الشين ، الياء غير المدية ، والضاد). وقد أدرك ابن يعيش العلاقة بين هذه الأصوات الأربعة فقال :" الجيم والشين والياء ؛ ولها حيز واحد وهو وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك وهي شجرية والشجر مخرج الفم لأن مبدءها من شجر الفم ، يقال: أشجر الرجل إذا وضع يده تحت شجره على حنكه قال الشاعر :

نـــام الخلـــي ونمـــت الليـــل مشـــتجراً كـــأن عينـــي فيهـــا الصـــاب مـــذبوح*

والضاد : من حيز الجيم والشين والياء ولها حيز واحد لأنها تقرب من أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس الا انك ان شئت تكلفتها من الجانب الايمن وان شئت من الجانب الايسر " [7] . ولما كانت الياء معلولة جعلها الخليل في آخر نظامه مع العلل وهي الهمزة والواو غير المدية .

لقد تنبه الخليل إلى ان الشين ، والجيم ، والياء في مخرج واحد يفترق عن مخرج الضاد كما تبين في النصوص السابقة . وانه ادرك ان الضاد " بعض الناس يجريها من الشدق الايمن وبعضهم من الشدق الايسر " [8] .

ويبدو لنا ان الذي دفع الخليل إلى جمع اصوات (ج ش ض) في مصطلح الشجر ما يأتي :

1-انحصار منطقة الشجر بين وسط اللسان وحافته ، مع الحد الفاصل بين الطبقين (الحنكين) اللين والصلب .

2-ان الخليل رام من وضع الأصوات على احياز معرفة ما لا تأتلفه العرب في ابنيتها من تلك الأصوات . ولا توجد كلمة ثلاثية عربية تحتوي على (ج ش ض) على اختلاف تقليباتها .

---

(1) المقتضب : 193/1 .
(2) النكت الحسان : 277 .
(3) تذكرة النحاة : 28 . والنص نفسه في العين : 230/6 (ش ج ر) .
(4) العين : 109/6 (ف ر ج) .
(5) تذكرة النحاة : 28 . والنص بمعناه في النكت الحسان : 284 .
(6) تذكرة النحاة : 28 .
* البيت لأبي ذؤيب الهذلي، ظ: شرح المفصل ، لابن يعيش : 124/10 (الهامش) .
(7) شرح المفصل ، لابن يعيش : 124/10-125 .
(8) تذكرة النحاة : 30 .

3-لو اخرج الخليل الضاد من حيز الشجر لما امتنع عليه ان يجعل الجيم والشين في حيز ، الا ان ذلك يمتنع مع الضاد ، لأن الحيز منطقة تشمل اكثر من صوت ، مما دفعه إلى وضع الضاد مع الجيم والشين . ولعل كون مخرج الضاد عند الخليل وسيبويه وغيرهما من النحاة لاحقا بمخرج الجيم والشين ، وهو الذي حدا به إلى ان يجعله مع الجيم والشين في حيز .

ومن ذلك يتضح لنا عدم دقة أبي حيان في تخطئة الخليل لأنه وضع (ج ش ض) في حيز الشجر ، وعلة ذلك هي ان أبا حيان وجمهور علماء العربية لم يدركوا تمام الإدراك مراد الخليل من ترتيب الأصوات فراحوا على ذلك يخطئونه ويصمون كتابه بالاضطراب والخلل . يقول ابن جني على ترتيب الأصوات في مقدمة العين : " فأمر ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفاً مما رتبه سيبويه ، وتلاه أصحابه عليه ، وهو الصواب الذي يشهد التأمل بصحته " [1] . والى ذلك ذهب بعض العلماء قدماء[2] ومحدثين[3] .

نخلص من ذلك إلى أن متقدمي النحاة متفقون على وصف واحد لمخرج صوت الضاد ، ذلك الوصف لا نجد له نظيراً في ما ينطق به أهل العربية اليوم .

ثانيها : مخرج صوت اللام :

وعده ابو حيان المخرج الخامس بين مخارج اللسان ، والثامن بين المخارج الستة عشر .

لقد اكتفى أبو حيان على عادته في كتاب النكت الحسان بذكر العضو المساهم في إنتاج صوت اللام من اللسان إذ قال : " من حافة اللسان أيضا ، وله : اللام . ويأتي إخراجها من كلتا حافتي اللسان اليمنى واليسرى إلا إن إخراجها من حافتها اليمنى أمكن بخلاف الضاد فأنها من اليسرى أمكن " [4] . وقد ذكر القسطلاني مقارنة إنتاج اللام بإنتاج صوت الضاد في لطائف الإشارات بحكاية ابي حيان عن شيخه ابي علي ابن ابي الاحوص[5] . ونظن ان ما ذكره القسطلاني منقول من كتاب شرح التسهيل لأبي حيان ، لخلو مصنفات ابي حيان الأخرى من نسبة النص إلى أبى علي الاحوص ، ولأن القسطلاني في لطائفه اعتمد على شرح التسهيل في نقل آراء أبي حيان .

وفي الارتشاف يصف أبو حيان مخرج اللام بصورة أكثر شمولاً مما ذكره في النكت فيقول : " وهي من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى هما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية " [6] . فالضاحك والناب والرباعية والثنية أسماء للأسنان التي تقع مقدم الفم يقول الرضي: " ان الأسنان اثنتان وثلاثون سناً ستة عشر في الفك الأعلى ، ومثلها في الفك الأسفل . فمنها الثنايا: وهي أربع من قدام ، ثنتان من فوق ، ومثلها من اسفل . ثم الرباعيات ، وهي أربع أيضا ، رباعيتان من فوق يمينه و يسرة ، ومثلها من اسفل ، وخلفهما الأنياب الأربع : نابان من فوق يمنة ويسرة ومثلهما من اسفل ، وخلف الأنياب الضواحك ، وهي أربع : ضاحكتان من فوق يمنة ويسرة ، ومثلهما من اسفل . وخلف الضواحك الأضراس ..." [7] . ولم يتجاوز ابو حيان متقدمي النحاة ومتابعيهم في وصف مخرج اللام . فالخليل يرى : " ان مجرى اللام من حافات اللسان إلى منتهى طرفه . . . " [8] وهي في نص آخر : " من حروف اللسان إلى منتهاه . . . " [9] . ويرى " ان مجراه فيما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى والشبك المثنى معارضة لاصول الثنايا والرباعيات مشاركاً لبعضها في الانحراف . . . " [10] . ثم ذكر ان النون تأتي بعدها . . . ،[11] ولا يذهب سيبويه بعيداً عن كلام الخليل السابق فيقول : " ومن حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام " [12] . وبذلك وصف ابن السراج مخرج اللام [13] وغيره من علماء العربية [1] .

---

[1] سر صناعة الإعراب: 1/45-46 .
[2] ظ : الموضح في التجويد : 81 .
[3] ظ : علم اللغة العام (الأصوات) : 90 . والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 297-298 .
[4] النكت الحسان : 277 .
[5] ظ : لطائف الإشارات : 1/192 .
[6] الارتشاف : 1/6 .
[7] شرح الشافية : 3/252 .
[8] تذكرة النحاة : 28 .
[9] م . ن : 30 .
[10] م . ن : 30 .
[11] ظ : م . ن : 30 .
[12] كتاب سيبويه : 2/405 .
[13] ظ : الاصول : 3/400 .

ووصف القدماء لمخرج الراء لا يختلف فيه المحدثون سوى انهم يتعددون في تسمية المخرج ؛ فمنهم من يبدل وصف القدماء (فوق الثنايا) بمصطلح (اللثة) [2] ويصفه الدكتور محمود السعران بأنه (سني-جانبي)[3] . وهو وصف زاد عليه الدكتور كمال بشر انه (لثوي) [4] . وعلى أي حال من أهمية " لهذا الاختلاف في التسمية مادام الوصف واحداً "[5] .

مخارج طرف اللسان :

أولها : مخرج صوت النون :

وجعله أبو حيان المخرج التاسع من المخارج الستة عشر ،[6] وهو المخرج السادس من مخارج اللسان .[7] يقول أبو حيان في النكت : " أول مخارج طرف اللسان ، فله : النون ، يخرج من طرف اللسان بينه وما بين فويق الثنايا متصلاً بالخيشوم تحت اللام قليلاً أو فوقها قليلاً حسبما اختلف في ذلك " [8] . والظاهر ان أبا حيان في نكته لا يبين موقفه من محل خروج اللسان مكتفياً بعرض ما اختلف فيه النحاة اذ قال: (تحت اللام قليلاً ، او فوقها قليلاً . .) . إلا انه يفصح عن مذهبه في الارتشاف فيقول : " المخرج التاسع : وهو للنون في طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا متصلاً بالخيشوم (و)* تحت اللام قليلاً "[9] وقول ابي حيان : " من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا متصلاً بالخيشوم . . .". إشارة إلى أن للخياشم وظيفة في إبراز صوت النون وهو ما أشار إليه الداني سابقاً في قوله : " والنون من طرف اللسان ، بينه وبين ما فويق الثنايا العليا ويتصل بالخياشم " [10] وقال أيضا : " فاما النون المتحركة فمخرجها من الفم مع صويت من الأنف " [11] . يتبين من ذلك ان ما قصده الداني وأبو حيان وجمهور علماء العربية من صوت النون ها هنا هو النون التي يمكن ان تتحرك . يقول المبرد بعد ذكره لمخرج اللام : " وأقرب المخارج منه مخرج النون المتحركة . . . " [12] . ثم قال : " فأما النون المتحركة فأقرب الحروف منها اللام ، كما ان اقرب الحروف من الياء الجيم . . . "[13] . وعلى الرغم من ذلك فإننا لا نجد علماء العربية يشيرون إلى دور الخيشوم في إخراج النون المتحركة ، يقول الخليل من طريق الأخفش بعد ذكره لمخرج اللام : " ثم النون المتحركة . . . ومخرج هذه النون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا واقرب الحروف منها اللام كما ان اقرب الحروف من الياء الجيم . . . " [14] . وهذا النص شبيه إلى حد كبير نص المبرد الذي ذكرناه ، لذا فلا نستبعد ان يكون المبرد قد اطلع على نص الخليل هذا . ولا يقتصر الأمر على الخليل في عدم ذكره لدور الخيشوم في إنتاج النون المتحركة إنما يتعدى إلى سيبويه وابن السراج ومتابعيهما في ذلك . يقول سيبويه : " ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون " [15] . وعدم إفصاح النحويين عن دور الخيشوم في إنتاج النون المتحركة لا يعني في اغلب الظن عدم إدراكهم لحقيقة نطق تلك النون يقدر ما يمثل عملهم هذا وصفاً لمخرج الصوت بأهم عضو يتكون منه ذلك الصوت . أي اكتفاؤهم بالعضو البارز في إنتاج صوت معين في وصف نقطة خروج ذلك الصوت .

أما النون التي ذكرها المحدثون في هذا الموضع وان اختلف عندهم ترتيبها فهي النون التي تمثل وحدة صوتية تتفرع منها صور صوتية أخرى أي انهم قصدوا النون الساكنة كأصل وما النون المتحركة الأخرى الا فرع عنها أي انهم قصدوا النون الساكنة كاصل وما النون المتحركة إلا فرع منها وهي من المخرج نفسه مع شيء من التغيير الذي يعتريها . فالنون الساكنة عند المحدثين : " صوت انفي . . . يتم نطقه عن طريق اتصال

---

(1) ظ : سر صناعة الاعراب : 47/1 . والموضح في التجويد :78.
(2) ظ : اصوات اللغة : 202 . والوجيز في فقه اللغة : 176 و 189 . وفي البحث الصوتي عند العرب : 20 .
(3) علم اللغة : 186 .
(4) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 297 . و ظ : المصطلح الصوتي ، للصيغ : 76-77 .
(5) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 309 .
(6) ظ : الارتشاف : 9/1 .
(7) ظ : النكت الحسان : 277 .
(8) م . ن : 277 .
* ساقطة من مصورة المجمع، ظ : 4 ظ.
(9) الارتشاف : 6/1 .
(10) التحديد : 105 .
(11) م . ن : 106 .
(12) المقتضب : 193/1 .
(13) م . ن : 193/1 .
(14) تذكرة النحاة : 30 .
(15) كتاب سيبويه : 405/2 وظ: الأصول : 400/3 وسر صناعة الاعراب : 7/2 .

طرف اللسان باللثة اتصالاً محكماً يمنع مرور الهواء من الفم ، مع خفض الطبق ليفتح المجرى الأنفي فيمر منه الهواء محدثاً نوعاً من الحفيف . . . " [1] .

ولنا مع النون حديثٌ سنعرض له في آخر المخارج الصوتية وهو الخيشوم .

ثاني مخارج طرف اللسان (مخرج صوت الراء) :

وله عند ابي حيان الرتبة السابعة بين مخارج اللسان [2] ، والعاشرة في المخارج الستة عشر [3] .

يقول أبو حيان في النكت الحسان : " وهي ادخل من النون في ظهر اللسان قليلاً . . ."[4] . وقال في الارتشاف : " وهي من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا غير انها ادخل في ظهر اللسان قليلاً من النون . . . "[5] . ومع ذهاب أبي حيان إلى ان كلاً من (اللام والنون والراء) في مخرج إلا انه ذكر في موضع آخر ان هذه الأصوات في حيز واحد فقال : " وثلاثة في حيز : اللام والراء والنون ، من طرف اللسان إلى مقدم (الفك)* الأعلى . . ."[6] وهذا يدل على إدراك واضح منه لشدة تقارب هذه الأصوات في نقطة خروجها يقول المبرد : " فمحمل اللام والنون والراء ، متقارب بعضه من بعض ، وليس في التداني كما أذكر لك "[7] .

لقد رأى أبو حيان في نكته ان جملة من النحاة كالخليل وسيبويه يذهبون إلى ان عدد المخارج ستة عشر . وان بعضهم يراها أربعة عشر كالفراء وقطرب والجرمي وابن دريد وابن كيسان على خلاف عنه . وموطن الخلاف بينهم (اللام والنون والراء) فأصحاب المذهب الأول يرونها في ثلاثة مخارج أما أصحاب المذهب الثاني فيرونها في مخرج واحد [8] . أي ان أبا حيان فهم من ذلك ان الخليل يذهب إلى عد (اللام والنون والراء) كل في مخرج . وهو فهم صحيح كما سيأتي الا انه عدل عن هذا الفهم فقال في الارتشاف : " والمخارج ستة عشر خلافاً لقطرب والجرمي والفراء وابن دريد في زعمهم انها أربعة عشر . . ."[9] . ثم قال بعد ان أتى على وصف مخرج الراء : " وتقدم مذهب الجرمي ومن وافقه وهو الظاهر من كلام الخليل"[10] . وهذا الذي نسبه إلى الخليل من أن (الراء واللام والنون) في مخرج فهم غير دقيق ؛ ذلك لأن الخليل في مقدمة كتاب العين جعل أصوات (ر ل ن) في حيز واحد على أساس أنها لا تأتلف في كلمة واحدة، وان تقديمه للراء سببه كون الراء انصع الأصوات في حيزها . وهذا لا يعني انه يذهب إلى ان تلك الأصوات في مخرج واحد لأمرين، أحدهما ذكر بعض المصادر ان الخليل يرى ان (اللام والراء والنون) كل في مخرج [11] . والآخر ان الخليل كان على علم بمخرج اللام ومخرج النون كما بيناه سابقاً ، ونزيد هنا ان الخليل كان على علم بحقيقة مخرج الراء ، يقول الخليل من طريق الأخفش الأوسط بعد وصفه لمخرج اللام فالنون : " . . . ثم الراء بينهما وهو ادمج من النون في العكد لانحرافه إلى اللام المستعكد " [12] ولهذا النص رائحة واضحة عند المبرد في قوله بعد ذكره لمخرج اللام فالنون : " فاذا ارتفعت عن مخرج النون نحو اللام فالراء بينهما على انها إلي النون اقرب واللام تتصل بها بالانحراف الذي فيها "[13] .

أما سبب اخراج الخليل لأصوات (ر ل ن) عن موضعها وهو قبل الأصوات الاسلية بجعلها قبل حيز (ف ب م) في نظامه الذي وضعه مقدمة لكتابه العين فلأنه - بعد ان ميز بين الأصوات المذلقة والأصوات المصمتة لمعرفة العربي من الدخيل في الأبنية الرباعية فما فوقها - جعل المصمتة على قسمين : حلقية وصتم لمعرفة ما كثر في البناء العربي وما قل منه . وبذلك تكونت لدى الخليل ثلاث مجاميع هي (حلقية ، صتم ، ذلقية) . ثم جعل الأصوات في كل مجموعة على احياز ورتب تلك الاحياز على وفق الأعمق فالأعمق في داخل المجموعة التي تنتمي اليها مقدماً المجموعة التي تحتوي على الحيز الأعمق بين احياز النظام كله وهي

---

[1] المصطلح الصوتي د. عبد القادر : 66 . و ظ : المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب : 66 . و أصوات اللغة : 66 .
[2] ظ : النكت الحسان : 277 .
[3] ظ : الارتشاف : 7/1 .
[4] النكت الحسان : 277 .
[5] الارتشاف : 7/1 .
* في مصورة المجمع (الغار) وهي اصح مما جاء في تحقيق الدكتور مصطفى النماس . ظ : مصورة المجمع: 5 ظ .
[6] م . ن : 12/1 .
[7] المقتضب : 193/1 .
[8] ظ : النكت الحسان : 275 .
[9] الارتشاف : 7/1 .
[10] م . ن : 7/1 .
[11] ظ : الهمع : 291/6-292 .
[12] تذكرة النحاة : 28 .
[13] المقتضب : 193/1 .

(المجموعة الحلقية) .ولحقها بمجموعة الأصوات الصتم لأن اعمق حيز فيها هو أعمق من حيزي أصوات المجموعة الذلقية . وهكذا جاء حيز المجموعة الذلقية آخراً لأن أول حيز فيها وهو (ر ل ن) متأخر في الرتبة عن اول حيز في المجموعة الحلقية و أول حيز في مجموعة الأصوات الصتم .

وبذلك لم يكن أبو حيان الأندلسي صائباً في ما انتهى إليه من ان الظاهر من كلام الخليل هو ان الأصوات (ر ل ن) في مخرج واحد .

وثمة ملاحظة أخرى على كلام أبي حيان السابق تتعلق بمفهومه من مراد ابن دريد والفراء لعدد المخارج هي انه يرى انهما يذهبان إلى ان عدد المخارج أربعة عشر وان الأصوات (ر ل ن) عندهما في مخرج واحد . لكن حقيقة الأمر مع ابن دريد غير التي وصفها ابو حيان ، يقول ابن دريد : " ثم النون تحت حافة اللسان من الشق الأيمن ، واللام قريبة من ذلك ، والراء أدخل بطرف [كذا] إلا ان الراء أدخل بطرف اللسان في الفم "[1] . يقول الدكتور خليل العطية راداً على من يذهب إلى ان عدد المخارج عند ابن دريد أربعة عشر : " ولو فهم من هذا القول * عده مخارج النون واللام والراء من مخرج واحد فانه مخالف لنصه الذي قدم به (مخارج الحروف وأجناسها) من انها ستة عشر مجرى أي مخرجاً "[2] .

اما ذهاب ابي حيان الى ان المخارج عند الفراء اربعة عشر فقد تابع فيه الداني[3] ، وهو مذهب رفضه الدكتور صبيح التميمي مستدلا على رفضه بنص الفراء الذي قال فيه : " العرب تدغم اللام عند النون اذا سكنت اللام وتحركت النون وذلك انها قريبة المخرج منها " [4] . يقول الدكتور صبيح بعد عرضه لنص الفراء السابق : " فهذا تصريح واضح للدلالة على انه يرى ان اللام قريبة المخرج من (النون) وليست من مخرجها . . . وهذا القول رد قاطع على عدم صحة رواية أبي حيان " [5] . ومع ما استدل به الدكتور صبيح فاننا لا نستطيع ان نقطع بغلط ما نسب إلى الفراء في عدد المخارج لتبقى المسألة في باب الاحتمال .

وسبب عدم جزمنا في ما ذهب إليه د. صبيح هو :

1-عدم وجود نص يفصح فيه الفراء عن موقفه في عدد المخارج .

2-ان المفسرين غالباً ما يطلقون على الأصوات ذات المخرج الواحد أنها متقاربة تعليلاً لإدغامها بعضها في بعض . من ذلك ما ذكره الأخفش في قوله تعالى : ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم ﴾[6] : " وقال بعضهم : (يخطف) ، وهو قول يونس من (يختطف) فادغم التاء في الطاء ،لأن مخرجها قريب من مخرج الطاء "[7] .

وقال في (اسطاعوا) من قوله : ﴿ فما اسطاعوا ان يظهروا وما استطاعوا له نقبا ﴾[8] : " لأن لغة العرب تقول اسطاع يسطيع ، يريدون به : استطاع يستطيع ، ولكن حذفوا التاء اذا جامعت الطاء لأن مخرجها واحد. . ."[9] .

ويبدو ان الذي قصده المفسرون في تعبيرهم عن الأصوات التي من مخرج واحد بالمتقاربة ؛ هو ما ذكره سيبويه عنواناً لباب ادغام المتقاربين : " هذا باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد والحروف المتقاربة مخارجها " [10] .

فلما كانت الأصوات مرتبة في داخل مخرجها بحسب العمق صح فيها تعبير سيبويه عنها بأنها متقاربة من مخرج واحد . ومع ذلك فان الفراء قد يكون قاصداً من قوله " . . . وذلك انها قريبة المخرج منها " ان مخرج اللام قريب من مخرج النون وليس منه . ونستطيع ان نقوي احتمال وهم الداني وأبي حيان بغير ما استدل به د. صبيح ، وذلك من خلال ما ذكره عبد الوهاب القرطبي (461 هـ) في كتابه الموضح ، يقول على الأصوات : " أما تحقيق ذواتها وذكر مخارجها وتبيين أجناسها وذكر مراتبها في الاطراد فنذكره على ما ذكره سيبويه –رضي الله عنه- ورتبه في نسخة ابي بكر مبرمان ، وتلاه أصحابه وغيرهم من المتأخرين عليه ، لأنه المعتمد . فأما غيرهم من الكوفيين فانهم لم يعرضوا لما قسمه سيبويه وهذبه وانما قسم الفراء الحروف إلى

---

[1] جمهرة اللغة : 8/1 .

* أي نص ابن دريد السابق .

[2] الفكر الصوتي عند ابن دريد: 177 .

[3] ظ : التحديد : 106 .

[4] معاني القرآن ، للفراء : 353/2 .

[5] رأي من فكر الفراء الصوتي : 196 . وتابعه الباحث عباس علي اسماعيل ، ظ : الظواهر الصوتية عند الكوفيين : 137 .

[6] البقرة/20 .

[7] معاني القرآن للأخفش : 50/1 .

[8] الكهف/97 .

[9] معاني القرآن للأخفش : 399/2 .

[10] كتاب سيبويه : 411/2 .

مصوت والى اخرس ، وكأنه أراد بالمصوت الرخو من الحروف ، وأراد بالأخرس الشديد..."[1] . وقد ذكر مايؤيد ذلك السيرافي (368 هـ) في شرح كتاب سيبويه في باب (ما ذكره الكوفيين من الإدغام)[2] .

وهذا الذي ذكره ابو سعيد والقرطبي يشير إلى ان الفراء لم يوزع الأصوات على مخارجها ، انما وزعها على وفق صفاتها من حيث الرخاوة (المصوت) والشدة (الأخرس) . ولكن هذا لا يعني ان الفراء لم يذكر في موضع ما –لم يصل إلينا- عدد من مخارج الأصوات . وعليه تبقى مسألة غلط أبي عمرو الداني وأبي حيان في ما نسباه إلى الفراء ضعيفة محتملة .

هذه هي وجهة نظر أغلب القدماء لمخارج الأصوات (ر ل ن) . أما المحدثون فلا يختلفون مع القدماء في مخارجها إلا في الاصطلاح .وأهم ما يمكن الإشارة إليه وضع بعض المحدثين اللام المرققة واللام المفخمة في المخرج نفسه على أساس افتراقهما في الترقيق والتفخيم لكونهما صورتين صوتيتين لفونيم اللام [3] . وقد التفت العلماء إلى نوعي اللام إلا انهم لم يذكروها في توزيع الأصوات على مخارجها لأنهما صورتان لأصل واحد ، وسيأتي الحديث على ذلك في موضعه .

ثالث مخارج طرف اللسان ، وله (الدال و الطاء والتاء):

وهو عند أبي حيان المخرج الثامن بين مخارج اللسان [4] ، والحادي عشر بين المخارج الستة عشر [5] . ويقتصر أبو حيان في كتاب النكت الحسان على وصف مخرج هذه الأصوات بأنه الثامن من مخارج اللسان جميعاً . ورتب اصواته على النحو الآتي: (د ، ط ، ت) [6].

ويصف في الارتشاف مخرج تلك الأصوات بشكل اكثر شمولاً فيقول : " وثلاثتها تخرج من بين طرف اللسان واصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك " ، فأبو حيان يذهب إلى ان هذه الأصوات من مخرج واحد والنص الاخير يشبه إلى حد كبير النص الذي ذكره الداني في التحديد ولا سيما قوله : (مصعداً إلى الحنك) مع اختلاف في ترتيب الأصوات [7].

وقد ظن الاستاذ الدكتور غانم قدوري آل حمد ان العبارة الاخيرة (مصعداً إلى الحنك) من اضافات علماء التجويد التوضيحية على اساس عدم وجود تلك العبارة في كتاب سيبويه[8] . ولا نستبعد أبداً ان تكون هذه العبارة مما تضمنته النسخ الكثيرة من كتاب سيبويه ولم يرد في المخطوطة التي اعتمدت في طبعة بولاق ولا في المخطوطات التي وردت في طبعة الدكتور عبد السلام هارون بدليل ان القرطبي الذي نقل ترتيب الأصوات على مخارجها كما يراها سيبويه نقلاً من نسخة أبي بكر مبرمان من الكتاب ، ذكر هذه العبارة [9]. بل ان غير سيبويه من النحويين المتقدمين من ذكر تلك العبارة كالمبرد [10].

وحسبنا فيما ذكره المبرد الذهاب إلى ان عبارة (مصعداً إلى الحنك) من تعابير متقدمي النحاة في وصف مخرج (د ، ط ، ت) وليس لعلماء التجويد أي زيادة على ما ذكره النحويون في ذلك .

رابع مخارج طرف اللسان ، وله (ز ، س ، ص) :

ذهب أبو حيان في النكت الحسان إلى ان مخرج تلك الأصوات التاسع في مخارج اللسان والرابع بين المخارج التي في طرفه بلا توضيح لرتبة كل صوت في داخل ذلك المخرج [11].

أما في الارتشاف فانه يتسع في وصف ذلك المخرج قائلاً : " المخرج الثاني عشر : وهو للزاي والسين والصاد وثلاثتهن مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى " [12].

---

[1] الموضح في التجويد : 77 .
[2] ظ : ما ذكره الكوفيين من الإدغام : 132 .
[3] ظ : التشكيل الصوتي :77-78 .
[4] ظ : النكت الحسان : 277 .
[5] ظ : م.ن : 277 .و الارتشاف : 7/1 .
[6] الارتشاف : 7/1 .
[7] ظ: التحديد : 105 .
[8] ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 108 .
[9] ظ: الموضح في التجويد : 79 .
[10] ظ : المقتضب : 193/1 .
[11] ظ : النكت الحسان : 277 .
[12] الارتشاف : 7/1 .

فالأصوات (ز ، س , ص) من المخرج الرابع من مخارج طرف اللسان والتاسع في مخارج اللسان عامة ، والثاني عشر في المخارج الستة عشر . تلك الأصوات على رتبة واحدة في المخرج نفسه، وهذا واضح من قوله : (وثلاثتها مما بين طرف اللسان . . .) .

وأبو حيان في وصفه لمخرج تلك الأصوات متابع لوصف سيبويه [1]، ومن سار على نهجه في ترتيب الأصوات. الا ان أبا حيان يحدد محل خروج تلك الأصوات من الثنايا بقوله : (. . . وفويق الثنايا السفلى . . .) . وقد أفصح عن ذلك من قبل ابن السراج في قوله : " مما بين اللسان وفويق الثنايا السفلى مخرج الزاي والسين والصاد " [2]. والذي نظنه ان كلمة (طرف) سقطت في اثناء النسخ من كلام ابن السراج ، أو ان ابن السراج سها عنها وهو احتمال بعيد . ومعنى قول علماء العربية " فويق الثنايا السفلى " انهم ارادوا طرف تلك الثنايا ، يقول عبد الوهاب القرطبي : " ومما بين طرف الثنايا السفلى وطرف اللسان مخرج الصاد والسين والزاي " [3].

لقد حافظ أبو حيان الأندلسي على ترتيب سيبويه ومشايعيه لمخرج أصوات (السين والزاي والصاد) بتأخيره عن مخرج (ط د ت) . وهم بذلك يخالفون ترتيب الخليل بن احمد لأنه قدم مخرج (ص س ز) على مخرج (ط د ت) ، قال الخليل بعد ذكره مخرج (ل ن ر) : " ثم الصاد والسين والزاي : ولها من وسط اللسان شباته ، ومن فويق الثنايا سراته " [4].وقال أيضا : " حد كل شيء: شباته " [5]. وفي لسان العرب : " شباة كل شيء : حد طرفه وقيل حده ... وشبا النعل جانبا أسلتها ، ... والشباة : طرف السيف وحده ... " [6]. فالشباة اذن تعني حد اللسان ، أو حد طرفه . وبذلك فان كلمة (وسط) في قول الخليل : (من وسط اللسان شباته) اما أن تكون زيادة من صنع النساخ ، أي ان اصل كلام الخليل : " ولها من اللسان شباته ... " ، أو إن الكلمة محرفة أصلها أسلة اللسان أو طرف اللسان . والدليل على ما احتملناه في كلام الخليل السابق أن النصوص التي وردت عن الخليل ، تشير جميعها إلى أن مخرج (ص س ز) من طرف اللسان لا وسطه . يقول الخليل : " الصاد والسين والزاي أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهو مستدق طرفه ... " [7]، وفي العين : " وأسلة اللسان ، طرف شباته (أي)* مستدقه [ومنه قيل للصاد والزاي والسين أسلية ، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهو مستدق طرفه]** ... " [8].

ووصف اصوات (ط د ت) في كتاب العين بأنها " نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى " [9]. وقد استعمل هذا الاصطلاح على تلك الأصوات بعض القدماء [10]، وأيد هذا الاستعمال بعض المحدثين [11].في حين رفضه بعضهم ذلك لأن الخليل حدد النطع بأنه " ما ظهر من الغار الأعلى ، وهي الجلدة الملتصقة بعظم الخليقاء ، وفيها آثار كالتخريز " [12].فالنطع لا علاقة له بإخراج أصوات (ط د ت) لأن مخرج تلك الأصوات – كما وصفه سيبويه - من اللثة (أصول الثنايا العليا) [13].

والحق إن فكرة رفض المصطلح دقيقة ولا سيما إذا علمنا أن الخليل حدد موضع الخليقاء من الفم بقوله : " خليقاء الغار الأعلى : الباطنة " [14]. ولكن هل يعني هذا أن الخليل حقا أطلق على مخرج تلك الأصوات مصطلح (النطع) ؟ .

ان الباحث لا يستطيع ان يسلم بصحة هذه النسبة إلى الخليل ، ذلك لأن الخليل وصف مخرج تلك الأصوات بقوله : " الطاء والدال والتاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا " [15]. قصد بأطراف الثنايا أصولها

---

(1) كتاب سيبويه : 405/2 .
(2) الأصول : 400/3 .
(3) الموضح في التجويد : 79 .
(4) تذكرة النحاة : 30 .
(5) العين : 290/6 (ش ب و) .
(6) اللسان : 419/14-420 (ش ب أ) .
(7) العين : 58/1 . والنص في تذكرة النحاة : 27 .
* في اللسان (إلى) : 15/11 (أ س ل) .
** ما بين المعقوفتين زيادة من اللسان وهو ساقط من كتاب العين ، اللسان : 15/11 (أ س ل) .
(8) العين : 301/7 (أ س ل) .
(9) م.ن: 58/1 .
(10) ظ : كتاب الحروف ، لأحمد بن محمد الرازي ، تح :د. رمضان عبد التواب ، ضمن كتاب ثلاثة كتب في الحروف : 139. وظ :الكتاب نفسه بتحقيق الدكتور رشيد العبيدي: 204 .
(11) ظ : التفكير الصوتي عند الخليل : 31-32 .
(12) العين : 16/2 (خ ل ق) .
(13) ظ : الدراسات الصوتية في كتاب العين : 95 . وموقف الازهري من كتاب العين : 309 .
(14) العين : 152/4 (خ ل ق) .
(15) تذكرة النحاة : 30 .

وهي اللثة ، لذلك فإننا نرجح – ولعله الصواب – أن مصطلح (النطعية) المنسوب إلى الخليل بن احمد الفراهيدي ، بإجماع الدارسين ، إنما هو تصحيف من كلمة (اللطعية) ، قال الخليل : " اللطع . الذي ذهبت أسنانه وبقيت اسناخها في الدرد " [1]. وقال في معنى السنخ : " السنخ : اصل كل شيء . واسناخ الثنايا أصولها. ." [2].

وبهذا لا يكون ثمة خلاف بين الخليل وسيبويه في حقيقة مخرج أصوات (ط د ت) ولكن المسألة تكمن في سبب اختلافهما في الترتيب ، فالخليل يضع هذا المخرج بعد مخرج أصوات (ص س ز) وسيبويه يضعه قبله . فالخليل وسيبويه لا يختلفان في أن طرف اللسان يعمل في إنتاج أصوات (ص س ز) . ولكن الخلاف جاء في الموضع الذي يلتصق به طرف اللسان ، أما الخليل فيصف ذلك الموضع بأنه (من فويق الثنايا) ثم يصف الموضع الذي يلتصق به طرف اللسان مع أصوات (ط د ت) بأنه (أطراف الثنايا) . وهذا يعني ان حديثه كان على أصول الثنايا العليا أي إن أصوات (ص س ز) وأصوات (ط د ت) كلاهما –عنده- تخرجان من طرف اللسان إلا إن أصوات (ص س ز) يلتصق معها طرف اللسان بفويق الثنايا العليا . ومع أصوات (ط د ت) يلتصق بأطراف الثنايا العليا . وكأنه قصد (بفويق الثنايا العليا) أعلى اللثة ، وقصد (بأطراف الثنايا) الحد الفاصل بين اللثة والأسنان وهذا وصف دقيق .

أما سيبويه فالمسألة واضحة عنده فالأصوات (ط د ت) تخرج من أصوات الثنايا العليا (اللثة) . و (ص س ز) من فويق الثنايا السفلى ، وكأن سيبويه لاحظ انحدار طرف اللسان إلي فويق الثنايا ، وهي ملاحظة صحيحة الادق منها وصف الخليل لأن اللثة هي المخرج الصحيح لأصوات(ص س ز) .

هذه هي آراء القدماء في وصف مخرج (ط د ت) . أما المحدثون فلم يكونوا على طائفة واحدة في وصف مخرج اصوات (ط د ت) وهو ما يوضحه الجدول الآتي :

---

[1] العين : 13/2 (ل ط ع) .

[2] م . ن : 200/4 –201 (س ن خ) .

	د. ابراهيم أنيس[1]	د. رمضان عبد التواب[2] ، د. احمد مختار عمر[3] ، د. خليل العطية[4] ، د. تمام حسان[5] ، الانطاكي[6] ، د. عبد القادر عبد الجليل[7]، د. المرعي خليل[8]	د. زكي كريم[9]	هنري فليش[10]	كانتينو[11]	د. خليل حماش[12]	د. كمال بشر[13]	د. عبد الصبور[14]	بسام بركة[15]
طرف اللسان واصول الثنايا	د ض ت ط ل ر ن ز س ص								
خلف اسناني						ت د س ز ط ص ض			
اسنانية لثوية* (اسنانية نخروبية)		د ض ت ط ز س ص	د ض ت ط	د ن ت ط			ت د ض ط ل ن		د ض ت ط س ص ن
لثوية (نخروبية)*		ر ل ن	ز س ص ل ر ن	ر ل	ر ز س ص	ر ل ن ج ش ي	ر ز س ص	س ز ص ت د ط ض ل ر ن	ر ل
اسنانية				ز س ص	ت د ط الدال المفخمة ن س ر ص				
بين اسناني				ض					
ادنى حنكية					ج ش ي ر ل ض				

الهوامش :

(1) ظ : الاصوات اللغوية : 49-64 . (2) ظ: المدخل إلى علم اللغة : 46 . (3) ظ : دراسة الصوت : 310 . (4) ظ:البحث الصوتي : 20 . (5) ظ : الوجيز في فقه اللغة : 176 . والمحيط : 24 . (6) ظ : الاصوات اللغوية : 160-175 . (7) ظ: اللغة العربية معناها ومبناها : 79 (الجدول) . (8) ظ: المصطلح الصوتي : 64-65 .(9) ظ : اصول تراثية : 124 . (10) ظ : العربية الفصحى : 40. وكلام العرب ، ظاظا : 17-20 . (11) ظ : دروس في علم اصوات العربية : 30 . (12) ظ : الافكار الاساسية (بحث) : 112-113 . (13) ظ : علم اللغة العام (الاصوات) : 89 . (14) علم الاصوات ، مالمبرج : 111 (دراسة المترجم) .(15) ظ : علم الاصوات العام : 115 ، 119 ، 120 ، 127-128 .

*** النخروبي مصطلح استعمله الاستاذ بسام بركة ، ظ:علم الاصوات العام بسام بركة : 115 .**

وبغض النظر عن الآراء الفردية التي يبرزها الجدول فان اغلب المحدثين مناصرون للمذهب الثاني أي إن الأصوات (ط ض د ت ، ص س ز) أسنانية لثوية عندهم ، وان الأصوات (ر ل ف) لثوية . والمخرج الأخير –كما يظهر- اعمق من جهة الحلق من مخرج الأصوات الاسنانية اللثوية . وهو ما عليه جمهور علماء العربية القدماء .

ويختلف مؤيدو المذهب الثاني –أيضا- في ترتيب مخرجي (ط ض د ت) ، و (ص س ز) ؛ فمنهم من يقدم مخرج (ص س ز) على مخرج (ط ض د ت) [1]. والغالب منهم من يذهب إلى العكس من ذلك فيقدمون مخرج (ط ض د ت) على مخرج (ص س ز) [2]. ومنهم من لا يشير إلى رتبة المخرجين مكتفين بتسميتها بالأصوات الاسنانية اللثوية [3]. وهذا يعني أن من قدم (ص س ز) على مخرج (ط ض د ت) موافق ترتيب الخليل . واما من فعل العكس فقد وافق في ذلك الترتيب ترتيب سيبويه وان اختلف التسويغان عندهما .

وبما ان الأصوات (ط ض د ت ، ص س ز) تخرج بالتقاء طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا فقد أجاز بعض المحدثين أن يطلق عليها اصطلاح (السنية) بالنظر إلى الثنايا ، أو (اللثوية) بالنسبة إلى اللثة . وبالاعتبارين معا يصح تسمية مخرج تلك الأصوات بـ(أسنانية لثوية) [4]. أو انها (طرفية) بالنظر إلى طرف اللسان [5].

خامس مخارج طرف اللسان :

وهو عند ابي حيان المخرج العاشر بين مخارج اللسان[6] ، والثالث عشر في المخارج الستة عشر[7]. ويتم فيه إنتاج أصوات (الظاء والثاء والذال) ولا يشير أبو حيان في النكت الحسان إلى غير موضع إنتاج تلك الأصوات من اللسان [8]. لكنه يتوسع في الارتشاف فيقول : " المخرج الثالث عشر : وهو للظاء والثاء والذال وثلاثتها من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا " [9]. فالظاء والثاء والذال في مرتبة واحدة عند أبى حيان وتحديده لمخرج تلك الأصوات موافق لما ذهب إليه متقدمو النحاة كسيبويه، يقول عبد الوهاب القرطبي نقلاً من نسخة كتاب سيبويه بخط مبرمان : " مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مخرج الظاء والذال والثاء " [10]. وقد تابع سيبويه في ذلك المبرد [11] وكمال الدين الانباري [12]. في حين ذهب بعض علماء العربية إلى حذف لفظة العليا من(أطراف الثنايا العليا) [13].

لقد ميز القدماء بين ثلاث مواضع للثنايا كل واحد منها يمثل علامة لمخرج مجموعة من الأصوات تلك المواضع هي :

أصول الثنايا العلى : ط د ت .

فويق الثنايا السفلى ، (أطرافها) : ص س ز .

أطراف الثنايا العلى : ظ ذ ث .

ويعمل طرف اللسان في تلك المواضع الثلاثة في إنتاج الأصوات وإذا نظرنا إلى ترتيب المخارج الثلاثة السابقة على وفق المعيارين اللذين ذكرناهما في ترتيب سيبويه لمخرجي (ط د ت) و (ص س ز) لخلصنا إلى :

1-إن أصول الثنايا العليا أول تلك المخارج لأنها أقربها إلى الحنك الأعلى وان أطراف الثنايا العلى تلحق بها لأنها بعد المخرج الأول قرباً من الحنك الأعلى وآخرها فويق الثنايا السفلى .

---

(1) ظ : الحروف والأصوات العربية : 232 .

(2) ظ : دروس في علم أصوات العربية : 30. والوجيز في فقه اللغة : 171 . والمدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب : 50 . والمصطلح الصوتي ، د. عبد القادر : 65-66 .

(3) ظ : في البحث الصوتي عند العرب : 20 . والأصوات اللغوية عند المبرد : 72 .

(4) ظ : الحروف والأصوات العربية : 232 .

(5) ظ : النكت الحسان : 277 .

(6) ظ: النكت الحسان :277.

(7) ظ : الارتشاف : 7/1 .

(8) ظ : مدخل إلى علم اللغة ، د. محمود فهمي حجازي :44 .

(9) الارتشاف : 7/1.

(10) الموضح في التجويد : 79 .

(11) ظ : المقتضب : 193/1 .

(12) ظ : اسرار العربية : 280 .

(13) ظ : الاصول : 401/3 .

2-وعلى أساس المعيار الثاني ننتهي إلى النتيجة نفسها وهي : إن طرف اللسان يلتصق بأصول الثنايا في (ط د ت) وهو بذلك الأسبق ويليه مخرج (ظ ذ ث) لأنه يخرج من المنطقة السابقة على أسلة اللسان (مستدق طرفه) أي في طرفه .

ثم يأتي مخرج (ص س ز) لأنه يخرج من (أسلة اللسان) وهي مستدق طرفه .

زيادة على أن وصفهم لمخرج (ظ ذ ث) من انه من أطراف الثنايا العليا ؛ لأن أطراف الثنايا العليا وأطراف الثنايا السفلى تلتصقان بعضهما ببعض . وعلى ذلك يكون وصف سيبويه ومتابعيه لمخرجي اصوات (ص س ز) و (ط د ت) مؤداه إلى مخرج واحد وان اختلفت طريقة التعبير مع وصف كل مخرج . لذا يرى الباحث أن وصف سيبويه وجمع من علماء العربية وصف غير دقيق لما ذكرناه من أسباب وهو خلل في الوصف لا الإدراك . وان خير من وصف مخرج تلك الأصوات بعض علماء التجويد الذين التفتوا إلى دور الثنايا السفلى في إنتاج تلك الأصوات فصارت عند بعضهم : " أطراف الثنايا علياها وسفلاها " [1] مخرجاً لتلك الأصوات .

إن حرص علماء التجويد على إبراز الأصوات اللغوية من مخارجها التي هي عليها دفعهم إلى أن يناقشوا مقدار تقدم طرف اللسان بين أطراف الثنايا عند النطق بأصوات الظاء والذال والثاء ، فاجتمعوا على التحذير من المبالغة في خروج طرف اللسان [2]. قال ابن البناء : " وليحذر ان يخرج طرف اللسان بالذال والظاء والثاء إخراج ظهور بل بطرف ويمضي لسانه " [3]. وقال المرعشي : " وفي بعض الرسائل إن رأس اللسان يجاوز رأسي الثنيتين قليلاً إلى جهة الخارج في هذه الحروف . أقول : ذلك غير ظاهر في الظاء " [4]. يقول الدكتور غانم : " وإفراد المرعشي الظاء عن الذال والثاء مبني على أساس أن الظاء مطبق يتراجع اللسان في أثناء النطق به إلى الوراء قليلاً . وهذه الظاهرة هي نفسها التي جعلت المرعشي يقدم الظاء في ترتيب هذه الحروف الثلاثة ، . . ." [5].

هذه هي وجهة نظر القدماء في مخرج (ظ ذ ث) . ولعل ما ذكره النحويون ابتداءاً بسيبويه ، تعود أصوله إلى الخليل بن احمد الفراهيدي ، قال الخليل من طريق الأخفش : " ... الظاء والذال والثاء ، مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا " [6]. وهذا الرأي لا يتفق مع ما ذكر في كتاب العين من أن تلك الأصوات " لثوية ، لأن مبدأها من اللثة " [7]. ومع ما رواه النضر في غير كتاب العين عن الخليل انه قال : " الظاء والذال والثاء ، لثوية لأن مبدأها من اللثة ومجراها على طرف اللسان أصول الثنايا " [8]. والذي نظنه أن في النص السابق تحريفاً في كلمة (أصول) أي إن اصل الكلام (أطراف الثنايا) . وقد أيد بعض علماء العربية كون أن مخرج أصوات الظاء والذال والثاء من اللثة [9]، ومن الغريب إن من الباحثين المحدثين من يذهب إلى ذلك المذهب [10].

وذهب اغلب الباحثين المحدثين إلى تغليط الخليل في جعل تلك الأصوات تخرج من اللثة لأنه " وصف بعيد عن هذه الأصوات التي تخرج مما بين الأسنان " [11]. في حين ذهب د. حسام النعيمي إلى " أن نسبة هذه المصطلحات للخليل غير صحيحة وإلا فقد كنا تتوقع أن نجد لها صدى في كلام سيبويه " [12]. ومذهب الدكتور النعيمي صائب من حيث التشكيك في المصطلحات إلا أن ذلك الشك لا يصدق على جميع المصطلحات وان ما استدل به من عدم وجود صدى لمصطلحات الخليل في كلام سيبويه ضعيف لأن لسيبويه وجهة نظر خاصة في الدراسات اللغوية قد تخالف الخليل في جوانب وتوافقه في أخرى ، وعلى أية حال فان الفكرة التي طرحها الدكتور النعيمي وضعت أمام الباحث احتمالاً جديداً لا نظنه بالبعيد عن صنيع الخليل ، ذلك الاحتمال هو أن يكون الخليل قد أطلق على حيز (ظ ذ ث) مصطلح (الثنوية) أي انه نسب مخرج تلك الأصوات إلى الثنايا

---

[1] مرشد القارئ ، لابن الطحان : 129و ، نقلاً من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 212 .

[2] ظ : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 213 .

[3] بيان العيوب لابن البناء : 176 ظ –177 ظ ، نقلاً من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 213 .

[4] جهد المقل : 107 .

[5] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 213 .

[6] تذكرة النحاة : 30 .

[7] العين : 58/1 .

[8] تذكرة النحاة : 28 .

[9] مختصر في الفرق بين الضاد والظاء ،لمحمد بن نشوان الحميري ، ضمن كتاب رسالتان في الفرق بين الضاد والظاء : 3. وشرح المفصل ، لابن يعيش : 10 /125. واللسان : 141/15 (ل ث و) .

[10] ظ : دراسات في فقه اللغة : 269 . وفقه اللغة وخصائص العربية : 48 . والأصوات اللغوية عند المبرد : 72 .

[11] المصطلح الصوتي ، للصيغ : 83 . و ظ : المدخل إلي علم اللغة ؛ دكتور رمضان عبد التواب : 64 . والدراسات الصوتية في كتاب العين : 96-97 .وموقف الأزهري في كتاب العين : 309 .

[12] أصوات العربية بين التحول والثبات : 53 .

ومفردها الثنية والنسبة إلى الثنية ثنوي ، يقول صاحب اللسان " والثنية : واحد الثنايا من السن " [1]. والذي يرجحه الباحث ان يكون الخليل قد اصطلح على تلك الأصوات مصطلح (الثنوية) ؛ لأن (الثنوية) قريبة من وزن (اللثوية) ورسمها واحتمال التحريف والتصحيف بينهما وارد جداً ، والسبب في ما احتملناه من أن الخليل أطلق على مخرج تلك الأصوات بـ(الثنوية) وليس (اللثوية) ما يأتي :

1-إن مصطلح (الثنوية) مشتق من المحل المناسب لمخارج تلك الأصوات وهو الثنايا ومفردها الثنية .

2-ان اللثة هي مراكز الأسنان أو مغرز الأسنان [2]، أو هي ما حول الأسنان [3]. فإذا كان مذهب الخليل هو ان تلك الأصوات لثوية لجعلها قبل حيزي (الطاء والدال والتاء) و (الصاد والسين والزاي) لأن حيز الأول نطعي عنده والثاني أسلي ، إلا إن الذي حصل هو إن الخليل جعل حيز (ظ ذ ث) بعد حيزي (ط د ت) و (ص س ز) . ونحن نستبعد أن يكون الخليل قد وقع في ذلك الوهم الكبير .

3-ما رواه الأخفش الأوسط عن الخليل من أن أصوات (ظ ذ ث) تخرج (مما بين طرف الثنايا وأطراف اللسان) يدعم ما نذهب إليه من عدم إطلاق الخليل على حيز تلك الأصوات مصطلح اللثوي .

4-إن الذين نقلوا لنا كتاب العين من علماء العربية لم يفهموا ما فيه من منهج وآراء ، وعدم الفهم هذا يجعلنا نشك في حقيقة اغلب الآراء التي نسبت في العين إلى الخليل .

وبالأدلة السابقة يكون الباحث قد انتهى إلى أن المصطلح الحقيقي لحيز (ظ ذ ث) عند الخليل هو (الثنوية) وان مصطلح اللثوية الذي نسب إلى الخليل إنما هو تحريف من النساخ وفهم ليس بالصحيح من نقلة كتاب العين .

ولعل مصطلح (بين الثنوية) أدق مما يطلقه المحدثون من تسمية على مخرج أصوات (ظ ذ ث) . فمنهم من يرى أنها (لثوية) وهو مصطلح غلط ، كما ذكرنا . ومنهم من يرى أنها (بين أسنانية) وهو أدق المصطلحات التي بين أيدينا وعليه اغلب المحدثين [4]. وآخرون يذهبون إلى إيجاز ذلك المصطلح بكلمة (أسنانية) [5]. وعلى أية حال فان الأسنان كما نعلم اثنان وثلاثون سناً ومخرج (ظ ذ ث) بين الثنايا الأربع (علياها وسفلاها) لا من الأسنان كلها . لذلك يكون مصطلح (بين أسناني) أو (أسناني) عاماً لا يحدد المنطقة التي تخرج منها أصوات (ظ ذ ث) أما مصطلح (بين الثنوية) – نسبة إلى الثنايا- فانه يحدد بدقة النقطة التي يتم فيها إنتاج تلك الأصوات .

ولا يرى الباحث ضير في ان يطلق هذا المصطلح على مخرج أصوات (ظ ذ ث) . ولا يجوز لنا أن نطلق على ذلك المخرج اختصاراً مصطلح (الثنوية) فقط لأنه سيلتبس بمخرج الفاء وبغيره من المخارج كـ(ص س ز) و (ط د ت) .

المخارج الشفويــة :

يقول ابو حيان : " ... (وللشفة اثنان) يريد مخرجان ، (واربعة) يريد حرفاً " [6].

أول مخرجي الشفة :

قال في النكت الحسان : " الأول : باطن الشفة وله الفاء " [7].

والذي يظهر من هذا النص ما يأتي :

1-اقتصار أبي حيان في وصف مخرج الفاء على نقطة إنتاجه من الشفة وهي الأصل الثالث من الأصول الأربعة التي تعود إليها المخارج الستة عشر .

2-لم يحدد أبو حيان من أي الشفتين يتم إنتاج صوت الفاء .

3-جعل مخرج الفاء أول مخارج الشفتين أي انه مخرج شفوي . ولعل سبب نسبة أبي حيان مخرج الفاء إلى الشفة هو : أن الشفة يقتصر عملها على إنتاج أربعة أصوات منها صوت الفاء .

أما في الارتشاف فيقول : " المخرج الرابع عشر : وهو للفاء ، وهو من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا " [1]. وهذا الوصف اشمل وأوسع مما ذكره في كتاب النكت الحسان من حيث :

---

[1] اللسان : 123/14 (ث ن ي) .
[2] ظ : م . ن : 241/15 (ل ث ي) .
[3] ظ : مختصر في الفرق بين الضاد والظاء ، ضمن كتاب رسالتان في الفرق بين الضاد والظاء : 3 .
[4] ظ : مدخل إلى علم اللغة ، د.محمود فهمي حجازي : 44 . والوجيزفي فقه اللغة : 176. والعربية الفصحى: 40.
[5] اثر القراءات في الأصوات والنحو : 196 . ودراسة الصوت اللغوي : 129. واللغة العربية معناها ومبناها : 79 .
[6] النكت الحسان : 277 .
[7] م . ن : 277 .

1-إن الفاء عند أبي حيان في المخرج الرابع عشر من المخارج الستة عشر .
2-إن باطن الشفة السفلى يتم فيه إنتاج صوت الفاء .
3-لم يكتف أبو حيان في الإشارة إلى نقطة خروج صوت الفاء بباطن الشفة بل زاد عليه قوله (وأطراف الثنايا العليا) .
4-لم يفصح أبو حيان إلى أي الأصول الأربعة يعود مخرج الفاء .

ونجد لعلماء العربية في وصف مخرج الفاء خمسة مذاهب هي :

أما المذهب الأول فعليه اغلب علماء العربية ومنهجهم فيه أن يشيروا إلى رتبة مخرج الفاء بين المخارج الستة عشر فقط وان باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا هي النقطة التي يتم فيها إنتاج ذلك الصوت [2]. وعلى هذا المذهب سار أبو حيان في كتاب الارتشاف .

المذهب الثاني : افصح بعض علماء العربية عن رتبة هذا المخرج في الأصل الثالث من الأصول التي تعود إليها المخارج الستة عشر ، إلا انهم وصفوا هذا المخرج بما وصفه أصحاب المذهب الأول [3].

المذهب الثالث : ومن علماء العربية من ذهب إلى أن الفاء شفوي وبين رتبته في المخارج الستة عشر ومن ثم وصفوا ذلك المخرج بما وصفه أصحاب المذهب الأول والثاني [4].

المذهب الرابع : ذهب بعضهم إلى ضم صوت الفاء إلى صوت (الباء والميم والواو) أطلق عليها مصطلح الشفوي [5]. وكأنهم تابعوا ما ورد في كتاب العين من غير إدراك لقصد الخليل فيه .

المذهب الخامس :من علماء التجويد من يذهب إلى أن الفاء " تتحمل أن تكون من حروف الفم وان تكون من حروف الشفة وان مخرجها باشتراكهما . والأولى أن تكون قسماً برأسها " [6].

والذي يبدو أن المذاهب السابقة جميعها تتفق على أن مخرج الفاء مركب من (باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا) . ولا يعدو اختلاف عباراتهم عن كونها شكلية ذات مضمون واحد يعود اصله إلي رائد الفكر الصوتي العربي الخليل بن احمد الفراهيدي الذي عالج مخرج الفاء بصور مختلفة من ذلك ما ذكره النضرمن انه قال : " الفاء وهي حرف فموي لأن مخرجها من الفم بين الثنايا العلا والشفة السفلى ولانحيازها إلى حيز الثاء المجاورة يبدل فيها فيقال : فوم ، بمعنى ثوم . وجدف بمعنى جدث " [7].

وقال في رواية أخرى من طريق الأخفش الأوسط : " الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا " [8].

والوصف الذي رواه الأخفش نفسه الذي ذهب إليه سيبويه في كتابه وهو بذلك لا يكون مخالفاً في وصف مخرج الفاء بما ذهب إليه الخليل من قبل .

وقد ذكر الخليل –أيضا- في كتاب العين أن الفاء والباء والميم ، شفوية " مخرجها من بين الشفتين خاصة ، لا تعمل الشفتان في شيء من حروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط " [9].

وبذلك يكون للخليل في وصف مخرج الفاء ثلاثة مذاهب هي :

1-انه حرف فموي . والسبب في ذلك هو إن الثنايا العليا تنسب إلى الفم ، واصطلاحه بهذا الاعتبار يكون صحيحاً . زيادة على انه ذكر بعد أن اكمل وصف مخرج الفاء –كما ذكر النضر- إبدال الثاء به وكأنه رام من وصفه لمخرج الفاء أن يبين سبب إبدال الثاء فاءً ، لذلك نجده يصف الفاء بأنها فموية لأن الثاء حرف فموي أيضا .

2-إن الفاء حرف شفوي . لأن الشفة لا تعمل في غير الفاء والباء والميم من الحروف الصحاح .

3-انه لم يذكر إلى أي موضع تنسب الفاء . مكتفياً بالإشارة إلى مخرجها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا .

---

(1) الارتشاف : 7/1 .

(2) ظ : كتاب سيبويه : 450/2 . وسر صناعة الاعراب: 48/1 . والموضح في التجويد : 79 . وأسرار العربية : 280 والتسهيل : 319 .والنشر : 201/1 .

(3) ظ : التحديد : 106 . والمنهاج في شرح جمل الزجاجي : 806 .

(4) ظ : جمهرة اللغة : 7/1 و8 . وشرح المفصل لابن يعيش : 125/10 .

(5) ظ : كتاب الحروف ، للرازي ، تح : د . رمضان عبد التواب : 135 . وظ:الكتاب نفسه بتحقيق د. رشيد العبيدي : 204

(6) ظ : إبراز المعاني من حرز الأماني (باب مخارج الحروف) : 6 . وكاشف المعاني في شرح حرز الأماني : 182/و . وقد اطلعنا على رأي الأخير من خلال النص الذي نقله د. غانم في كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 215 .

(7) تذكرة النحاة : 28 .

(8) م.ن : 30 .

(9) العين : 51/1-52 .

ان مناقشة الخليل لمخرج الفاء وتقليبه على كافة وجوهه كانت معيناً رفدت منه الدراسات العربية القديمة التي باتت تؤيدها الدراسات الحديثة مع تغيير في الاصطلاح لأنها عندهم أسنانية شفوية [1]. والادق ان تنسب الفاء فنقول : (ثنوية شفوية) لأن مخرجها من بين اسفل الثنايا العلا وباطن الشفة السفلى .

المخرج الشفوي الثاني :

قال أبو حيان في النكت الحسان : " الثاني : فيما بين الشفتين ، وله : الباء والميم والواو ، وتنطبق الشفتان بالميم والباء ، ولا تنطبق بالواو ، وذهب احمد بن عمار إلى أن لها مخرجاً على حدة وفصلها من الباء والميم وهو السادس عشر عنده وقال : إنها تهوي حتى تنقطع إلى مخرج الألف . وذهب الخليل إلى ان الواو هوائية كالألف عنده لا مخرج لها " [2]. ولم يضف أبو حيان في الارتشاف على النص السابق سوى فائدتين ، أحدهما : ان مخرج تلك الأصوات هو الخامس عشر بين المخارج الستة عشر . والأخرى ان تلك الأصوات على مرتبة واحدة من الشفتين ، يقول : " المخرج الخامس عشر : وهو للباء والميم والواو وثلاثتها مما بين الشفتين ، ... " [3].

لقد وقف أبو حيان في النصين السابقين على جملة مسائل هي :

1-انه جعل للباء والميم والواو مخرجاً على حدة وصفه بأنه (فيما بين الشفتين) مؤيداً بذلك مذهب سيبويه ومن اقتفى أثره في قوله : " ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو " [4].

2-لم يقتصر أبو حيان على وصف سيبويه لمخرج تلك الأصوات فزاد عليه وصف علماء التجويد لحالة الشفتين في نطق كل صوت من الأصوات الثلاثة ، يقول الداني : " والباء والواو والميم من مخرج واحد ، وهو مما بين الشفتين ؛ غير ان الشفتين قد تنطبقان في الباء والميم ولا تنطبقان في الواو بل تنفصلان " [5]. وقد ذكر علي القاري ان انطباق الشفتين مع الباء اقوى من انطباقهما مع الميم . وعلل المرعشي ذلك بقوله : " والظاهر ان سببه عدم احتباس النفس في الميم ، بل جريانه إلى الخيشوم ، بخلاف الباء ، وعدم احتباس النفس عند الاعتماد على مخرج الحرف يضعف الاعتماد " [6].

3- ان أبا حيان خالف مذهب المهدوي الذي يرى ان الواو في مخرج على حدة لأنها " تهوي حتى تنقطع إلى مخرج الألف " [7]. وقد أشار إلى ذلك المبرد بصورة أوضح مما هي عليه عند المهدوي إلا ان المبرد لم يفرد للواو مخرجاً على حدة ، فقال " ومن الشفة مخرج الواو والباء والميم ، إلا ان الواو تهوي في الفم تتصل بمخرج الطاء والضاد ، ... " [8]. ونص المبرد يدعم احتمال الدكتور غانم في قوله : " ومن المحتمل

ان يكون قول المهدوي (الواو تهوي) تعبيراً عن أحساسه بارتفاع أقصى اللسان عند النطق به " [9]. وهو ما تراه الدراسات الحديثة [10].

فإذا صح ما ذكره أبو حيان عن المهدوي ، فان المهدوي لم يكن على صواب في افراده في افراده الواو في مخرج على حده . لأنه على هذا الأساس سيلزم بأن يفرد للياء الشجرية مخرجاً على حدة أيضا يفصله عن مخرج الجيم والشين ولكونها تهوي إلى الفم تنقطع إلى الألف . هذا إذا كان المهدوي قاصداً بالواو الصوت غير المدي أما اذ1 كان قصده الواو المدية (الصائتة) فان افراد الواو في مخرج على حدة غلط أيضاً لانها في تلك الحالة يجب ان توضع هي والياء مع الألف الجوفية .

وإذا قدر لنا ان نوازن عمل القدماء بالدراسات الحديثة فإننا يجب ان نلتفت إلى الفرق بين منهجيهما أولا . فالمحدثون موافقون لما ذهب إليه القدماء في وصفهم لمخرج الباء والميم . أما الواو فان طبيعة المنهج الذي

---

(1) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 310 . والمصطلح الصوتي ، للصيغ : 84 .
(2) النكت الحسان : 277 .
(3) الارتشاف : 7/1 .
(4) كتاب سيبويه : 450/2 .
(5) التحديد : 106 . وظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :216
(6) بيان جهد المقل : 11 ظ ، نقلاً من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 216-217 .
(7) النكت الحسان : 277 .
(8) المقتضب : 194/1 .
(9) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 217 .
(10) ظ : الأصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : 34. وعلم اللغة العام الأصوات : 152.

اتخذه المحدثون في توزيع الأصوات على مخارجها وهو إخراج الأصوات الصوائت بنوعيها عن قائمة المخارج والاقتصار على الأصوات الصامتة وغير المدية جعلهم يذهبون إلى ان الواو غير المدية من أقصى الحنك او انه شفوي –حنكي قصي- أما سيبويه ومتابعوه فانهم قصدوا بالواو الصوت المدي (الصائت) مع ما يتفرع منه . وكنا قد فرغنا من الحديث على الفرق بين توزيع القدماء وبين توزيع المحدثين في موضع أغنانا عن إعادته في هذا الموضوع .

الخيشوم :

وهو عند ابي حيان الأصل الرابع من الأصول التي تعود اليها المخارج [1]، وفيه مخرج واحد هو الأخير بين المخارج الستة عشر [2].

وخص أبو حيان هذا المخرج بالنون الساكنة الخفيفة إذ قال : " وله النون الساكنة الخفيفة المعبر عنها بالغنة . وهي المخفاة التي لم تبق منها إلا الغنة ... " [3]، وقال أيضا : " مخرج* الخيشوم وهو للنون الساكنة الخفيفة المخفاة التي لم يبق منها إلا الغنة . واما الساكنة سكوناً خالصاً كالنون في ضربن فسيبويه بين ان

مخرجها من مخرج النون المتحركة " [4]. والذي يظهر من كلام أبي حيان ان الغنة مرادفة للنون الساكنة الخفيفة المخفاة في داخل التركيب بشرط . أما النون الساكنة التي لم تصاحبها شروط الإخفاء والنون المتحركة فمخرجهن (من طرف اللسان من بينه وبين الثنايا متصلاً بالخيشوم) . أي ان النون الساكنة سكوناً خالصاً والمتحركة يعمل الفم والخيشوم في إنتاجهما . أما النون المخفاة التي لم يبق منها إلا الغنة فتنتج في الخيشوم فقط . وهو ما فهمه أبو حيان من كلام سيبويه ، قال القسطلاني : " قال أبو حيان في شرح التسهيل : قول سيبويه : ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة . يريد النون المخفاة التي لم تبق منها إلا الغنة ، فكأنه قال : مخرج الغنة ، والا فالنون في نحو يضربن مخرجها من مخرج المتحركة . انتهى " [5].

ولو عدنا إلى كلام سيبويه لوجدناه يقول : " ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة " [6]. وسبقه إلى ذلك الخليل بعده الخيشوم المخرج السادس عشر إلا انه استعمل للصوت المنتج فيه مصطلح (النون المخفية) فقال من طريق الأخفش : " والنون المخفية من الخياشم "[7] وقال في صفة الغنة : " ومنها حرف شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف فإنما تخرجه من انفك واللسان لازم لموضع الحرف لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون، وكذلك الميم " [8]. وصرح في اكثر من موضع ان النون والميم مغنتان [9]. وقد صرح سيبويه بمصطلح النون الخفية في مواضع إظهار النون وإخفائها اذ قال : " وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشم ، وذلك لأنها من حروف الفم ، وأصل الإدغام لحروف الفم لأنها اكثر الحروف ، فلما وصلوا إلى ان يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم ان لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة وكان العلم بها انها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم ؛ لأنه ليس حرف يخرج من ذلك الموضع غيرها فاختاروا الخفة إذا لم يكن لبس ... وذلك قولك : من كان ومن قال ومن جاء "[10] وذكر ان النون مع أصوات (ر ل ي و) " إذا أدغمت بغنة فليس مخرجها من الخياشم ولكن صوت الفم اشرب غنة ولو كان مخرجها من الخياشم لما جاز ان تدغمها في الواو والياء والراء واللام حتى تصير مثلهن في كل شيء "[11] .

---

[1] ظ : النكت الحسان : 278 .
[2] ظ : ارتشاف الضرب : 7/1 .
[3] النكت الحسان : 278 .
* في المتن المحقق (مخرجا) وهو تحريف وكذا في مصورة المجمع .
[4] الارتشاف : 7/1 . ومصورة المجمع : 4ظ .
[5] لطائف الإشارات : 194/1 .
[6] كتاب سيبويه : 405/2 .
[7] تذكرة النحاة : 31 .
[8] كتاب سيبويه : 406/2 .
[9] ظ : م . ن : 418/2، 414 .
[10] م . ن : 415/2 .
[11] م . ن : 415/2 .

نخلص من كل هذا إلى :
1-ان النون الساكنة غير المخفاة والمتحركة مخرجها واحد في الفم ويعمل الخيشوم في إنتاجهما أيضا عند سيبويه .
2-ان النون الساكنة الخفية مخرجها عند سيبويه من الخيشوم فقط وليس لها صوت من الفم . وهذا يصح على مثاليه (من كان ، ومن قال) لأن أقصى اللسان يرتفع إلى أقصى الحنك ملتصقاً به فيمنع الهواء مع النون ان يتسرب إلى الفم متخذاً طريقه إلى الخروج من الأنف . وفي هذه الحالة يكون للفم عمل في إنتاج النون المخفاة إلا ان النون لا تصوت به ، أي لا يجد لها صوت من الفم ، وهو فهمنا لما أراده سيبويه في النصوص السابقة . أما مثاله (من جاء) فالفم والخيشوم يعملان في تصويت النون لأن وسط اللسان سيرتفع مع الجيم إلى ما يقابله من الحنك الأعلى ملتصقاً به وبهذا سيسمح للهواء مع النون ان يمر بالفم فيرجع إلى الأنف خارجاً منه . والذي حصل في النون مع الجيم ان مخرجها انسحب إلى الوراء حيث وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى وبذلك تغيرت نقطة ولادة النون في الفم . ولعل سبب ذهاب سيبويه إلى ان النون مع الجيم خيشومية فقط هو تغير نقطة ولادتها في الفم فان " طرف اللسان بينه وما بين الثنايا مخرج النون " [1]. الأصلي ، لا وسط اللسان .
3-ان (النون الخفية) مرادفة ، عند سيبويه ، للنون الخفيفة لأنهما يعبران عن الصوت الخارج من الخيشوم فقط . وقد استشكل أبو سعيد السيرافي على استعمال سيبويه مصطلح الخفيفة تعبيراً عن الصوت الخارج من الخيشوم [2]، قال عبد الوهاب القرطبي : " قال القاضي أبو سعيد السيرافي - رضي الله عنه - وغيره من رواة الكتاب ان في حاشية كتاب أبي بكر مبرمان ، الرواية : الخفيفة . وقد يجب ان تكون الخفية ، لأن التفسير يدل عليه " [3]. ولعل سبب استشكال السيرافي هو ان النون الخفيفة مصطلح يشمل النون الساكنة بشكل عام ومصطلح (النون الخفية) يدل على النون الساكنة المخفاة فقط .
وقد جمع ابن جني المصطلحين معاً ، إذ قال : " ومن الخياشم مخرج النون الخفيفة ، ويقال النون الخفية ، أي الساكنة " [4].

ومن علماء العربية من استعمل الخفية فقط مصطلحاً على الصوت الخيشومي [5] ومنهم من عبر عنه (بالغنة) [6] . وقد أطلق الداني مصطلح التنوين على الصوت الخيشومي [7] ، والتنوين والنون الساكنة لا فرق بينهما إلا في الرسم [8] . وقد أدرك القدماء العلاقة الصوتية بين النون والتنوين فرأى أبو حيان في التنوين "انه نون تلي الإعراب" [9]. وقد عاملها معاملة النون وهي مؤتلفة في الكلام قال في قراءة ابن محيصن (خمسة سادسهم) في قوله تعالى :﴿ ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾ [10] " وعنه أيضا إدغام التنوين في السين بغير غنة " [11] .

ان سبب تخصيص القدماء مخرجاً للنون الخفية لم يكن على أساس ان ذلك الصوت هو وحدة صوتية مستقلة ، ذلك لأنهم أدركوا ان ذلك الصوت هو صورة صوتية للوحدة الصوتية المستقلة ، ولا تحدث تلك الصورة إلا في داخل التركيب وقد مر الحديث على ذلك . وعلى ما ذكرنا سابقاً : يكون من الغلط ان نذهب إلى تغليط النحاة لذكرهم المخرج السادس عشر [12] .

ويحين في هذا الموضع تعليل اقتصار الخليل وسيبويه ومن تابعهما في وصف مخرج النون والميم بنقطة حدوثهما من اللسان او الشفتين فقط من غير الإشارة - في ذلك الموضع - إلى دور الخيشوم معهما ، وذلك بأمرين ، أحدهما : انهم اكتفوا في وصف مخرج كل صوت بالأعضاء البارزة في إنتاجه ولا سيما ان

---

[1] م . ن : 405/2 .
[2] ظ : المقتضب : 193/1 . والأصول : 401/3 . وأسرار العربية : 208 .
[3] الموضح : 81 . و ظ : النكت في تفسير كتاب سيبويه : 984/2 .
[4] سر صناعة الإعراب : 48/1 . وقد ذكر المحقق في المتن (ومن الخياشم مخرج النون الخفية ، ويقال الخفيفة ، أي الساكنة). وذكر في الهامش 2و3 النص الذي أثبتناه في متن الرسالة ، هو الصواب وليس ما ذكره المحقق في المتن لأسباب :
1-ان سيبويه أطلق الخفيفة على الصوت الخيشومي واستدرك عليه السيرافي في ما بعد بأنها يجب ان تكون الخفية .
2-ان قول ابن جني (أي الساكنة) يلائم النون الخفيفة لا الخفية كما فهمنا من كلام السيرافي في أعلاه .
3-ذكر عبد الوهاب القرطبي النص الذي صوبناه في كتابة الموضح ، ظ : الموضح : 79.
[5] ظ : المقرب : 356 .
[6] ظ : النشر : 201/1 .
[7] ظ : التحديد : 106 .
[8] ظ : ظاهرة التنوين : 28 .
[9] منهج السالك ،لأبي حيان الأندلسي : 264/2 .
[10] الكهف /من آية 22 .
[11] البحر المحيط : 114/6 .
[12] ظ : فقه اللغة وخصائص العربية : 48 .

كانت تلك الأعضاء تلتقي بعضها بعضا (مخارج محققة) . وهذا – أي التقاء الأعضاء -لا يتم مع النون والميم إلا في داخل الفم أما دور الخيشوم فيكون بمثابة (غرفة رنين) للصوت الراجع من الفم في إنتاج النون والميم .
والتعليل الآخر هو إننا قد ذكرنا – في صفحات سبقت - ان القدماء راموا من توزيع الأصوات ترتيبها على مخارجها بحسب الأعمق فالأعمق فالخيشوم لا يبين عمق بعض الأصوات على بعض .

ومع هذا نجد بعض علماء العربية ممن سبق أبا حيان بذكره وظيفة الخيشوم في إنتاج النون والميم الفمويتين إذ قال المبرد : " والميم ترجع إلى الخياشم ، بما فيها من الغنة فلذلك تسمعها كالنون لأن النون المتحركة مشربة غنة والغنة من الخياشم " [1] . وما ذكره سيبويه في غير موضع المخارج، كما مر . وقد ذكر الداني ما ذكره أبو حيان في ما بعد ، من ان الميم والنون اللسانيتين تعمل الخياشم على إنتاجهما أيضاً [2] . وهو ما ذهب إليه المحدثون غير انهم لم يفردوا للخيشوم مخرجاً ، كما ذكرنا .

---

[1] المقتضب : 94/1 . و ظ : شرح المفصل، لابن يعيش : 125/10 .
[2] التحديد : 105 و 106 .

الفصل الثالث
الصفات المتضادة

الصفات المتضادة

عدد الصفات المتضادة عند أبى حيان ثمانية ، وهي : (الجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ، والإطباق والانفتاح ، والاستعلاء والاستفال) . وهو ما اكتفى سيبويه بذكره في موضوع الصفات [1] . وما اكتفى به بعض علماء العربية الذين زادوا على الصفات المتضادة صفات غير متضادة[2] . بخلاف من جعلها عشرة بإدخال الذلاقة والاصمات[3] .

وسنتناول ما ذكره أبو حيان من صفات متضادة ، بذكر كل صفتين متضادتين على حده .

---

[1] ظ : كتاب سيبويه : 2/405-406 .

[2] ظ : التحديد : 107-111 .

[3] ظ : الشافية ، ضمن مجموعة الشافية : 340/1 و 240/2 .

أولا: الجهر والهمس :

أ-المفهوم اللغوي :

دأب متقدمو النحاة على عرض مفاهيم الصفات الصوتية اصطلاحاً من غير ان يجدوا لها علائق بمعانيها اللغوية . ونرجح ان يكون الداني ومكي الأولين في استعمال تلك الظاهرة – - أي ربط المدلول الاصطلاحي باللغوي – ذلك الاستعمال الذي انجر إلى معظم علماء العربية لتوضيح المفهوم الاصطلاحي لكل صفة . وكان أبو حيان من ابرز هؤلاء العلماء وادقهم في استعمال تلك الظاهرة .

قال أبو حيان في النكت الحسان : " والهمس في اللغة : الصوت الخفي الضعيف "[1] . واقتصر في الارتشاف على وصف الهمس بأنه : " الصوت الخفي " [2] . وزاد في البحر المحيط لفظة الخافت ، فقال : " والهمس الصوت الخفي الخافت " [3] .

يلاحظ على أبى حيان انه جعل الهمس صوتاً ، ووصف ذلك الصوت في المعنى اللغوي الأول بصفتين ، إحداهما : الخفاء ، والأخرى : الضعف . ولا شك في انه تأثر كلام مكي في الرعاية ، الا ان أبا حيان أبدل لفظة الصوت بالحس التي استعملها مكي في تعريفه قائلاً : " هو الحس الخفي الضعيف " [4] وكان قد استعمل كلمة الحس الخليل بن احمد مرتبطة بالصوت فقال : " الهمس : حس الصوت في الفم " [5] .

أما لفظة الخافت التي استعملها أبو حيان في البحر المحيط ، فنراها ذات دلالة مرادفة لدلالة كلمة الضعف التي استعملها أبو حيان في النكت الحسان ، جاء في اللسان : " الخفت والخفات : الضعف من الجوع ونحوه وقد خفت . والخفوت : ضعف الصوت من شدة الجوع ، يقال : صوت خفيض خفيت ..."[6]. وفيه أيضا : " الخافت والخافتة ما لان وضعف من الزرع الغض .. ومنه خفت الصوت : إذا ضعف وسكن .. " [7] . وقد يكون استعمال أبى حيان للخافت بمعنى الخفاء , وهو من المعاني اللغوية التي ذكرت للهمس والخفوت ، فـ " المخافتة : إخفاء الصوت . وخافت بصوته : خفضه .. " [8] بل انه استعمل ضداً للجهر ، قيل في اللسان : " والخفت ضد الجهر " [9] .

وبهذا يكون للخفوت معنيان ، أحدهما : الضعف ، والآخر : الخفاء . ونرجح ان يكون أبو حيان قد استعمل الخافت بمعنى الضعف ، لأنه ذكر في موضوع استعماله لفظة الخافت أن الهمس هو الصوت الخفي، ومن غير المعقول أن يعيد ابو حيان المدلول نفسه بغير لفظ لان ذلك يجعل كلامه مكرراً لا طائل منه.

وكان الشائع عند علماء العربية ان يعرفوا الهمس في اللغة بالخفاء فقط [10] ، وهذا هو معنى الهمس لغة [11] . وبذلك يكون أبو حيان متابعاً لجمهور علماء العربية في تعريفه للهمس لغة في كتاب الارتشاف .

ونرجح ان تكون زيادة مكي وأبي حيان في كتاب النكت الحسان لفظة (الضعف) في إعطاء معنى الهمس اللغوي لسببين ، أحدهما ما يحمله الخفوت من معنى الضعف . والآخر هو إن الأصوات المهموسة اتسمت بسمتين ، إحداهما : انها أصوات غير واضحة في السمع ، وهو ما يوصلنا إليه معنى الخفاء . والأخرى : وهي من نتائج عدم الوضوح السمعي ، أي ضعفها بحيث تكون خاضعة لتأثير الأصوات التي هي أقوى منها في داخل المفردة وأمكن .

أما الجهر ، فقد جمع أبو حيان في تعريفه اللغوي أمرين يظهران في قوله : " والجهر لغة : الإعلان، والصوت الشديد القوي " [12] . فالإعلان لفظة ارتضاها الداني في تعريفه الصوت المجهور [13] . في حين استعمل مكي عبارة (الصوت الشديد القوي) فيه [14] . وبهذا يكون أبو حيان ممازجاً بين ما ذكره الداني وما

---

[1] النكت الحسان : 278 .
[2] الارتشاف : 10/1 .
[3] البحر المحيط : 280/6 .
[4] الرعاية : 92 .
[5] العين : 10/4 (هـ م س) .
[6] اللسان : 30/2 (خ ف ت) .
[7] اللسان : 31/2 (خ ف ت) .
[8] م ن : 30/2 (خ ف ت) .
[9] م ن : 30/2 (خ ف ت) .
[10] ظ : التحديد : 107 .
[11] اللسان : 250/6 (هـ م س) .
[12] النكت الحسان : 278
[13] ظ : التحديد : 107 .
[14] ظ : الرعاية : 93 .

ذكره مكي في تعريفه الجهر لغة . وقد اكتفى علماء العربية بأن يعرفوا الجهر لغة بالإعلان [1] او الإظهار [2] ، وهو المعنى المعروف للجهر في اللغة [3] . ونرى ان القصد من ذكر الإعلان او الإظهار في تعريف الجهر لغة هو وصفه بأنه " الصوت العالي " [4] . أي انه ذو دلالة على وضوحه السمعي . وبذلك يدل جمع أبي حيان بين (الإعلان) و (الشديد القوي) في تعريف الجهر لغة على أمرين ، أحدهما : انه قصد بالإعلان الوضوح السمعي ، والآخر : انه قصد بالصوت (الشديد القوي) قوة الأصوات المجهورة في تأثيرها في الأصوات التي هي اضعف منها حين ترافقها في تأليف المفردة .

ب-المفهوم الاصطلاحي :

لم يكتف أبو حيان بعرض المفهوم اللغوي لمصطلحي الجهر والهمس ، بل راح يبحث في علة إطلاق هذين المصطلحين على الأصوات المختصة بهما ، إذ قال في الأصوات المهموسة : " سميت بذلك لأنها ضعف الاعتماد عليها في مخارجها عند النطق بها ، فجرى معها النفس ، فخفي الصوت بها ... " [5] . وثمة ثلاث ملاحظات أشار إليها أبو حيان في كلامه السابق على الهمس وهي :-

1-انها حروف ضعف الاعتماد عليها في مخارجها عند النطق بها .

2-وقد سبب ضعف الاعتماد ، جري النفس مع النطق بالحرف .

3-وجري النفس سبب في خفاء أصوات تلك الحروف .

وهو ما صاغه بعبارة أخرى في ارتشاف الضرب قائلاً :

" فإذا جرى* مع النفس لضعف الاعتماد عليه كان مهموساً " [6] .

وما ذكره أبو حيان في تعريف الهمس مطابق لمعناه الذي قصده عبد الرحمن الانباري (ت 577) من قوله : " ومعنى المهموسة : انها حروف اضعف الاعتماد عليها في مواضعها فجرى النفس معها ، فأخفاها ... "[7]. وقد وضح ابن الحاجب سبب ذلك الخفاء بقوله : " لما جرى النفس معها لم يقو التصويت بها قوته في المجهورة فصار في التصويت بها نوع خفاء لانقسام النفس عند نطقها ... " [8] . اما سائر علماء العربية فقد اغفلوا النتيجة التي يسببها جري النفس وهي الخفاء [9] . محتذين حذو سيبويه الذي عرف الصوت المهموس بأنه : " حرف اضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه .. " [10] .

وسار أبو حيان في توضيح السبب الذي اطلق به مصطلح الجهر على الأصوات المجهورة على الطريقة نفسها التي عرضها لتوضيح سبب استعمال مصطلح الهمس للأصوات المهموسة الا انه عكس المسألة وغير في عباراته ، فقال في النكت الحسان : " ووصفت بذلك لأنها حروف قوي الاعتماد عليها في مخارجها وأشبع ، ومنع النفس ان يجري معها عند النطق بها " [11] .

لقد جمع أبو حيان في حد الجهر السابق بين حد النحويين وحد علماء التجويد . ويتضح ذلك من خلال جمعه بين (قوة الاعتماد) و (اشباعه) . فالعبارة الاولى استعملها الداني في تعريف الصوت المجهور [12] ، واستعملها مكي بن أبي طالب ايضاً الا انه جمعها مع قوة النفس نفسه فقال : " ومعنى الحرف المجهور انه حرف قوي يمنع النفس ان يجري معه عند النطق به لقوته . ونقطة الاعتماد عليه في موضع خروجه " [13] . اما عبارة أبي حيان (وأشبع) فشائعة عند النحويين ابتداءً بالخليل وسيبويه ، فقال سيبويه : " فالمجهورة حرف

---

[1] ظ :الايضاح في شرح المفصل ، لابن الحاجب : 490/2 . وبغية المرتاد : 121 .

[2] ظ : أسرار العربية : 209 .

[3] ظ : اللسان : 149/4 150 (ج هـ ر) .

[4] م ن : 150/4 (ج هـ ر) .

[5] النكت الحسان : 278 .

* يقصد الصوت اللغوي (الحرف) .

[6] الارتشاف : 10/1 وفي مصورة المجمع : " فإذا جرى مع الحرف تنفس يضعف الاعتماد عليه كان مهموساً " ، مصورة المجمع : 5ظ، وهذه عبارة غير دقيقة لأن أبا حيان وعلماء العربية لم يستعملوا مصطلح التنفس ، زيادة على ان جري النفس سببه ضعف الاعتماد ، وليس ضعف الاعتماد مبنيا على جري النفس .

[7] اسرار العربية : 209 .

[8] الايضاح في شرح المفصل، لابن الحاجب : 491/2 .

[9] ظ : الاصول : 401/3 . والمفصل : 395 . والممتع : 670/2 . والمناهج في شرح جمل الزجاجي : 807 .

[10] كتاب سيبويه : 405/2 .

[11] النكت الحسان : 278 .

[12] ظ : التحديد : 107 .

[13] الرعاية : 93 .

أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس ان يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت .. " [1] زيادة إلى ان إشارة أبي حيان إلى ان جريان النفس مع الأصوات المهموسة وامتناعه مع الأصوات المجهورة يتم (عند النطق بها) . هي من زيادات مكي بن أبي طالب . أي ان أبا حيان قد تأثر في ذلك مكياً أحد علماء التجويد .

وفي كتاب الارتشاف يعرض أبو حيان حد الأصوات المجهورة بصورة أخرى قائلاً : " والجهر ضد الهمس فإذا منع النفس ان يجري معه * حتى ينقضي الاعتماد كان مجهوراً " [2] . وأشار أبو حيان إلى استمرار امتناع النفس مع الأصوات المجهورة حتى ينقضي الاعتماد من استعمالات سيبويه كما مر ذكره .

وقد وجدنا من النحويين من يعلل سبب ضعف الأصوات المهموسة وقوة الأصوات المجهورة بعبارة (انحصار الصوت وعدم انحصاره) قال ابن الحاجب : " فالمجهورة ما ينحصر جري النفس مع تحركه .. والمهموسة بخلافه " [3] . وقال في الإيضاح : " وانما سميت مجهورة من قولهم : جهرت بالشيء إذا أعلنته، وذلك انه لما امتنع النفس ان يجري انحصر الصوت لها فقوي التصويت بها .. " [4] . وهذا يعني ان عملية الجهر تتم بعدة مسائل هي :

1-قوة الاعتماد في موضع إنتاج الحرف .

2-وتسبب قوة الاعتماد امتناع جريان النفس مع الحرف .

3-وامتناع جريان النفس سبب في انحصار الصوت .

4-وانحصار الصوت يؤدي إلى قوة التصويت .

فانحصار الصوت نتيجة لامتناع جريان النفس سبب في قوة التصويت . وهذه إشارة مزيدة لم يشر إليها متقدمو النحاة ولا متأخروهم . وقد بين الجاربردي معنى الانحصار بـ (الاحتباس) [5] . وفسر ابن جماعة الاحتباس بالانقطاع [6] .

هذه هي عبارات النحويين وعلماء التجويد في تعريف الأصوات المجهورة والمهموسة وهي لا تبتعد كثيراً عما أراد ان يقوله سيبويه في كتابه .

ج-موقفنا من مفهوم القدماء للجهر والهمس :

يبدو لنا من أول وهلة ان النصوص التي وردت عن القدماء في تعريف الجهر والهمس غامضة صعبة ، وهو ما تعارفه الدارسون المحدثون غربيون [7] وعرب [8] ولعل سبب ذلك الغموض متأتٍ من استعمال القدماء في تعريفاتهم عبارات غير متداولة في العصر الحديث كـ(قوة الاعتماد في موضع الحرف) او (إشباع الاعتماد). ويقابل تلكما العبارتين عبارة (ضعف الاعتماد ..) او (تهوينه) [9] ومن عبارتهم أيضا (جري النفس مع الحرف) ويقابله (منع النفس من الجريان ...) .وسنعتمد في فك مستغلق العبارات السابقة على ما يأتي :

1-اللجوء إلى المعجمات اللغوية في الكشف عن معاني ألفاظ تلك العبارات ، ليتسنى لنا تفسير تلك العبارات بروح غير بعيدة عن روح واضعيها وعصرهم .

2-الاستفادة في تفسير ألفاظ بعض تلك العبارات من مقابلاتها التي تتسم ببعض الوضوح .

3-وبعد أن نربط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي لكل عبارة سنعمد إلى الطريقة التي فرقوا بها بين الصوت المجهور والمهموس لتفيدنا في دعم ما نذهب إليه من مفهوم الجهر والهمس عند القدماء .

4-ويجب علينا أن لا ننسى أن القدماء راموا من الجهر والهمس على نحو العموم ما يأتي :

أ-إن الصوت المجهور : هو الصوت اللغوي العالي ، الذي يؤثر في ما جاوره من الأصوات الاخفض منه والأضعف داخل المفردة .

---

[1] كتاب سيبويه : 405/2 . ونسب في إعراب القرآن ، للجامع النحوي المنسوب غلطا إلى الزجاجي، هذا التعريف إلى الخليل، ظ : معاني القرآن وإعرابه : 419/1 .

* يقصد مع الحرف .

[2] الارتشاف : 10/1 .

[3] الشافية ، ضمن مجموعة الشافية : 340/1-341 و ظ : 240/2 .

[4] الإيضاح في شرح المفصل: 485/2-486 .

[5] ظ : شرح الشافية ، للجاربردي ، ضمن مجموعة الشافية : 240/1-241 و ظ : 240/2 .

[6] ظ : حاشية الجاربردي ، لابن جماعة ، ضمن مجموعة الشافية : 240/2 .

[7] ظ : التطور النحوي : 14 . والعربية الفصحى : 38 . ودروس في علم الأصوات : 34 . و هل كان سيبويه محقاً في وصفه لبعض أصوات الجهر؟ : 62 .

[8] ظ : الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس : 88 . والمدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب : 39 . ومدخل إلى علم اللغة ، د. محمد حسن عبد العزيز : 31 . والأصوات عند سيبويه : 83-85 . والنظريات الصوتية في كتاب سيبويه : 147. و أصول تراثية : 131 . وفي الفكر اللغوي ، د. محمد فتيح : 141 .

[9] المنهاج في شرح جمل الزجاجي : 807 .

ب-إن الصوت المهموس هو الصوت اللغوي الخفيض ، وغالباً ما يقع عليه تأثير الأصوات التي هي أعلى منه و أقوى داخل المفردة .
ج-ان الأصوات المهموسة عندهم هي نفسها التي ذكرها المحدثون والأصوات المجهورة كذلك مع ذكر القدماء لأصوات لم يجعلها المحدثون مجهورة .
تلك النقاط الثلاث تعطينا صورة واضحة لإدراك القدماء لمفهوم الجهر – بمفهومه العام - وهو إدراك وافقهم عليه المحدثون . ولنأتِ إلى تفسير تلك العبارات على الأسس التي بنيناها لها .
ان الملاحظ على لفظة الإشباع في عبارة (إشباع الاعتماد ..) ، التي استبدل بها بعض القدماء لفظة (القوة) . واللتان جمع بينهما أبو حيان في كتابه النكت الحسان واثر لفظة القوة في كتاب الارتشاف . هو إنها ذات مدلول مرادف لمعنى لفظة (القوة) . وقد جاءت دلالة الإشباع لغة منحصرة بالمتانة والارتواء[1] . أي إن لفظة الإشباع تدل على معنى (التتميم) وضده النقص .
أما الاعتماد فمن معانيه اللغوية :-
1-القصد واليقين ، قال الخليل : " عمدت فلاناً اعمده عمداً ، أي : قصدته وتعمدته مثله" [2] وقال أيضا " والعمد : ارتكابك أمرا بجد ويقين تقول : فعلته عمداً على عين وعمداً عين ، وتعمدت له ، وأتيت ذلك الأمر متعمداً بمعناه " [3] .
2-ارتكاز شيء على شيء بإسناده إليه لتقويته ودعمه . قال الخليل : " والعمدان : تعمد الشيء بعماد يمسكه ويعتمد عليه " [4] . وهو ما ذهبت إليه الدكتورة مي الجبوري [5] في تفسير معنى الاعتماد وبجمع المعنى اللغوي للإشباع والمعنى اللغوي للاعتماد يكون المعنى كما يأتي : (اتمام نطق الصوت اللغوي للارتكاز على اثر صوتي يحدث في غير موضعه) . وهذا مخالف لمن ظن ان دلالة (إشباع الاعتماد) هي : ان الأعضاء النطقية المولدة للصوت تلتقي بشدة فتمنع الهواء الصادر من الداخل من ان يخرج [6] . او هي وضوح عملية إصدار الصوت [7] . او إنها عبارة تدل على قوة الضغط سواء أكان ذلك الضغط على الحجاب الحاجز [8] ام على الوترين الصوتيين [9] اما عبارة (جري النفس) و (امتناع النفس ان يجري) فمعنى النفس فيها، كما يراه الخليل ، هو : " التنفس ، أي خروج النسيم من الجوف " [10] ، وجاء في اللسان ان النفس هو : " خروج الريح من الأنف و الفم ، والجمع أنفاس . وكل تروح بين شربتين نفس ... والتنفس استمرار النفس ... والنفس : مثل النسيم والجمع أنفاس " [11] . ووصف طاش كبري زاده كيفية خروج الهواء من الصدر وصفاً شافياً بقوله : " اعلم ان الهواء [الخارج]* من داخل الإنسان ان خرج بدفع الطبع يسمى نفساً ، بفتح [الفاء] ** ، وإذا خرج بالإرادة عرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتاً " [12] ثم قال : " ثم ان النفس الخارج الذي هو وظيفة حرف ان تكيف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان [الحرف] *** مجهوراً ، وان بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان الحرف مهموساً .. "[13] . اما المحدثون فقد ربطوا بين عملية التنفس ودور الوترين الصوتيين في خروج النفس فذكروا لهذين الوترين وظيفتين [14] ، احداهما ان ينفرجا بحيث يسمحان للهواء الخارج من الرئتين بالمرور من غير ان يهتزا . وهي الحالة الطبيعية لعملية التنفس ، وينتج فيها صفة

---

[1] ظ : العين : 265/1-266 (ش ب ع) . واللسان : 171/8-172 (ش ب ع) .
[2] العين : 57/2 (ع م د) .
[3] م. ن : 58/2 (ع م د) .
[4] م.ن : 57/2 (ع م د) .
[5] ظ : القراءات القرآنية د. مي الجبوري : 20 . ودراسة أصوات اللغة العربية : 17 .
[6] علم الأصوات عند سيبويه وعندنا : 56 .
[7] الأصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : 92 . وللدكتور يحيى احمد وعلى رأي الدكتور ابراهيم انيس في بحثه (الضاد والعربية) ، ظ : 101 .
[8] ظ : اللغة العربية معناها ومبناها : 61 .
[9] ظ : الأصوات اللغوية د. عبد القادر : 122 .
[10] العين : 271/7 (ن ف س) .
[11] اللسان : 237/8 (ن ف س) .
* في النسخة المطبوعة (مخارج) وهو تحريف صوابه ما ورد في المخطوط . ظ : المخطوط : 11 ظ ، نقلاً من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 118 . ونقلاً من المصطلح الصوتي ، الصيغ : 92 .
** ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة المخطوطة نقلاً من المصدرين السابقين .
[12] شرح المقدمة الجزرية، لزادة : 22 .
*** ما بين المعقوفتين زيادة من نسخة المخطوطة كما ذكر الدكتور غانم قدوري ، إلا ان الباحث عبد العزيز الصيغ لم يذكره في النص الذي نقله من المخطوطة نفسها !.
[13] شرح المقدمة الجزرية ، لزادة : 22 .
[14] ظ : مدخل إلى علم اللغة ، د. محمود فهمي حجازي : 45 . والأفكار الأساسية بعلم الصوت الحديث : 108 . وعلم الأصوات العام : 62-63 .

الهمس . والوظيفة الأخرى هي : ان يلتقي الوتران بحيث يهزهما الهواء الخارج من الرئة في عملية الزفير ، وينتج في هذه الحالة صفة الجهر .
فالحالة الأولى هي التي وصفها زادة بأنها تحدث (بدفع الطبع) . والأخرى وصفها بأنها تخرج بـ (الإرادة) أي بالقصد او التعمد.

وعلى ما ذكره طاش كبري زاده تكون عملية التصويت من أعمال الإرادة والقصد ، وإذا ما علمنا ان الجهر والهمس والشدة والرخاوة من عمليات التصويت المهمة في تكوين الأصوات اللغوية ، وان صفة الجهر والشدة والرخاوة من الصفات التي ينتجها الإنسان بالإرادة . وان صفة الهمس من نتاج التنفس أي من (إخراج الهواء بدفع الطبع) ؛ أمكننا تصنيف الأصوات من حيث الاعتماد (القصد) في عملية التصويت إلى أحد أمرين ، الأول : أن ينتج الصوت اللغوي من خلال حصول اثر صوتي في غير موضعه ومن خلال اعتماد التصويت في نقطة ولادة الصوت اللغوي بالاحتكاك (الرخاوة) او الانفجار (الشدة) وهذا يعني ان عملية إنتاج الصوت المجهور عند القدماء ذات اعتماد تام غير ناقص بخلاف المهموس الذي يكون إنتاجه من خلال أمر آخر هو : ان الاعتماد لا يكون إلا في موضع إنتاجه لأنه لا يحدث معه صدى في الصدر ، وهذا يعني نقصان الاعتماد وعدم تمامه . وكلامنا هذا يوضح اضطراب فهم بعض المحدثين لمراد القدماء بان جري النفس وامتناعه يكون بانفتاح الأوتار الصوتية وانطلاقها الذي يمنع النفس فيدفعه إلى ان يضرب الأوتار بقوة لغرض خروجه [1] ، او " ان المجهور وجد أمامه حاجز فضغط في موضع خروجه ضغطاً منع النفس معه حتى يجري الصوت ، والمهموس حرف لم يوجد أمامه حاجز فجرى الصوت معه " [2] ، فعملية المنع لا تدل على إنها نتيجة لانحباس او ضغط لأن ما حصل مع النفس في حالة الجهر هو (اشرابه صوتاً) ذلك الصوت كان نتيجة لصدى الصوت الذي تم إنتاجه في غير نقطة الصدر ، ومعنى اشرابه صوتاً أي حلول الصوت محل النفس وهو الذي منع النفس ان يجري أي يظهر .

ان عبارتي (قوة الاعتماد في موضع الحرف) و (منع النفس ان يجري مع الحرف) دفعت بعض الباحثين إلى ان يغالي في سوء فهمه لمراد القدماء من تلكما العبارتين حتى ظنوا انهم لم يميزوا بين مفهوم الجهر ومفهوم الشدة بل ان تعريف الجهر أولى ان يكون تعريفاً لصفة الشدة ، وكذا الأمر مع صفتي الهمس والرخاوة [3] وهو مذهب يتضح قصوره بما ذكرناه من مراد القدماء من تعريفهم للجهر والهمس .

لقد اتخذ المحدثون في تفسير حدود القدماء للجهر والهمس طريقة أخرى تقربهم من مراد القدماء لهاتين الصفتين ، تلك الطريقة كان أساسها التجربة التي اتخذها القدماء للتفريق بين المجهور والمهموس ، نقصد بالقدماء الخليل وسيبويه ، فقد ذكر السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه نصاً برواية الأخفش عن سيبويه وقد حسب الأخفش فيه انه سمعه من الخليل ، قال السيرافي عن الأخفش : " سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور ، فقال : المهموس إذا خففته ثم كررته أمكنك ذلك فيه . واما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه ثم كرر سيبويه (التاء) بلسانه واخفى ، فقال : إلا ترى كيف يمكن ، وكرر الطاء والدال وهما من مخرج (التاء) فلم يتمكن ، واحسبه ذكر ذلك عن الحليل " [4] ثم ذكر السيرافي عن سيبويه سبب خفاء الصوت المهموس ووضح الصوت المجهور بقوله : " قال سيبويه : وانما الفرق بين المجهور والمهموس انك لا تصل إلى تبيين المجهور الا ان تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر ، فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصدر ويجري في الحلق غير ان الميم والنون يخرج أصواتهما من الصدر ويجري في الحلق غير ان الميم والنون يخرج اصواتهما من الصدر ويجري في الصدر والخيشوم غنة تخالط ما جرى في الحلق . والدليل على ذلك انك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما رأيت ذلك قد اخل بهما . اما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها ، وذلك مما يزجي الصوت ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهور فأخرج الصوت من الفم ضعيفاً . والدليل على ذلك انك إذا اخفيت همست بهذه الحروف ولا تصل إلى ذلك في المجهور ، فإذا قلت (شخص) ، فان الذي ازجى هذه الحروف صوت الفم، ولكنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعد ما يزجيها صوت الفم ليبلغ ويفهم بالصوت " [5] .

لقد اتفق المحدثون على ان عملية تكرير الصوت المنطوق وسيلة جيدة في معرفة ذلك الصوت مجهور ام مهموس ، واتفقوا ايضاً على ان عملية التكرير تبين الصوت المجهور بأنه يصحبه صوت الصدر الذي هو

---

[1] ظ : الأصوات اللغوية د. ابراهيم انيس : 93 .
[2] الأصوات عند سيبويه : 103 .
[3] ظ : فقه اللغة وخصائص العربية : 51 . والنظريات الصوتية في كتاب سيبويه : 174. وفي البحث الصوتي عند العرب : 42 . والمصطلح الصوتي ، الصيغ : 116 .
[4] شرح كتاب سيبويه ، للسيرافي : 461/6 ، نقلاً من الأصوات عند سيبويه : 88 .ورد النص أيضا في الأصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : 89 .
[5] م . ن : 461/6-463 . نقلاً من الأصوات عند سيبويه : 85 . والنص موجود أيضا في الأصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : 89 .

الرنين الناتج عن صوت اهتزاز الوترين الصوتيين [1] ، ويمكن إدراكه بوضع الكف على الصدر ، كما يقول د. عبد الصبور شاهين [2] . اما الصوت المهموس فلا يرافقه صوت الصدر بل يقتصر على الصوت الناتج في أثناء نطق ذلك الصوت . فالصوت المجهور لا يمكن الإتيان به إلا برفع الصوت (علوه)، ذلك العلو لا يتم إلا بصوت الصدر . وانك متى حاولت إخفاء الصوت المجهور غيرته إلى غير صورته وحولته إلى صوت آخر . وكذا الحال مع المهموس فان رفعت صوتك به اشربت صوته الناتج من موضع وولادة صوت الصدر فغيرته عن صورته وحولته إلى صوت آخر [3] .

وتنفعنا في هذا الموضع عبارة (صوت الصدر) التي تدل على عملية التصويت المزدوجة في إنتاج الصوت المجهور ، وعبارة (صوت الفم) التي تدل على عملية التصويت المنفردة في إنتاج الصوت المهموس والتي بها يكون الاعتماد (غير مشبع) أي غير تام .

د-عدد الأصوات المجهورة والمهموسة :

تابع أبو حيان علماء العربية في عدد الأصوات المهموسة فهي عنده عشرة يجمعها قولك : (سكت فحثه شخص) : والمجهورة ما عداها ويجمعها قولك : (ظل قند يضغم زرطاً * وإذ بعج) ، وذكر ان الصفات المهموسة متدرجة في الضعف بحسب صفات القوة التي يتسم بها كل صوت . وان المجهورة متدرجة في القوة بحسب ما يكون في كل صوت من صفات القوة غير الجهر [4] . وليس ثمة اعتراض على ما يراه أبو حيان وعلماء العربية في الأصوات المهموسة والمجهورة سوى عده الهمزة والقاف والطاء من الأصوات المجهورة في حين ذهب بعض المحدثين إلى أنها ليست كذلك ، وسنعرض في البحث لكل واحدة من هذه الأصوات .

هـ-مشكلة الهمزة والقاف والطاء :

1-مشكلة الهمزة :

لم يختلف القدماء في وصفهم الهمزة بأنها مجهورة ، إلا ان المشكلة تبرز في فهم المحدثين لمراد القدماء من (جهر الهمزة) وفي فهمهم لحقيقة الهمزة من حيث صفة الجهر او الهمس ، فقد وجدناهم يذهبون في ذلك طرائق قددا ولم يقعوا إلى الآن على حقيقة مجزوم بها .

ان إجماع القدماء على جهر الهمزة يجعلنا نقف أمام حقيقة الهمزة عندهم موقفاً نحسن فيه الظن بما ذكروه . ويمكن ان نرجع سبب اختلاف المحدثين في حقيقة الهمزة عند القدماء في حقيقتها عندهم . إلى أحد امرين ، أحدهما : انهم لم يفهموا (بالإجماع) ضابط الجهر والهمس عند القدماء ، والآخر : انهم لم يحسنوا النطق الصحيح لأصوات العربية على الرغم من امتلاكهم للأجهزة والمعدات المتطورة في دراسة الأصوات.

ومن غير النطق السليم الذي يعد أساس الدراسة الصوتية نستبعد ان تكون النتائج صائبة . ونحن نرجح ان يكون اختلاف المحدثين في فهم مراد القدماء من الهمزة السبب الأول لأن الهمزة باقية على نطقها الذي كانت عليه في القديم .

لقد اتفق المحدثون على ان الهمزة ليست مجهورة ، فذهب بعضهم إلى إنها مهموسة لأن إقفال الوترين معها لا يسمح بوجود الجهر [5] ، وذهب آخرون إلى ان الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس لاتخاذ الوترين الصوتيين وضعاً لا يسمح بالقول بوجود الجهر والهمس [6] ، وبنى أصحاب الرأي الأخير على ذلك قاعدة لوظيفة الأوتار الصوتية تلك القاعدة تعتمد على ثلاثة أسس هي [7] :

1-ان ينفرج الوتران بحيث يسمح للهواء بالمرور من غير ان يهزهما ، وهي حالة التنفس الطبيعية التي ينتج بها الهمس .

---

[1] ظ : الأصوات اللغوية د. ابراهيم انيس : 90 .

[2] ظ : علم الأصوات ، مالمبرج : 109 (دراسة المترجم) .

[3] ظ : الأصوات اللغوية د. ابراهيم انيس : 90 .

● وردت في الارتشاف ، تحـ النماس (دزطا) ووردت في مصورة المجمع (زدطا) وفي كلا الكلمتين تحريف . والصواب ما اثبتناه .

[4] ظ : النكت الحسان : 278-279 . والارتشاف : 10/1 . ومصورة المجمع : 5 ظ .

[5] ظ : مناهج البحث في اللغة : 225 . والوجيز في فقه اللغة : 177 و 198-199 . وأصوات اللغة : 183 .

[6] ظ : علم اللغة ، د. محمود السعران : 171 . وعلم اللغة العام (الأصوات) : 112 . ودراسات في علم اللغة (القسم الأول) : 92 .

[7] ظ : علم اللغة العام (الأصوات) : 87-88 . ودراسات في علم اللغة (القسم الاول) : 92-93 .

2-ان يلتقي الوتران عند مرور الهواء بهما فيهزهما ، فيحدث في أثناء ذلك الجهر .
3-ان ينطبق الوتران الصوتيان انطباقاً تاماً لمدة زمنية قصيرة ، بحيث لا يسمحان بالمرور إلى الرئتين او منها ، أي ان يحدث ذلك الانفراج المفاجيء الذي يعقبه صوت انفجاري او يصحبه نتيجة لاندفاع الهواء ، وفي تلك الحالة ينتج صوت الهمزة (همزة القطع) .

وقد وجدنا من المحدثين من تحير في حقيقة الهمزة فقال : " وفي الحقيقة ان الهمزة غير ثابتة ولا تشكل نمطاً محدداً " [1] . وفسر بعض المحدثين عد الهمزة مجهورة عند القدماء بأنهم لم ينطقوا الهمزة مجردة فكانوا يستعملون بعدها حركة ، والحركة مجهورة ، فأثر جهر الحركة في نطق الهمزة حتى غزوا جهرها للهمزة نفسها [2] ، وذهب آخرون إلى انهم وصفوا الهمزة المسهلة وهي بذلك أشبه بحروف اللين التي هي أصوات مجهورة [3] ، وقد ذهب الدكتور غانم إلى طريقة أخرى في سبب عد القدماء الهمزة مجهورة فقال : " ونحن إذا حاولنا اختيار موضع الهمزة على حسب طريقة علماء العربية في إدخال همزة الوصل على الحرف والنطق به ساكناً فإننا نجد حينئذ سلسلة صوتية تتكون من (همزة + حركة + همزة) = (إء) .

وهذه السلسلة الصوتية حين ننطق بها مستقلة ستبدأ عملية التصويت بها بفتح الوترين بعد ضغط الهواء خلفها ثم تذبذب الوترين لانتاج صوت الحركة سواء أكانت فتحة أم كسرة أم ضمة ، ثم يعقب ذلك تضام الوترين الصوتيين على الاحداث الصوتية الاخرى في عملية الاختيار ، وربما كانت مثل هذه الحالة مصدر وصف الهمزة بأنها صوت مجهور . ولكن الهمزة المجردة غير المستهلكة تفتقد معها ذبذبة الوترين التي هي مصدر الجهر ؛ لأن الهمزة ما هي إلا انطباق الوترين ثم انفراجهما " [4] .

واعتمد الدكتور الصيغ في توجيه رأي القدماء بأن الهمزة مجهورة على عدة أسس فرأى أول الأمر ان معيار الجهر عند سيبويه هو ان " الصوت المجهور مزيج من صوتين ؛ صوت يتكون في المخرج ، وصوت يأتي من الصدر . والمهموس صوت يتكون من المخرج فقط ، لذلك فقد صعب على سيبويه تحديد هذا الصوت الذي يخرج من الصدر أيضا " [5] ، ثم بنى على عبارة الخليل بأن الهمزة " مهتوتة مضغوطة"[6] قوله :ان " المجهور يكون في موضع الصوت فقط والهمزة صوت مجهور بهذا الضابط"[7]. واعتمد في آخر حديثه زيادةً على عبارة الخليل السابقة- على قول سيبويه بأن الهمزة " نبرة في الصدر تخرج باجتهاد " [8] . وعلى رأي سيبويه في الأصوات المجهورة بأنها (ضغطت في موضعها) فكانت نتيجة ربط تلك النصوص " ان سيبويه كان محقاً في وصفه للهمزة بالجهر ، ولا شك ان صعوبة صوت الهمزة التي افصح سيبويه عنها في نصه بأنها تخرج باجتهاد ، و افصح عنها المحدثون بقولهم : ان "عملية النطق بها من اشق العمليات الصوتية ، كل ذلك يجعل أمر الوصول إلى هذه النتيجة التي توصل إليها أمرا يعذر فيه سيبويه والقدماء " [9] .

لقد ذكرنا سابقاً ان مخرج الهمزة عند القدماء أقصى الحلق وهو ما عبر عنه الخليل بـ (جوف الحلقوم) ، وذكرنا أيضا ان الصوت المجهور يكون اعتماده في موضعين ، الأول منهما ينتج صوت الصدر المجهور ، وهو ما عبرنا عنه بأنه الصدى الحاصل في الصدر عند إنتاج الأصوات . والآخر يكون في موضع إنتاج الصوت اللغوي ويكون بإحدى طرائق الانسداد ، وهذا يعني أن اعتماد التصويت بالهمزة يكون في موضع ولادتها أي الموضع الذي يعتمد عليه للتصويت بصوت الصدر . وبهذه الحالة تعبر عملية الاعتماد في إنتاج الهمزة عن أمرين يحدثان بعملية واحدة ، أولهما : الاعتماد على الأوتار . والآخر : الاعتماد على موضع ولادتها ويكون بالأوتار نفسها ، أي إن اعتماد ولادة الهمزة يتم في الموضع الذي يعتمد عليه لانتاج صوت الصدر . وبهذه الطريقة يشرب النفس الخارج من الرئة في أثناء الزفير صوتاً يمثل الهمزة أي امتناع جري النفس معها . وللدكتور حسام النعيمي توجيه يقارب ما ذهبنا إليه ، إذ قال في الهمزة : " إنها تكون بانطباق الوترين ثم انفصالهما فجأة ، وانطباق الوترين غير اهتزازهما ، ولذا فهي مهموسة بضابط المحدثين . ولكونها مجهورة بضابط القدماء ، لأن إغلاق الوترين مجرى النفس يستحيل معه ان تنطق الهمزة مع جريه " [10] . وهو ما رأته

---

[1] التشكيل الصوتي : 95 .
[2] ظ : علم الأصوات عند سيبويه وعندنا : 59 .
[3] ظ : مناهج البحث في اللغة : 125 .
[4] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 242 .
[5] الأصوات عند سيبويه : 115 .
[6] العين : 52/1 .
[7] الاصوات عند سيبويه : 115 .
[8] كتاب سيبويه : 167/2 .
[9] الأصوات عند سيبويه : 115 .
[10] أصوات العربية بين التحول والثابت : 31 . وظ : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 313 و 314 .

الدكتورة مي الجبوري ، وان اختلف الأساس الذي وضعته لضابط الجهر والهمس عند القدماء ، فالاعتماد عندها " الإسناد والاتكاء " [1] . وإشباع الاعتماد في موضعه " هو ثبوت أعضاء الجهاز الصوتي بوضعها الخاص بإصدار الصوت في المنطقة الخاصة بنقطة وفي حالة الهمزة هو إسناد الوترين الصوتيين الغشائيين في الحنجرة بعضهما على بعض وانطباقهما ومنع النفس من الجريان خلالهما فلا يسمح للهواء بالمرور فيحتبس داخل الحنجرة حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت عندما يسمح له بالخروج على صورة انفجار هو صوت الهمزة الذي نسمعه نتيجة تباعد الوترين الصوتيين بعضهما عن بعض " [2] . واستدلت على صحة رأيها في جهر الهمزة عند القدماء بمعيار سيبويه للتفريق بين المجهور والمهموس في كتابه ، ثم قالت : " فنحن لا نستطيع ترديد الهمزة مع جري النفس وهي همزة واحدة في بداية نطق الصوت نستطيع ان نجري بعدها حرف مد أو لين ولا يمكن ترديدها مع جري النفس لأنها لا تتكون أصلا من سد مجرى النفس ثم انفتاحه فجأة في الحنجرة "[3] . فالنتيجة الأخيرة للدكتورة مي الجبوري هي هي التي انتهى إليها الدكتور حسام النعيمي .

2-مشكلة القاف :

عد أبو حيان وجمهور علماء العربية القاف صوتاً مجهوراً ووصفها المحدثون بأنها صوتُ مهموس[4].

لقد ذهب المحدثون إلى آراء مختلفة في جهر القاف عند القدماء ، فمنهم من اكتفى بالقول ان القدماء اخطأوا في تقدير صفة القاف [5] . ومنهم من حاول ان يجد تفسيراً لكلام القدماء ، وراح أصحاب هذا المذهب إلى طرائق مختلفة منها ان القدماء راموا من القاف المجهورة ان يصفوا قافاً لهجيةً تشابه إلى حد كبير صوت الغين وهو النطق الشائع في السودان وبعض لهجات العراق [6] . وذهب آخرون إلى ان القدماء وصفوا قافاً تشبه (الجيم القاهرية) اليوم . وهو صوت يمثل مجهور الكاف [7] ، في حين ذهب بعضهم إلى ان صوت القاف قديماً تطور إلى ما هو عليه من همس [8] . وللدكتور حسام النعيمي محاولة في تفسير قول القدماء بجهر القاف ، فبعد ان رجح في مخرج القاف أحد أمرين ، اما ان يكون القدماء قد اخطأوا في تعيين مخرج القاف ، والآخر انهم وصفوا القاف من لهجات معينة غير ما اشتهر في ما بعد في الفصيح [9]، وبعد ان انتهى إلى ان ضابط القدماء في التمييز بين المجهور والمهموس تعتمد " على الاستمرار في دفع الهواء من الرئتين ومحاولة النطق بالحرف بصورة خافتة" [10] . رأى ما يلي :

1-انه - بعد ان جرب ضابط القدماء على الأصوات المجهورة والمهموسة - لاحظ ان القاف ان اخفي الصوت بها سمعت خاء [11] .

2-وعاد الدكتور إلى ما رآه من احتمال لمخرج القاف عند القدماء فقال : " ان كان الذي وصفوه كالقاف في اللهجة العراقية فهو صوت مجهور مثل الصوت الأول في الكلمة العراقية (كلب) بمعنى (قلب) ، ولا إشكال حينئذ ، وان كانوا قد اخطأوا المخرج إلا انه بالنظر إلى الضابط الذي ذكروه للجهر والهمس والتجربة التي مارستها بنفسي مجهور أيضا [12] ، وهو بذلك يضيف على رأيه الأول كون القاف القديمة تشبه الكاف العراقية .

وقد استقر الدكتور حسام في كتابه أصوات العربية على ان القدماء لم يخطأوا تعيين مخرج القاف معتمداً على رأي الدكتور غانم قدوري آل حمد من غير إحالة [13] ، وهذا يعني انه عدل عن رؤيته في تقدير المخرج الذي وصفه القدماء لصوت القاف في كتاب الدراسات اللهجية وانتهى في كتابه الثاني إلى ان : " القاف حرف لهوي شديد ، وهو مجهور على وفق ضابط الجهر الذي وضعه القدماء وهو عدم جريان النفس عند اخفاء

---

[1] القراءات القرآنية ، د. مي الجبوري : 20 .
[2] م.ن : 20 .
[3] م.ن : 20-21 .

[4] ظ : علم اللغة ، د. محمود السعران : 170 .
[5] ظ : مناهج البحث في اللغة : 124 .
[6] ظ : علم اللغة العام (الأصوات) : 141 . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 248 .
[7] ظ : دراسة الصوت اللغوي : 343 .
[8] ظ : الأصوات عند سيبويه : 112 .
[9] ظ : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 306 و 314 .
[10] م . ن : 313 .
[11] م . ن : 313 .
[12] م.ن : 314 .
[13] ظ : أصوات العربية بين التحول والإثبات : 23-25 .

الحرف وترديده ، فقراء القرآن اليوم مجمعون على نطق واحد ان الصوت قد تقدم في لهجات بعضهم وتأخر في لهجات الآخرين ، وجاء مهموساً عند قوم ، مجهوراً عند آخرين ... " [1] .

ولا توجد وسيلة نحمل عليها وجهة نظر الدكتور النعيمي من حيث ان صوت القاف في حالة اخفائه وتكرير النطق به مع السماح للنفس ان يجري مع نطقه سيتحول إلى خاء اللهم الا ان كان يريد بجريان النفس الرخاوة وبهذا سيصدق كلامه ولكنه يخالف القدماء في عد القاف من الأصوات التي ينحصر فيها الصوت ، أي من الأصوات الشديدة .

وقد حاولنا كثيراً ان نطبق المعيار الذي فهمناه من القدماء للجهر على صوت القاف فلم نفلح وذلك لاستحالة التقصد بإصدار صوت الصدر الذي هو رنين او صدى الصوت الناتج من الاوتار الصوتية مع التقصد بارتكاز أقصى اللسان على ما يقابلها من أقصى اللهاة وهذه الاستحالة يدعمها ما تقرر في الدراسات الحديثة من صعوبة إنتاج أصوات شديدة عن طريق تقريب جذر اللسان ومؤخر الفم " الحائطين الأمامي والخلفي للحلق " [2] ، فالقاف اقرب الأصوات مخرجاً إلى الأصوات الحلقية وهذا يعني ان ثمة صعوبة في إنتاج صوت القاف وتتمثل تلك الصعوبة بأننا لا نجد هذا الصوت في اغلب لغات العالم لذا فان دعم شدة القاف بصفة الجهر من الأمور الأشد صعوبة بل من المستحيلة على ما يقول الدكتور غانم [3] ، ولكن ايعني هذا ان القدماء اخطأوا في قولهم بان القاف مجهورة أم انهم قصدوا بها صوتاً لهجياً غير القاف المعروفة الآن في عربيتنا الفصيحة ؟

أما القول بان القدماء وصفوا صوت القاف بـ(الجيم القاهرية) فهو أمر مستبعد ذلك لأن ابن الحاجب وابا حيان نصا على ان القاف التي كالكاف وهي التي أطلق عليها أبو حيان مصطلح (القاف المعقودة) غير القاف الخالصة [4] . وتابعهما على ذلك القسطلاني وابن الجزري [5] ، وقد استدل الدكتور غانم بنصوص أولئك العلماء على رفض كون القدماء وصفوا لنا القاف التي هي كالكاف (الجيم القاهرية)[6].

وأما ان نقول ان القدماء وصفوا لنا القاف التي هي الغين التي تنطق في السودان وبعض لهجات العراق اليوم فأمر مستبعد أيضا من خلال ما ذكره الدكتور غانم ، الذي رأى ان سبب الرفض هو " لأن من غير المعقول ان يغيب عن نظر علماء العربية وعلماء التجويد ذلك القرب الشديد حينئذ بين نطق القاف ونطق الغين ، ولو ان سيبويه حين وصف القاف بأنها صوت مجهور أراد صوتاً يشبه الغين لما وصف القاف بأنها صوت شديد، فمن غير المعقول الا يفطن سيبويه إلى رخاوة ذلك الصوت ، وهو فعلاً قد وصف الغين واختها الخاء بأنها أصوات رخوة " [7] .

ولا نستطيع ان نعد القاف المجهورة بوصف القدماء مقابلة للقاف المهموسة لما ذكرناه من استحالة نطق مثل هكذا صوت . ولأن " القاف العربية الفصحى التي ننطق بها اليوم صوت فذ كالضاد العربية القديمة التي قال عنها سيبويه انها إذا أزيل عنها الإطباق خرجت من الكلام لأنه ليس من موضعها حرف غيرها ، وكذلك هذه القاف إذا ازيل همسها ولحقها الجهر خرجت إلى صوت آخر يخالفه في عدة خصائص . وهو صوت الغين " [8] فاستحالة نطق القاف مجهورة من وضعها الذي تنتج فيه بصفة الشدة أمر أثبتته الدراسات الصوتية الحديثة ونطقنا لها ، ومن يدري فلعل اهل العربية القديمة أمكنهم ان يأتوا بالقاف مجهورة من موضعها الذي عليه نطقها اليوم ، والا فان أبا حيان وجمهور علماء العربية كانوا قد وهموا في وصف هذا الصوت بالجهر .

3-مشكلة الطاء :

وصف أبو حيان وجمهور علماء العربية الطاء بالجهر ، وخالفهم المحدثون في ذلك لأنها عندهم صوت مهموس [9] ، وقد ذهبوا في توجيه وصف القدماء الطاء بالجهر إلى مذاهب متفرقة نوجزها بما يأتي:

1-ان الطاء التي وصفها القدماء بالجهر هي الطاء المهموسة التي ننطقها اليوم في عربيتنا الفصيحة . ومرد الاختلاف بين وصفنا ووصف القدماء هو الاختلاف في التعبير وفي الضوابط التي استعملت لإدراك حقيقة الجهر والهمس ، فالقدماء يجعلون ضابط الهمس جري النفس و إخفاء الصوت ، يقول الدكتور حسام النعيمي : "

---

[1] أصوات العربية بين التحول والثبات : 29-30 .
[2] ظ : دراسة الصوت اللغوي : 115 . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 254 .
[3] ظ : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 254 .
[4] ظ : الإيضاح في شرح المفصل : 484/2 . الارتشاف : 9/1 .
[5] ظ : لطائف الإشارات : 185/1 . والنشر : 221 .
[6] ظ : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 251-253 .
[7] م.ن: 253 .
[8] م . ن : 255 .
[9] الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 313 .

ولا شك ان جريان النفس يؤدي إلى تباعد الوترين الصوتيين و إخراج ما يشبه الهاء ، وقد جربت ذلك في كل الحروف المهموسة فأمكنني اخراجها مع جري النفس واخفاء الصوت ، وفهمها السامع . وجربته مع الطاء فسمعت تاء ... " [1]، ورأى ان عبارة سيبويه : (ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً) ؛ " إذا أخذت على ظاهرها تقطع بأن صوت الطاء التي وصفها العلماء كانت دالاً مفخمة ، أي كالضاد المصرية ، إلا ان الأمر به حاجة إلى فضل تأمل ، ذلك أن علماء العربية ذكروا ثلاثة أصوات بصفة الجهر ، وهي ليست مما يهتز معه الوتران الصوتيان ، هي : الهمزة والقاف والطاء ، ولذلك فهذه الثلاثة أصوات تمثل شكلاً واحداً ، لا أرى صحة تجزئته " [2] ، ورد الدكتور الصيغ كلام الدكتور النعيمي بـ " ان تجربة الترديد إذا كانت محكماً لمعرفة الجهر في الأصوات فان الصوتين المتناظرين المتفقين في جميع الصفات عدا الجهر والهمس هما اللذان يمكن بهذه التجربة تحول بعضهما إلى الآخر مثل الدال بالتكرير والاخفاء تتحول إلى تاء ، ومثل الذال تتحول إلى ثاء ، والذي نجده من كلام الدكتور ان الطاء تحولت إلى تاء . . . . . فأين اطباق صوت الطاء الذي يجب ان يمنع ان يتحول إلى تاء . . . " [3] ، زيادة على ان القدماء ومنهم أبو حيان ذكروا في الأصوات غير المستحسنة (الطاء التي كالتاء) [4] وقد جعلها أبو حيان فرعاً من الطاء الخالصة أي الفصيحة [5] ، وهذا يعني ان الطاء التي كالتاء هي الطاء المهموسة المطبقة .

أما كون الهمزة والقاف والطاء مهموسة في معيار القدماء ولم يهتز معهن الوتران الصوتيان فلا نجد فيه دليلاً كافياً على ان سيبويه لم يرم من الطاء نظيرة الدال الصوت الفصيح المجهور .

2-ومن المحدثين من ذهب إلى ان تلك الطاء هي الطاء المهموسة المهموزة ، وهذه ظاهرة مشتركة في اللغات السامية القديمة [6] . ومعنى كون الطاء مهموزة هنا انه يصحبها إقفال الأوتار الصوتية حين النطق فأصبح عنصر الهمز جزءاً لا يتجزأ من نطقها ، هذه الطاء مهموسة قطعاً لأن إقفال الأوتار الصوتية لا يسمح بوجود الجهر [7] ، وهي لا تختلف عن نطقنا الحالي للطاء المهموسة سوى " إضافة عنصر جديد وهو إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها ومن ثم لا يمر الهواء خلال الحلق والفم وبالتالي يختلف ضغط الهواء في هاتين المنطقتين وفي خارج جهاز النطق عنه خلف الأوتار الصوتية ، وفجأة تنفصل الأعضاء المشتركة في نطقها بعضها عن بعض فيخرج الهواء المضغوط خلف الأوتار بقوة ملتقياً مع الهواء المندفع من الخارج في الفم فنسمع طاء مهموزة ... وهذا الصوت حينئذ من الصعب وصفه بالجهر والهمس أما عدم الجهر فواضح لأن الجهر لا يحدث أبدا عند إقفال الأوتار الصوتية ، وكذلك لا يحدث الهمس في نظرنا الا عند انفراج الوترين انفراجاً معيناً ، فالهمس إذا ليس معناه عدم الجهر ، كما فهم بعض الدارسين ، ومن ثم عدوا هذه الطاء مهموسة " [8] ، يقصد بقوله (بعض الدارسين) الدكتور تمام حسان في رأيه السابق . وصعوبة تحديد صفة الطاء هو الذي حدا بالقدماء إلى عدها مجهورة لأنهم لم يستطيعوا إدراك خواصها فظنوها مجهورة او النظير المفخم للدال وهو صوت مجهور [9] .

هذا المذهب فيه شيء من الصحة لأن عملية نطق الطاء سيكون الاعتماد فيها على جانبين ، اولهما: الاعتماد الذي يتم فيه إنتاج الهمزة ، والآخر : ويتم فيه إنتاج الطاء ويكون بذلك محل ولادة الطاء ، وعليه فان عملية التصويت بالهمزة مع النطق بصوت الطاء ستنزل منزلة صوت الصدر الذي به يشبع الاعتماد في موضع ولادة الطاء ، لكن الذي يضعف هذا المذهب هو ان تلك الطاء المهموزة لو زال الإطباق عنها لأصبحت تاء مهموزة لا دالاً مجهورة كما وصفها سيبويه وجمهور علماء العربية ولا نجد أحدا من القدماء والمحدثين من يشير إلى صوت كالتاء المهموزة ، مما يجعلنا نستبعد ان تكون الطاء المهموزة هي التي رامها القدماء وقد جرب الباحث ان ينطق الطاء المهموزة فلم يتمكن .

3-رأى بعض المحدثين ان القدماء راموا بالطاء المجهورة الدال المفخمة وهي الضاد التي ينطقها بعض المصريين ، وراح المحدثون في وجود هذا النطق اليوم إلى مذاهب هي :

---

[1] م.ن : 313 .
[2] أصوات العربية بين التحول والثبات :31 .
[3] الأصوات عند سيبويه : 90 .
[4] ظ : كتاب سيبويه : 404/2 .
[5] ظ : الارتشاف : 9/1 .
[6] ظ : فقه اللغات السامية ، بروكلمان : 39 .
[7] مناهج البحث في اللغة : 22 .
[8] علم اللغة العام (الأصوات) : 103 .
[9] ظ : مناهج البحث في اللغة : 123 . وعلم اللغة العام (الأصوات) : 103 .

1. إنها غير موجودة في لهجاتنا الحالية [1] .
2. انها ظاهرة قديمة في عربيتنا الفصحى تحولت اليوم إلى ظاهرة لهجية [2] .
3. انها ظاهرة قديمة في عربيتنا الفصحى وهي التي يجب ان يؤخذ بها وان لا يعتمد بصوت الطاء المهموس [3] .

والذي يراه الباحث هو ان الطاء المهموسة تساوي عند القدماء الطاء التي كالتاء وهي من الأصوات غير المستحسنة ، وان الدال المفخمة التي ينطق بها بعض المصريين اليوم تساوي عند القدماء الطاء المجهورة نظير صوت الدال بدليل ما ذكره سيبويه من انه (لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً) وهو كلام واضح على ان الطاء نظير الدال .

ثانياً : الشدة والرخاوة والتوسط :

1-المعنى اللغوي :

لم يستعن أبو حيان في تبيين مفهوم صفتي الشدة والرخاوة بمعانيهما اللغوية ، كما فعل مع صفتي الجهر والهمس .

وبانعام النظر في المعاني اللغوية للشدة والرخاوة نجد ان الاولى بمعنى الصلبة [4] ، وبه فسر بعض علماء العربية تلك الصفة [5] ، وذهب آخرون إلى ان معناها اللغوي هو القوة [6] ، وهو معنى مرادف للصلابة . أما الرخاوة فلا يخرج معناها اللغوي عن اللين ، والسهولة ، والاسترسال ، والسعة [7] . وعلى معنى (اللين) اقتصر بعض علماء العربية في تبيين معنى الرخاوة اللغوي [8] ، في حين استنتج بعضهم الآخر معنى آخر يعبر عن مدلول الرخاوة اللغوي ويقابل (القوة) و (الصلابة) وهو (الضعف) [9] .

لقد كان أبو حيان مدركاً لمعاني تلكما اللفظتين فذكر في مواضع من مصنفاته ان الأصوات الشديدة قوية والرخوة ضعيفة الا ان ذلك لا يحدث الا في داخل التركيب كما وضحنا ذلك . ونحن مع أبي حيان في عدم

---

[1] ظ : التطور النحوي : 17 .
[2] ظ : الأصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : 51-52 . والمدخل إلى علم اللغة ، د. رمضان عبد التواب : 75-76 . ودروس في علم الأصوات العربية : 50 .
[3] ظ : علم الأصوات عند سيبويه وعندنا : 58-59 .
[4] ظ : العين : 213/6 (ش د) .
[5] ظ : أسرار العربية : 210 .
[6] ظ : الحواشي المفهمة : 18 ظ . وبغية المرتاد : 22 .
[7] ظ : العين : 300/4-301 (ر خ و) . واللسان : 314/14-316 (ر خا) .
[8] ظ : الحواشي المفهمة : 18 ظ . وبغية المرتاد : 22 .
[9] ظ : أسرار العربية : 210 .

استعانته بالمعاني اللغوية لتوضيح الشدة والرخاوة ، فكون الشدة تدل على الصلابة او القوة والرخاوة تدل على الضعف معانٍ لا تنفعنا في الكشف عن طبيعة إنتاج تلك الصفات ولا عن اثرها في السمع

2-المعنى الاصطلاحي :

حاول أبو حيان ان يضع في كتابه النكت الحسان مفهوماً جديداً يفرق به بين الأصوات المتوسطة وبين الأصوات الشديدة والرخوة فذكر ان الأصوات الشديدة هي التي " لا يخالطها صوت " وأصوات (لم نرعِ) * " يخالطها صوت " [1] ، ومع ذلك فانه عد أصوات (لم نرعِ) من ضمن الأصوات الرخوة التي جعل من ضمنها أيضا أصوات المد واللين [2] .

ولا يخفى علينا غموض مفهوم المخالطة ، وغموض تصنيف أبي حيان الأصوات بحسب صفات الشدة والرخاوة والتوسط . وليتسنى لنا إدراك مراد أبي حيان من مفهومه لتلك الصفات عدنا إلى معنى المخالطة اللغوي فوجدناه منحصراً بالجمع بين شيئين من غير جنس واحد ، اما ان يكون ذلك الجمع متمازجاً، يقال : " الخلاط : مخالطة الداء الجوف " ، او من غير مزج ، يقال : " الخلاط : مخالطة الذئب الغنم " و " قوله : لا خلاط ولا وراط أي لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع " [3] .

واذا كان هذا مراد أبي حيان من مخالطة ، فكيف تكون الأصوات الشديدة غير مخالطة للصوت ؟ .

ان هذا يوضحه تفريق أبي حيان بين الأصوات المجهورة والأصوات الشديدة في قوله : " والفرق بين المجهور والشديد ان المجهور يقوى الاعتماد فيه ، والشديد يقوى لزومه لموضعه " [4] .

لقد أدرك أبو حيان ان الصوت الشديد هو الذي " يقوى لزومه لموضعه " وهو ما ذكره مكي ، الا ان مكياً استعمل لفظة (اشتد) التي أبدلها أبو حيان بلفظة (يقوى) ، قال مكي : " ومعنى الحرف الشديد انه حرف اشتد لزومه لموضعه وقوي فيه حتى منع الصوت ان يجري معه عند اللفظ " [5] ، وقد استعمل هذا الحد الداني [6] والقرطبي [7] .

فما معنى عبارة (لزوم الحرف لموضعه) ؟

جاء في اللسان : " لزوم الشيء يلزمه لزوماً التزمه والزامه اياه فالتزمه ، ورجل لزمة : يلزم الشيء فلا يفارقه " [8] .

وبذلك يكون معنى (لزوم الحرف لموضعه) هو عدم مفارقة الحرف (الصوت اللغوي) لموضعه. ان مفهوم اللزوم هذا يجعلنا نقف على كيفية عدم مفارقة الحرف لموضعه ولا شك في ان القدماء قصدوا من عبارة (لزوم الحرف لموضعه) ان الصوت اللغوي لا يستعين بمواضع أخرى من أعضاء الجهاز الصوتي بعد انتهاء عمل الأعضاء التي يولد فيها ذلك الصوت في أثناء إنتاجه .

ولا يتعارض هذا مع الأصوات المجهورة سواء أكانت رخوة أم شديدة ، لأن حدوث الجهر (صوت الصدر) بسبب إشباع اعتماد الحرف (الصوت اللغوي) في موضعه ، ولا يعني حصوله ان الصوت الشديد المجهور او الرخو المجهور غير لازم لموضعه ، فالاستعانة التي نقصدها تحصل بعد محاولة الأعضاء التي يولد عندها الصوت اللغوي ان تنتج ذلك الصوت فتقصر عن ذلك فتتم الاستعانة بأعضاء أخرى ليتم إنتاج ذلك الصوت ؛ كموضع الغنة تلك الصفة التي من غيرها لا نستطيع ان ننطق صوتي الميم والنون .

وعلى ذلك يكون مفهوم عدم المخالطة عند أبي حيان هو : ان الصوت اللغوي لا يستعين بصوت آخر يمكن ان ينتج من غير موضع ولادته ، او بمعنى آخر : ان الصوت اللغوي الشديد او الرخو لا يجمع بين عمل الأعضاء التي يولد فيها وعمل الاعضاء الأخرى التي يستعين بها لاتمام صورته النطقية .

نستنتج من ذلك ان مفهوم الصوت الشديد عند أبي حيان في كتاب النكت الحسان هو : الصوت اللغوي الذي (يقوي لزومه لموضعه) بحيث (لا يخالطه صوت) آخر يمكن ان تنتجه أعضاء غير الأعضاء التي يولد

---

* في المتن (لم تسرع) بالتاء والسين ، وهو تحريف مطبعي والصواب ما أثبتناه .

[1] النكت الحسان : 279 .

[2] م.ن : 279 .

[3] العين : 219/4 (خ ل ط) .

[4] النكت الحسان : 279 .

[5] الرعاية : 93 .

[6] ظ : التحديد : 107-108 .

[7] ظ : الموضح في التجويد : 89 .

[8] اللسان : 541/12 (ل ز م) .

عندها . ولكن هل يعني هذا ان الصوت الرخو –الذي هو ضد الصوت الشديد- صوت (يضعف لزومه لموضعه) و (يخالطه صوت) ؟

ان هذه المسألة تحتاج إلى إطالة نظر في كلام أبي حيان ، وسنحاول ان نجعل النتيجة التي تسبب قوة لزوم (الصوت اللغوي) لموضعه وهي (امتناع جريان الصوت مع الحرف) أساسا آخر في إدراك مفهوم الصوت الشديد والصوت الرخو عند أبي حيان في كتاب النكت الحسان .

فقوة لزوم الحرف (الصوت اللغوي) – كما ذكر مكي – تسبب امتناع جريان الصوت معه ، اما الصوت الرخو فهو " حرف ضعف الاعتماد عليه في موضعه عند النطق به فجرى معه الصوت " [1] .

ولو اسقطنا ضابط (جريان الصوت وامتناعه) على تصنيف أبي حيان للأصوات بحسب صفات الشدة والرخاوة والتوسط في كتاب النكت الحسان لوجدناه على ما يأتي : ان الأصوات الشديدة هي أصوات (يقوى لزومها لموضعها) و (منع الصوت ان يجري معها) وهي (لا يخالطها صوت) .

أما الأصوات الرخوة فهي أصوات (يجري معها الصوت) وهي على نوعين : أصوات (يجري الصوت معها) وهي (ضعيفة اللزوم لموضعها) و (لا يخالطها صوت) ، وأصوات (يجري الصوت معها) وهي (غير لازمة لموضعها) و (يخالطها صوت) وهي أصوات (لم نرع) . واذا أنعمنا النظر في الأصوات الرخوة غير أصوات (لم نرع) لوجدناها على نوعين أيضا ، أحدهما : وفيه أصوات المد واللين، والآخر : وفيه بقية الأصوات الرخوة .

وهذا يعني ان ضعف اللزوم عند أبي حيان متدرج في الأصوات الرخوة غير أصوات (لم نرع) ، واضعف ما يكون فيه عند أصوات المد واللين التي لا تلتزم مواضعها من غير ان تلتقي أعضاء النطق بعضها مع بعض ، زيادة على ان ضابط جريان الصوت متدرج أيضا في الأصوات الرخوة غير أصوات (لم نرع) ، فهو مع أصوات المد واللين جريان لازم المد ومع غير أصوات المد واللين جريان يجوز فيه المد وعدمه .

وعلى اية حال فان هذا الاستنتاج يعبر عن فهمنا لمراد أبي حيان من الأصوات الشديدة والرخوة في كتاب النكت الحسان ، وقد يكون كذلك عند أبي حيان الا انه لم يعبر عن مراده بدقة فكانت حدوده قاصرة عن إدراكه ، وان تصنيفه للأصوات بحسب صفة الشدة والرخاوة تصنيف دقيق إذا ما راعينا فهمنا لمراد أبي من تلك الصفات من كتاب النكت الحسان ، الا ان الذي حصل هو عدم وصف أبي حيان لذلك التصنيف وصفاً دقيقاً مما يجعله لا يعبر عن إدراكه لتلك الصفات بصورة كاملة دقيقة . ويبدو ان أبا حيان احس بقصور عباراته التي ذكرها في كتاب النكت الحسان عن وصف ما يرمي اليه من فهم لصفات الشدة والرخاوة والتوسط ، فعدل عن مفهومه لتلك الصفات أساسا في مصنفاته الأخرى إلى ما ذهب اليه سيبويه ومتابعيه ، فقال في كتاب الارتشاف : " الشدة : امتناع الصوت ان يجري في الحرف " [2] . وهذا يعني ان الرخاوة هي جريان الصوت في الحرف . وكنا قد أدركنا ان (جريان الصوت) نتيجة (لضعف اللزوم) و (امتناعه) نتيجة (لقوة اللزوم) ، و أدركنا أيضا مفهوم اللزوم عند أبي حيان وعلماء العربية ، لذلك فان معيار (قوة اللزوم وضعفه) هو الفاصل بين الأصوات الشديدة وبين الأصوات الرخوة .

ولفظة (الامتناع) استعملها سيبويه في كتابه [3] ، واستبدلها في مواضع أخرى بلفظة (الانحصار)[4]، واستعمل بعض علماء العربية تلك اللفظة في حدودهم لصفة الشدة [5] ، في حين استعمل آخرون لفظة (الاحتباس) محلها [6] ، تلك الألفاظ كلها ذات دلالة واحدة لا تغير من مفهوم الشدة .

ان عدم ذكر سيبويه وابي حيان لعبارة (شدة لزوم الحرف لموضعه) لا يعني ان حدهما لصفة الشدة قاصر ، ذلك لأنهما اكتفيا بعرض النتيجة التي تحدثها شدة اللزوم ، وإدراك النتيجة إدراكٌ للسبب ، بطبيعة الحال .

أما الصوت الرخو فقد استعمل بعض العلماء في وصفه عبارة (ضعف الاعتماد عليه في موضعه)، قال مكي : " ومعنى الحرف الرخو : انه حرف ضعف الاعتماد عليه في موضعه عند النطق به ، فجرى معه

---

[1] الرعاية : 94 .

[2] الارتشاف : 10/1 .

[3] ظ : كتاب سيبويه : 406/2 .

[4] ظ : م.ن : 406/2 .

[5] ظ : شرح كتاب سيبويه ، للسيرافي : 459/6 ،نقلا من الأصوات عند سيبويه : 116 . والإيضاح في شرح المفصل : 486/2 ، وشرح الشافية ، للجاربردي : 341/1-342 . وحاشية الجاربردي ، لابن جماعة : 241/2 . وشرح المقدمة الجزرية ، لزادة : 22 .

[6] ظ : بغية المرتاد : 222 . وشرح المقدمة الجزرية ، لمؤلف مجهول : 7 .

الصوت ... " [1] ، ويدلنا على معنى تلك العبارة قوله في الصوت الشديد بأنه (اشتدّ لزومه لموضعه)، وهذا يعني ان عبارة (ضعف الاعتماد في موضعه) مرادفة في المعنى لعبارة (ضعف لزومه لموضعه) وهذه الإشارة تفهمنا ان للاعتماد عند القدماء عدة مظاهر هي :

1-ضعفه في موضعه ، وذلك مع الصوت الرخو .

2-قوته في موضعه ، وذلك مع الصوت الشديد .

3-إشباعه ، سواء أكان قوياً ام ضعيفاً ، وذلك مع الصوت المجهور .

4-عدم إشباعه ، سواء أكان قوياً ام ضعيفاً ، وذلك مع الصوت المهموس .

لقد حاول بعض علماء العربية ان يغيروا في طريقة التعبير عن صفتي الشدة والرخاوة . فأطلق ابن المؤدب مصطلح الصلبة على الأصوات الشديدة وعلل سبب تلك التسمية بقوله : " وسميت صلبة لأنه لا يجوز لك مد صوتك بها " [2] ، وقال في الأصوات الرخوة : " انما سميت رخوة لأنها قد يجوز لك ان تمد بها صوتك " [3] .

يلاحظ على كلام ابن المؤدب انه استعمل (جواز مد الصوت وامتناعه) معياراً لمعرفة الصوت الشديد والرخو ، وهي كما نراها عبارة ادق من عبارة (جريان الصوت) وان كان المراد منها عند بعض العلماء ما قصده ابن المؤدب في معياره السابق .

ويعترضنا في هذا الموضوع سؤال آخر هو إذا كانت الأصوات الشديدة هي التي تمنع الصوت ان يجري معها ، أي ان يمد معها ، فهل يعني هذا ان كل ما يمد من الأصوات هو صوت رخو ؟

لقد انتهينا في ما سبق إلى ان أبا حيان جعل كل ما يمد من الأصوات صوتاً رخواً سواء كان الصوت لازماً لموضعه أم غير لازم وسواء وجب المد في الصوت أم جاز فيه . وعليه فان درجات ضعف لزوم الأصوات الرخوة متدرجة ، يكون أضعفها مع أصوات المد واللين . والى هذا المفهوم ذهب بعض علماء العربية .

لكننا نجد أبا حيان في غير كتاب النكت الحسان ينحو منحى سيبويه في مفهوم الشدة والرخاوة فنراه يخرج أصوات المد واللين من قائمة الأصوات الرخوة ، وعلى هذا الصنيع يكون المد في الأصوات الرخوة اختيارياً عند أبي حيان ، وهو ما تدلنا عليه التجربة التي تعرف العلماء بها الأصوات الشديدة والرخوة .

3-التجربة التي يتعرف بها الأصوات الشديدة والرخوة :

لا شك في ان أبا حيان قد اتخذ الأداة نفسها التي استعملها سيبويه ومن بعده في معرفة الصوت الشديد والرخو ، سواء كتب ذلك في كتاب التذييل أم لم يذكره يدلنا على ذلك موافقته لسيبويه في مفهوم الشدة، وفي عدد الأصوات الشديدة والرخوة أيضا ، التي ذكرها في غير كتاب النكت الحسان .

لقد وصف سيبويه طريقته في تعرف الصوت الشديد بـ " انك إذا قلت : الحج ، ثم مددت صوتك لم يجر ذلك " [4] ، وبعكسه كان الصوت الرخو قال سيبويه : " وذلك إذا قلت : الطس ، وأنقض ، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت ان شئت " [5] .

فعبارة (ان شئت) تشير إلى ان جريان الصوت مع الأصوات الرخوة اختياري ، وهو ما عبر عنه ابن المؤدب بعبارته (قد يجوز) ، فالصوت في هذه الحالة لا يتغير عن طبيعته التي كان عليها قبل المد .

وبذلك تكتمل الشروط التي وضعها سيبويه ومتابعوه لتعرف الأصوات الرخوة وهي :

1-انها لا تلزم موضعها (بشدة) .

2-وعدم لزومها لمواضعها سبب في جريان الصوت معها (مده) .

3-ان شرط (مد) تلك الأصوات هو ان يكون المد (اختيارياً) .

---

[1] الرعاية : 94 .

[2] دقائق التصريف : 548 .

[3] م.ن : 548 .

[4] كتاب سيبويه : 406/2 .

[5] م.ن : 406/2 .

ان عدم تصريح أبي حيان - في غير كتاب النكت الحسان - بمفهوم الرخاوة على وفق المعيار الذي فهمناه من كلام سيبويه خلل عليه ، وهو خلل أيضا على من ذكر مد الرخاوة مخرجاً منها أصوات المد واللين ولم يصرح باختيار المد [1] .

هذا إذا كان المعيار هو ما فهمناه من كلام سيبويه ، اما إذا اتخذنا سبيلاً آخر في فهم مراد من لم يذكر الاختيار في المد مع الأصوات الرخوة وذلك بأن نفهم منهم انهم قصدوا من الأصوات الشديدة والرخوة ، الأصوات التي تكون مخارجها محققة ، فإننا سننتهي – بهذا المفهوم - إلى ان نعد معيار (ضعف) اللزوم في الأصوات الرخوة عند هذه الطائفة مقتصراً على الأصوات الصامتة .

نخلص من كل ذلك إلى ان حدود القدماء التي ذكرناها سابقاً تدل بوضوح على مفهوم واحد لصفة الشدة ، وان اختلفت عباراتهم . أما في صفة الرخاوة فهم يذهبون إلى ثلاثة مذاهب ؛ فمنهم من ارتضى فيها معيار (اختيار المد) ، ومنهم من أطلق ذلك المعيار فجعله مشتملاً حتى على أصوات المد ، ومنهم من قصر مفهومه على الأصوات ذوات المخارج المحققة (الأصوات الصوامت) .

ولم يبق لدينا من شيء من مفهوم الشدة والرخاوة عند القدماء سوى توضيح مراد المبرد في حده لتلكما الصفتين ، قال المبرد " ومن الحروف حروف تجري على النفس ، وهي التي تسمى الرخوة ، ومنها حروف تمنع النفس وهي التي تسمى الشديدة " [2] .

فإشارة المبرد إلى ان الأصوات الرخوة هي (التي تجري على النفس) دقيقة تدل على كون النفس محمولاً عليه الحرف . ان المبرد قصد صوت الحرف الخارج مع النفس . ولا أدل على ذلك من قوله : " فأما الرخوة فهي التي يجري النفس فيها من غير ترديد "[3] ، فجريان النفس في الحرف يعني فناء النفس في لفظ الحرف ، ونكاد نلمح العلاقة بين استعمالي المبرد من خلال عبارتيه :

-جريان الحرف (على) النفس .

-جريان النفس (في) الحرف .

فكلا العبارتين تدل على طغيان صوت الحرف على النفس ، وهذا واضح من استعماله لحرفي الجر (على) و (في) في تلك العبارتين . ولعل في كلام المرعشي على حقيقة النفس والصوت ما يدعم فهمنا لتوظيف المبرد لفظة (النفس) في عبارتيه السابقتين ، قال المرعشي : " صوت الحرف ، وان كان مجهوراً، فهو لا يتحقق بدون [كذا] النفس ، لأن حقيقة الصوت يستلزم احتباس النفس معه ، وجريه جريه ، وان نفس الحرف وان كان مهموساً فهو لا ينفك عن الصوت لأن حقيقة الحرف هو الصوت المعتمد على المخرج . كما سبق ، وان نفس الحرف المجهور قليل ونفس الحرف المهموس كثير ... " [4] .

وإذا اتضح لنا مراد المبرد من صفتي الشدة والرخاوة ، فهل يعني ان فهمه لتلكما الصفتين متعارض مع فهمه للأصوات المجهورة والمهموسة في قوله : " ومنها حروف إذا رددتها في اللسان جرى معها الصوت وهي المهموسة ، ومنها حروف إذا رددتها ارتدع الصوت فيها وهي المجهورة " [5] .

يرى الباحث ان موضع الإبهام والغموض يكمن في وصف المبرد للأصوات المهموسة بأنها (جرى معها الصوت) وفي وصفه للأصوات المجهورة بأنها (ارتدع الصوت فيها) . وبانعام النظر في تلكما العبارتين ، وفك بعض ألفاظهما ، ننتهي إلى ان من معاني الجري اللغوية : (الخروج) .جاء في اللسان : " وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا مات الإنسان انقطع عمله الا من ثلاث ؛ صدقة جارية ، أي دارّة متصلة .. " [6] . والدر في اللغة بمعنى الخروج " قيل : لله درك . أي لله ما خرج منك من خير " [7] .

وعلى هذا يكون معنى جريان الصوت مع الأصوات المهموسة هو خروجها او انتاجها من موضعها الذي تولد فيه ، يدلنا على ذلك وصف المبرد للأصوات المجهورة بأنها (ارتدع الصوت فيها) ، فارتدع من ردع ومن معانيها اللغوية تلطيخ شيء بشيء لتجميله او تلميعه او صبغه [8] ، نقول : " ردعه بالشيء يردعه ردعاً فارتدع : لطخه به فتلطخ ... " [9] ، لذلك جعل اللطخ بالزعفران ردعاً [1] .

---

[1] ظ : سر صناعة الإعراب : 61/1 . وشرح التسهيل ، للمرادي : 249 و.

[2] المقتضب : 194/1 .

[3] م . ن : 195/1 .

[4] جهد المقل : 119 .

[5] المقتضب : 195/1 .

[6] اللسان : 142/14 (ج ر ى) .

[7] م.ن : 142/14 (ج ر ى) .

[8] م . ن : 279/3 (د ر ر) .

[9] ظ : م . ن : 121/8 (ر د ع) .

من ذلك يتبين ان الصوت المجهور لا يكتفي بجريان الصوت معه في موضع ولادته كما يحصل مع الصوت المهموس ، بل انه يلطخ او يدعم او يرتدع بصوت آخر يقويه ، هذا الصوت هو الذي عبر عنه الخليل وسيبويه بـ (صوت الفم) .

ونزداد اطمئناناً لدقة مراد المبرد من عباراته في وصف المجهور والمهموس والشديد والرخو من خلال ما ذكره من أصوات في داخل تلك الصفات فهي الأصوات نفسها التي ذكرها سيبويه وجمهور علماء العربية ، مما يدفعنا إلى ان نحسن الظن بما ذكره المبرد ، وان لا نلجأ إلى ان نرمي الخطأ على النساخ كما فعل بعض المحدثين [2] . او ان نقول بخطأ المبرد في تعريف تلك الصفات على أساس فهمنا لمراد سيبويه ومتابعيه لمصطلحات النفس والصوت ، كما ظنه بعض المحدثين [3] .

وبذلك يتضح لنا ما يرومه المبرد من عباراته في صفات الجهر والهمس والشدة والرخاوة ، وانه لم يذهب بعيداً عن مراد سيبويه فيها وان اختلفت ألفاظه ومعاييره التي تخضع إلى ذوقه واجتهاده اللغوي .

لقد كان المبرد من بين علماء قلائل لم يحذوا حذو سيبويه في التفريق بين مصطلحي (النفس) و (الصوت) ومثل المبرد الرماني إذ جعلهما بمنزلة واحدة فعرف الشديد بأنه : " حرف قوي لزومه لموضعه حتى منع النفس أن يجري معه " [4] ، بل ان منهم من جمع بين المصطلحين في بعض حدوده ، قال احمد بن محمد الجزري (ت 827 هـ) في الأصوات الرخوة : " سميت بذلك لجري النفس والصوت معها حتى لانت عند النطق بها فضعف الاعتماد عليها ... " [5] .

نستنتج من ذلك ان علماء العربية لم يسيروا على منهج واحد في استعمال لفظة (النفس) ولفظة (الصوت) في تفسير صفات الجهر والهمس والشدة والرخاوة ، بل انهم اتخذوا طرقاً متعددة كان لكل واحد منهم فيهما رؤيته الخاصة التي تبني على فهم منهجه وعباراته التي صاغ بها تلك المفاهيم .

4-الشدة والرخاوة بين القدماء والمحدثين :

يتفق المحدثون في دراسة صفتي الشدة والرخاوة على ثلاثة أمور هي :

أ-ان عملية الشدة تتكون من ثلاث مراحل هي [6] :

1. حبس الهواء التام بالتقاء الأعضاء المولدة للصوت التقاء محكماً .
2. الانفتاح المفاجئ لتلك الأعضاء .
3. حصول الانفجار .

ب-ان الأثر السمعي (الانفجار) في الأصوات الشديدة لا علاقة له بالاثر السمعي الذي يسببه اهتزاز الأوتار الصوتية (الجهر) [7] .

ج-ان الرخاوة هي : خروج الهواء من الجهاز الصوتي من غير ان يحصل قفل تام في أي نقطة من نقاط الجهاز الصوتي [8] .

ومع هذا فقد اختلف المحدثون في دراسة صفتي الشدة والرخاوة إلى طريقين ، فمنهم من راعى كون الصوت اللغوي في داخل البناء [9] ، وعلى هذا الأساس راحوا يستقصون حالات الأصوات الشديدة في داخل الأبنية المختلفة التي يمكن ان تكون فيها ، فقد يكون الصوت انحباسياً فقط كما في التاء الأولى من كلمة (اتخذ) ، وقد يكون الصوت انفجارياً فقط كالتاء الثانية من الكلمة نفسها ، وقد يكون انحباسياً انفجارياً كالتاء في كلمة (يتابع) . وقد جعل بعض الباحثين زمن الحبس متفاوتاً في الأصوات الشديدة ، فهو قصير في التاء من كلمة (يتابع) وطويل في التاء الثانية من كلمة (اتخذ) [10] .

وزاد بعض الباحثين على ذلك صفة (الانفجار الأنفي) [11] . وذلك إذا جاء بعد الصوت الشديد صوت انفي كما في دال (تدمر) . ويرى الباحث ان العربية لا تحتوي على مثل تلك الصفة فبعد ان تنغلق الأعضاء

---

(1) ظ : م . ن : 121/8 (ر د ع) .
(2) ظ : الأصوات عند سيبويه : 117 .
(3) ظ: م.ن : 122 .
(4) شرح كتاب سيبويه ، للرماني : 162/5 ، نقلاً من المصطلح الصوتي ، د. عبد القادر : 94 .
(5) الحواشي المفهمة : 18 ظ .
(6) ظ : علم اللغة ، د. محمود السعران : 168 و 170 . وأصوات اللغة : 177 . والمدخل إلى علم اللغة ، د. رمضان عبد التواب: 29 و 33 .
(7) ظ : اللغة ، فندريس : 48-49 . واثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : 205 .
(8) ظ : أصوات اللغة : 185 .
(9) ظ : اللغة ، فندريس : 48-61 . وأصوات اللغة : 177-194 .
(10) ظ : اللغة ، فندريس : 49 .
(11) ظ : دراسة الصوت اللغوي : 118 .

المولدة لصوت الدال من (تدمر) تنفتح انفتاحاً مفاجئاً فيندفع الهواء قاصداً الخروج ، الا انه يصطدم بالشفتين اللتين تنغلقان تأهباً لنطق صوت الميم فيتراجع الهواء إلى الوراء متخذاً من الأنف طريقاً للخروج فيتم عندها صوت الميم ، لذلك فان الأثر السمعي (الانفجار) في صوت الدال من (تدمر) اقل من دال (تدافع) ولا وجود لما أطلق عليه الانفجار الأنفي لا في هذه الكلمة ولا في غيرها ، فالأنف لا يحصل فيه انفجار مطلقاً بسبب ثبات أعضائه في أثناء نطق الأصوات .

أما الطريق الآخر الذي اتبعه المحدثون في دراسة صفتي الشدة والرخاوة فهو النظر إلى الصوت اللغوي وهو متجرد عن البناء (أي نقطة مفرداً) [1] .

واختلف هؤلاء وأولئك أيضا في مفهوم الرخاوة فمنهم من ادخل الصوائت في الأصوات الرخوة ، على أساس ان الهواء لا يصادف حبساً [2] ، ومنهم من اخرجها من الأصوات الرخوة على أساس ان الأعضاء النطقية لا تلتقي مع بعضها عند إنتاج تلك الأصوات [3] . وحين حاول المحدثون فهم مراد القدماء من صفتي الشدة والرخاوة ذهبوا –بقصد او من غير قصد – إلى اضفاء نظرتهم المعاصرة في الشدة والرخاوة على نظرة القدماء بل ألبسوها ألفاظ العصر .

ونحن لا نعدم اشتراك القدماء و المحدثين بامر مهم في مفهوم صفتي الشدة والرخاوة هو التقاء الأعضاء التي يولد عندها الصوت الشديد التقاءً محكماً ، الا ان القدماء اهتموا بقضية (لزوم الحرف) في معيار الشدة والرخاوة وهو معيار لم يعتد به المحدثون في ذلك ، وهذا اول فارق بين القدماء والمحدثين . أما الفارق الآخر فهو ان بعض القدماء اعتنى بمسألة (اختيار مد الصوت) في معرفة الأصوات الرخوة ، وهو ضابط لم يراعه المحدثون فالدكتور غانم – مثلاً – رأى ان القدماء اعتمدوا في تقسيم الأصوات إلى شديدة ورخوة " على حالة المخرج في اثناء مرور النفس من خلاله " [4] ، ونحن نوافقه في هذا الكلام الا اننا نعترض على قوله " فإذا حصر النفس فهو شديد واذا لم يحصره فهو رخو " [5] . نعم ، ربما يصح هذا الفهم على من ذهب من القدماء إلى إدخال أصوات المد واللين مع الأصوات الرخوة ، وهذا يعني ان مفهوم انعدام الانحصار والامتناع متدرج بحيث يصل مع أصوات المد واللين إلى انعدام مطلق بحيث يخرج الهواء مع تلك الأصوات من غير أي عائق ، ولا نتصور ان الدكتور غانم قصد هذا ، بل انه قصد به المفهوم الحديث للصوت الرخو من حيث الالتقاء غير المحكم لأعضاء النطق أي انه أضفى على هذا المفهوم رؤية من ذهب من القدماء إلى إخراج أصوات المد واللين من الأصوات الرخوة وهو فهم غلط كما تبين .

ومع إهمال ما أهمل المحدثون من ضوابط القدماء في معرفة الصوت الشديد والرخو ، فإننا نجدهم – أي المحدثين – يتحدثون عن ضابط لم يهتم به القدماء وهو الفتح المفاجئ لأعضاء النطق بعد إغلاقها غلقاً محكماً في إنتاج الصوت الشديد وقد أدرك هذا الفارق بعض المحدثين عندما عالجوا قضية شدة الجيم عند القدماء ، وسياتي الحديث على ذلك في موضعه .

بعد كل هذا ننتهي إلى ان ضابط القدماء في معرفة الشدة والرخاوة يلتقي مع ضابط المحدثين في قضية واحدة ، ويفترق في قضايا أخرى ، لذلك لا نستطيع ان نجعل رؤية المحدثين لصفتي الشدة والرخاوة هي التي اعتد بها القدماء ، كما تصوره المحدثون [6] .

5-عدد الأصوات الشديدة والرخوة :

استقر أبو حيان –وعلماء العربية – على ان الأصوات الشديدة ثمانية تجمعها عبارة (أجدك قطبت) او (أجدك تطبق) الا انه ظل متردداً في عدد الأصوات الرخوة فهو يراها في كتاب النكت مجموعة في عبارة (لم يروعنا خس حظ شص هز ضغث فذ)* ، لقد ذكر أبو حيان بعد ذكره للأصوات الشديدة والأصوات التي يخالطها أصوات ان الأصوات الرخوة " ما عداها " [7] ويحمل قوله الأخير على ان الأصوات الرخوة ما عدا الأصوات الشديدة فقط ، بدليل ذكره أصوات (لم نرع) ضمن الأصوات الرخوة عندما ذكر عدد تلك الأصوات ،

---

[1] ظ : الأصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : 23-26 ، ومناهج البحث في اللغة : 112-114 .

[2] ظ : دراسة الصوت اللغوي : 122 .

[3] المدخل إلى علم اللغة ، د. رمضان عبد التواب : 30 .

[4] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 142 .

[5] م.ن : 142 .

[6] ظ : جهود علماء العرب في الدراسات الصوتية : 43 .

* في المتن (لم تروعنا خس حظ شص هذ صنفث فذ) وهو تحريف صوابه ما أثبتناه ، وقد اخذ ابو حيان هذه العبارة من كتاب التحديد للداني ، ظ : التحديد : 180 .

[7] النكت الحسان : 279 .

والذي نراه انه قصد بالأصوات الرخوة ما عدا الأصوات الشديدة وأصوات (لم نرع) . فلو كان قصد أبي حيان من قوله : (والرخاوة ما عداها) أصوات (لم نرع) أيضا لكان قد ذكرها بعد ذكره الأصوات الشديدة مباشرةً لا بعد ان ذكر أصوات الشدة وأصوات (لم نرع) ، زيادة على أننا لو راعينا فهمنا لضابط المخالطة عند أبي حيان لوجدناه ينطبق على الأصوات الشديدة والأصوات الرخوة ما عدا (لم نرع) .

أما سبب دمج أصوات (لم نرع) مع الأصوات الرخوة فهو ما سيتكفل بتبيينه موضوع (صفة التوسط) .

والذي يلاحظ على الأصوات الرخوة ما عدا أصوات (لم نرع) ان أبا حيان ادخل معها أصوات المد واللين ، وهذا يعني ان معيار (ضعف اللزوم) عنده متدرج – كما ذكرنا – أقصاه بعدم التقاء الأعضاء التي يولد عندها الصوت في أثناء إنتاجه . ومعناه أيضا ان الاختيار في المد غير لازم في الأصوات الرخوة بل يشمل ما عدا أصوات المد واللين منها .

لقد عدل أبو حيان في غير كتاب النكت عن هذه الفكرة فاخرج أصوات المد واللين من الأصوات الرخوة ليضعها ضمن الأصوات المتوسطة [1] ، وهذا يدل على ان معيار (ضعف اللزوم) عنده اصبح مقتصراً على التقاء الأعضاء التقاءً غير محكمً ، وان المد في الأصوات الرخوة مد اختياري تماماً كما يرى سيبويه ومتابعوه .

ولا يختلف المحدثون في ان الأصوات الشديدة والرخوة هي كما يراها أبو حيان في كتابه التذييل والارتشاف وهو رأي سيبويه ومتابعيه كما ذكرنا ، غير ان المحدثين كانوا على خلاف مع القدماء في شدة بعض الأصوات ورخاوتها وهي :-

1. صوت الجيم
2. صوت العين
3. صوت الضاد
4. صوتا الواو والياء غير المديين .

وسنقتصر في هذا الموضوع على مناقشة صوت الجيم أما صوت العين ، والصوتان غير المديين ، سنتكلم عليها في موضوع (التوسط) . واما صوت الضاد فسنتكلم عليه في موضوع (الاستطالة) ان شاء الله .

6-مشكلة صوت الجيم :

عد أبو حيان وجمهور علماء العربية صوت الجيم من الأصوات الشديدة وتابعهم على هذا بعض المحدثين [2] ، وقد خالفهم بعضهم في ذلك لأن الجيم الفصيحة عندهم هي صوت مركب او مزدوج ومعنى ذلك " كون الصوت مزيجاً من الشدة والرخاوة (من الانفجار والاحتكاك)" [3] ويتم نطقه " بأن يرتفع مقدم اللسان في اتجاه الغار فيلتصق به ، وبذلك يحجز وراءه الهواء الخارج من الرئتين ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة كما في الأصوات الشديدة ، وانما يتم انفصال العضوين ببطء ، فترتب على ذلك ان يحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين احتكاكاً شبيهاً بالاحتكاك الذي نسمع صوته مع الشين المجهورة (ج) * وعلى ذلك تعد هذه الجيم في الحقيقة صوت دال مغور ، يعقبه صوت شين مجهور " [4] .

لقد راح المحدثون في تفسير مقالة القدماء بأن الجيم صوت شديد إلى مذهبين ، أحدهما : انهم وصفوا لنا صوت الجيم القاهرية (كـ) [5] ، ولا نستطيع التسليم بهذا الرأي على الرغم من تعدد وجهات نظر اصحابه ، لأن القدماء وصفوا لنا في الأصوات الفرعية صورتين للجيم الفصيحة وهما (كاف كالجيم) و (الجيم التي كالكاف) [6] " ولعل المقصود بالكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف صوتاً واحداً ... هو مجهور الكاف وهو ما نسمعه في الكلام الدارج لأهل القاهرة ومن يقلدهم حين ينطقون صوت الجيم "[7].

فلو كانت هذه الجيم – أي صوت (كـ) – هي التي قصدها القدماء من الجيم الشديدة الفصيحة لما أعادوا ذكرها في الأصوات الفرعية .

---

[1] ظ : الارتشاف : 10/1 . وحاشية الجاربردي ، لابن جماعة ، ضمن مجموعة الشافية : 342/1 .

[2] ظ : الأصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : 24 . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 281 .

[3] علم الأصوات ، مالمبرج : 114 (دراسة المترجم) .

* هذه هي الجيم المعطشة .

[4] مناهج البحث في اللغة : 131-132 . و ظ : علم اللغة العام (الأصوات) : 125 .

[5] ظ : هل تطور صوت الجيم ؟ : 47 .

[6] ظ : الارتشاف : 8/1 .

[7] قضية الجيم في العربية : 184 .

أما المذهب الآخر ، فرأى أصحابه ان الجيم الحالية هي نفسها الجيم الفصيحة التي وصفها سيبويه وجمهور علماء العربية بالشدة ، ونحن مع الطائفة الأخيرة في ان نطقنا الحالي لصوت الجيم هو النطق القديم نفسه ، الا اننا نضيف على استدلالهم السابق استدلالاً آخر وهو : اننا لو طبقنا شروط الصوت الشديد عند القدماء على صوت الجيم الحالي * لوجدناها منطبقة عليه : أي انه صوت :

1. لازم لموضعه .
2. وذلك اللزوم شديد .
3. وشدة اللزوم منعت جريان الصوت (مده) .

وقد طبق سيبويه هذا المفهوم على صوت الجيم بقوله : " وذلك انك إذا قلت : الحج ، ثم مددت صوتك لم يجر ذلك " [1] . وهو ما يؤكد لنا مراعاة القدماء لمسألة (منع الصوت) في معرفة الصوت الشديد.

لقد أهمل المحدثون في ما اهملوه من فهم مراد القدماء من صفتي الشدة والرخاوة (مد الصوت الاختياري وامتناعه) لذلك نجدهم يذهبون إلى مذاهب متعددة ، لا تخلو من التعسف والتأويل ، في فهم مراد القدماء من وصفهم الجيم بالشدة ، ولولا ان المحدثين اطالوا الوقف عليه بحيث صار مشكلة لم تقع الدراسات الصوتية الحديثة على فهم دقيق لمراد القدماء منه ، لما خصصنا له حديثاً ، لأنه – على وصف القدماء – صوت شديد لا غبار عليه[2] .

7-صفة التوسط :

أ-المصطلح :

استعمل أبو حيان في كتابه ارتشاف الضرب مصطلح التوسط دليلاً على أصوات (ولينا عمر) [3] ، ونحن نرجح ان يكون أبو حيان مستعملاً لهذا المصطلح في كتاب التذييل والتكميل ، ذلك لأن كتاب التذييل شرح لتسهيل ابن مالك ، الذي سبق أبا حيان في استعمال هذا المصطلح [4] ، ولعله اول من استعمله لا كما رجح الدكتور غانم من ان أبا حيان أول من استعمل هذا المصطلح [5] .

ونجد بعض العلماء استعمل مصطلح (البينية) [6] ، وبعضهم مصطلح (بين الشدة والرخاوة) [7] دليلاً على أصوات تلك الصفة . ولم يستعمل سيبويه والمبرد وابن السراج وابن دريد مصطلحاً لتلك الصفة ، ولعل ابن جني أول من فعل ذلك فوضع مصطلح (بين الشدة والرخاوة) لتلك الأصوات [8] .

أما استعمال سيبويه عبارة (بين الشدة والرخاوة) في وصف صوت العين [9] ، فقد سبب وجهات نظر مختلفة عند المحدثين في عدد الأصوات المتوسطة عند سيبويه ، فمنهم من رأى ان الأصوات المتوسطة عند سيبويه هي (ع ر ل ن م، وأصوات المد واللين) [10] ، في حين ذهب بعضهم إلى ان سيبويه قصر صفة التوسط على صوت العين لأنه استعمل معه عبارة (بين الرخاوة والشدة) [11] . وقد وجدنا منهم من يرى ان الأصوات المتوسطة عند سيبويه هي (ع ر ل ن م ، وصوتا الواو والياء غير المديتين وصوت الألف) [12] ، فقد ذهب بعضهم إلى ان الأصوات المتوسطة عنده (ع ر ل ن م) فقط [13].

والذي نراه ان سيبويه لم يذكر صراحةً الأصوات المتوسطة ولم يقيدها بمصطلح محدد ، لكننا نفهم من خلال إغفاله ذكر أصوات (ر ل ن م ، والواو والياء والألف) مع الأصوات الشديدة والرخوة ووصفه العين في

---

* نقصد صوت الجيم الذي ينطق به مجيدو القرآن الكريم اليوم .

[1] كتاب سيبويه : 40/2 .

(2) ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :

[3] ظ : الارتشاف : 10/1 .

[4] ظ : التسهيل : 320 .

[5] ظ : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 141-142 .

[6] ظ : بغية المرتاد : 122 . وجهد المقل : 117 .

[7] ظ : الحواشي المفهمة : 18 ظ.

[8] ظ : سر صناعة الإعراب : 1/ 61 .

[9] كتاب سيبويه : 406/2 .

[10] ظ : الأصوات عند سيبويه : 122 .

[11] ظ : المصطلح الصوتي ، د. عبد القادر : 111 .

[12] ظ : في الفكر اللغوي: 144-145 .

[13] ظ : علم الأصوات عند سيبويه وعندنا : 46-47 . والنظريات الصوتية في كتاب سيبويه : 148 . وفي الأصوات اللغوية : 78 .

آخر حديثه على الأصوات الرخوة بأنها (بين الرخوة والشديدة) ان هذه الأصوات الثمانية ليست شديدة ولا رخوة عنده .

والذي يدعم هذا هو تصريح سيبويه بأن أصوات (ر ل ن م) هي أصوات شديدة جرى معها الصوت . وان (الواو والياء والألف) اتسعت مخارجها لهواء الصوت ، وان العين ليست من الرخوة ولا من الشديدة لأنك تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء [1] ، أي انها يمكن ان تكون مترددة (مكررة) كما الراء ، وسيأتي الحديث على ذلك في موضعه .

ان كل تلك المفاهيم التي وضعها سيبويه للأصوات الثمانية السابقة لا تنطبق على المفهومين اللذين وضعهما سيبويه للأصوات الشديدة والرخوة ، وقد أشار السيرافي في شرح كتاب سيبويه إلى أن عدد الأصوات المتوسطة عند سيبويه ثمانية إذ قال : " ثم ذكر سيبويه ثمانية أحرف جعل بعضها بين الشديدة والرخوة وجعل بعضها شديداً فيه شبه بالرخو " [2] .

ولو عدنا الى معنى (بين) في اللغة لتبين لنا المراد من عبارة (بين الشديدة والرخوة) أو مصطلح(البينية). فبين – كما جاء في اللسان – تدل على (التوسط)[3] لذلك سميت الهمزة غير المحققة بـ (بين بين) أي انها " همز بين اللسان وبين حرف اللين"[4] . أو إنها " ضعيفة ليس لها تمكين المحققة لا خلوص الحرف الذي منه حركتها " [5] . وروى صاحب اللسان عن ابن بري عن السيرافي في تفسيره معنى قول سيبويه (همزة بين بين) أنه قال : " كأنه قال بين هؤلاء وهؤلاء ، كأنه رجل يدخل بين فريقين في أمر من الأمور فيسقط ولا يذكر فيه " [6] ، وعلى هذا يكون معنى (بين الشديدة والرخوة) هو : الأصوات التي لا تذكر في الشديدة ولا في الرخوة ، أو إنها أصوات ضعيفة ليس لها احتكاك الأصوات الرخوة ولاشدة الأصوات الشديدة . وعلى ذلك يصح أيضاً استعمال (المتوسطة) مصطلحاً لتلك الصفة فهي " ليست تعني أكثر من أنها تخالف النوعين ، أي إنها ليست بالشديدة ولا الرخوة "[7] . ويصح ايضاً استعمال مصطلح (البينية) بناءً على ماذكرناه من معنى (بين) اللغوي .

ولانجد من مسوغ إلى رفض أي من المصطلحات السابقة لنبحث عن بديل جديد غيرها كما فعل بعض المحدثين الذين أسرفوا في استعمال المصطلحات تعبيراً عن صفة التوسط ، فنحن نرجح استعمال أما مصطلح (المتوسطة) أو (البينية) على استعمال مصطلح (بين الشديدة والرخوة) لأن الأخير منها طويل يحتوي على أكثر من لفظة .

ب-مفهوم صفة التوسط :

ذكر أبو حيان في كتاب النكت ان أصوات (لم نرع) هي " أصوات يخالطها صوت" [8] ، وعلمنا ان (المخالطة) ذات معنى مرادف لمعنى (المشابهة) عند سيبويه ولمعنى قول المبرد : (استعانت بصوتٍ ما جاورها) ، أي ان الأصوات المتوسطة تستعين بما جاورها من الأصوات ، أي بمناطق أخرى غير المناطق التي تولد فيها .

لكن الذي يجعل الأمر غامضاً هو عد أبي حيان الأصوات المتوسطة ضمن الأصوات الرخوة ، فما السر في ذلك ؟ . يمكننا معرفة ذلك من خلال امرين ، احدهما : معرفة اصل الاصوات المتوسطة ، والاخر معرفة عددها .

1-أصل الأصوات المتوسطة :

لقد ذكرنا في موضع سبق ان أصوات (لم نرع) هي أصوات (يجري معها الصوت) كما هو الحال مع الأصوات الرخوة ، الا ان المتوسطة تفترق عن الأصوات الرخوة بكونها غير لازمة لموضعها ، أما الأصوات الشديدة فهي لازمة لموضعها بقوة لا يجري الصوت معها . ولعل سر الجمع بين الأصوات الرخوة

---

[1] ظ : كتاب سيبويه : 406/2 .
[2] شرح كتاب سيبويه ، السيرافي : 479/6 ، نقلا من الأصوات عند سيبويه : 121 – 122 .
[3] ظ: اللسان: 66/13(ب ي ن).
[4] م.ن : 66/13 (ب ي ن) .
[5] م.ن : 67/13 (ب ي ن) .
[6] م.ن : 67/13 (ب ي ن) .
[7] الأصوات اللغوية ، د.ابراهيم أنيس : 26 .
[8] النكت الحسان : 279 .

والأصوات المتوسطة (لم نرع) في عبارة واحدة هو مفهوم المقابلة بين الصفات الذي اتبعه أبو حيان في منهج دراسته للصفات في كتاب النكت فالجهر يقابل الهمس والإطباق يقابل الانخفاض ، والاستعلاء يقابل الاستفال ، وبما ان صفتي الرخاوة والتوسط يجمعهما وجه واحد وهو (جريان الصوت مع أصواتهما) فهذا يعني ان الأصوات المتوسطة فرع من الأصوات الرخوة ، والفرع يتبع الأصل، بطبيعة الحال .

لقد تابع أبو حيان مكي بن أبي طالب في ذهابه إلى اصل الأصوات المتوسطة هو الرخاوة ، قال مكي في علة انحراف الراء : " انه انحراف عن الرخاوة إلى الشدة " [1] ، ذلك الانحراف هو سبب جريان الصوت مع الراء ، وكذلك الحال في اصل اللام [2] ، لكننا نجد مكياً ينظر إلى الميم على انها شديدة في الأصل إذ قال فيها : " ... وهي اخت الباء في الجهر والشدة ، غير ان الميم فيها غنة إذا سكنت تخرج من الخيشوم مع نفس يجري معها فشابهت بخروج النفس الحروف الرخوة " [3] وهذا يعني ان مكياً متذبذب في اصل الأصوات المتوسطة ، إذ نظر إلى بعضها على ان اصلها الرخاوة باعتبار جريان الصوت ، في حين جعل بعضها الشدة على اعتبار الالتقاء المحكم للأعضاء المولدة للصوت ، وما عليه اغلب علماء العربية - كالمبرد - ان الأصوات المتوسطة اصلها الشدة لكنها استعانت بصفات الأصوات المجاورة لها وهي (الرخاوة) [4] .

والحقيقة ان بعض المذاهب التي قيلت في اصل الأصوات المتوسطة صائبة وبعضها فيه جانب من الصحة ، فالأصوات المتوسطة – اياً كان عددها – تشترك مع الأصوات الرخوة في كونها أصواتا يجري معها الصوت وبذلك يصح لنا ان نعد اصلها الرخاوة .

والأصوات المتوسطة (عدا أصوات المد واللين) تشبه الأصوات الشديدة في قوة التقاء الأعضاء المساهمة في إنتاجها نوعاً ما ، وعلى ذلك يصح لنا ان نعد الشدة أصلا للأصوات المتوسطة ، وعليه فان من ذهب إلى ان عدد الأصوات المتوسطة خمسة يجمعها قولك (لم نرع) والى ان تلك الأصوات اصلها الشدة صائب في رؤيته ، أما من ذهب إلى ان عدد الأصوات المتوسطة ثمانية من ضمنها أصوات المد واللين ، وان اصل تلك الأصوات الشدة فهي وجهة نظر غير دقيقة لأننا لا ندرك اصل الشدة مع أصوات المد واللين، الا إذا كان القصد من ذلك التعميم .

ولعل السر وراء بحث القدماء في اصل الأصوات المتوسطة هو فكرة التقابل بين الصفات – كما أشرنا إلى ذلك – وأول من نلمح عنده هذا الصنيع الداني ، إذ ذكر في كتاب التحديد بعد ان ذكر الأصوات الشديدة قوله : " وما عدا الأصوات الشديدة على نوعين : شديد يجري فيه الصوت ورخو ... " [5] . وهذا يعني ان فكرة أبي حيان معكوسة هي فكرة الداني نفسها ذلك لأن الداني جعل اصل الأصوات المتوسطة الشدة ، أما أبو حيان فجعل الرخاوة أصلا لها ، والذي يجمع بين عمل الداني وعمل أبي حيان - مع اختلافهما في اصل الأصوات المتوسطة عندهما - هو انهما جعلا الأصوات المتوسطة والأصوات الرخوة مقابل الأصوات الشديدة .

وعلى أية حال فان أبا حيان لم يتبع هذا الطريق في غير كتاب النكت لأنه سار على منهج سيبويه وآرائه في بقية كتبه .

2-عدد الأصوات المتوسطة:

أشار أبو حيان في كتابيه تقريب المقرب والمبدع إلى ان عدد الأصوات المتوسطة ثمانية يجمعها قولك (لم يروعنا) [6] الا انه خالف هذا المذهب في كتابيه غاية الإحسان والنكت الحسان فذكر ان الأصوات المتوسطة تقتصر على أصوات (لم نرع) ، ذلك لأنه قرن التوسط بالمخالطة ، ولا تخضع تحت مفهوم المخالطة سوى الأصوات الخمسة السابقة . ولم يكتب لهذا المفهوم عند أبي حيان ان يشيع إذ انه ذكر في كتابيه التذييل وارتشاف الضرب ان عدد الأصوات المتوسطة ثمانية يجمعها قولك (لم يروعنا) او (ولينا عمر) [7] ، ولا شك في ان ذلك العدول لم يكن في عدد الأصوات حسب بل تعدى إلى المفهوم بدليل انه جعل ضابط الأصوات الشديدة (

---

[1] الرعاية : 169 .
[2] الرعاية: 107 .
[3] م . ن : 206 .
[4] ظ : المقتضب : 194/1 .
[5] التحديد : 108 .

[6] ظ : التقريب : 197 . والمبدع : 88 .
[7] ظ : الارتشاف : 10/1 .

امتناع الصوت ان يجري في الحرف) وهو ما سار عليه جمع من علماء العربية . وهذا يعني ان ضابط جريان الصوت وامتناعه صار ضابط أبي حيان في مفهوم الأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة .

وكنا قد خلصنا إلى ان امتناع الجريان نتيجة لقوة لزوم الصوت اللغوي لموضعه ، وجريان الصوت نتيجة لضعف لزومه لموضعه .

ولادراك أي المفاهيم التي تقلب عليها أبو حيان في صفة التوسط اكثر دقة وملائمة لتلك الصفة ، فإننا سنتناول الأصوات المتوسطة الثمانية في ثلاث مجاميع هي على ما يأتي :

أ-صوت العين :

جعل أبو حيان صوت العين في كتاب النكت من الأصوات التي يخالطها صوت وجعله في غير كتاب النكت من الأصوات المتوسطة معتمداً على المعيار الذي وضعه سيبويه للأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة .

ويعيننا في تعرف حقيقة الصوت الذي يخالطه صوت العين ما ذكره علماء العربية في وصف توسط صوت العين . وأول من أشار إلى ذلك – بحسب اطلاعنا - سيبويه إذ ذكر بعد ان انتهى على الحديث على الأصوات الشديدة والرخوة مع صوت العين صفات لا تخضع إلى ضابط الشدة ولا إلى ضابط الرخاوة، وأول تلك الأصوات هو العين ، قال سيبويه : " وأما العين فبين الرخوة والشديدة ، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء " [1] .

فعبارة سيبويه (شبهها بالحاء) تقربنا من ادراك حقيقة مخالطة العين ، وإدراك حقيقة الصوت الذي تخالطه العين ، نعني الحاء ولكن ما هو وجه الشبه بين العين والحاء ؟ وكيف نصل إلى الترديد به في العين؟

يتفق علماء العربية ، قديماً وحديثاً على ان الحاء صوت مهموس رخو اما العين فهي عندهم صوت مجهور ، وقد اختلفوا في حقيقة العين من حيث الشدة والرخاوة ، فالعين عند علماء العربية القدماء صوت بين الشديد والرخو ، ولم يشذ عن هذا المذهب سوى مكي بن أبي طالب ، الذي اضطرب بين ان تكون العين رخوة او ليست كذلك ، قال في كتاب الرعاية بعد ان عرض الأصوات الشديدة فالرخوة : " وما عدا هجاء قولك : (لم يروعنا) " [2] . وهذا يعني ان صوت العين عنده صوت لا هو بالشديد ولا هو بالرخو ، لكنه أشار في موضع آخر إلى ان العين " من الحروف المجهورة الرخوة " [3] ، وذكر في موضع ثالث انه " لولا الجهر الذي في العين لكانت حاءً [4] ، والحاء عنده " حرف مهموس رخو " [5] وكان كثيراً ما يصرح بأن الحاء قريبة من العين في الصفة ، أي صفة الرخاوة [6] .

وهذا يعني ان مكياً رجح كون العين رخوة على خلاف من ظن انه يرى ان العين ليست رخوة ولا شديدة [7] . أما المحدثون فقد ذهب اغلبهم إلى عد العين صوتاً رخواً لا شديداً [8] . غير ان التجارب الحديثة أثبتت ان العين صوت شديد لا رخو [9] ، وقد ايد تلك التجارب بعض المعاصرين [10] .

لقد ادرك القدماء صلة القربى بين صوت الهمزة وصوت العين قال ابن الحاجب في الهاء " ... ولم تدغم في العين وان كانت اقرب اليها لشبه العين بالهمزة ، فكما كرهوا الإدغام في الهمزة كرهوا الإدغام في العين لما فيها من التهوع " [11] .

والتهوع في اللغة : القيء [12] ، وهذا الشبه بين الصوتين هو شبه سمعي ، أي انهما يلتقيان في كونهما أشبه في صوت التهوع .

---

[1] كتاب سيبويه : 406/2 .
[2] الرعاية : 94 .
[3] م . ن : 136 .
[4] م.ن : 138 .
[5] م . ن : 138 .
[6] م . ن : 138 .
[7] ظ : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 258 .
[8] ظ : علم الأصوات ، مالمبرج : 113-114 (دراسة المترجم) . ونسبه الصيغ إلى مالمبرج نفسه وهو وهم .
[9] ظ : التشكيل الصوتي : 97 .
[10] ظ : الأصوات عند سيبويه : 134 .
[11] الايضاح في شرح المفصل : 498/2 .
[12] ظ : اللسان (هـ و ع) : 377/8 .

ولو عدنا إلى الطبيعة النطقية للصوتين لوجدناهما – وان اختلف موضع ولادتهما- يتمان عن طريق التقاء أعضاء النطق التي يولد عندها كل صوت التقاء محكماً ، ثم تنفتح تلك الأعضاء انفتاحاً مفاجئاً لتخرج كمية من الهواء ثم تعود تلك الأعضاء إلى وضع الانغلاق مباشرةً لينتج ذينك الصوتين . وبعد ان ينتج الصوتان تنفتح الأعضاء المتخصصة في إنتاج كل واحد منهما انفتاحاً بطيئاً منتجاً صويتاً ضعيفاً أشبه بصوت الهاء ، ذلك الصويت الضعيف لا يكون إلا عند نطق الهمزة والعين مجردين من الحركة .

أما في حالة الوصل فان أعضاء النطق تتخذ أوضاعا أخرى لتهيؤها لنطق الصوت الذي يلي أحد الصوتين السابقين سواء أكان ذلك الصوت صائتاً أم صامتاً . وبتلك الحالة يزول الصويت الضعيف .

وهذا يعني إن العين صوت شديد كالهمزة ، على وفق ضابط القدماء للأصوات الشديدة . لأنه منع الصوت ان يجري معه ، للزوم العين لموضعه لزوماً قوياً .

ولكن هل هذا يعني ان القدماء أخطأوا في وصف العين بالتوسط ؟

يمكن الإجابة على هذا السؤال من خلال إدراك الفارق بين الهمزة والعين من جهة والشبه بين العين والحاء والفارق بينهما من جهة أخرى .

فالفرق بين الهمزة والعين لا يتعدى ثلاثة أمور :

الأمر الأول : انهما يفترقان في موضع ولادتهما ، فالهمزة تولد في الحنجرة (أقصى الحلق عند القدماء) ، والعين تولد في الحلق (وسط الحلق عند القدماء) .

الأمر الثاني : ان الهمزة مهموسة والعين مجهورة .

الأمر الثالث : وهو المهم ، ان صوت الهمزة لا يمكن ان يؤتى به في غير الوضع السابق لعملية نطقه ، أما العين فإننا نستطيع ان ننطقها بغير صورتها السابقة ، أي ان يكون نطقها من خلال التقاء الأعضاء المساهمة في إنتاجها التقاءات متقطعة على شكل ضربات ضعيفة متكررة اشبه ما تكون بضربات طرف اللسان على سقف الفم في إنتاج صوت الراء [1] .

وهذا يعني ان للعين صورتين نطقيتين ، إحداهما تمنع الصوت ان يجري معها ، وهي الأصل ، والأخرى يسمح للصوت بالجريان معها على شكل متقطع محصور لعدم التقاء الأعضاء التقاءً محكماً ولا التقاءً ضعيفاً ، بل يكون على شكل ضربات ضعيفة متكررة وفي هذه الحالة يكون من الصعب ان نصف العين بأنها صوت شديد او صوت رخو .

أما علاقة العين بالحاء فهما متشابهان في موضع ولادتهما (المخرج) ، أما من حيث الصفات فالحاء صوت رخو أبدا ، والعين – كما بيننا – اصلها شديدة ، إلا انها يمكن ان تنتج بصورة لا هي بالشديدة ولا هي بالرخوة . ولا بد من الإشارة إلى ان العين تفترق عن الحاء من الناحية السمعية ، قال الخليل : " ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين " [2] فالحاء صوت فيه بحة ، أما العين فصوت فيه تهوع .

وبعد هذا كله نكون قد اقتربنا – أيما اقتراب – من مراد سيبويه من شبه العين بالحاء ، ومن مراد أبي حيان من مخالطة الصوت للعين ، الا ان في عبارتيهما بعض الغموض يمكن ان نزيله بما ذكره المبرد من ضابط للأصوات المتوسطة قائلاً : " وهذه الحروف التي تعترض بين الرخوة والشديدة ، هي شديدة في الأصل ، وان ما يجري فيها النفس لاستعانتها بصوت جاورها من الرخوة " [3] .

لقد استعمل المبرد لفظة (الاستعانة) بدلاً من لفظة المشابهة في نص سيبويه في توسط العين ، في حين استبدل أبو حيان بالمخالطة تلك اللفظتين .

وبإنعام النظر في نص المبرد السابق نجده يشترط في الأصوات المتوسطة ثلاثة امور هي :

1. ان تكون شديدة في الأصل .
2. ان يجري النفس (الصوت) معها .
3. ان يحصل ذلك الجريان بالاستعانة بصوت ما جاورها من الرخوة .

وقد علمنا ان ضابط القدماء في الأصوات الشديدة ثلاثة أمور هي :

1. لزومها لموضعها .
2. قوة ذلك اللزوم .
3. عدم جريان الصوت معها لقوة اللزوم .

---

[1] وقد لاحظ الدكتور الصيغ هذه الصورة النطقية لصوت العين ، ظ: الأصوات عند سيبويه : 133 .

[2] العين : 57/1 . و ظ : الرعاية : 138 .

[3] المقتضب : 196/1 .

وحين طبق المبرد شروط الأصوات المتوسطة على صوت العين وجده كذلك فذكر ان العين " يستعين المتكلم عند اللفظ بها بصوت الحاء ، والتي يجري فيها الصوت ، لانحرافها واتصالها بما قد تقدمنا في ذكره من الحروف " [1] ، أي ان صوت العين عندما ينحرف عن وضعه الذي يولد به (الوضع الذي يلتزمه العين في ولادته) ويتصل بوضع ما جاوره من الأصوات الرخوة (وهو الحاء) فانه يجري الصوت معه .

وبعبارة أخرى ان صوت العين صوت شديد – بمعيار القدماء – في الأصل ، الا انه حين يستعين بوضع او هيأة او صفة من صفات ما جاوره من الأصوات الرخوة وهي (الرخاوة) يجري الصوت معه وهو ما لاحظناه في الصورة النطقية الثانية لصوت العين ، إذ العين فيها صوت مجهور لم يتغير موضع ولادته إلا أن وضع خروجه تغير من خلال اتصافه بصفة مقاربة لصفة الرخاوة التي في الحاء الصوت المجاور لصوت العين ، أي إن مدة النطق بصوت العين طالت .

ومن ذلك كله نستطيع أن ننتهي إلى أن استعمال سيبويه لفظة (المشابهة) في وصف توسط العين واستعمال المبرد عبارة (الاستعانة بصوت ما جاورها ...) في وصف تلك الأصوات ، واستعمال أبي حيان عبارة (يخالطها صوت) معها لا يعني أنهم أرادوا المشابهة أو الاستعانة أو المخالطة السمعية كما تصوره بعض المحدثين ، بل كانوا يقصدون بها المشابهة او الاستعانة أو المخالطة في عملية نطق صوت ما ببعض المميزات التي تتصف بها عملية نطق صوت آخر مجاور له . تلك الامور يمكن ان ندركها بواسطة السمع.

ب- أصوات (ل ر ن م) :

وصف أبو حيان أصوات (ل ر ن م) – كما فهمنا منه في كتاب النكت الحسان – بأنها أصوات رخوة خالطها صوت . ووصفها في غير كتاب النكت بأنها أصوات متوسطة على ضابط سيبويه .

1-**صوت اللام** :

لقد اتفق علماء العربية على توسط صوت اللام ، قال سيبويه : " ومنها المنحرف ، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت بانحراف اللسان مع الصوت " [2] . وذكر علماء العربية ايضاً أن الأعضاء التي يولد فيها صوت اللام تلتقي إلتقاءً محكما بسقف الفم (الحنك الصلب) ، وأن سبب توسطه هو خروج الصوت معه من غير موضع ولادته بل من جانبيه ، قال سيبويه : " وإن شئت مددت فيها الصوت وليست كالرخوة لأن اللسان لا يتجافى عن موضعه وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك "[3] .

وهذا يعني ان صوت اللام من حيث توسطه يكون وصفه على ما يأتي :

1. انه صوت قوي فيه إلتقاء جزء من الأعضاء التي يولد فيها الجزء الآخر (الجانبي) من غير إلتقاء .
2. انه يخرج معه الصوت .
3. إن ذلك الخروج لا يتم من موضعه إنما من موضع قريب للمنطقة التي يولد فيها أي إنه غير لازم لموضعه .

فالوصف الأول من أوصاف الشدة ، والثاني من أوصاف الرخاوة ، والثالث لا يخضع إلى أي وصف من أوصاف الصفتين .

2-صوت الراء :

وهو صوت متوسط عند علماء العربية لانه "حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام ، فتجافى للصوت كالرخوة ، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه " [4] . فعملية جريان الصوت مع الراء تشترط بأمرين ، أحدهما : تكريره ، والآخر : انحرافه إلى اللام .

أما الأمر الأول فيتم عن طريق ضرب طرف اللسان مقدمة سقف الفم ضربات متكررة (متعددة) وبذلك يكون التقاء الأعضاء التي يولد عندها الراء التقاء لا هو بالقوي ولا هو بالضعيف أي ان تلك الأعضاء لا تستقر على حالة واحدة ، فلا هي ملتقية التقاء محكما ، ولا هي بالمنفرجة ، وهذا أول سبب في توسط صوت الراء .

وأما الأمر الآخر وهو (انحراف الراء إلى اللام) فيعني أن إنتاج الراء لا يتم في موضع ولادته انما من موضع اللام الصوت الجانبي .

وعلى هذين الأساسين كان الراء عند القدماء صوتاً متوسطاً .

3- **صوتا الميم والنون** :

---

[1] المقتضب : 196/1 .
[2] كتاب سيبويه : 406/2 .
[3] كتاب سيبويه: 406/2 .
[4] م.ن: 406/2 .

وهما صوتان متوسطان بين الشدة والرخاوة ، قال سيبويه : " ومنها حرف شديد يجري معه الصوت لان ذلك الصوت غنة من الانف تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف لانك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت ، وهو النون وكذلك الميم " [1] أي ان هذين الصوتين يتصفان بثلاثة أوصاف هي:

1. التقاء الأعضاء التقاء محكما ، وهو من ضوابط الشدة .
2. جريان الصوت معهما (مدهما الاختياري) ، وهو من ضوابط الرخاوة .
3. عدم لزومهما موضعيهما ، وهذا لا تتصف به الأصوات الشديدة ولا الأصوات الرخوة .

والذي يلاحظ على الأصوات الأربعة (ر ل م ن) انها متفقة في عدم لزومها لموضعها في أثناء إنتاجها ، ومن حيث هيأة الأعضاء التي تولد عندها فهي على التدرج الآتي :

1. انها مع الراء تلتقي التقاء مضطربا بين الاحكام والانفراج التام .
2. إنها مع صوت اللام يلتقي جزء منها التقاء محكما ويبقى الجزء الآخر منفرجاً انفراجا تاما .
3. انها مع صوتي الميم والنون تلتقيان التقاء محكما .

التقاء الأعضاء إما أن يكون مضطربا أو جزئيا أو تاما ، وكل تلك الصور تبتعد عن حالة الشدة وعن حالة الرخاوة ، لان النفس يجري مع اللام والميم والنون ويجري جريانا متقطعا مع صوت الراء .

ج-الألف والواو والياء :

أخرج أبو حيان في كتاب النكت الحسان أصوات (الواو والياء والألف) من الأصوات التي يخالطها صوت وإدخلها في قائمة الأصوات الرخوة ، في حين جعل تلك الأصوات – في غير كتاب النكت – من الأصوات المتوسطة ، وجمعها في كتاب الارتشاف بعبارة (ولينا عمر) .

إن العبارة السابقة تدلنا على ان أبا حيان لم يقصد بالواو والياء الصوتين المديين (الصائتين) فقط من غير الصوتين غير المديين ، ذلك لأن الواو في كلمة (ولينا) والياء الثانية فيها صوتان غير مديين أما الياء الأولى والألف فيها فهما صوتان صائتان ، وهذا يؤيد كلامنا في ما سبق بأن أبا حيان لم يفصل بين الأصوات غير المدية والأصوات المدية (الصوائت) بل جعل الاولى فرعا من الثانية أو صورة صوتية أصلها الأصوات الصائتة الطويلة .

لقد اضطرب أبو حيان في مصنفاته بين أن يدخل تلك الأصوات مع الأصوات المتوسطة ، وبين ان يجعلها من الأصوات الرخوة ، ذلك الاضطراب ناتج من اختلاف وجهات النظر التي عالج فيها أبو حيان صفات الشدة والرخاوة والتوسط .

وبنظرة فاحصة إلى تراثنا اللغوي ننتهي إلى ان القدماء لم يكونوا على مذهب واحد في توسط أصوات المد واللين والواو والياء غير المديتين او رخاوتها .

فسيبويه يخرجها من قائمة الأصوات الشديدة ومن قائمة الأصوات الرخوة [2] . وجعلها أغلب علماء العربية من المتوسطة [3] . في حين أخرجها بعضهم من الأصوات المتوسطة ، قال الداني : " وما عدا هذه الشديدة على نوعين : شديد يجري فيه الصوت ، ورخو . أما الشديد الذي يجري فيه الصوت فخمسة احرف يجمعها قولك : لم نرع ... اشتد لزومها لموضعها، ثم تجافى بها اللسان عن موضعها فجرى فيها الصوت لتجافيها "[4] . ومعنى تجافى في اللغة عدم لزوم الشيء لمكانه ، جاء في اللسان " جفا الشيء يجفو جفاء وتجافى : لم يلزم مكانه "[5] . وهذا يعني أن الأصوات المتوسطة لا تلزم مكانها على الرغم من شدة التقاء الأعضاء التي تولد فيها ، وعلى هذا الضابط يصح إخراج أصوات المد واللين من الأصوات المتوسطة لان تلك الأصوات تلتزم موضعها بشدة ، ولا تنحرف (تتجافى) عن موضعها فهي أصوات تخرج من غير عائق.

وقد عبر أحمد بن الجزري (ت 827 هـ) عما يراه الداني بعبارة أخرى قائلا : "والتي بين الرخاوة والشديدة إذا نطق في نحو الفم وأعمل لم يجر* الصوت والنفس معهما جريانهما مع الرخوة ولم يحبسا انحباسهما

---

[1] م.ن : 406/2 .

[2] ظ: كتاب سيبويه : 406/2 .

[3] ظ: المقتضب : 196/1 والأصول : 403/3-404 . والنكت في تفسير كتاب سيبويه : 1247/2 . والإيضاح في القراءات (الباب التاسع والعشرون) : 94 .

[4] التحديد : 108 .

[5] اللسان : 147/14 (خفا) .

* في المتن (لم يجري) وهو تحريف .

مع الشديدة " [1] . وأشار القسطلاني إلى مفهوم التوسط بقوله : " والمتوسطة بين الشدة والرخاوة خمسة أحرف جمعوها في (لن عمر) يجري الصوت معها جريا ضعيفاً ، او التي يجري معها بعض الصوت وحبس بعضه "[2] . وأصوات المد أصوات لا يجري معها الصوت جرياً ضعيفا ولا يجري معها بعضه ويحبس بعضه الآخر بل هي – كما ذكرنا – يجري معها الصوت بحرية كاملة من غير أي عائق .

وقد ذهب بعض علماء العربية – كما ذكر المرادي[3] – إلى عد أصوات المد واللين أصواتاً رخوة ، وهو ما ذهب إليه أبو حيان في كتاب النكت الحسان [4] ، ولهذا الرأي وجهان ، أحدهما :ان أصحابه راعوا جريان الصوت (مده) في الأصوات الرخوة من غير أن يعتدوا بالمد الاختياري . والآخر هو : انهم قصدوا بالأصوات الرخوة الأصوات التي تلزم مواضعها بضعف ، ذلك الضعف تكون أقصى درجاته مع أصوات المد واللين ، التي تتخذ الأعضاء المساهمة في إنتاجها هيآت أو أوضاعا من غير أن تلتقي ، قال الشريف الجرجاني (ت 816 هـ) في شرح المواقف : " ان الحروف الشديدة آنية ، لا توجد إلا في حبس النفس وما عداها زمانية يجري فيه الصوت زماناً "[5] . وعلق على هذا الكلام المرعشي بقوله : : "أقول وما عداها متفاوتة في الجريان ، إذ حروف الرخو اتم جرياناً من الحروف البينية ، وحروف المد أطول زمانا من سائر حروف الرخو"[6] . وقد عدّ المرعشي في ذلك الكتاب الواو والياء المديتين وغير المديتين مع الألف ضمن الأصوات الرخوة ، إلا إنه عدل عن هذا الرأي في كتاب بيان جهد المقل إلى جعل الواو والياء غير المديتين من الأصوات المتوسطة ، واصوات المد واللين من الأصوات الرخوة ، فقال : " وزاد في الرعاية الواو والياء والالف في البينية ... فظهر أن في هذه الحروف الثلاثة اختلافاً في أنها من الحروف الرخوة أو من الحروف البينية ، والظاهر ان المراد من الواو والياء ما ليسا بمديين كما يشهد به وقوعهما في : لم يروعنا ، لكن أقول : كيف يكون الألف المدية (كذا) من البينية مع ان الظاهر أنها (كذا) أكمل حروف الرخو رخاوة ، إذ معنى الرخاوة : اللين وجريان الصوت ؟!"[7] .

أما عد المرعشي أصوات المد واللين من الأصوات الرخوة فدقيق بناء على ضابطه في الشدة والرخاوة ، واما جعله الواو والياء غير المديتين ضمن الأصوات المتوسطة ففيه نظر لأن هذه الأصوات رخوة كما تصوره الدراسات الحديثة .

إن إخراج الألف من الأصوات المتوسطة رأي قديم تمتد أصوله عند ابن الطحان (ت 560 هـ) ، الذي جعل من ضابط سيبويه في الشدة والرخاوة أساساً له[8] ، وتابع سيبويه أيضاً في عده الواو والياء غير المديتين صوراً لأصوات المد واللين [9] . لذلك فان عملية الاحتكاك مع الأصوات غير المدية (فروع الأصوات المدية) يجعل الواو والياء غير لازمتين لموضعهما في حالة انتقالهما من المد إلى غير المد لانهما في حالة احتكاكهما تكونان قد استعانتا بصفة او بوضع ما جاورهما من الأصوات الرخوة ، ذلك الوضع هو (الالتقاء غير المحكم لاعضاء النطق التي يولد عندها (الصوت اللغوي) في حين ان أصل إنتاج هذين الصوتين أن يكون من غير التقاء . وبناء على هذا الكلام يكون رأي ابن الطحان دقيقاً .

ولا يعني تسويغنا لرؤية ابن الطحان في عده الواو والياء غير المديتين من الأصوات المتوسطة – أن المرعشي مصيب أيضاً في ذلك ، ذلك لأن مفهوم الواو والياء غير المديتين مختلف عندهما ، فابن الطحان يراها – كما فهمنا من كلامه – صوراً صوتية لاصوات المد . وهذا يجعل الواو والياء غير المديتين من الأصوات المتوسطة ، لانها ستستعين – في حالة انتاجها – بصفة غيرها من الأصوات الرخوة التي تجاورها ، أما المرعشي فقد فصل بين الواو والياء غير المديتين وبين أصوات المد واللين (الصوائت) فجعل كل واحد منها على حدة ، ورأيه هذا يدل على ان عملية إنتاج الواو والياء غير المديتين عنده عملية أصلية لا تستعين بصفات ما جاورها من الأصوات الرخوة .

---

[1] الحواشي المفهمة : 18 ظ .
[2] لطائف الإشارات : 199/1 .
[3] ظ: شرح التسهيل ، للمرادي : 249ظ .
[4] النكت الحسان : 279 .
[5] جهد المقل : 117 .
[6] م.ن : 117 .
[7] بيان جهد المقل : 96 ، نقلا من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 259 ، وقد ذكر الاستاذ الدكتور غانم قدوري معنى هذا النص في كتابه السابق ، ظ:260 .
[8] ظ: مخارج الحروف وصفاتها : 93 .
[9] ظ: م.ن : 80 .

إن متابعة ابن الطحان وبعض علماء التجويد لسيبويه في مفهوم الشدة والرخاوة ، لا تعني انهم وافقوا سيبويه ومتابعيه في عد صوتي الواو والياء غير المديتين من الأصوات المتوسطة ، وان سيبويه قد اخطأ في جعله الواو والياء غير المديتين اللتين هما من اصوات المد في الصفات المتوسطة .

فلو نظرنا إلى مسألة كون الواو والياء غير المديتين صوراً صوتية لأصوات المد واللين لامكننا – أيضاً – أن نسوغ لسيبويه عدم فصله بين هذين النوعين من الأصوات ، فهو يعنى بدراسة أصول الأصوات لا صورها التي تصير إليها في داخل التركيب ، وإذا كانت الواو والياء الاحتكاكيتان صورا صوتية لصوتين من أصوات المد واللين فانه سيكون دقيقاً في عدم الاعتداد بها عند دراسته للأصوات المتوسطة بل حتى في دراسته للأصوات مفردة عامة .

لقد حاول بعض علماء العربية الذين تابعوا سيبويه في عدد الأصوات المتوسطة أن يحصروا تلك الأصوات في حد جامع مانع ، إلا انهم أخفقوا في ذلك ولم ينج منهم إلا من ترك التصريح لمفهوم الأصوات المتوسطة .

فهذا المبرد يحد الأصوات المتوسطة بأنها " شديدة في الأصل وإنما يجري فيها النفس لاستعانتها بصوت ما جاورها من الرخوة "[1] وكنا قد أدركنا دقة هذا المفهوم مع أصوات (ر ل ن م) ، ونستطيع أن نجد له تسويغاً مع صوتي الواو والياء غير المديتين لانهما صوتان ينحرفان عن صفة ما جاورهما من الأصوات الرخوة ، ذلك الانحراف يجعلهما صوتين غير مديين .

ولكن كيف يمكن أن يستعين صوت الألف بما جاوره من الأصوات الرخوة ؟! هذا ما أعجز الباحث أن يجد له وجهاً يحمل المبرد عليه ، اللهم إلا إذا أراد المبرد من هذه الأصوات المتوسطة التغليب ، وفكرة التغليب أو التعميم – بتعبير اصح – تصف أغلب الأصوات لا جميعها .

وإذا انتقلنا إلى ابي سعيد السيرافي لوجدناه يحد المتوسطة بقوله : " وهذه الأحرف الثمانية لا يجري الصوت في مواضعها عند الوقف ، ولكن يعرض لها اعراض توجب خروج الصوت لاتصاله بغير مواضعها ، وانسلاله على غير الشرط الذي في الحرف الرخو " [2] ، وقد تابع الرضي السيرافي في ذلك [3].

لقد ظن الدكتور عبد العزيز الصيغ أن حد السيرافي هذا دقيق يمكن ان يشمل الأصوات المتوسطة الثمانية عند سيبويه[4] ، ونحن لا نوافقه في ذلك . وان صح كلامه فهل يستطيع أن يفسر لنا انعدام جريان الصوت مع أصوات المد واللين في مواضعها إلا بأعراض تعرض عليها ؟ وهل يعني زوال تلك الأعراض عن أصوات المد واللين أن الصوت لا يجري معها ؟ ثم ما هي تلك الأعراض التي تعرض لأصوات المد واللين ؟ .

وإذا قدر أحد أن يجيب عن هذه الأسئلة السابقة فهل يمكن أن يفسر معنى قول سيبويه في باب الوقف في الواو الياء والألف : " وهذه الحروف غير مهموسات ، وهي حروف لين ومد ، ومخارجها متسعة لهواء الصوت ، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ، ولا أمد للصوت ، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها ، فيهوي الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة ، وإذا تفطنت وجدت مس ذلك " [5] . ولم يبق من حديث القدماء على الأصوات المتوسطة سوى حد الزمخشري لها بما فيها أصوات المد واللين إذ جعلها أصواتا " لا يتم لها الانحصار ولا الجري " [6] وقد سار على هذا المفهوم بعض علماء العربية [7] . وهذا الحد – بطبيعة الحال – لا يخضع تحته أصوات المد واللين لانها أصوات يتم لها الجريان اكثر وأطول من جريان الصوت مع الرخوة .

3-مفهوم التوسط عند المحدثين :

لم يستقر المحدثون على مفهوم واحد لصفتي الشدة والرخاوة فكانوا في ذلك على مذهبين . أما أصحاب المذهب الاول [8] فاقتصروا في ذلك على الأصوات التي تعمل الأعضاء النطقية في انتاجها ، واقصوا الأصوات

---

[1] المقتضب : 196/1 .
[2] شرح كتاب سيبويه ، للسيرافي : 59/6 ، نقلا من الأصوات عند سيبويه : 121-122 و 135 .
[3] ظ: شرح الشافية ، للرضي : 260/3 .
[4] ظ: الأصوات عند سيبويه : 121 و 124 .
[5] كتاب سيبويه : 406/2 .
[6] المفصل : 395 .
[7] ظ: شرح التسهيل ، للمرادي : 249 و .
[8] ظ: مناهج البحث في اللغة : 113 –114 . والمدخل إلى علم اللغة ، د. رمضان عبد التواب : 36 .

الصوائت لأن الأعضاء النطقية لا تعمل في انتاجها بل تتخذ هيئات يمتاز بها الصوت الصائت من غيره من الأصوات ، لذلك كانت الأصوات عندهم على اربعة أقسام [1] :-

1. أصوات رخوة .
2. أصوات شديدة .
3. صوت شديد رخو .
4. أصوات لا هي بالشديدة ولا هي بالرخوة .

في حين توسع آخرون في المفهوم فجعلوه على اساسين ، امتناع مرور الهواء (الانحباسي) وحريته (الانطلاق) . لذلك كان الانطلاق عندهم على اربعة أنواع [2] :-

1. الانطلاق التام (ويخص الصوائت) .
2. الانطلاق الانفي (ويخص الميم والنون) .
3. الانطلاق الجانبي (ويخص اللام) .
4. الانطلاق الاحتكاكي، ويقصد به : " انطلاق الهواء من الفم انطلاقا غير جانبي ، على أن تضيق الأعضاء الصوتية العليا مجراه بحيث يحدث احتكاكاً مسموعاً ، ويحدث هذا في كثير من السواكن كالفاء والسين والخاء إلخ "[3].

أما صوت الراء فهو صوت (متذبذب) أو (ترددي) أو (متكرر) . جوز بعضهم أن يطلق عليه مصطلح (الانحباس المتردد) [4] أو (الانطلاق المتقطع) [5] وجعله بعضهم مقتصراً على (الاقفال المتكرر)[6] . أما صوت الجيم فهو صوت مركب ناتج من قفل ثم تضييق[7] .

وبأنعام النظر في تقسيم أصحاب الطائفة الثانية للأصوات ، بغض النظر عن الصوائت منها ،فإننا سنجدها تعود إلى الاصول الاربعة التي وزعت عليها الأصوات عند اصحاب الطائفة الاولى .

وقد اختلف المحدثون من اصحاب الطائفتين السابقتين ايضاً في مفهوم التوسط ، فقصره بعضهم على مفهوم الانحباس والاحتكاك فعلى الرغم من " التقاء العضوين مع بعض الأصوات فقد يجد النفس له مسربا يتسرب إلى الخارج وحينئذ يمر الهواء دون أن يحدث نوع من الصفير أو الحفيف ، ويلاحظ هذا مع اللام والنون والميم والراء "[8] . وزاد عليها بعضهم الواو والياء الصائتين من غير الألف [9] .

وذهب الدكتور عبد الرحمن أيوب إلى أن الأصوات المتوسطة حالة وسطى بين (الصوامت الشديدة) و (الصوائت) ، فالاصوات المتوسطة تشبه الصوائت " في خروج الهواء كله دون مقاومة مجرى الهواء بحيث يخرج من جانبي اللسان أو من الانف ... ومن الناحية الطبيعية تشبه هذه السواكن الحركات ايظا ففيها توجد حزم تكوينية كتلك التي توجد في الحركات ... "[10] وذكر أن " هذه السواكن تشبه السواكن الانحباسية في أننا نميزها عد التقاء الأعضاء الصوتية التي تنتجها عند افتراقها ..."[11] .

وعده الأستاذ محمد الانطاكي : " حالة وسط بين انفتاح الاحتكاكيات ... "[12] . وجعل الدكتور كمال بشر الأصوات المتوسطة " تشبه الحركات في أهم خاصة من خواصها وهي قوة الوضوح السمعي Sonority ..."[13] ، واشترط الاستاذ بسام بركة في الأصوات (الامتدادية) أي (الاحتكاكية) أن يحدث التضييق (وهو على الاخص الشفتان واللسان) توتراً خاصاً واستعداداً [14]. وقد يكون التوتر في إنتاج بعض الأصوات خفيفاً أو معدوماً تماماً " إضافة إلى ان اللسان يكون في وضعية استراحة وان تضييق الممر الصوتي يكون أقل حدة . في هذه الحالة لا يحدث الهواء المزفور احتكاكا بل رنين على مستوى موضع النطق ، لذلك

---

[1] المصدران نفسهما .
[2] ظ: أصوات اللغة : 185 – 186 .
[3] م.ن : 186 .
[4] ظ: م.ن : 181 .
[5] ظ: م.ن : 187 .
[6] ظ: دراسة الصوت اللغوي : 121 .
[7] ظ: م.ن : 119 .
[8] الأصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : 25 .
[9] ظ: مناهج البحث في اللغة : 113 .
[10] أصوات اللغة : 190 .
[11] م.ن : 190 .
[12] الوجيز في فقه اللغة : 181 هامش (2) .
[13] ظ: علم اللغة العام (الأصوات) : 131 .
[14] ظ: علم الأصوات العام : 17 .

تدعى الصوائت التي تصدر عنه انسيابية ... ويكون الفارق بينهماوبين الاحتكاكية أن اللسان في إنتاج الاولى يكون رخواً ومسطحاً في حين يكون في الثانية مشدوداً "[1] ، والاصوات الانسيابية عند الاستاذ بسام بركة هي (اللام والراء والميم والنون والواو والياء غير المديتين) [2] .

ولا نوافق الاستاذ بسام بركة على تعميم توتر اللسان في إنتاج الأصوات الرخوة ، ذلك لان من الأصوات - عدا المتوسطة – ما لا يتوتر اللسان معه بحيث يكون مستريحا تماما كما في نطق الهاء والفاء بل ان من الأصوات المتوسطة ما يكون اللسان في أثناء انتاجه مشدودا ونحس بذلك عند نطق النون ، زيادة على أننا لا ندرك السبب الذي نفى به توتر الأعضاء في نطق الصوتين غير المديين وان اللسان يكون مبسوطاً معهما ! .

هذه هي أغلب آراء المحدثين وأهمها ، ونحن نلاحظ أنها اراء شخصية لا تتفق في ما بينها ، ولكي نتخلص من تعدد المفاهيم في صفة التوسط لننتهي إلى مفهوم واحد نفرق به بين الصوتين غير المديين والاصوات المتوسطة يجب علينا أن نصنف الأصوات على تصنيفات ثلاثة ليست بالغريبة على الدراسات الصوتية الحديثة وهي :

1. أن نفرق بين الأصوات الصوامت والصوائت .

وعلى هذا يكون لدينا ثلاثة اصناف من الأصوات وهي :

أ. الأصوات التي تعمل الأعضاء النطقية في انتاجها ، وتشمل الأصوات الصوامت جميعها .

ب. الأصوات التي لا تعمل الأعضاء النطقية في انتاجها لكن تلك الأعضاء تتخذ هيآت أو اشكالاً تعمل على تمايز أصوات تلك الطائفة وتشمل الأصوات الصوائت فقط .

ج. الأصوات التي تعمل الأعضاء النطقية في انتاجها ، وفي الوقت نفسه تتخذ تلك الأعضاء أشكالا او هيآت شبيهة بالاشكال التي اتخذتها عند نطق الأصوات الصوائت . ويشمل هذا الصنف صوتي الواو والياء الاحتكاكيين .

2. أن نفرق بين الأصوات التي تعمل الأعضاء النطقية في انتاجها ، وأصوات تلك الطائفة على اربعة اصناف هي :

أ. من الأصوات ما يشترط في التصويت به ثلاثة خطى هي : (الانحباس ، الانفتاح ، الانفجار) وهي ما سماه القدماء بالاصوات الشديدة .

ب. ومنها مايشترط بالتصويت به أن تضيق الأعضاء النطقية بحيث يصدر ذلك الصوت احتكاكاً . ويشمل هذا الصنف الأصوات الاحتكاكية من الصوامت والواو والياء غير المديتين .

ج. ومنها ما يكون التصويت به من خلال الانحباس فالانفتاح البطيء الذي يسبب انفجاراً ضعيفاً . ويشمل هذا الصنف صوت الجيم فقط .

د. وهناك ما يكون التصويت به على غير حالة الشدة والرخاوة ، ويقتصر على أصوات (ر ل ن م) من الصوامت .

3. أن نجعل تمايز الأصوات (صوائت وصوامت) بحسب الوضوح السمعي ، وهذه على ثلاثة اقسام مرتبة بحسب الاقوى فالاقوى :

أ. الصوائت .

ب. اشباه الصوائت وهي (ر ل ن م، والواو والياء غير المديتين) .

ج. الصوامت الأخرى .

5. أن نجعل معيار تمايز الأصوات (الصوائت والصوامت) بحسب مرور الهواء . ويشمل هذا ستة أصناف من الأصوات هي :

أ. ما يجري فيه الهواء جريانا واسعا ويشمل الصوائت فقط .

ب. ما يجري فيه الهواء جريانا ضعيفا من غير حصول احتكاك ويشمل أصوات (ل ن م) فقط .

ج. ما يجري فيه الهواء جريانا محكما ويحصل ذلك في الأصوات الرخوة وصوتي الواو والياء غير المديين.

د. ما يجري فيه الهواء جريانا متقطعا أو مترددا . ويختص بصوت الراء فقط .

هـ . ما لا يتم له الجريان بحبس الهواء معه لحظة لانغلاق عضوين من أعضاء النطق انغلاقا محكما فانفتاحهما انفتاحا بطيئا ويحصل ذلك مع صوت الجيم .

---

[1] علم الأصوات العام : 17 .

[2] م.ن : 87 –89 .

و. ما لا يتم له الجريان بحبس النفس معه لحظةً لانغلاق عضوين من أعضاء النطق انغلاقا محكما فانفتاحهما انفتاحاً مفاجئا ويحصل هذا مع الأصوات الشديدة .

ننتهي من ذلك إلى ما يأتي :

1. إن اشباه الصوائت هي : أصواتا اشبهت الصوائت من حيث الوضوح السمعي ، أو هي الأصوات التي يكون وضوحها السمعي دون وضوح الأصوات الصوائت وأعلى من الأصوات الاحتكاكية والشديدة . وتشمل على أصوات (ر ل ن م ، والواو والياء غير المديتين) .
2. إن الأصوات المتوسطة هي الأصوات التي تعمل بعض الأعضاء النطقية في انتاجها على غير صورة إنتاج الأصوات الرخوة أو الشديدة ويكون الهواء مع الأصوات المتوسطة إما متقطعا ويحصل ذلك في إنتاج صوت الراء ، أو مستمرا كما في إنتاج صوت اللام والميم والنون لكن ذلك الاستمرار في الجريان يكون من غير الموضع المولد لهذه الأصوات وبهذا يكون صوتا (الواو والياء غير المديين) احتكاكيين لاغير .

8- تصنيف الأصوات بحسب الجمع بين صفات (الجهر والهمس) و (الشدة والرخاوة والتوسط):

تابع ابو حيان ابن الحاجب في تصنيف الأصوات بحسب الجمع بين الصفات السابقة ، وكنا قد ذكرنا الدافع وراء هذا التصنيف في مواضع سبقت ونكتفي هنا بذكر تلك الصفات و اصواتها عند ابي حيان وهي على خمس مجموعات [1] :

أ- قال أبو حيان : " الأصوات المجهورة الرخوة يجمعها (نحض طرذن) ".

ب- وقال : الأصوات المجهورة الشديدة (طبق أجد*) وتسمى هذه حروف القلقلة " .

ج- وقال : " والمهموسة كلها – غير التاء والكاف - رخوة ويجمعها (سفه شخص حث) " . وهذا يعني أن صوتي (التاء والكاف) هما صوتان مهموسان شديدان .

د- وقال : " وما بين الشديدة والرخاوة مجهور " وهي أصوات (ولينا عمر) .

والملاحظ على عبارات أبي حيان السابقة أنه في المجموعات كلها يقدم صفة (الجهر) أو (الهمس) على صفة (الشدة) أو (الرخاوة) وهذا صنيع دقيق من حيث أن صوت (الجهر) أعمق من الصوت الناتج من الشدة أو الرخاوة أو التوسط ، لأنه (صوت الصدر) كما تبين لنا .

أما سبب تقديم التوسط على صفة الجهر فلابد منه لأن العبارة أيا ما تكون صياغتها لا تقبل غير ذلك الترتيب .

ثالثا : الإطباق والانفتاح :

1-المصطلح :

أطلق ابو حيان مصطلح (الإطباق) على أصوات (ص ض ط ظ) ، ومصطلح (الانفتاح) على الأصوات الأخرى في مصنفاته عامة [2] . وجمع المصطلحين في شطر من مقطوعة نظمها في الصفات الصوتية قال فيها [3] :

(فتح الوصل ثم أطبق هجراً)

وقد أجمع علماء العربية على هذين المصطلحين ، وعلى ما يشملان من أصوات [4] .

أ-المدلول اللغوي :

للإطباق في اللغة معنيان :

أحدهما : الغطاء ، فـ " الطبق غطاء كل شيء "[5] .

والآخر : بمعنى الإلزاق (الإلصاق) ، جاء في اللسان : " وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد والزقتهما "[6] . أما الانفتاح فهو " نقيض الإغلاق "[7] .

ب-علاقة المدلول اللغوي بالمدلول الاصطلاحي :

---

[1] الارتشاف : 10/1 .

* في المتن أحد بالحاء وهو تصحيف مطبعي .

[2] تقريب: 197 ، والمبدع 89 . والنكت الحسان : 379 .

[3] نفح الطيب : 308/3 .

[4] ظ: كتاب سيبويه : 406/2 . الأصول 404/3 . والمفصل : 359 . وحرز الأماني 180 . و أسرار العربية : 209 . والكشف ، للجامع النحوي : 5/1 .

[5] اللسان : 209/10 (ط ب ق) .

[6] م.ن : 209/10 (ط ب ق) .

[7] م.ن :536/2 (ف ت ح) .

لم يذكر ابو حيان ولا علماء العربية قبله في أثناء حديثهم على صفتي الإطباق والانفتاح معنى المصطلحين اللغوي ، سوى ما ذكره ابن الحاجب من أنهما مصطلحان مستعملان في معنى متجوز إذ قال : " وهو في الحقيقة اسم متجوز فيها لأن المطبق إنما هو اللسان والحنك ، وأما الحرف فهو مطبق عنده فاختصرفقيل: مطبق كما قيل للمشترك فيه مشترك ومثله كثير في اللغة والاصطلاح . والكلام في المنفتحة في التسمية كالكلام في المطبقة ، لأن الحرف لا ينفتح ، وإنما ينفتح عنده اللسان عن الحنك" [1] . وتابعه في ذلك الجابردي [2] وابن جماعة[3] وهذه الإشارة لا توضح لنا علاقة المدلول اللغوي بالاصطلاحي بقدر ما فيها من توضيح لحقيقة المنطبق والمنفتح .

وقد وجدنا من المتأخرين من يربط المعنى اللغوي بالاصطلاحي ، قال المقدسي : " ومنها الإطباق : وهو تلاقي طابقتي اللسان والحنك الأعلى عند اللفظ ، وهو أبلغ من العلو ، ولغة التلاصق والتساوي ، وفيه تجوز ..."[4] ، ثم ذهب إلى ما يراه ابن الحاجب في ملاحظته السابقة ثم قال : " وضده الانفتاح ، وهو تجافي كل منهما عن الآخر ، ولغة الافتراق "[5] وإلى ذلك ذهب المرعشي أيضا[6] .

وفي معجم العين اشارة عرضية لمعنى الإطباق اللغوي وعلاقته بالمصطلح لا نجد لها شيوعاً عند من جاء بعده من اللغويين ، قال الخليل : " والطبق كل غطاء لازم .... ومثله إطباق الحنكين "[7] ، أي اتخاذ الحنكين شكل الغطاء على اللسان .

وعلى الرغم من عدم ذكر الخليل الأصوات المطبقة ولا على أي شيء يكون الحنكان غطاء ، نفهم من كلامه أنه قصد أن الحنكين يكونان شكل الغطاء على اللسان فهو أسفل منه ، وهذا استنتاج لا شك فيه .

نلاحظ أن للقدماء توظيفين للمعنى اللغوي ، احدهما : معنى الالتصاق و الآخر : بمعنى الغطاء ولمعرفة دقة أي الاستعمالين وعلاقتهما بالمدلول الاصطلاحي دعانا منهج البحث إلى أن ذكر موقف أبي حيان وعلماء العربية من المفهوم الاصطلاحي للاطباق والانفتاح .

ج-المدلول الاصطلاحي :

عرف أبو حيان الإطباق والانفتاح بقوله : " المطبق الصاد والضاد والطاء والظاء ، وسميت بذلك لانطباق اللسان فيها على الحنك عند اللفظ بها ، والمنفتح ما عداها "[8] . وهو ما ذكره السيوطي [9] والمرادي ، إلا ان المرادي أبدل كلمة (النطق) بكلمة (اللفظ) عند أبي حيان فقال : "... وصفت بذلك لاطباق اللسان فيها على الحنك عند النطق بها "[10] . وكلمة اللفظ التي استعملها أبو حيان لم تكن شائعة عند المتقدمين ، غير أن ابن دريد ذكرها في حديثه على الأصوات المطبقة قائلاً : " فان لفظت بها اطبقت عليها حتى تمنع النفس أن يجري معها "[11] وقد استعمل بعض علماء العربية المتأخرين هذه الكلمة في حدودهم [12] .

والذي يلاحظ على نص أبي حيان ومتابعيه أمران ، احدهما : أن استعمال كلمة (اللفظ) أو (النطق) في حدي الإطباق والانفتاح دقيق ، لأنه يشير إلى أن تلكما الصفتين هما عمليتان نطقيتان (ادائيتان) لا سمعيتان .

والآخر : انه أشار إلى أن الإطباق يكون بـ (اطباق اللسان فيها على الحنك) ، ونفهم من هذا أمرين أيضاً ،

أحدهما : ان الإطباق يعني التصاق اللسان على الحنك ، فلو كان مراده من ذلك أن يتخذ الحنك شكل الغطاء على اللسان لقال : (اطباق الحنك على اللسان) فالغطاء ، بطبيعة الحال ، يكون من فوق لا من تحت أي ان الغطاء يكون بالحنك على اللسان لا باللسان على الحنك . والآخر : إنه لم يحدد في أي نقطة يكون الالتصاق، ذلك لأنه أتى بلفظة اللسان من غير تحديد منطقة معينة فيه ، وهذا يجعلنا نتوهم أنه أراد أن اللسان يلتصق عامة على الحنك ، وليس كذلك .

---

[1] الإيضاح في شرح المفصل : 288/2 .
[2] ظ: شرح الشافية ، للجابردي ، ضمن مجموعة الشافية :342/1 و 241/2 .
[3] ظ: حاشية الجابردي ، لابن جماعة ، ضمن مجموعة الشافية : 241/2 .
[4] بغية المرتاد : 122 .
[5] م.ن : 122 .
[6] جهد المقل :: 125 .
[7] العين : 108/5 (ط ب ق) .
[8] النكت الحسان : 279 .
[9] ظ: الهمع : 279/6 .
[10] شرح التسهيل : 249 ظ .
[11] جمهرة اللغة : 8/1 .
[12] بغية المرتاد :122 .

ان عبارة (اطباق اللسان فيها على الحنك) تشير إلى أن عملية الإطباق تتم في غير المواضع التي تولد فيها الأصوات المطبقة ، ذلك لأن تلك الأصوات لا يمثل الحنك محلا لولادتها ، وعلى هذا أجمع علماء العربية . فمحل ولادة الظاء من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا وهو محل ولادة الدال أيضا . وبطرف اللسان وفويق الثنايا السفلى تولد الصاد ومقابلتها السين . وتولد الطاء والتاء بطرف اللسان وأصول الثنايا العليا (اللثة) أما الضاد فتكون ولادتها بالتصاق احدى حافتي اللسان بالاضراس التصاقا محكما في حين تلتصق الحافة الاخرى بما فوقها من الاضراس التصاقا هينا بحيث يسمح للهواء أن يخرج من بينهما وعلى هذا فان كان قصد أبي حيان بالاطباق التصاق اللسان عامة على الحنك فان الانفتاح يعني عدم التصاق اللسان على الحنك على الرغم من التصاق طرفه ببعض اجزاء سقف الفم مع الأصوات المنفتحة .

لقد سبق أبا حيان بعض علماء العربية إلى هذا المفهوم كالاندرابي [1] وشعلة [2] والجابردي[3] ، وتابعه عليه بعضهم[4] ، وهذا المفهوم غامض لا يوضح لنا عملية الإطباق وتمتد أصوله – على ما نظن – إلى الزجاجي إذ قال : " ... وانما سميت حروف الإطباق لانك إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق اللسان على ما حاذاه من الحنك الاعلى فصار الصوت (محصوراً) بين اللسان والحنك وسائر الحروف منفتحة لا اطباقها فيها" [5] .

ونص الزجاجي أقل غموضاً من النصوص التي ذكرها متابعوه مع شيء من التغيير ، فهويشير إلى منطقتين من اللسان هما محل أصوات الإطباق ، احدهما : مخارج الأصوات المطبقة ، والاخرى : انطباق اللسان على ما حاذاه من الحنك الاعلى وهذا دليل على صحة ما ذهبا إليه من ان التصاق اللسان على الحنك لا يمثل نقطة ولادة لتلك الأصوات عند القدماء . بل إن في حد الزجاجي ما يشير إلى أن ذلك الإطباق لا يتم باللسان جميعه ويتضح ذلك من قوله : (... فصار الصوت محصوراً بين اللسان والحنك).

فالحصر في اللغة التضييق ومنه حصر الصدور أي ضيقها [6] ، وهو بمعنى الحبس أيضا " قيل: حصرني الشيء وأحضرني أي حبسني وحصره يحصره حصراً ضيق عليه وأحاط به "[7] .

ولعل السبب في عدم تبيين الزجاجي ، ومن حذا حذوه كابن هشام الانصاري [8] ، كيفية حصر الهواء بين اللسان وما حاذاه من الحنك هو تفاوت تلك الكيفية بين صوت وآخر من أصوات الإطباق كما سيأتي .

ولو أن الزجاجي استبدل حرف الجر (على) بالباء في قوله (انطباق اللسان على ما حاذاه من الحنك) لكان أدق له لأنه سيشير إلى أن اللسان يطبق عليه الحنك فوزن (انطبق) : (انفعل) وهي صيغة تضمنت معنى النائب عن الفاعل كما تقول انكسر الزجاج . أي انه وقع عليه فعل فاعل مضمر وبهذه الصورة سيكون معنى عبارة الزجاجي أن الإطباق وقع على اللسان بالحنك .

وكلام الزجاجي مشبه إلى حد ما قول سيبويه : " وهذه الحروف الاربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق اللسان من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الاعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك ، فاذا وضعت لسانك فالصوت محصورا فيما بين اللسان والحنك إلى مواضع الحروف واما الدال والزاي ونحوهما فانما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن فهذه الاربعة لها موضعان من اللسان وقد بين ذلك بحصر الصوت " [9] .

نستنتج من كلام سيبويه ما يأتي :

1- إن دلالة وزن (انطبق) الصرفية تفهمنا أن اللسان وقع عليه الإطباق أي اتخذ الحنك عليه شكل الغطاء .
2- ان عبارة (انحصار الصوت) تعني مع الأصوات المطبقة – عند سيبويه – احاطتها بنقطتين من اللسان، الاولى : هي مخرج الصوت ، والاخرى : هي نقطة الإطباق المرتفعة إلى الحنك وكذلك حافتي اللسان فالانحصار هنا بمعنى الاحاطة ، أي إن الصوت محاط به من أمامه ومن خلفه ومن جانبيه فلا يشترط أن يحدث فيه انحصار كانحصار الحرف الشديد مثلا وانما يحدث عائق في الخلف غير حابس، أما في الاملم فيحدث عائق حابس أو محتك ويبقى للصوت في ما بين العائقين مجال للحركة . في حين يحدث مع

---

[1] ظ:الإيضاح في القراءات (الباب التاسع والعشرون) : 94 .
[2] ظ: حرز الأماني : 1188 .
[3] ظ: شرح الشافية ، للجابردي ، ضمن مجموعة الشافية : 342/1 .
[4] ظ: قواعد التجويد ، محمد جواد العاملي : 57 .
[5] الجمل : 378 .
[6] ظ: اللسان : 193/4 (ح ص ر) .
[7] اللسان : 193/4 – 194 (ح ص ر) .
[8] ظ: شرح جمل الزجاجي ، لابن هشام : 449 .
[9] كتاب سيبويه : 406/2 .

الأصوات غير المطبقة - كالنون والزاي - حبس للصوت خلف مخرجه ولا يصحبه عائق آخر ، وهنا يكون الحابس أما شديدا تام الاغلاق مثل الحبس الحاصل مع اصوات (ب د ت) أو هين الاغلاق كما في الزاي مثلاً .

3- (فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان ...) فالموضعان اللذان يقصدهما سيبويه هما موضعا المخرج ونقطة الإطباق .

والملاحظ على النقطتين الاخيرتين أن سيبويه يهتم بعملية انحصار الصوت لا الهيأة التي يتخذها اللسان في أثناء إنتاج الأصوات المطبقة ، ذلك لان الذي يعنيه من الإطباق طريقة خروج الصوت لا الشكل الذي تتخذه الأعضاء عند انتاجه وهذا ما لم يقل به احد بحسب اطلاعنا ، والدليل على صحة ما نذهب إليه أن سيبويه لم يوضح هيأة انطباق اللسان بشكل مفصل بل اكتفى بالاشارة إلى أنه منطبق فقط ، زيادة على انه لم يذكر - في أثناء حديثه على الإطباق والانفتاح – الجزء الذي يرتفع من اللسان ليحاذي الحنك الاعلى ، وهو ما نستطيع أن نستنتجه من خلال حديثه في باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات " تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة وذلك نحو : صدقت وصبقت والصملق ، وذلك انها من اقصى اللسان فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم وتصعدت إلى ما فوق الحنك الاعلى ... فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف ليكون العمل من وجه واحد وهي الصاد لأن الصاد تصعد إلى الحنك الاعلى للاطباق فشبهوا هذا بابدالهم الطاء في مصطبر والدال في مزدجر ولم يبالوا ما بين السين والقاف من الحواجز ... "[1] .

فالقاف كما ذكر من أقصى اللسان وقد تصعدت إلى الحنك الاعلى وتشبهها الصاد لانها تصعدت إلى الحنك الأعلى أيضاً لاطباقها ، أي ان أقصى اللسان تصعد إلى الحنك الاعلى مع الصاد كما يتصعد مع القاف . وهذا الحكم - أي تصعد أقصى اللسان إلى الحنك الاعلى – يشمل أصوات الإطباق الاخرى (ض ط ظ) .

وخلاصة الامر أن سيبويه قصد من الإطباق ما ياتي :

1. انطباق اللسان . وقد وضحنا ذلك .
2. انحصار الصوت ، أي احاطة اعضاء النطق به على الوجه الذي بيناه .

لقد حاول بعض علماء العربية أن يعبر عن الإطباق بغير التعبير الذي استعمله سيبويه ، قال ابن جني في الإطباق : " أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الاعلى مطبقا له "[2] وتابعه على ذلك ابن عصفور[3] وابن يعيش[4] .

فان كان قصد ابن جني من قوله (ظهر اللسان) وسطه فهو من غير شك واهم في ذلك لأن وسط اللسان في حالة الإطباق يكون منخفضا ، وان قصد اقصاه فهو على غلط أيضاً لأن ظهر اللسان ليس أقصاه.

وحاول عبد الوهاب القرطبي أن يعدل في نص ابن جني ليكون بصورة اوضح ، فقال : " والاطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك مطبقا له ، فينحصر الصوت فيما بين موضع اللسان والحنك إلى موضعهما .. والانفتاح أن لا تطبق ظهر لسانك إلى الحنك فلا ينحصر الصوت "[5] .

نفهم من كلام القرطبي ما يأتي :

1- انه وضح ان الإطباق يتم باللسان وذلك واضح من قوله في الانفتاح : (ان لا تطبق ظهر لسانك إلى الحنك) .

2- ان عبارة (ينحصر الصوت) بمعنى انحصار الصوت بين ظهر اللسان المرتفع نحو الحنك الاعلى ، ونقطة ولادته .

3- انه استعمل الإطباق بمعنى الارتفاع لا بمعنى الالصاق أو الغطاء من كل شيء والدليل على هذا انه حين عرف الإطباق اشترط فيه (أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له) وحين عرف الانفتاح قال: (أن لا تطبق ظهر لسانك إلى الحنك ..) . والملاحظ على قوله الاخير – أيضا – انه استعمل الحرف (إلى) مع الفعل (تطبق) وهذا لا يصح إلا إذا كان الإطباق بمعنى الارتفاع .

ويأتي الزمخشري بمفهوم جديد للاطباق في قوله : " أن تطبق على مخرج الحرف من اللسان وما حاذاه من الحنك "[6] . وتابعه في ذلك أبو علي الشلوبين[1] وابن الحاجب [2] وليس الامر كما ذهبوا إليه ، مع ادراكهم

---

[1] كتاب سيبويه : 427/2 – 428 .
[2] سر صناعة الإعراب : 61/1 .
[3] ظ: المقرب : 359 . والممتع : 674/2 .
[4] ظ: شرح المفصل، لابن يعيش :10 /129 .
[5] الموضح في التجويد : 90.
[6] المفصل : 395 .

إن الغطاء هو بالحنك لا باللسان ، ذلك لان الحنك يكون في حالة الإطباق غطاء على اللسان من خلال نقطتين كما اشرنا لا ان يكون الاطباق على مخرج الصوت بالمنطقة التي تحاذيه من الحنك فقط مخرج الصوت من اللسان فقط .

وقد حاول بعض العلماء أن يعيد صياغة مفهوم الزمخشري للاطباق بشكل أكثر وضوحاً ، قال يحيى بن حمزه العلوي : "أن تطبق على مخرج الحرف ما حاذاه من الحنك واللسان "[3] .

وهذا الحد يبقي مفهوم الغطاء محصورا على ماحاذا مخرج الصوت من الحنك ، بل ان في كلامه سوء فهم لمراد الزمخشري ، فالزمخشري رام من عبارة (من اللسان) في حد الإطباق المنطقة التي يولد فيها الصوت اللغوي ، ولم يقصد ان يكون جزءا من اللسان مع الحنك الاعلى غطاء على مخرج الصوت اللغوي الذي يحاذيها .

ويصف الرضي الاستراباذي الأصوات المطبقة وصفا واضحا في قوله : " الأصوات المطبقة ، ما ينطبق معها الحنك على اللسان ، بان ترفع اللسان إليه ، فيصير الحنك كالطبق على اللسان ، فتكون الحروف التي تخرج بينهما مطبقا عليها "[4] . ان عبارته الاخيرة (فتكون الحروف التي تخرج بينهما مطبقا عليها) لتعطينا صورة واضحة عن ان اهتمام الرضي كان بالصوت المطبق لا بهيأة اللسان في أثناء نطق ذلك الصوت ، وهو الامر نفسه الذي شغل ذهن سيبويه فخصص أغلب حديثه فيه . ومع هذا فقد اوجز الرضي وصفه لهيأة اللسان والحنك في أثناء إنتاج تلك الأصوات بعبارة (يصير الحنك كالطبق على اللسان) نتيجة لارتفاع اللسان إلى الحنك، هذا الوصف موجز ودقيق وان لم يعطنا صورة واضحة عن كيفية اتخاذ اللسان الحنك غطاء ولم توضح ايضا المنطقة المرتفعة من اللسان إلى الحنك .

وكان للمرعشي اهتمام بالغ في هيأة اللسان والحنك في أثناء إنتاج الأصوات المطبقة فقد وصف اللسان في كتابه بيان جهد المقل في أثناء حديثه على عملية الإطباق بقوله : ان " اللسان يكون مقوساً عند النطق بالصوت المطبق "[5] . وعلى الرغم من وصف المرعشي السابق وجدناه مخطئا في وصفه لعملية الإطباق في كتابه جهد المقل إذ عرفه بأنه : " استعلاء أقصى اللسان ووسطه إلى جهة الحنك الأعلى وانطباق الحنك على وسط اللسان ، بحيث ينحصر الصوت بينهما "[6] ولا ننسى أنه ذهب إلى ان الإطباق في اللغة بمعنى الالصاق ، وهذا يعني أن الذي يرتفع من اللسان نحو الحنك اقصاه ووسطه وان الذي يلتصق منه على الحنك وسطه فقط . وهذا وهم ولا شك لأن وسط اللسان ينخفض مع الأصوات المطبقة لا انه يرتفع ملتصقا بالحنك الاعلى .

لقد كان لسيبويه يد السبق في وضع مصطلحي (الإطباق والانفتاح) حتى شاعا عند علماء العربية جميعاً ، بل انه أعطى صورة واضحة لحقيقة صفة الإطباق التي شاعت هي الاخرى عند علماء العربية إذ قال : "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سيناً والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام لانه ليس شيء من موضعها غيرها "[7] . فعبارة سيبويه هذه " لتبرز بوضوح شعوره بوظيفة هذه الصفات التميزية وبالعلاقة التقابلية التي تربطها وهو ما اصبح اليوم من مشمولات علم الفونولوجيا أي علم وظائف الأصوات "[8].

زيادة على ذلك فان سيبويه قد أدرك أن تلك الصفة التمايزية تجعل الصوت المتصف بها أوضح في السمع ، إذ قال : " ...والمطبق أفشى في السمع ..."[9] ، وقد استفاد من معرفته هذه في سبب ابدال بعض الأصوات المنفتحة إلى المطبقة ، فقد رأت العرب - كما يقول سيبويه - "اجحافا أن تغلب الدال على الإطباق وليس كالطاء في السمع .. "[10] وقال في ابدال السين في (سقت) صاداً : " وانت في صقت تضع في موضع السين حرفا أفشى في الفم منها للاطباق "[11] .

---

(1) ظ: التوطئه ، لابي على الشلوبين : 380 .
(2) ظ: الشافية ، ضمن مجموعة الشافية : 342/1 و 341/2 .
(3) المنهاج في شرح جمل الزجاجي : 808 . و ظ: المعجب ، لرؤوف جمال الدين : 218 .
(4) شرح الشافية ، للرضي : 263/3 .
(5) بيان جهد المقل : 18ظ ، نقلا من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 289 .
(6) جهد المقل : 125 .
(7) كتاب سيبويه : 406/2 .
(8) النظريات الصوتية في كتاب سيبويه : 174 .
(9) كتاب سيبويه : 418/2 .
(10) م.ن : 418/2 .
(11) م.ن : 427/2 .

وقد استفاد أبو حيان من حديث سيبويه السابق فرأى ان الظاء مجهورة مطبقة والتاء مهموسة منفتحة لذلك كانت الظاء عنده أقوى من التاء [1] ، وأدرك أيضا حقيقة الإطباق التمايزية من خلال ما ذكره في مصنفاته من امكانية زوال الإطباق من الأصوات المطبقة لتصير بذلك إلى صورة مقابلاتها من المنفتحة [2].

قلنا : ان سيبويه هو واضع المصطلحين ومؤسس فكرتهما ولم نقل الخليل بن احمد ، ذلك لأننا لا نملك من النصوص ما يدعم أن يكون الخليل قد وضع المصطلحين ووضع مفهوميهما سوى ما ذكره في كتاب العين من ان الطبق (كل غطاء لازم ... ومثله اطباق الحنكين)، ولا يمكننا أن ننطلق من هذا النص في أن نعد الخليل الرائد الاول في وضع المصطلحين لامور هي :

1. انه جاء بعبارته تلك عرضا في اثناء حديثه على معنى الإطباق اللغوي .
2. انه لا يوضح لنا كيف يكون مطبقا (غطاءً) .
3. انه لم يذكر الأصوات المطبقة .
4. انه لم يوضح مقابل (الإطباق) ، اي (انفتاح) .
5. انه لم يقصد بقوله (إطباق الحنكين) المعنى الاصطلاحي انما هو معنى لغوي ذكره تشبيها للغطاء ، والدليل على ان الخليل لم يعتنق (الإطباق) مصطلحا لما هو معروف من الأصوات انه كان يسمي الميم مطبق أيضاً " لانها تطبق الفم إذا نطق بها"[3] . أو " لأنها تنطبق إذا لفظ بها "[4] . وهذه إشارة إلى ان الانطباق هنا بمعنى التصاق عضوين من أعضاء النطق [5] ، لذلك رأى بعض الباحثين " ان الباء يمكن أن تكون مطبقة بناء على تعليله هذا "[6] وان استعمال الخليل للفظة (المطبقة) غير استعمال سيبويه لها لأن الاخير رام بها الأصوات الأربعة المعروفة لا الميم [7] .

إن عدم استعمال الخليل لفظة الإطباق والانفتاح بشكل اصطلاحي في ما بين ايدينا من النصوص لا يعني أن الخليل لم يتحدث على هذه الظاهرة أو لم يدركها فلربما أظهرت لنا المصادر – ولاسيما المخطوطة منها – في ما بعد هذه الحقيقة منسوبة للخليل ولا غرابة في ذلك فالخليل عالم العربية وعبقريها .

لقد وقف المحدثون أمام نصوص القدماء في الإطباق والانفتاح ما بين من ينعتها بالغموض والقصور [8] ، وبين من يراها واضحة الدلالة على حقيقة تلكما الصفتين [9] . والحقيقة هي ان قضية الوضوح والغموض في حدود القدماء لتلكما الصفتين قضية نسبية ، ففي نصوص القدماء ما يتجه نحو الغموض والصعوبة بل والقصور في أحيان أخرى ومنها ما هو واضح المفهوم كما لاحظنا ذلك في أثناء عرضنا لنصوص القدماء في تلكما الصفتين .

---

[1] ظ: البحر المحيط : 33/7 .
[2] ظ: م.ن : 335/1 و 337 و 273/6 .
[3] العين : 65/1 .
[4] تهذيب اللغة : 49/1 .
[5] ظ: الدراسات الصوتية في كتاب العين : 145 .
[6] موقف الازهري من كتاب العين : 307 .
[7] ظ: م.ن : 307 . والمصطلح الصوتي ، الصيغ : 135 .
[8] ظ: دروس في علم الأصوات العربية : 36 . والدراسات اللهجية والصوتية عند ابي جني : 138 .
[9] ظ: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا : 60 . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 287 - 288. والمصطلح الصوتي، د. عبد القادر : 118 .

2-الإطباق و الانفتاح عند المحدثين :

عبرت قضية الإطباق و الانفتاح ، بصورة واضحة ، عن تضارب المحدثين وتعددهم في دراساتهم الصوتية. فعلى الرغم من وصم بعض المحدثين آراء القدماء في تلكما الصفتين بالغموض و التقصير غير انهم أوقعوا أنفسهم في ذلك أيضاً من حيث :-

1- تعدد المصطلح و اضطرابه .
2- تعدد المفاهيم و اضطرابها .
3- اختلافهم في عدد الأصوات المطبقة و المنفتحة .

في حين لم نجد ذلك الاضطراب عند القدماء لا في المصطلح ولا في عدد الأصوات التي تشتمل عليها كل من الصفتين . أما من حيث مفهوم تلكما الصفتين عند القدماء فقد جاء واضحا ، غير أن بعضهم قد خانه التعبير عن إدراكه فجاءت عباراته غامضة أو قاصرة .

لقد وجدنا من المحدثين من يكتفي بنصوص القدماء وتعبيراتهم في تلك القضية ولم يكن لديهم سوى ان يقفوا أمام تلك النصوص موقف الإعجاب [1] أما الآخرون فمع محاولاتهم في إعطاء صورة متطورة واكثر دقة لتلكما الصفتين لم يأتوا بشيء جديد على ما ذكره القدماء[2].

ومن هؤلاء المحدثين سلمان حسن العاني الذي فضل ان يستعمل مصطلح (الحلقية) على مصطلح المطبقة وعلل ذلك بان الأصوات (ص ض ط ظ) لا يقتصر في إنتاجها على الطبق بل يعمل الحلق في إنتاجها أيضاً[3] .

ونحن لا نوافق الدكتور العاني في مذهبه هذا لما يأتي :

1- إن الأصوات الأربعة المعروفة سميت بالمطبقة لا لان الطبق يعمل في إنتاجها بل لان ذلك الطبق (الحنك) يتخذ شكل الغطاء على اللسان .
2- لعل مصدر فكرة الدكتور في إن للحلق دورا في إنتاج الأصوات المطبقة هو اتجاه أقصى اللسان مع الأصوات المطبقة إلى الحلق بحيث يضيق مجرى الهواء هناك لان اللسان ينسحب إلى الحلق ويوتره معه . وثمة فرق بين أن يعمل الحلق في إنتاج الأصوات فتنسب تلك الأصوات اليه وبين أن يضيق مجرى الهواء فيه لانسحاب اللسان في أثناء إنتاج الأصوات المطبقة اليه فتنسب تلك الأصوات إلى اللسان .
3- اننا علمنا ان مصطلح (الصفة) يصور هيأة الأصوات أو حالتها التي تكون فيها نطقيا أو سمعيا . ومصطلح (الحلقية) لا يعبر عن الهيأة التي تتخذها الأعضاء النطقية في أثناء إنتاج تلك الأصوات .

ولو انتقلنا إلى تعريف الدكتور كريم زكي للاطباق لوجدناه يقول : " يعني مصطلح الإطباق (Valaization): أثرا صوتيا أو حركة مصاحبة للصوت المنطوق ، حيث يتكون هذا الصوت بصفة أو بطابع خاص يميزه وهو الإطباق ويتحقق ذلك بالتصاق مؤخرة اللسان ووسطه بالحنك الأعلى التصاقا تاما أو شبه تام بحيث ينحصر الصوت بينهما " [1] و الأصوات المطبقة عنده هي (ص ض ط ظ) وهي مما تمتاز به اللغات السامية من غيرها من اللغات [2]، " ويقابلها الأصوات غير المطبقة (Non- Velarized) أو (Non – Emphatic) .... السين ، و الدال ، و التاء ، والذال . وتسمى أيضاً بالأصوات المنفتحة لان اللسان يبتعد عن الحنك أو الطبق فينفتح مجرى الهواء عند النطق "[3] .

ولنا في كلام الدكتور كريم ملاحظتان، إحداهما : انه جمع بين متناقضين ويتضح هذا من وصفه الإطباق بأنه (اثر صوتي) أي سمعي . ووصفه له كذلك بأنه (حركة مصاحبة للصوت المنطوق) ونحن نوافقه على وصفه الأخير للإطباق أما قوله فيه بأنه اثر صوتي أو سمعي فليس كذلك ، ولا يدل عمل الدكتور هذا إلا على غموض فكرة الإطباق عنده وإلا فكيف يمكننا أن نوجه جمعه بين أن يكون الإطباق أثرا سمعيا وبين ان يكون حركة نطقية مرافقة لانتاج الصوت ؟! .

اما الملاحظة الأخرى فتكمن في ذهابه إلى ان مؤخر اللسان يلتصق بالحنك الأعلى ، وليس الامر كما ذكر أيضاً لان مؤخر اللسان في الإطباق يرتفع إلى الحنك من غير ان يلتصق به .

---

[1] ظ : دراسات في فقه اللغة : 277 و 282 .
[2] وذهب إلى ما نراه من قبل الدكتور غانم قدوري آل حمد ، ظ : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 294. والدكتور عبد العزيز الصيغ ، ظ : المصطلح الصوتي :145 .
[3] ظ : التشكيل الصوتي : 71 .
[1] أصول تراثية : 137 .
[2] ظ:م.ن : 137 .
[3] م.ن : 137 .

وقد ذهب الدكتور خليل العطية إلى ان الأصوات المطبقة هي (ص ض ط ظ ر ل ق)[4]. وعرف الإطباق بانه " اتخاذ اللسان شكلا مقعرا عند النطق بهذه الأصوات " [5] .

ولا خلاف في مفهوم الإطباق عند الدكتور العطية الا اننا لا نوافقه في عده أصوات (ر ل ق) من ضمن الأصوات المطبقة التي يتقعر اللسان في أثناء إنتاجها . زيادة على ان الدكتور العطية لم يفرق بين الإطباق والتفخيم فراى ان اللسان معهن يتخذ شكلا واحدا وهو التقعر [6] . ولسنا مع الدكتور في هذا أيضاً لان التفخيم اثر سمعي من بين أسبابه الإطباق المرافق لبعض الأصوات ، أي ان التفخيم مصطلح أوسع من الإطباق فكل صوت مطبق هو صوت مفخم وليس كل صوت مفخم هو صوت مطبق .

ورأى الدكتور هادي نهر ان الأصوات المطبقة أربعة (ص ض ط ظ) يتم إنتاجها باستعلاء اللسان عند التلفظ بها نحو الحنك الأعلى " ويضاف إليها شبه مخرج ثان تشترك فيه هذه الأربعة وهو رفع اللسان نحو ما يليه من الحنك مع تقلص في الحلق أقصى الفم ..."[7]. وقد جعل الدكتور مصطلح (الترقيق) ضداً لمصطلح الإطباق [8] ، فكلام الدكتور هادي نهر مضطرب من حيث :

1- انه لم يحدد المنطقة التي يستعلي اللسان فيها نحو الحنك .
2- ان استعلاء اللسان لا يعمل على إنتاج الصوت المطبق بقدر ما هو عامل مساعد او ظاهرة تفرق بين الأصوات المطبقة ومقابلاتها من المنفتحة .
3- لقد جمع الأستاذ بين كون استعلاء اللسان نحو الحنك عملية ينتج فيها الصوت وبين كونها تمثل مخرجا ثانويا للصوت المطبق .
4- ان الإطباق – كما ذكرنا – ظاهرة نطقية والترقيق اثر سمعي لذلك فلا يصح ان نجعل الترقيق ضدا للإطباق .

أما الأستاذ بسام بركة فراى ان الإطباق مرادف لمصطلحي (التفخيم) و (الطبقية)[1] ، ورأى أيضاً ان أصوات الإطباق هي (ص ض ط ظ)[2] ويتم إنتاج تلك الأصوات بارتفاع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك (الجدار الخلفي للحلق) [3] .

وجمع الأستاذ بين كون الإطباق مرادفا (للطبقية) وبين كون تلك الظاهرة تحدث بارتفاع مؤخر اللسان نحو الجدار الخلفي للحلق (الحنك) يفهمنا انه قصد بالإطباق عمل الطبق (الحنك) في إنتاج تلك الأصوات لذلك نسبت إليه تلك الأصوات وانه لم يفرق بين التفخيم الأثر السمعي وبين الإطباق الظاهرة النطقية التي يكون فيها التفخيم في أعلى درجاته .

وقد سار الدكتور عبد القادر على عّد التفخيم مرادفا للإطباق وجعل الترقيق ضدا لهما [4] .

و أشار الدكتور رمزي البعليكي إلى ان أصوات الإطباق هي : (ص ض ط ظ ق) واكتفى في وصف تلك الأصوات بانها ذات جهد عضلي زائد يرافق نطقها [5] ونحن لا نوافقه في عده القاف ضمن الأصوات المطبقة .

اما ما عليه اغلب المحدثين – بغض النظر عن الاصطلاحات التي خلطوا فيها – فهو كون الإطباق من حركات مؤخرة اللسان الثانوية في أثناء حدوث النطق في موضع آخر [6] وعملية الإطباق تحدث عندهم بارتفاع أقصى اللسان نحو الحنك الأعلى من غير ان تمسه مع التصاق طرفه في موضع إنتاج الصوت اما باللثة او بين الأسنان [7] بحيث يكوّن اللسان شكلا مقعرا على هيأة الملعقة [8] او شكلا مقوسا [9] .وقد ذهب بعض هؤلاء الى

---

[4] ظ : في البحث الصوتي عند العرب :55 .
[5] م . ن :55 . و ظ : الفكر الصوتي عند ابن دريد : 184.
[6] ظ : في البحث الصوتي عند العرب :55 .
[7] الحروف و الأصوات العربية : 237 .
[8] ظ : م ن : 238.
[1] ظ : علم الأصوات العام : 115 .
[2] ظ : م ن : 115 ، 22 – 123 .
[3] ظ : م ن :115.
[4] ظ : الأصوات اللغوية : 152.
[5] ظ : فقه اللغة المقارن : 42 .
[6] ظ: مناهج البحث : 112 ودراسة الصوت اللغوي : 132 .
[7] علم اللغة ، د. محمود السعران : . ومدخل إلى علم اللغة ، د.محمود حجازي:46 . ودراسة السمع والكلام: 206 . والمدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب : 37 . ومشكلة الضاد ، د. رمضان عبد التواب : 216 .
[8] ظ : الوجيز في فقه اللغة : 167.
[9] ظ : علم اللغة المبرمج : 113 وعلم الأصوات، مالمبرج : 115 (دراسة المترجم).
[10] ظ : علم الاصوات عند سيبويه وعندنا : 61-62 .

ان للحنجرة وظيفة في انتاج تلك الاصوات وهو ما لم يستبعده المستشرق أ.شادة[10] ومع عدم امتلاكنا الوسائل الحديثة لمعرفة ما إذا كانت الحنجرة تلعب دورا في إنتاج تلك الأصوات الا اننا نرفض هذه الفكرة لان الإطباق يحدث في داخل الفم ولا دخل للحنجرة فيه بل اننا لا نعرف عملا للحنجرة غير إنتاج بعض الأصوات كالهمزة والهاء وانتاج صفتي الجهر والهمس .

3- موقفنا من قضية الإطباق والانفتاح :

يرى الباحث ان في عملية إنتاج الأصوات المطبقة تفصيلا وبعض ملاحظات لم يصرح بها واحد من الدارسين على ما نظن .

لقد علمنا ان القدماء قسموا اللسان إلى أربعة أجزاء هي :

أقصاه ، ووسطه ، وحافته ، وطرفه . كما يوضحه الشكل البيضي الآتي:

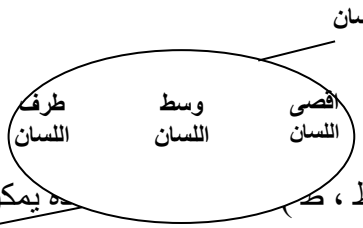

وعلمنا أيضاً ان أصوات (ص ، ض ، ط ، ظ) [illegible] يمكن ان ترتب على وصف القدماء بحسب الأعمق فالأعمق كما ياتي :

ض : من اول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الأيسر عند الأكثر ومن الأيمن عند الأقل .

ط : مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا إلى جهة الحنك .

ص : مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى .

ظ : ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا علياها وسفلاها .

فعملية إنتاج صوت الضاد تكون بالتصاق حافتي اللسان بالاضراس وتكون احدى الحافتين ذات التصاق محكم والأخرى ذات التصاق هين بحيث يسمح للهواء ان يخرج محتكا .

في أثناء ذلك يرتفع أقصى اللسان نحو اللهاة من غير ان يلتصق بها وينحدر وسطه إلى اسفل ، اما طرف اللسان فيلتصق باصول الثنايا (اللثة) التصاقا محكما والدليل على التصاق طرف اللسان باللثة ان علماء العربية صرحوا بان الضاد تخالط الثنية في إنتاجها قال سيبويه موضحا سبب إدغام الطاء والثاء في الضاد : " وقد تدغم الطاء والتاء والدال في الضاد لأنها اتصلت بمخرج اللام وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه من الأسنان ولم تقع من الثنية موضع الطاء لانحرافها... وتدغم الطاء والدال والتاء في الشين لاستطالتها حيث اتصلت بمخرجها ... والإدغام في الضاد أقوى لانها خالطت باستطالتها الثنية وهي مع ذا مطبقة ولم تجاف عن الموضع الذي قربت فيه من الطاء

تجافيها " [1] وقال أيضاً : " والضاد في ذلك بمنزلة (الطاء) *[*] لما ذكرت لك من استطالتها كالشين وذلك قولك : مضطجع وان شئت قلت : مضجع وقد قال بعضهم : مطّجع .... " [2]

نخلص من ذلك إلى ان عمل اللسان في إنتاج صوت الضاد القديم على ما ياتي :

1- التصاق احدى حافتي اللسان بالأضراس التصاقا محكما والأخرى التصاقا هينا، وعند الأخيرة محل ولادته .
2- التصاق طرف السان بأصول الثنايا .
3- ارتفاع أقصى السان إلى اللهاة من غير التصاق .
4- هبوط وسط اللسان .

اما صوت الطاء فيكون إنتاجه بالطريقة الآتية :

1- التصاق طرف اللسان باللثة (أصول الثنايا) وهي نقطة ولادته .

---

(1) كتاب سيبويه : 420/2 والهاء في تجافيها ، في آخر النص ، عائدة على الشين .
* في المتن (الصاد) وهو تحريف . وما أثبتناه هو الصحيح لتلاؤمه مع السياق
(2) كتاب سيبوية : 422/2 .

2- التصاق حافتي اللسان بالأضراس التصاقا محكما .
3-ارتفاع أقصى السان إلى اللهاة من غير التصاق .
4- هبوط وسط اللسان .

ويولد صوت الصاد بالتقاء وسط طرف اللسان بأطراف الثنايا السفلى التقاء هينا مع وسط اللسان وارتفاع أقصاه اما حافتا اللسان فتلتصقان بالأضراس التصاقا محكما.

ويكون إنتاج صوت الظاء كما ياتي :

1- وقوع اخر طرف اللسان بين الثنايا بحيث تلتصق بأطراف الثنايا علياها و سفلاها التصاقا هينا يسمح للهواء ان يخرج محتكا وهنا تكون ولادته .
2- ارتفاع اول طرفه – حيث ولادة صوت الطاء – نحو أصول الثنايا من غير التصاق .
3- احتكاك حافتي اللسان بالأضراس (التصاق غير محكم) .
4- ارتفاع أقصى اللسان إلى اللهاة من غير التصاق .
5- هبوط وسط اللسان .

نستنتج من ذلك كله ما ياتي :

1- ان أقصى اللسان في إنتاج الأصوات المطبقة مرتفع أبدا إلى جهة اللهاة من غير التصاق .
2- ان وسط اللسان منخفض أبدا في إنتاج تلك الأصوات .
3- ان حافتي اللسان تلتصقان بالأضراس في إنتاج تلك الأصوات الا ان ذلك الالتصاق يكون نسبيا ، فمع صوتي الطاء و الصاد يكون محكما ومع صوت الظاء يكون هينا ، وتلتصق إحدى الحافتين بإحكام و الأخرى التصاقا هينا مع صوت الضاد .
4- ان طرف اللسان يعمل دائما في انتاج تلك الأصوات لكنه مع صوتي (ض ط) يلتصق التصاقا محكما بأصول الثنايا والتصاقا هينا مع صوت الصاد ، ويلتقي بالارتفاع نحو اللثة من غير التصاق مع صوت و الظاء .
5- ان المنطقتين المرتفعتين من اللسان لا تمثلان منطقة لولادة صوتي (ض ظ) في حين تمثل واحدة من تلكما المنطقتين المرتفعتين من اللسان وهي طرفه محلا لولادة صوتي الطاء والصاد فقط .

وعليه فان مذهب بعض الباحثين. في ان الارتفاع الحاصل في اللسان يكون بنقطتين تمثل إحداهما المخرج الرئيس للصوت و الأخرى المحرج الثانوي له [1]، هو مذهب غير صائب لانه يصدق على الإطباق الحاصل مع صوت الطاء والصاد فقط اما صوتا (الضاد و الظاء) فلهما مخرجان ثانويان في طرف اللسان وفي أقصاه مع الضاء ، وفي آخر أصول طرف اللسان وأقصاه مع صوت الظاء ، اما مخرجاهما الرئيسيان فيكون كل واحد منهما في غير هذين الموضعين كما بينا .

هذه هي تحركات اللسان في أثناء إنتاج الأصوات المطبقة*. والملاحظ على تلك الحركات انها تكون شكل الوعاء (الإناء) و الحنك فوقها شكل الغطاء كما توضحه الأشكال التقريبية الآتية :

---

[1] وعلى هذا المذهب المستشرق ابو كرومي ، وتابعه على ذلك الدكتور محمد فتيح ، ظ : في الفكر اللغوي : 145-146 وسار على هذا المذهب أيضاً الدكتور هادي نهر ، ظ : الحروف و الأصوات العربية : 137 .

* اعتمد الباحث على تجربته الذاتيه في قياس وضبط تحركات اللسان في اثناء انتاج الاصوات المطبقة .

رابعاً : الاستعلاء و الاستفـال (الانخفـاض)

1-الاستعلاء والاستفال عند القدماء :

أ-المصطلح :

أطلق ابو حيان مصطلح الاستعلاء على أصوات سبعة هي الأربعة المطبقة وأصوات (ق خ غ)[1]. اما سائر الأصوات فاطلق عليها ، في بعض مصنفاته ، مصطلح الاستفال [2]. وفي أخرى مصطلح الانخفاض [3] وقد ضمن مصطلحي الاستعلاء و الانخفاض في شطر من مقطوعة التي جمع فيها الصفات الصوتية اذ قال[4] :

... وإذا ما انخفضت اظهر علوه .

ب- المدلول اللغوي :

ان لفظة الاستعلاء وما يقابلها واضحة الدلالة اللغوية ، فالاستعلاء بمعنى العلو و الارتفاع [5] ، وعكسه الانخفاض او الاستفال [6] ، قال المرعشي :" ومنها الاستعلاء و الاستفالة وهما ضدان ومعنياهما اللغويين ظاهران" [7] ، وراى المرادي ان مصطلحي الاستفال و الانخفاض يدلان على معنى واحد ، اذ قال: " ... و الاستفال كالانخفاض" [8]. وقد أشار ابو حيان إلى مثل ذلك في الارتشاف قائلا :" و المستعلية ... وما عداها منخفضة وبعضهم يقول مستفلة " [9]، ومن يدري فلعل ابا حيان ذكر ما ذكر المرادي بعده في كتابه التذييل فاخذه المرادي منه ولم يشر إلى كلام ابي حيان كعادته .

ومع وضوح معاني المصطلحين لغويا فاننا وجدنا من العلماء من يشير إلى ذلك ، قال ابن غانم المقدسي في الاستعلاء :" وهو لغة العلو ..." [10] وقال في الاستفال" وهو لغة : الانخفاض" [11].

وذكر ابن الحاجب ان إطلاق مصطلح المستعلي على الصوت استعمال مجازي لان المستعلي حقيقة هو اللسان لا الصوت اللغوي [12] وقد شاعت هذه الملاحظة عند كثير من العلماء بعده [13] .

ج- نمو المصطلح وتكامله عند القدماء :

لم تذكر المصادر التي بين أيدينا ان من سبق سيبويه من النحويين قد استعمل مصطلح (الاستعلاء)، سوى ما ذكر عن الخليل بن احمد برواية غير المظفر في تهذيب الأزهري ، وبرواية المظفر في تذكرة النحاة لابي حيان الأندلسي ، من انه أطلق على أصوات (ق ض ص ط ظ) مصطلح الشواخص وما سواها مختفضة او منخفضة ، جاء في التهذيب عن الخليل :" وقال : اما المصمتة (وهي الصتم)* فانها تسعة عشر حرفا صحيحا . منها خمسة احرف مخارجها من الحلق .. ومنها اربعة عشر حرفا مخارجها من الفم مدرجها على ظهر اللسان من اصله إلى طرفه ، منها خمس شواخص ، وهن : ط ض ص ظ ق (وتسمى المستعلية)* ومنها تسعة (مختفضة)**، وهن : ك ج ش ز س د ت ذ ث " [1] .

لقد وقف المحدثون أمام هذا النص مواقف متعددة ، فبينما يشير الدكتور غانم الحمد إلى ان (الاستعلاء و الاستفال) من وضع سيبويه [2] نراه يذكر في الهامش نص الازهري من غير ان يعلق عليه [3] . في حين لم

---

[1] ظ : التقريب : 197 . و المبدع : 88 . و النكت الحسان : 279 . والارتشاف : 10/1 .
[2] ظ: النكت الحسان : 279 .
[3] ظ : التقريب : 197 . و المبدع : 89 .
[4] نفح الطيب : 308/3 .
[5] ظ : اللسان : 83/15 (ع ل و) .
[6] ظ : م . ن : (خ ف ض) ، و11 / 337 (س ف ل) .
[7] جهد المقل : 124 .
[8] شرح التسهيل 249 ظ .
[9] الارتشاف :10/1 .
[10] بغية المرتاد :122 . [11] م.ن : 122 .
[12] ظ : الايضاح في شرح المفصل : 488/2 .
[13] ظ : شرح الشافية ، للجابردي ، ضمن مجموعة الشافية : 342/1 و 2/ 242 . وحاشية ابن جماعة ، في المجموعة نفسها: 342/1 و 242/2 . وبغية المرتاد : 122.

*ما بين القوسين زيادة في نص التهذيب وهو غير موجود في تذكرة النحاة لأبي حيان الأندلسي .
** كذا في التهذيب وفي تذكرة النحاة (منخفضة) .
[1] تهذيب اللغة :51/1 . و ظ : تذكرة النحاة : 25-26 .
[2] ظ : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد 289-290 .

يتردد الدكتور عبد العزيز الصيغ من ان ينسب مصطلح (الاستعلاء) ونظيره (الاستفال) إلى الخليل [4] اما الأستاذ قاسم السعيدي فراى ان الخليل قصد بـ (الشواخص) و المنخفضة الإشارة إلى الأصوات المطبقة او المستعلية و المنفتحة عند سيبويه [5]. فالأستاذ لا يفرق بين الأصوات المطبقة و المستعلية اذ جعلهما مقابلين للأصوات المنخفضة عند سيبويه وهو وهم كما سيأتي ، وقد ذكر الأستاذ قاسم أيضاً ان" الذي أورده الأزهري هنا عن غير ابن المظفر منسوبا إلى الخليل وجدناه في كتاب الجمهرة لابن دريد حيث تقسيم الأصوات فيه إلى مذلقة ومصمتة على ما ذكره الأزهري وقد ورد فيه أيضاً مصطلح الشاخص والمنخفض وان كان هناك اضطراب في تحديده الأصوات الشاخصة والمنخفضة كما أورده الأزهري في تهذيبه ... "[6] ثم نقل نص ابن دريد في الأصوات المذلقة وتقسيمه لها وعلق على ذلك بقوله : " وهو عين ما أورده الأزهري . وقد ذكر ابن دريد القول في سبب تسيمة الأصوات مذلقة ومصمته برواية عن الاشناندانى عن الأخفش ولم يوصله إلى الخليل .

ويبدو ان الأزهري نقل ما نسبه إلى الخليل عن غير ابن المظفر من مادة صوتية عن كتاب الجمهرة لابن دريد وان كانت النتيجة التي اعتمدها في تهذيبه اكثر استقرارا في ذكر المادة الصوتية مما عليه كتاب الجمهرة المطبوع .

ولا ادري ما السبب الذي حمل الأزهري على عدم ذكر الكتاب او المؤلف الذي نقل عنه تلك المادة الصوتية، واكتفى بصيغة مبهمة فضلا عن انه نسب إلى الخليل ما لم ينسبه ابن دريد في جمهرته إليه وكأنه وجد تشابها في بعض المصطلحات ، الأمر الذي دعاه إلى ان يعزوها إلى الخليل ، تأييدا لموقفه الرامي إلى ان مقدمة العين او بالأحرى ما ذكر في العين من مادة صوتية انما هو مما أخذه الليث عن الخليل " [1]

وبانعام النظر في النص الذي ذكره الأزهري والنص الذي ذكره ابن دريد ننتهي إلى ان الأستاذ قاسم السعيدي قد وهم في رؤيته تلك .

لقد ذكر الأزهري ان الأصوات عند الخليل ثمانية وعشرون وهي "على نحوين معتل وصحيح . فالمعتل منها ثلاثة أحرف الهمزة والياء والواو . قال وصورهن على ما ترى : أوي . قال واعتلالها تغيرها ما حال إلى حال ودخول بعضها على بعض واستخلاف بعضها من بعض ..." [2] قصد بالمعتلة الهمزة وصوتي الواو والياء غير المديين وبعد ان اخرج الخليل العلل من الأصوات الصحيحة قال : والحروف الصحاح "على نحوين منها مذلق ومنها مصمت فاما المذلقة فانها ستة أحرف في حيزين ..." [3] اما المصمته فهي تسعة عشر حرفا صحيحا منها خمسة أحرف مخارجها من الحلق وهي : ع ح هـ خ غ ، ومنها أربعة عشر حرفا مخارجها على ظهر اللسان من اصله إلى طرفه ، منها خمس شواخص وهن ... ومنها تسعة منخفضة وهن ..... " [4] .

والجدول الآتي يوضح لنا مراد الخليل من تصنيفه للأصوات :

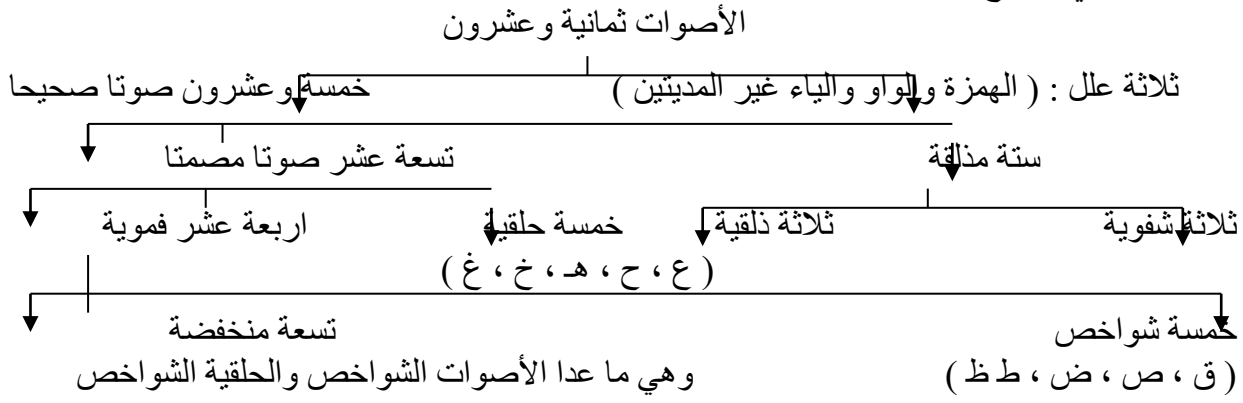

أما أصوات المد واللين فلم يعدها الخليل من ضمن الأصوات الثمانية والعشرين .

---

[3] ظ : م . ن : 289-290 هامش (12) .

[4] ظ : المصطلح الصوتي : 139و 143 . ونسب د. احمد مختار مصطلح (الاستعلاء) إلى الخليل ولم يحل على مصدر ما. وقد ذكر أيضاً ان هذا المصطلح مرادف لمصطلح الإطباق !!! ، ظ : البحث اللغوي عند العرب : 90 .

[5] ظ : موقف الأزهري من كتاب العين : 213 . [6] م.ن : 213 .

[1] موقف الأزهري من كتاب العين : 213 – 214 .

[2] تهذيب اللغة : 50/1 .

[3] م ، ن : 51/1 .

[4] م ، ن : 51/1 . و ظ : تذكرة النحاة : 25 - 26 .

اما ابن دريد فصنف الأصوات إلى مصمتة ومذلقة ، فالمصمتة اثنان وعشرون حرفا ثلاثة منها معتلات وتسعة عشر حرفا صحاح ، ومن الصحاح حروف الحلق وهي : (ء هـ ح ع خ غ) وحروف أقصى الفم وهي: (ق ك ج ش) . وحروف وسط اللسان مما هو (منخفض) وهي : (س ز ص) . ثم حروف ادنى الفم وهي (ط د ت) وادنى منها (ظ ث ذ ض) والأصوات الأربعة الأخيرة عنده (شاخصة) إلى الغار الأعلى . اما المذلقة فهي ستة ، ثلاثة شفوية وثلاثة ذلقية [1] وبعد هذا كله يذكر ابن دريد نص الأخفش برواية الاشناندانى قائلا :" وسمعت الاشناندانى يقول سمعت الأخفش يقول سميت الحروف (مذلقة) لان عملها في طرف اللسان ، وطرف كل شيء ذلقه ، وهي أخف الحروف واحسنها امتزاجا بغيرها، وسميت الاخر (مصمتة) لانها اصمتت ان تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لا عتياصها على اللسان ..."[2].

ولسنا في سبيل الحديث على الأصوات المذلقة والمصمتة انما قصدنا من عرض ما راه الخليل وما راه ابن دريد ان نوضح الفرق بين النصين ، ويظهر هذا بما ياتي :

1- ان اول عمل قام به الخليل في تصنيفه الاصوات السابق هو إخراج العلل من الصحاح ، قصد بالعلل (الهمزة والواو والياء غير المديتين). اما العمل الاول الذي قام به ابن دريد فهو تصنيفه الأصوات إلى مذلقة ومصمتة أي انه لم يخرج العلل من تصنيفه .

2- ان العلل عند الخليل الأصوات الثلاثة المذكورة سابقا ، اما العلل عند ابن دريد فهي أصوات المد واللين.

3- ان الهمزة من ضمن العلل عند الخليل ، في حين هي من ضمن الحلقية عند ابن دريد .

4- ان المصمتة عند الخليل على نوعين : حلقية وفموية ، في حين هي عند ابن دريد معتلة وصحية ، اما الصحيحة فهي عنده على أربعة أقسام (حلقية ،و أقصى الفم ، ووسط اللسان ، و أدناه) .

5- جعل الخليل أصوات الفم على نوعين شاخصة ومنخفضة ، بينما لم يعمل ابن دريد في هذا التصنيف .

6- ان نص الأخفش برواية الاشناندانى في جمهرة اللغة لا يتطرق إلى مفهوم الشواخص من الأصوات والمنخفض منها كما عمل الخليل فالأخفش يعلل سبب تسمية الأصوات المذلقة بالمذلقة وسبب تسمية المصمتة بالمصمتة فقط على خلاف ما ذكره الأستاذ قاسم من ان الأخفش ذكر مصطلحي الشاخص والمنخفض .

نعم ، لقد ذكر ابن دريد لفظتي (الشاخص) و (المنخفض) الا انه لم يقصد بهما ما قصده الخليل ولم ينسبهما إلى الأخفش كما ظن الأستاذ قاسم السعيدي. وعلى الرغم من تقدم الخليل على ابن دريد الا ان استعمال الخليل لمصطلح الشاخص والمنخفض اكثر استقرارا من استعمال ابن دريد لهما ذلك لان ابن دريد لهما يصف أصوات (ظ ث ذ ض) بانها ادنى من أصوات (ت ط د) "ومما هو شاخص إلى الغار الأعلى"[3] ووجدناه يصف أصوات (س ز ص) ايضا بانها من حروف وسط اللسان "مما هو منخفض "[4] ووجدناه يستعمل لفظة الشاخص بشكل ادق من استعماله السابق وذلك في أثناء حديثه على سبب قلب السين صادا في (سبقت) اذ قال : "لان السين من وسط الفم مطمئنة على ظهر اللسان والقاف والطاء شاخصتان إلى الغار الأعلى فاستثقلوا ان يقع اللسان عليها ثم يرتفع إلى الطاء والقاف فابدلوا السين صادا لانها اقرب الحروف اليها ووجدوا الصاد اشد ارتفاعا واقرب إلى القاف والطاء وكان استعمالهم اللسان في الصاد مع القاف ايسر من استعمالهم اياه مع السين ..... " [1]

في حين وجدنا الخليل يطلق مصطلح (الشواخص) على اصوات (ق ص ض ط ظ) ومصطلح المنخفض على سائر الأصوات الصحيحة المصمتة غير الحلقية .

وقبل ان نأتى إلى مفهوم (الشاخص) و (المنخفض) عند الخليل نود ان نشير إلى ان سبب الحيرة التي وقع فيها المحدثون أمام آراء الخليل في ما نقل عنه وفي ما ورد في كتاب العين ناشئة من عدم فهمهم لمنهج الخليل في دراسته المعجمية ، والذي يراه الباحث ان النص الذي ذكره الازهري في تهذيبه هو نص الخليل اما عبارة (وتسمى المستعلية) فللازهري لا الخليل لأمور هي :

---

[1] ظ : جمهرة اللغة : 1/6-7

[2] م . ن : 1/7.

[3] م . ن : 1/7

[4] م . ن : 1 / 7

[1] جمهرة اللغة : 1/12.

1- ان الازهري يحشر– في بعض الأحيان –عبارات تفسيرية في النصوص المروية عن الخليل بل انه أساء فهم مراد الخليل في عباراته تلك وهو ما نجده ماثلا أيضاً في عبارته (وهي الصتم) تفسيرا لقول الخليل (المصمتة) [2] .

2- ان عبارة (وتسمى المستعلية) لم ترد في نص تذكرة النحاة برواية المظفر عن الخليل وهذا الحال ينطبق على عبارة (وهي الصتم) أيضاً .

3- ان الخليل لم يذكر مصطلح الاستعلاء في كتاب العين بتاتا .

4- ان مراد الخليل من (الشواخص) و (المنخفضة) غير المفهوم المراد من (المستعلية) ونظيرتها . على الرغم من وجود بعض الترابط بين مصطلحي الاستعلاء والشاخص .

لقد عرف الخليل مصطلح (الشواخص) بقوله : " شخص الجرح : ورم ، وشخص بصره إلى السماء: ارتفع . وشخصت الكلمة في الفم : إذا لم يقدر على خفض صوته بها "[3] وعلى هذا فان مصطلح الأصوات الشواخص يدل على أمرين ، أحدهما : ان تلك الأصوات مرتفعة ، والآخر : انها لا يستطاع ان يخفض الصوت بها .

اما المنخفض فعرفه الخليل بقوله : " الخفض نقيض الرفع .." [4] ، وجاء في معنى الخفوت عنده :

" صوت خفيت ، وخفت خفوتا ، أي خفض خفوضا "[1] وهذا يدل على أمرين، أحدهما : ان الانخفاض معكوس الارتفاع والآخر : ان الانخفاض بمعنى الصوت الخافت الذي لا يستطاع رفعه .

والذي نرجحه – ولعله الصواب – هو ان الخليل قصد بالأصوات الشواخص والمنخفضة الناحية السمعية منهما ، فالاولى الأصوات ذات الصوت العالي والأخرى الأصوات ذات الصوت المنخفض الخافت، والدليل على ذلك هو ان الخليل لو كان قصده من هذين المصطلحين الناحية النطقية للأصوات أي ارتفاع اللسان مع الشواخص وانخفاضه مع المنخفضة لصرح بذلك ، أي لذكر كيفية ارتفاع اللسان مع الشواخص والى اين يرتفع وكيفية انخفاضه مع المنخفضة الا انه جاء بالمصطلحين من غير إشارة إلى ذلك . زيادة على اننا لو اسقطنا مراد الخليل من الأصوات الشواخص والأصوات المنخفضة على منهجه في ترتيب الأصوات في كتاب العين لوجدناه متفقا تمام الاتفاق .

لقد كان الهدف الأخير في ترتيب الأصوات عند الخليل في كتاب العين ان يذكر أصوات كل حيز في داخل المجامع الثلاث بحسب الأنصع فالأنصع بعد ان يقدم الأصوات الأعمق مخرجا على أدناها في الحيز نفسه ولو نظرنا إلى أصوات الشواخص عنده لوجدناها على ما ياتي :

أ. انها أصوات صحيحة مصمتة فموية . قصد بالفموية الأصوات (الصتم) أي الأصوات غير الحلقية وغير المذلقة .

ب- ان الأصوات الصتم كما ذكر الخليل في مقدمة العين ، على خمسة احياز هي :

1-لهوية : ق ك . 2-شجرية : ج ش ، ض .

3-اسلية : ص س ز . 4-لطعية : ط د ت .

5-ثنوية : ظ ذ ث .

ولو استثنينا الأصوات الشجرية من الاحياز الخمسة السابقة لوجدنا ان الأصوات الاول في الاحياز الأربعة المتبقية هي : (ق ص ط ظ) وهي أصوات شاخصة ، ذات صوت مرتفع لا يمكن ان يخفض (يخفت) ، اما مقابلاتها فهي (ك ، س ز ، د ت ، ذ ث) وهي الأصوات المنخفضة مع صوتي (ج ش) التي ذكرها الازهري وابو حيان بروايتين مختلفتين عن الخليل .

اما سبب تأخيره لصوت الضاد في حيز الشجر فلامرين ، احدهما : انه من مخرج متاخر على مخرج صوتي (ج ش) ولذلك السبب قدم الخليل هذين الصوتين على صوت الضاد في الحيز نفسه . مقدما صوت الجيم لانه انصع من الشين .

---

[2] ظ : تهذيب اللغة : 51/1 .

[3] العين : 165/4 (ش خ ص) .

[4] م . ن : 178/4 (خ ف ض) .

[1] العين : 239/4 (خ ف ت) .

و السبب الآخر هو : ان الخليل رام ان يجمع الأصوات على احياز، تلك الاحياز تتكون من أصوات ذات مخرج واحد او مخرجين بحيث لا يمكن جمع أصوات كل حيز في مفردة ، وبذلك يستحيل على الخليل ان يجعل صوت الضاد في قسم لوحده لذلك جعله مع صوتي الجيم و الشين مشعرا بتاخيره انه من مخرج متاخر على صوتي الجيم و الشين وان كان انصع منهما (شاخصا) .

نفهم من هذا ان استعمال الخليل لمصطلحي (الشاخص) و (المنخفض) كان استعمالا يتوافق ومنهجه في كتاب العين ولم يكن قصده من المصطلحين ان يعرف بالأصوات المستعلية ومقابلاتها كما ظن الازهري و بعض المحدثين . لذلك فان الدارس لا يستطيع ان يستعين بما ورد في كتاب العين وتهذيب اللغة وتذكرة النحاة ليدلل على ادراك الخليل للأصوات المستعلية ومقابلاتها . و الباحث لا يستبعد ان يكون الخليل مدركا لحقيقة صفتي الاستعلاء و الانخفاض الا ان الذي يعوزه هو النص الصريح منه في ذلك ، ومن يدري فلعل قادم الايام يكشف لنا ذلك .

اما سيبويه فلم يستقر على مصطلح ثابت ليطلقه على تلك الأصوات فهو يستعمل مع (الاستعلاء)[1] لفظة (التصعد)[2].ويطلق لفظة (التسفل) [3] مرة على الأصوات المضادة للمستعلية ويطلق في احيان اخرى لفظة (الانحدار)[4] مرادفا للتسفل.

وعلى مصطلح الاستعلاء سار المبرد وابن السراج [5] . وقد استقر هذان على لفظة (الانحدار)[6] مصطلحا لما تشمله تلك الصفة من أصوات .وهذا يجعلنا نرجح ان يكون مصطلح الاستعلاء ومقابله قد مر بأربعة اطوار هي :

الطور الاول : عدم الاستقرار ، وهو ما نلاحظه في استعمالات سيبويه السابقة .

الطور الثاني : استقرار مصطلح الاستعلاء فقط عند المبرد وابن السراج .

الطور الثالث : ويظهر عند ابن جني ، اذ ذكر مصطلحي (الاستعلاء) و (الانخفاض) بشكل واضح مما يدل على استقرار المصطلحين عنده [7]

الطور الرابع : ظهور مصطلح (الاستفال) مقابلا لمصطلح (الاستعلاء).

ولعل مكي بن ابي طالب وابا عمرو الداني هما اول من استعمل هذا المصطلح بصورة اصطلاحية مستقرة[8]. وان صح ما ذكرنا فهو يدل على ان مصطلح (الاستفال) من وضع علماء التجويد وهو ما لم يقل به احد على اغلب الظن . اما من جاء بعد هؤلاء

فقد استقروا على مصطلح الاستعلاء ، وراحوا في مقابلة بين استعمال مصطلح الانخفاض [9] .

او الاستفال [1] ، او الجمع بينهما [2] ، وهو ما استقر عليه صاحبنا ابو حيان في ارتشاف الضرب .

د-مواضع دراسة صفتي (الاستعلاء) و (الاستفال) في مصنفات القدماء :

---

[1] ظ : كتاب سيبويه : 2/ 264 و 265 و 268 .
[2] م . ن : 2/ 427 و 428 .
[3] م , ن : 2/ 265 .
[4] م . ن : 2/ 265 و 428 .
[5] ظ المقتضب : 1/ 225 . والأصول : 164/3 و 167 و 168 . والموجز : 141 و 142 و 143 .
[6] ظ : المقتضب : 1/ 225 و الأصول : 164/3 . و الموجز : 141و 143 .
[7] ظ : سر صناعة الإعراب : 1/ 62 .
[8] ظ : الرعاية : 99 . و التحديد : 108 – 109.
[9] ظ : الموضح في التجويد : 91 . ومفتاح العلوم : 111 . شرح المفصل ، لابن يعيش : 10 / 129 .

[1] ظ : الممتع : 675/2 . وبغية المرتاد : 122.
[2] ظ : شرح الشافية للجاربردي ، ضمن مجموعة الشافية : 342/1. وحاشية ابن جماعة ، المجموع نفسه : 242/2

توضح المواضع التي درس فيها ابو حيان وعلماء العربية صفتي الاستعلاء و الاستفال الغايات التي جيء لاجلها بتلكما الصفتين. وتنحصر تلك المواضع في ما ياتي :

1- ذكر صفة الاستعلاء ضمن دراسة الامالة لا مع الصفات التي ذكرت في مقدمة دراسة الادغام . وهو ما سار عليه سيبويه و المبرد ، وابن السراج وان لم يصرح بحد الاستعلاء [1] . وعمل هؤلاء العلماء دقيق ، لان أصوات (خ غ ق) لا تدغم في غيرها ولا يدغم غيرها فيها اللهم الا في بعض الحالات الشاذة ، وعليه فلم يبق من الأصوات المستعلية سوى أصوات الإطباق (ص ض ط ظ)، لذلك فالاكتفاء بذكر صفة الإطباق في مقدمة دراسة الادغام مغن عن ذكر صفة الاستعلاء و أصواتها في ذلك الموضع .

2-ذكر صفة الاستعلاء ومقابلتها في مقدمة دراسة الإدغام وهو ما شاع عند اغلب النحويين المتاخريين كابن عصفور. وابن مالك [2].

ولا سبيل لنا أمام صنع هؤلاء الا ان نحمله على انهم أدركوا ان من الاستعلاء الإطباق ، وعلى هذا يتحتم على الدارس ان يوضح العام (الاستعلاء) فالخاص (الإطباق) ليصبح المفهوم بصورة أجلى من ذكر الإطباق وحده .

فان لم يقصد أصحاب هذا المنهج ما سوغناه لعملهم فانهم -ولا شك –قد اخطأوا في ذكرهم تلكما الصفتين ضمن دراسة الإدغام .

3- ذكر صفتي (الاستعلاء) و (الاستفال) ضمن دراسة فصاحة الكلام او صيانة النطق من اللحن في قراءة القران . فعلى المنهج الاول سار بعض دارسي الفصاحة [3] ، وبالمنهج الاخر اختص بعض علماء التجويد وعلماء القراءات كالشاطبي الذي ذكر في اخر قصيدته دراسة مخارج الأصوات وصفاتها بحيث جعل تلك الدراسة من متممات علم القراءة [4] ، وهو ما سار عليه شراح الشاطبية اجمع [5] . وهو عمل دقيق .

4- ذكر صفة الاستعلاء و الاستفال ضمن الدراسة الصوتية التي وضعت مقدمة للدراسة اللغوية او الصرفية

ويمكن ان نعد ابن جني الرائد في هذا الميدان ، فقد ذكرنا في ما سبق انه رام من دراسته الصوتية في اول كتابه (سر صناعة الاعراب) ان تكون مقدمة لدراسة صرفية ونحوية ودلالية جامعة وان لم يصرح ابن جني بذلك .

ويتضح هذا الصنيع بصورة أدق عند السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) فقد ذكر الصفتين معا في مقدمته لدراسة الصرف [6]. ان هذا المنهج في دراسة صفتي (الاستعلاء) و (الاستفال) دقيق أيضاً وقد التفت اليه ابو حيان الأندلسي فافرد في كتابيه (غاية الإحسان) و (النكت الحسان) قسما خاصا بالحروف قدمه بدراسة مخارج الأصوات وصفاتها وجعل من ضمن الصفات صفتي الاستعلاء و الاستفال .وذكر هاتين الصفتين في كتابه التذييل و التكميل في باب كان من ضمنه دراسة الإدغام ملتزما بمنهج صاحب المتن ابن مالك الأندلسي الا ان ابا حيان أشار في تلك الدراسة إلى ان من الأغراض التي تدرس لاجلها مخارج الأصوات وصفاتها – وهي الأولى عنده – ان يجيد غير العربي نطق الأصوات كما ينطقها العربي نفسه وهذا يغفر له ذكر تلكما الصفتين في ذلك الموضع وقد وضع في كتاب الارتشاف تلكما الصفتين مع دراسته الصوتية التي جاء بها مقدمة لدراسة التصريف وهو ما يشبه عمل السكاكي في (مفتاح العلوم) .

اما صنيع ابا حيان في كتابيه (التقريب) و (المبدع) ، اللذين درس فيهما صفتي (الاستعلاء) و (الاستفال) في مقدمته الصوتية لدراسة الإدغام ، فلا يمكن ان نؤاخذه عليه ، لانه أشار في مقدمة الكتابين إلى انه سيعمل على تلخيص مقرب ابن عصفور في الأول و الممتع في الثاني من غير تعليق أو رد على آراء المصنف .

نخلص من ذلك إلى ان المواضع التي درس فيها القدماء صفتي الاستعلاء والاستفال واضحة دقيقة ، سوى عمل بعض المتأخرين من النحاة وعلماء التجويد الذين درسوا تلكما الصفتين في مقدمة دراسة الإدغام.

هـ ـ المدلول الاصطلاحي لصفتي الاستعلاء والاستفال عند القدماء :

---

[1] ظ: كتاب سيبويه : 264/2 . والمقتضب : 252/1 . والأصول : 164/3 .
[2] ظ: المتنع : 675/2 . والمقرب : 359 . والتسهيل : 320 .
[3] ظ: سر الفصاحة : 21 .
[4] ظ: حرز الأماني : 180 .
[5] ظ: كنز المعاني : 1188 .
[6] ظ: مفتاح العلوم : 111 .

عرف ابو حيان صفتي (الاستعلاء) و (الاستفال) بقوله : " المستعلي يجمعها (ضغط خص* قظ) ، وصفت بذلك لان اللسان يعلو بها إلى الحنك عند النطق بها وينطبق الصوت مستعليا بالريح . ولذلك يمنع من الامالة وهي على ضربين ، ضرب يعلو اللسان به وينطبق وهي حروف الإطباق الاربعة ، وضرب يعلو و (لا)** ينطبق وهي (الغين)*** والخاء والقاف . والمستفل ما عدا المستعلي "[1] ، وهو ما ذكره المرادي وملخصا في شرح التسهيل اذ قال : " والاستعلا(ء)**** ارتفاع اللسان بصوت الحرف إلى الحنك اطبقت او لم تطبق وما عدا المستعلية منخفضة والانخفاض بخلاف الاستعلا(ء)**** وبعضهم يسميها المستفلة ، والاستفال كالانخفاض "[2] .

ان العبارة (وينطبق الصوت مستعليا بالريح) التي ذكرها ابو حيان في تعريفه الاستعلاء غامضة مربكة لانه ذكر بعد تلك العبارة ان الأصوات المستعلية على نوعين منها (ما يعلو اللسان به وينطبق) وهي أصوات الإطباق واخرى (ما يعلو اللسان به ولا ينطبق) وتشمل أصوات (غ ، خ ، ق) . وهذا يعني ان عبارته (وينطبق الصوت مستعليا بالريح) تصدق على الأصوات المطبقة فقط ويمكن ان نؤول عبارة ابي حيان هذه بأنه قصد بهما واحد من امرين ، إما ان انطباق الصوت عنده هو انحصاره في موضع ارتفاع اللسان إلى الحنك ، او انه قصد منها التعميم فبما ان اغلب الأصوات المستعلية ينطبق الصوت معها بالريح صار له مسوغ ان يطلق العام على الخاص .

ولم يكن ابو حيان اول من اشار إلى ان الأصوات المطبقة على قسمين بل سبقه إلى ذلك بعض علماء العربية كعلي بن عيسى الرماني اذ قال : " سميت مستعلية لان اللسان يستعلي بها إلى الحنك الا ان منها ما يستعلي ثم ينطبق ومنها ما يستعلي ولا ينطبق ، إذا قلت : (اق) لم ينطبق اللسان على الحنك ، وان استعلى اليه فاذا قلت (اط) استعلى ثم انطبق "[3] وتابعه على ذلك ابن جني [4] ، وعبد الوهاب القرطبي[5]، وابن يعيش [6].

ومع هذا فتعريف ابي حيان اقرب إلى تعريف الداني في كتاب التحديد اذ قال :" والمستعلية سبعة احرف يجمعها قولك : ضغط خص قض ... ، سميت مستعلية لان اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك ولذلك تمنع الإمالة الا انها على ضربين ، منها ما يعلو اللسان بها وينطبق وهي حروف الإطباق الأربعة ، ومنها ما يعلو ولا ينطبق وهي ثلاثة : الغين والخاء والقاف . والمستفلة ما عدا المستعلية لان اللسان لا يعلو بها إلى جهة الحنك " [7].

ولو أعدنا النظر في تعريف ابي حيان وما ذكرناه من تعاريف لبعض علماء العربية لوجدناهم يكتفون بالإشارة إلى ان الاستعلاء هو (علو اللسان او تصعده إلى الحنك الأعلى) وهي عبارة لا توضح المنطقة المرتفعة من اللسان إلى الحنك الأعلى .

ولا شك في ان للسان عملا متشابها في إنتاج الأصوات السبعة المستعلية مما دفع العلماء إلى ان يجمعوا تلك الأصوات في صفة الاستعلاء .

وقد وضح سيبويه بشكل عرضي العامل المشترك بين تلك الأصوات في عبارات متفرقة ذكرها في كتابه، على الرغم من انه لم يذكر " تعريفا محددا للاستعلاء والتسفل "[8] وان أشار إلى ان سبب منع تلك الأصوات للإمالة " لانها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى " [9] .

وقد ذكر سيبويه ان القاف " من أقصى اللسان فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم وتصعدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى "[10] واشار إلى ان الصاد : " أشبه الحروف بالقاف .. لان الصاد تصعد إلى الحنك الأعلى للإطباق " [11] وان الطاء : " في التصعد مثل القاف " [12]. بل انه أشار إلى ان الظاء والطاء والضاد لا تقربان

---

* في المتن (خصي) بالياء ، وهو تحريف صوابه ما اثبتناه .
** ما بين القوسين زيادة من الباحث لتتمة السياق .
*** في المتن (العين) ، وهو تصحيف وصوابه ما اثبتناه .
[1] النكت الحسان : 279.
**** في المتن (الاستعلا) .
[2] شرح التسهيل ، للمرادي : 249 ظ .
[3] الإيضاح في القراءات (الباب التاسع والعشرون) : 94 .
[4] ظ: سر صناعة الاعراب : 62/1 .
[5] ظ: الموضح في التجويد : 91 .
[6] ظ: شرح المفصل ، لابن يعيش : 10 / 129 .
[7] التحديد : 108 – 109 .
[8] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 290
[9] كتاب سيبويه : 267/2 .
[10] م . ن : 427/2 .
[11] كتاب سيبويهس : 427/2 .
[12] م.ن : 428/2 .

في التصعد من القاف قرب الصاد منها اذ قال في سبب عدم ابدال الذال ظاء من كلمة (ذقطمها) : "لانها - أي الظاء – لا تقرب من القاف وأخواتها – أي الطاء والضاد – قرب الصاد "[1] .

نخلص من عبارات سيبويه السابقة إلى :

1- ان المنطقة المستعلية من اللسان في الأصوات المستعلية هي أقصاه .
2- ان أقصى اللسان تكون درجة ارتفاعه مع صوت القاف أعلى من ارتفاعه مع سائر الأصوات المستعلية .
3- ان أقصى اللسان مع صوت الصاد يرتفع إلى أقصى الحنك بشكل أعلى من ارتفاعه مع سائر الأصوات المطبقة .
4- وبما ان صوتي الخاء والغين من الأصوات المانعة للإمالة لانهما من الحروف المستعلية إلى الحنك الأعلى عند سيبويه ولانهما " بمنزلة القاف وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق ..... " [2] فان هذا يعني ان أقصى اللسان مع هذين الصوتين مرتفع أيضاً الا انه اقل ارتفاعا مما هو عليه مع صوت القاف .

ولابد من الإشارة إلى ظاهرة منهجية مهمة عند سيبويه من حيث انه كان يستعمل لفظة (التصعد) عندما يحاول ايجاد المشابهة بين أصوات الإطباق وصوت القاف ويستعمل لفظة (الإطباق) عندما يحاول ايجاد العلاقة بين الأصوات المطبقة وقد كان سيبويه مستقرا على هذا الاستعمال وهذا يدل على ان سيبويه كان يقصد (بالتصعد) اينما ورد (تصعد اللسان إلى الحنك الأعلى) ويقصد بـ (الإطباق) تصعد منطقتين منه بحيث يكون الصوت محصورا في موضعين .

ولعل سبب اقتصار النحاة بعد سيبويه على استعمال ألفاظ تعميميه كـ (التصعد) او (العلو) او (الاستعلاء) مع الأصوات المستعلية من غير الإشارة إلى المنطقة المستعلية من اللسان ناتج من استعمال سيبويه المستقر لتلك الألفاظ بحيث صار من الأمور البديهية او المتعارف عليها من ان تلك الألفاظ تشير إلى ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى . اما لفظة (الإطباق) فان ذكرها يدل على العملية المعروفة للسان في أثناء إنتاج الأصوات المطبقة .

ومع هذا فقد وجدنا الجاربردي يصرح بالمنطقة المرتفعة من اللسان مع الأصوات المستعلية قائلا : " والحروف المستعلية ما يرتفع اللسان بها إلى الحنك وهي الحروف المطبقة والخاء والغين والقاف . ولا يلزم من الاستعلاء الإطباق ويلزم من الإطباق الاستعلاء الا ترى انك إذا نطقت بالخاء والغين والقاف استعلى أقصى اللسان إلى الحنك من غير إطباق واذا انطقت بالصاد وأخواتها استعلى اللسان أيضاً إلى الحنك وانطبق الحنك على وسط اللسان "[3] أي اتخذ اللسان مع اصوات الإطباق شكل الغطاء على اللسان وهو تعبير دقيق ومجمل لحقيقة الأصوات المستعلية والمطبقة ، وقد ذكر ذلك المرعشي أيضاً ، اذ قال : " فالاستعلاء : ان يستعلي أقصى اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى " [4] . الا انه أساء فهم كلام الجاربردي السابق فعلق عليه قائلا : " والإطباق في الاصطلاح - على ما يشعر به كلام الجاربردي – استعلاء أقصى اللسان ووسطه إلى جهة الحنك الأعلى وانطباق الحنك على وسط اللسان بحيث ينحصر الصوت بينهما " [5] فإشارته إلى (انطباق الحنك على وسط اللسان) دقيقة الا ان هذا لا يعني ان وسط اللسان استعلى أيضاً إلى جهة الحنك الأعلى ؛ لانه مع الأصوات المطبقة سيكون منخفضا لا مستعليا كما ظن المرعشي .

وقد أضاف بعض علماء العربية إلى أصوات الاستعلاء صوتي العين والحاء قال الاندرابي : " ومنهم من الحق (العين والحاء) بالمستعلية من القراء دون النحاة " [6] . وذكر ذلك أيضاً ابو شامة [7] .

وقد سوغ الدكتور غانم قدوري الحمد سبب إدخال الحاء والعين مع المستعلية عند بعض القراء تسويغا منطقيا اذ قال : " ولما كانت جميع حروف الاستعلاء من المانعة للإمالة فربما الحق بها بعضهم الحاء والعين لمشاركتها حروف الاستعلاء في انها تمنع الإمالة ولكن ذلك وحده ليس كافيا لعدهما من الحروف المستعلية لان أقصى اللسان لا يستعلي معهما نحو الحنك ولعل مشاركة العين والحاء والحروف المستعلية في منع الامالة يرجع

---

[1] م.ن : 428/2 .
[2] م.ن : 428/2 .
[3] شرح الشافيه ، للجاربردي ، ضمن مجموعة الشافية : 342/1 .
[4] جهد المقل : 124 .
[5] م.ن : 124
[6] الإيضاح في القراءات (الباب التاسع والعشرون) : 94 .
[7] ظ: ابراز المعاني (باب مخارج الحروف) : 10 . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 291 .

إلى ان حروف الحلق يناسبها من الحركات الفتحة فلا يسوغ ان ينحى بحركتها إذا كانت فتحة نحو الكسرة ومن ثم منعت الامالة " [1] .

وفي اشارة الدكتور غانم تلك ملمح لطيف يمكن ان نستلخصه وهو ان القدماء حين صنفوا الأصوات على مخارجها وصفاتها راعوا - زيادة على مواضعها واحوالها النطقية - الظواهر الصوتية المشتركة بين الأصوات (فالعين والحاء) ليسا بصوتين مستعليين من حيث النطق الا انهما يعملان عمل الأصوات المستعلية في منع الامالة لذلك عدها بعضهم من الأصوات المستعلية .

وفي هذه الفكرة تسويغ لمذهب القدماء في (الغين والخاء) من حيث انهم عدوهما من أصوات ادنى الحلق وعدها – مع هذا – صوتين مستعليين ، أي ان أقصى اللسان يستعلي معهما إلى الحنك الأعلى . فكيف استقام للقدماء ان تكون الغين والخاء من أصوات الحلق ، وان يكونا من الأصوات التي يستعلي أقصى اللسان معها إلى الحنك الأعلى ؟

ان الذي يحل هذا التناقض هو كون القدماء راعوا في تصنيف الأصوات اشتراكها في بعض الظواهر الصوتية فالغين والخاء من الأصوات التي تخفى عندها النون وهي أيضاً تدغم مع أصوات الحلق ، قال المبرد : " والمخرج الثالث من الحلق مخرج الغين والخاء . وادغام كل واحدة منها في اختها جيد وادغام العين والحاء فيهما يجوز في قول بعض الناس ولم يذكر ذلك سيبويه ولكنه مستقيم في اللغة معروف جائز في القياس لان الغين والخاء أدنى حروف الحلق إلى الفم فإذا كانت الهاء تدغم في الحاء والهاء من المخرج الاول من الحلق والحاء من المخرج الثاني وليس حروف الحلق بأصل للإدغام ، فالمخرج الثالث أحرى ان
يدغم فيما كان معه في الحلق ، وهو متصل بحروف الفم كما تدغم الباء في الفاء ، والباء من الشفة محضة ، والفاء من الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا ، تقول : اذ هفي ذلك تريد : اذهب في ذلك .... ، لقرب الفاء من حروف الفم فكذلك تقول : أمد غالبا . تريد : امدح غالبا وامد خلفا ، تريد : امدح خلفا وكذلك العين نحو: اسمخلفا . تريد : اسمع خلفا . واسمغالبا تريد : اسمع غالبا ..... "[2] .

واشارة المبرد إلى ان حروف الحلق ليست بأصل للإدغام تعطينا دليلا ثالثا على سبب عد الغين والخاء من حروف الحلق لا الفم لان هذين الصوتين لا يدغمان في غيرهما إلا شذوذا كما مر . بل ان الخليل بن احمد أشار إلى ابعد من ذلك اذ ذكر ان الهمزة تبدل من الغين والخاء وتبدلان من الهمزة أيضاً قال الخليل : " يقال زأته بمعنى زغته ..... " [3] ، وذكر أيضاً ان للعين والحاء بدلين ، أحدهما : للمجاورة بين الغين والخاء او المجاورة التي بينهما وبين الهمزة في ..... (كذا) وصرأ بمعنى صرخ وهو الصراء بمعنى الصراخ " [4] .

ودليل رابع على ان الغين والخاء من الحلق عند القدماء هو انهما لا يتفاعلان مع حروف الفم وهذا يسوغ لنا سبب عد القاف فموية اذ نجدها تبدل من الكاف التي هي أدنى منها وتبدل الكاف منها أيضاً .

أما اخر ما يمكن ان يقال في عد القدماء صوتي الغين والخاء من الحلق هو انهما من الأصوات التي تتجانس معهما الفتحة في كثير من الظواهر الصوتية ، تلك الأصوات هي : أصوات الحلق مع الخاء والغين.

2-الاستعلاء والاستفال عند المحدثين :

يذهب اغلب المحدثين إلى ان الأصوات المستعلية سبعة هي الأصوات المطبقة والقاف والغين والخاء وتشترك تلك الأصوات عندهم بارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى ويمتاز ذلك الارتفاع مع تلك الأصوات بظاهرتين الأولى وتختص بها أصوات (ق غ خ) من حيث ان ارتفاع أقصى اللسان يكون بالتصاقه مع الحنك الأعلى ويمثل ذلك الالتصاق نقطة ولادة الصوت . والاخرى تختص بها الأصوات المطبقة فاقصى اللسان معها يكتفي بالارتفاع من غير ان يلتصق بالحنك الأعلى ، زيادة على انه لا يمثل نقطة مخرجية لتلك الأصوات بل ملمحا تمتاز به تلك الأصوات من نظيرتها غير المطبقة . وقد سار على هذا المذهب دارسون كثر لا يمكن التصريح بأسمائهم في هذا الموضع [5] .

---

[1] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 292

[2] المقتضب : 208/1 – 209 .

[3] تذكرة النحاة : 27 .

[4] م.ن : 29 .

[5] ظ: التطور النحوي : 16 و 26 . و دروس في علم أصوات العربية : 36 و 37 . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 290 و 291 . والمصطلح الصوتي ، الصيغ : 142 . و المصطلح الصوتي ، د. عبد القادر : 117 – 118 .

ومع هذا فقد وجدنا بعض المحدثين من لم تتضح له حقيقة الاستعلاء بالشكل الذي يراه القدماء واغلب المحدثين . فالدكتور خليل يحيى نامي يقتصر على الأصوات (خ غ ق) في حديثة على الأصوات المستعلية[1] ، بل انه يعرف الاستعلاء تعريفا لم يضف فيه شيئا على ما ذكره القدماء ، اذ قال : " والاستعلاء هو ان تتصعد هذه الحروف في الحنك الأعلى " [2]. واشار الدكتور حسام النعيمي إلى ان الاصوات المستعلية هي : (خ غ ق) ، قال معلقا على كلام القدماء في الاستعلاء : " ويبدو ان اتصال أقصى اللسان بادنى الحنك او باقصى الحنك (اللهاة) هو الذي جعلهم يصفون هذه الثلاثة (الخاء والغين والقاف) بالاستعلاء وهو وصف دقيق كما ارى لان اللسان لا يسهم في إنتاج أي صوت قبل هذه الثلاثة اذ قبل الخاء والغين والعين وخروجهما لاشان لاقصى اللسان به و أقصى الحنك اللين (اللهاة) لا يسهم في اخراج أي صوت بعدهما اذ بعد القاف (الكاف) ولا شان لاقصى الحنك في إخراجه وانما هو من أقصى الحنك الصلب "[3] . وكأنه اراد ان يقول : ان الاستعلاء صفة تقتصر على أصوات ثلاثة هي (خ غ ق) لان أقصى اللسان في إنتاجها يلتصق بأقصى الحنك مكونا نقطة مخرجية تتفرد بها تلك الأصوات . والدليل على فهمنا هذا هو انه ظل مترددا في فهمه للسبب الذي ادخل فيه القدماء أصوات الإطباق مع الأصوات المستعلية، اذ قال : " ولم استطع ان إدرك على وجه الدقة لم ضمت حروف الإطباق خاصة إلى هذه الثلاثة ولكن يمكن ان نتصور انهم فعلوا ذلك لان ارتفاع أقصى اللسان فيها نحو أقصى الحنك وعدم اتصاله بجزء منه لا يكون في اخراج أي حرف اخر ، فهي بهذا المعنى من حروف الاستعلاء ولم تجعل (القاف والخاء والغين) من حروف الإطباق لان طرف اللسان لا شان له في اخراجها كما كان في حروف الإطباق أي ان هذه الحروف المستعلية لها موضع واحد من اللسان اما حروف الإطباق فلها موضعان " [4] .

ان ذهاب الدكتور النعيمي إلى ان الاستعلاء مقتصر على أصوات (خ غ ق) لان أقصى اللسان واقصى الحنك لا يعملان في انتاج غيرها من الأصوات مذهب خاص به له ما يسوغه ويدعمه ، الا ان الذي يؤاخذ على الدكتور النعيمي هو اسقاط مفهومه الخاص للاستعلاء على مراد القدماء منه وهو فهم غير دقيق . لذلك نجده يتعسف التسويغ في سبب ادخال القدماء أصوات الإطباق مع المستعلية ، وهو عمل لا يصدق على ما يذهب اليه في مفهوم الاستعلاء .

وقد وجدنا الدكتور عبد الصبور شاهين يذهب إلى ما يراه الدكتور حسام النعيمي مع اختلاف في بعض الدقائق ، اذ عرف الاستعلاء بقوله : " والاستعلاء صفة لبعض الأصوات الخلفية وهي القاف والغين والخاء ، وفيها يرتفع اللسان بجزئه الخلفي نحو اللهاة ليخرج الصوت غليظا مفخما ولكن دون مبالغة في تغليظ النطق فالمهم هو ان يتوفر للصوت القيمة التي تميزه على غيره باعتبار وحده صوتية مستقلة وهو أمر يتحقق بالمران والتدريب ..." [5] ، ثم ذكر ان الاستعلاء " نظير الاستفال وهو وضع للسان يكون فيه اسفل في قاع الفم وذلك في بقية الأصوات المرققة "[6] .

والذي يفهم من كلام الدكتور عبد الصبور ان الاستعلاء مشروط بأمرين ، أحدهما : ان يرتفع أقصى اللسان إلى اللهاة والآخر . ان يكون ذلك الارتفاع نقطة لولادة الصوت (الوحدة الصوتية المستعلية)، وان سبب تكوين تلك الوحدة ناشئ بسبب الصفة التفخيمية التي ولدها ارتفاع أقصى اللسان نحو اللهاة .

وقد افصح الدكتور عبد الصبور أيضاً على إمكانية ارتفاع أقصى اللسان نحو الحنك الأعلى مع صوتي الراء واللام كما يحصل مع الأصوات المطبقة الأربعة ، قال في الراء : " وينشا تفخيمه من ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك الأعلى كما في حالة الإطباق " [7] . وقال في اللام : " والتفخيم في اللام : ناشئ كذلك عن ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك الأعلى كما في الأصوات المطبقة " [8] . ولعل الشبه في ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك مع صوتي الراء واللام بارتفاعه مع الأصوات المطبقة هو ان ذلك الارتفاع لا يمثل نقطة لولادة تلك الأصوات على خلاف الأصوات المستعلية .

---

[1] ظ: حروف الحلق : 4 .
[2] ظ: م.ن : 4 .
[3] الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 319 .
[4] م.ن : 319 .
[5] علم الأصوات ، مالمبرج : 116 – 117 (دراسة المترجم) .
[6] م.ن : 117.
[7] علم الاصوات ، مالمبرج : 118-119 (دراسة المترجم).
[8] م.ن : 119 .

ورأي الدكتور عبد الصبور شاهين يمثل وجهة نظره للأصوات المستعلية وقد وجدنا كلامه السابق ما يدعم رأيه ويسوغه .

اما الدكتور كريم زكي فراى ان الأصوات (ق غ خ) من المستعلية لا يلتصق معها أقصى االلسان بالحنك الأعلى على خلاف مع الأصوات المطبقة التي يلتصق معها أقصى اللسان ووسطه بالحنك الأعلى[1]. وهو مذهب غريب لان حقيقة الامر على العكس مما ذكره الكتور كريم زكي فاقصى اللسان لا يلتصق مع الأصوات المطبقة ويلتصق مع الأصوات (ق خ غ)

وذهب الدكتور محمود فهمي حجازي إلى ضم صوت القاف مع الأصوات المطبقة التي يتقعر اللسان عند انتاجها [2]. وتابعه في هذه التصور الدكتور خليل العطية مزيدا على القاف صوتي (اللام والراء)[3]،وزاد الدكتور عبد القادر مرعي الخليل على القاف صوت الغين ، اذ قال: " ان الإطباق والاستعلاء ظاهرة صوتية تعني تفخيم الصوت وتغليظه نتيجة اتساع الفراغ بين وسط اللسان والحنك الأعلى عند ارتفاع مؤخرة اللسان ومقدمه اثناء النطق بأصوات : الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف "[4] .

3-الطبقية و الإطباق و التحليق و التغوير عند المحدثين :

يعد الدكتور تمام حسان اول من أشار إلى مفاهيم تلك المصطلحات من العرب فراى ان الطبقية (Velaratacalation) هي : " ارتفاع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبقة فيسد المجرى او يضيقه تضيقا يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائها فهي اذن حركة عضوية مقصودة لذاتها يبقى طرف اللسان معها في وضع محايد" [5] .

أما الإطباق (Velarization) فهو " عنده ارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطبق بحيث لا يتصل به ، على حين يجري النطق في مخرج اخر غير الطبق ، يغلب ان يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه. فالإطباق اذن حركة مصاحبة شائبة للنطق الحادث في مخرج اخر ..." [6]

ان حد الدكتور تمام حسان للطبقية يفهمنا انه قصد بالطبقية الأصوات (غ خ ق) . وبالإطباق الأصوات (ص ض ط ظ) ، وهو ما فهمه الدكتور رمضان عبد التواب [7] و الدكتور علي زوين [8] من كلامه وسارا عليه . ولسنا نشك في دقة ما ذهب اليه الدكتورين الفاضلين الا اننا لا نوافقهما في ان الدكتور تمام حسان قصد ما قصداه من الطبقية و الإطباق . فعلى الرغم من وضوح الحدين اللذين وضعهما الدكتور تمام للطبقية و الإطباق وتنبيهه على عدم التخليط بين الظاهرتين فقد وجدناه نفسه يخلط بينهما ، اذ قال : " فالإطباق إذاً حركة مصاحبة شائبة للنطق الحادث في مخرج اخر وتنتج منه قيمة صوتية معينة تلون الصوت المنطوق برنين خاص كما في نطق أصوات الصاد و الضاد و الطاء و الظاء و الخاء و الغين و القاف " [9] ، ونحن لا نخالف الدكتور تمام في مفهوم الإطباق الذي ذكره في النص الاخير لكن الذي يستوقفنا هو انه عد أصوات (خ غ ق) من المطبقة أي ان أقصى اللسان معها تكون حركته شائبة للنطق الحادث في مخرج اخر، وان تلك الحركة تنتج عنه قيمة صوتية تلون الصوت المنطوق برنين خاص ، ولا نعلم كيف استساغ الدكتور تمام ان يعد الأصوات الثلاثة السابقة من ضمن أصوات الإطباق وهو لا شك واهم في ذلك . بل انه يبتعد عن الواقع إلى حد عد فيه أصوات (ص ض ط ظ) من الأصوات الطبقية فقد ذكر في صفة الاستطالة انها موجودة في " الضاد المصرية الحديثة ، وفي كل الأصوات الطبقية وهي الصاد و الضاد و الطاء و الظاء

---

[1] ظ: اصول تراثية : 137 – 138 .
[2] ظ: علم اللغة العربية : 140 و 141 .
[3] ظ: في البحث الصوتي عند العرب: 119 .
[4] المصطلح الصوتي ، د. عبد القادر : 119 .

[5] مناهج البحث في اللغة : 115 .
[6] م.ن : 115 .
[7] ظ: المدخل إلى علم اللغة ، د. رمضان عبد التواب : 37 – 38 .
[8] ظ: منهج البحث اللغوي : 71 – 72 .
[9] مناهج البحث في اللغة: 115 .

"[1]، ويشير في موضع آخر إلى ان الطبقيات " من أصوات الاستعلاء التي اعترف بها العرب أي التي يتم نطقها في الطبق هي أصوات الخاء و الغين و القاف مع توسع في مدلول الطبق في حالة القاف حتى يشمل اللهاة باعتبارها قصوى أجزائه " [2] ، وهو رأي صائب ومنطقي يعبر عن فهم الدكتور تمام حسان للحالة النطقية المرافقة لتلك الأصوات . ونزداد اطمئناننا من وضوح الفرق بين أصوات (خ غ ق) و أصوات (ص ض ط ظ) عند الدكتور تمام بتتبعنا حديثه على كل صوت من تلك الأصوات في كتابه مناهج البحث فهو يصف (خ غ ق) بانها طبقية [3] . وان أصوات (ص ض ط ظ) هي أصوات مطبقة[4].

نخلص من هذا إلى أن الدكتور تمام حسان قد أدرك الفرق بين الطبقية والاطباق وما تشتمل عليه كل واحدة من اصوات ، إلا انه التبس عليه الامر في بعض الاحيان فراح يصف اصوات (غ خ ق) بأنها مطبقة في مرة ، وفي أخرى يصف أصوات (ص ض ط ظ) بأنها طبقية .

لقد أثار حديث الدكتور تمام حسان على ظاهرتي الطبقية والاطباق اهتمام المحدثين بهما ، فذهب الدكتور كريم زكي ـ كما ذكرنا ـ إلى أن الاطباق يضم أصوات (ص ض ط ظ) ويعني : " التصاق مؤخرة اللسان ووسطه بالحنك الاعلى التصاقا تاما أو شبه تام " [5] . أما الطبقية فقال فيها : " فالاصوات الطبقية أو المستعلية سبعة تجمعها ثلاث كلمات : قظ ، خص ، ضغط " [6] . وقوله (الطبقية أو المستعلية) يشير إلى ترادف الكلمتين فالطبقية هي المستعلية والمستعلية هي الطبقية . وحين صنف الاصوات المستعلية أو الطبقية قال : " وهي تشمل الاصوات المطبقة الاربعة إلى جانب الاصوات المستعلية (ق خ غ) التي لا تعد من اصوات الاطباق لأن الجزء المستعلي من اللسان يكون أبعد بعض الشيء من الحنك الاعلى وهذا هو الفرق بين الاصوات المطبقة والطبقية "[7] .

والذي يلاحظ على كلام الدكتور كريم زكي أمران ، احدهما : انه اضطرب في مصطلح الطبقية فمرة يجعله مرادفا لمصطلح الاستعلاء ومرة يقصره باصوات (ق خ غ) فتكون الطبقية بذلك جزء من الاستعلاء ، والآخر ـ وقد أشرنا إليه ـ وهو انه أساء فهم كيفية إنتاج الاصوات المطبقة وكيفية إنتاج أصوات (خ غ ق) .

في حين فهم الدكتور عبد العزيز الصيغ من ذهاب الدكتور تمام حسان إلى أن القدماء دمجوا مصطلحي الطبقية والاطباق تحت مصطلح واحد هو الاستعلاء [8] ، بأن الدكتور تمام قصد عدم تفريق القدماء بين الصفتين لذا خالف الدكتور الصيغ ذلك لأن القدماء وان جمعوا بين الصفتين في مصطلح واحد إلا انهم فصلوا الاصوات المطبقة عن الاصوات (ق خ غ) فذكروا أن الاولى (مطبقة) وميزوها من اصوات (ق خ غ) [9] .

ولسنا مع الدكتور الصيغ في فهمه مذهب الدكتور تمام حسان ذلك لأن الاخير قصد الاشارة إلى دمج القدماء بين الصفتين في مصطلح واحد فقط لا انهم لم يفرقوا بين المصطلحين .

ورأى الدكتور عبد القادر عبد الجليل أن رؤية الدكتور تمام في مفهوم الطبقية والاطباق" صائبة ومتجه يوقفنا على مبدأ التباين بين الاصوات المطبقة (المفخمة) والاصوات التي تنتج من الطبق الصلب أو اللين وهي (الياء والجيم والشين والكاف والخاء والغين والواو) . وهذا الفهم غير سليم لأن الدكتور تمام راعى في مفهوم الطبقية أمرين ؛ أقصى اللسان وأقصى الحنك بأن يلتصقا بحيث يكونان مخرجا للاصوات الطبقية وهي (ق غ خ) لا كما فهم الدكتور عبد القادر من انه قصد الأصوات التي تنتج من الطبق الصلب بغض النظر عن المنطقة المساهمة في إنتاج صفة الطبقية من اللسان .

ومع محاولة بعض المحدثين التفريق بين ظاهرتي الطبقية والإطباق فقد ظل منهم من لا يفرق بين تلكما الظاهرتين فرأى الدكتور سلمان حسن العاني ـ كما مر ذكره ـ أن مصطلح الإطباق جاء من عمل الطبق في انتاج الأصوات المطبقة الأربعة ، وقد فضل أن يستعمل مصطلح الحلقية على استعمال مصطلح المطبقة لأن للحلق دوراً أيضاً في إنتاج الأصوات الأربعة (ص ض ط ظ) لا الطبق وحده، وقد ذكرنا في موضع سابق أنه واهم في ذهابه إلى أن الإطباق مأخوذ من عمل الطبق في إنتاج الأصوات الأربعة.

---

[1] م.ن : 120 .
[2] م.ن : 121 .
[3] ظ: منهج البحث في اللغة : 124 و 129 و 130 .
[4] ظ: م.ن : 120 و122 و 126 و 127 و 128 .
[5] اصول تراثية : 137 .
[6] م.ن : 138 .
[7] م.ن : 138 .
[8] ظ: مناهج البحث في اللغة : 116 .
[9] ظ: الاصوات عند سيبويه : 142 .

ولم يفرق بين الطبقية والاطباق أيضاً الأستاذ بسام بركة ظناً منه أن الإطباق مشتق من الطبق لعمله في انتاج تلك الأصوات. وكذا الدكتور العبيدي إذ قال: " المفخم: وهي الاصوات الطبقية، اطلق عليها المحدثون اسم المفخمة لانها عند نطقها تحدث صوتاً مفخماً بفعل اطلاق اللسان على الحنك، وهي: ص ض ط ظ، وما عداها غير مفخم"[1].

هذا كل ما يتعلق بمصطلحي الطبقية والاطباق عند المحدثين. أما مصطلح التغوير (Phalatalization) فقد جعله الدكتور تمام حسان مقابلاً للاطباق ، اذ قال:" والتغوير شوب الصوت ذي المخرج الذي خلف الغار الى أن ينطق في الغار، أو أقرب ما يكون اليه.فصوت الكاف المجاور لأحد أصوات الكسرة مغور في لهجة العراق ، كما في قولهم: (فيك) و(ركيك)، وفي اللغة الفارسية كما في قولهم(حاكم). وحتى صوت (Ch) في الألمانية يقسمونه الى نطق مغور(ich lout) وآخر غير مغور ويسمى (ach lout) "[2].

ولسنا مع الدكتور تمام حسان في عده ظاهرة التغوير مقابلة لظاهرة الإطباق ذلك لأن الأولى هي عملية نطقية تحدث في أثناء التركيب بسحب الصوت من مخرجه خلف الغار الى أن ينطق في الغار أو ما يقاربه. أما الإطباق فهو عملية نطقية تحدث خارج التركيب لا داخله وتعطي تلك العملية صفة تفخيمية للصوت. ولا نجد مسوغاً لجعل الدكتور تمام حسان التغوير مقابلاً للإطباق الا أن يكون قصده بالإطباق الظاهرة المعاكسة للتغوير أي جذب المخرج الغاري في اتجاه الطبق وهو ما ذهب اليه الدكتور أحمد مختار عمر عندما نسب للإطباق معنيين ، أحدهما : " جذب المخرج الغاري في اتجاه الطبق، وهو بهذا يعد عملية عكسية للتغوير ، كما يحدث للجيم والشين عند مجاورتها ضمة(جُمْلة ـ شُعبة) ..." [3]، أما المعنى الآخر للإطباق فهو الصفة المعروفة التي ترافق الأصوات الأربعة(ص ض ط ظ)[4].

وتحدث الدكتور تمام حسان أيضاً على مصطلح التحليق (Pharyngalization) وهو " قرب مؤخرة اللسان من الجدار الخلفي للحلق نتيجة لتراجع اللسان بصفة عامة"[5]. وقال في صوت الطاء:" ويتم نطقه بالتصاق طرف اللسان بالأسنان العليا من داخلها، ومقدم اللسان بأصول الثنايا أي اللثة، ويرتفع مؤخر اللسان في نفس الوقت(كذا) في اتجاه الطبق ، هذا ما يسمى بالإطباق ، ويتأخر قليلاً الى الجدار الخلفي للحلق وهذا ما يسمى بالتحليق ويرتفع الطبق حتى يسد لمجرى الأنفي" [6]. وذكر أيضاً أن التحليق يحدث في أصوات (ض ظ ص)[7] مزيداً عليها صوت القاف ، اذ قال فيه :" يتم نطقه برفع مؤخرة الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ..." [8]. ورأى أن " التفخيم لا يتم الا اذا انضم التحليق الى الإطباق أو الطبقية . والتحليق ـ كما ذكرنا ـ سحب اللسان الى الخلف في نقطة معينة وهو غير النطق الحلقي الذي توصف به أصوات(كذا) العين والحاء. وصوت القاف لهوي ومن ثم كان طبقياً لا مطبقاً. ويتم معه قرب اللسان من الجدار الخلفي للحلق في نقطة فوق تلك التي تتصل بها ظاهرة التحليق ، ومن هنا لم يكن صوت القاف من الأصوات المفخمة تفخيماً كاملاً ، وإنما كان له بعض القيمة التفخيمية الذي جاء (كذا) من وجود العنصرين الطبقي والحلقي في نطقه"[9]. وكان الدكتور تمام حسان قد ذكر أن التحليق مع الإطباق يكوّنان ظاهرة التفخيم[10].

نفهم من هذا أن الدكتور تمام يرى ان التحليق ينشأ بسبب ارتفاع أقصى اللسان الى الحنك (الطبق) ذلك الارتفاع يؤدي الى تضييق المجرى الحلقي لرجوع اللسان الى الخلف(الى جهة الحلق). فالتحليق اذن يحصل بسبب الإطباق ، والطبقية عند انتاج صوت القاف فقط .

وقد ذهب بعض المستشرقين[11] والمحدثين العرب[12] إلى أن ظاهرة التحليق هي نفسها ظاهـــرة الإطباق"وذلك لان حركة اللسان التي تصاحبها مزدوجة إلى أعلى قليلاً وإلى خلف قليلاً " [13] ، وليس كذلك .

---

(1) أبحاث ونصوص في فقه اللغة : 198 .و ظ: م.ن :189.
(2) مناهج البحث في اللغة :116.
(3) دراسة الصوت اللغوي :124.
(4) ظ: م.ن: 125.
(5) مناهج البحث في اللغة :116.
(6) م.ن : 122.
(7) ظ: م.ن :120و 126-127و 128.
(8) مناهج البحث في اللغة :124.
(9) م.ن : 124-125.
(10) ظ: م.ن :116.
(11) ومنهم جاكوبسون ، ظ:الأصوات اللغوية، د. عبد القادر: 152.
(12) ومنهم قسطندي الشوملي ، ظ: المصطلح الصوتي ، د. عبد القادر : 119 .
(13) دراسة الصوت اللغوي : 125 .

خامسا : التفخيم و الترقيق :

1-التفخيم والترقيق عند القدماء :

أ-المنهج :

ترتبط ظاهرة التفخيم و الترقيق ارتباطا وثيقا بظاهرتي الاستعلاء و الاستفال ومقابلتيهما من حيث ان التفخيم ظاهرة سمعية ناتجة بسبب ارتفاع اقصى اللسان ورجوعه الى الحلق وفي بعض الاحيان ارتفاع طرفه معه . ولهذا ذكرنا هاتين الصفتين في الاصوات المتقابلة ، على الرغم من عدم ذكر ابي حيان لصفة التفخيم في ذلك الموضع بل انه ذكرها في كتابيه غاية الاحسان والنكت الحسان ضمن الاصوات المفردة .

وقد ورد حديث ابي حيان على تلكما الظاهرتين في مواضع متعددة من مصنفاته ففي كتابيه غاية الاحسان ونكتها ذكر تلكما الظاهرتين في المواضع الاتية :

1- في الحروف الفرعية المستحسنة عندما تحدث على الف التفخيم [1] .

2- في الصفات المفردة عندما تحدث على (الاصوات الفخام) [2] .

3- بعدما انهى حديثه على الامالة بذكره قواعد تفخيم و ترقيق الراء و اللام [3] .

واقتصر في كتاب الارتشاف على الموضعين الاول [4] و الثالث [5] مضيفا إليهما ذكره اللام المفخمة ضمن الحروف الفرعية المستحسنة وفي بقية مصنفاته اقتصر على الموضع الاول فقط [6] ، شانه في ذلك شان النحويين عامة [7] .

وينماز صنيع ابي حيان في كتبه (غاية الاحسان و النكت الحسان و الارتشاف) بامرين ، احدهما : انه جاء بزيادة في المنهج و المضمون على ما ذكره النحاة في مصنفاتهم ، فالنحاة - كما ذكرنا - لم يذكروا في كتب النحو شيئا عن التفخيم سوى ما يتعلق بالف التفخيم .في حين ذكر ابو حيان زيادة على الف التفخيم صفة الاصوات الفخام وقواعد ترقيق اللام و الراء وتفخيمهما . بل انه عد اللام المفخمة من الحروف الفرعية المستحسنة ولم نجد واحداً من النحويين من نحا هذا المنحى ، والامر الاخر هو : ان هذا العمل اظهر اثر علماء التجويد في ثقافة ابي حيان ومصنفاته ولا عجب في ذلك فابو حيان عالم في التجويد و القراءة ، ويزداد الامر وضوحاً إذا ما علمنا أن علماء التجويد والقراءة اهتموا بقضيتي التفخيم و الترقيق في مصنفاتهم لانهم اكدوا دقة الاداء واعطاء الاصوات حقها من النطق .

ان اهمال ذكر ظاهرة التفخيم في المصنفات النحوية عند القدماء له ما يسوغه ، من حيث انهم ذكروا السبب الذي يحدث التفخيم ، أي انهم وصفوا العملية الادائية التي تحدث التفخيم كما فعلوا في الاطباق العملية الادائية المسببة اثرا سمعيا يطلق عليه (التفخيم). وعملهم هذا اكثر دقة من انهم لو وصفوا الاثر السمعي من غير ذكر السبب النطقي المؤدي اليه ، ذلك لان عدم تآلف الاصوات في داخل المفردة يعود اكثر ما يعود الى صعوبة الاداء (النطق) . اما الاثر السمعي فهو نتيجة المنطوق – كما ذكرنا – واذا استحال او صعب النطق ، استحال الاثر السمعي بطبيعة الحال ، بل ان سبب فشو الصوت في السمع ناتج من عملية ادائية زائدة في الصوت المنطوق غير موجودة في ما يناظره او في بقية الاصوات الاخرى .

ولم نجد واحدا من النحويين ولا اللغويين قبل ابي حيان وبعده قد تطرق الى قضية التفخيم بالشكل الذي عرضه ابو حيان في كتابه غاية الاحسان ونكتها . اما كتاب الارتشاف فيعد عملا اولا في المصنفات النحوية الا واحداً من اللغويين وعلماء البلاغة وهو السكاكي[8] الذي سبق ابا حيان في حديثه على ظاهرة التفخيم وعنه أخذ أبو حيان هذا المنهج ، فقد ذكر السكاكي بعد ان انهى دراسة الامالة موضوعا درس فيه ضوابط تفخيم اللام و الراء وترقيقهما، وفي هذا الموضع نفسه ذكر ابو حيان ضوابط تفخيم و ترقيق اللام و الراء ايضا . ونحن لا نستبعد ان يتاثر ابو حيان خطى السكاكي في التصنيف العام للقضايا النحوية و الصرفية عامة وفي تصنيف بعض موضوعاتهما ولا سيما القضية التي تحدثنا عليها .

---

[1] ظ : النكت الحسان : 271 .
[2] ظ : م . ن : 383 .
[3] ظ : م , ن : 273-275.
[4] ظ : الارتشاف : 248/1 .
[5] ظ : م . ن : 248/1-249.
[6] ظ : التقريب : 194 . والمبدع : 87 .
[7] ظ : كتاب سيبويه : 404/2 . و المقتضب ، 1/ 194 . و الاصول : 3/ 399 .
[8] ظ: مفتاح العلوم : 174 .

ولا بد من الاشارة إلى أن الشاطبي ذكر في قصيدته (حرز الاماني) ضوابط تفخيم وترقيق الراء واللام بعد موضوع الامالة[1] وهذا يدفعنا إلى ان نضع احتمالا آخر من حيث تأثر أبي حيان الشاطبي في صنيعه هذا .

ان الذي يلفت النظر في صنيع الشاطبي و السكاكي وابي حيان هو انهم ذكروا ضوابط التفخيم و الترقيق للام و الراء بعد الامالة وهذا يدل على ادراك تام لعلاقة الامالة بالتفخيم و الترقيق الذي يعتري اللام و الراء من حيث انهما تغيران نوعيان يغيران طبيعة الصوت السمعية الناتجة من حصول عمل زائد لاعضاء النطق في انتاج ذينك الصوتين .

وعلى هذا فان حديث النحويين على ظاهرة الامالة من غير ان يشفعوه بضوابط ترقيق وتفخيم اللام و الراء عمل قاصر .

بقي لنا ان نشير الى ان من ذكر صفة التفخيم وعرف بها لم يذكرها في موضع الصفات المتقابلة . ولا نجد واحدا منهم يذكر هاتين الصفتين في ذلك الموضع الا المرعشي[2]. وهو عمل دقيق بلا شك .

ب-التفخيم و الترقيق في اللغة :

معنى التفخيم في اللغة التعظيم يقال : " فخم الرجل ، بالضم ، فخامة أي ضخم .....و التفخيم : التعظيم. وفخم الكلام : عظمه ، ومنطق فخم : جزل "[3]. اما الترقيق فهو من (رقق) و" الرقيق : نقيض الغليظ والثخين "[4] .

وقد اهمل ابو حيان وسائر القدماء ذكر الدلالة اللغوية للتفخيم . ولعل وضوح المعنى اللغوي وعلاقته بالمصطلح جعله وعلماء العربية يهملون ذلك ، ودليلنا في ذلك قول المرعشي :" ومنهما التفخيم و الترقيق ، وهما ضدان . ومعناهما اللغويان ظاهران"[5].

ج-التفخيم و الترقيق اصطلاحا :

اقتصر ابو حيان على ذكر حد التفخيم وعدد الاصوات التي يشتمل عليها من غير ان يصرح بمفهوم الترقيق. وحديثه على التفخيم جاء في كتابه النكت الحسان فقط . وعمل ابي حيان هذا مشبه عمل مكي بن ابي طالب في كتاب الرعاية الذي اقتصر على ذكر التفخيم ضمن الاصوات المفردة من غير ان يصرح بحد الترقيق وان تخالفا في عدد الاصوات الفخام ، قال ابو حيان :" (ومفخم) هي حروف الاستعلاء السبعة* ، سميت بذلك لتفخيم اللفظ بها باي حركة تحركت باتفاق . وزاد بعض اصحابنا فيها الراء واللام و الالف وقد مر القول في الراء و اللام ... واما الالف فينبغي ان لا تذكر في حروف التفخيم فانه ليس فيها ما يقتضي التفخيم لا من مخرج و لا صفة .. وانما حكمها في اللفظ التوسط كغيره من الحروف المستعلية وهو الفتح المستعمل "[6] .

وبغض النظر عن حكم الراء و اللام و الالف من حيث التفخيم و الترقيق نخرج الى ما ياتي :

1- ان التفخيم حادث بسبب اللفظ عند ابي حيان ، أي خروج اللفظ مفخما ، وهي اشارة مهمة الى ان عملية التفخيم سمعية .
2- ان الاصوات المستعلية عند ابي حيان مفخمة ، وقوله: (باي حركة تحركت باتفاق) يدل على ان الاصوات المستعلية مفخمة ابدا سواء اكانت خارج التركيب ام داخله .
3- ان ذهابه الى ان الاصوات المستعلية متفق على تفخيمها غير صائب لان من العلماء من يخرج (غ خ ق) منها وسياتي الحديث على ذلك .

---

[1] ظ: حرز الاماني : 55-58 .
[2] ظ: جهد المقل : 126 .

[3] اللسان : 447/2 (ف خ م) .
[4] م.ن : 121/10 (ر ق ق) .
[5] جهد المقل : 126 .
* في المتن المحقق (والسبعة) بالواو ، والواو في غير موضعها لذلك حذفناها .
[6] النكت الحسان : 283 .

أما اللام فقال فيها :" اصل اللام الفتح ، يعني الفتح المستعمل في اكثر حروف الهجاء وهو حالة بين التفخيم و الترقيق . ولا يدرك الا بالمشافهة "[1]. وذكر ابو حيان شروط تفخيم اللام وهي :

1-ان يتقدمها حرف مطبق مضمومة او مفتوحة .
2-ان يتقدمها فتح او ضم .
3-ان تقع بين خاء وطاء او خاء وصاد او تاء وطاء او غين وضاد .

ويجب فتحها (أي عدم تفخيمها ولا ترقيقها) ان انكسر ما قبلها [2] ، ويجوز تفخيمها بشروط هي [3] :

1- ان يمال ما قبلها .
2- اذا انفتحت ووليتها صاد ساكنة او مفتوحة ، او الطاء ساكنة او مفتوحة ايضا .
3- اذا فصل بينها و بين الصاد نحو : صالح ، او فصل بينها وبين الطاء نحو : طال .
4- اذا تاخرت (ص ط ظ) عنها .
5- ان اتصلت وقبلها صاد نحو : فصل . او بعدها طاء نحو اغلط .

اما الراء فقال فيها : " اصل الراء التفخيم"[4]. وفي ترقيقها شروط هي [5] :.

1- ان انكسرت كسرة لازمة او عارضة .
2- ان كانت ساكنة قبلها كسرة لازمة بشرط ان لا يليها حرف استعلاء او اطباق لان التفخيم واجب في تلك الحالة .

اما جواز ترقيقها وتفخيمها فشروطه هي :

1- ان كان بعدها ياء .
2- ان كان بعدها حرف استعلاء مكسور .
3- ان كانت مفتوحة او مضمومة تلي ياء او كسرت لازمة .
4- ان وليتها راء مكسورة .
5- ان تقع بين مفتوح ومكسور وليس بعد الراء راء . ولا حرف استعلاء والكلمة عربية ، فان جاء بعدها حرف استعلاء او سبقتها كسرة عارضة او كانت الكلمة أعجمية فالتفخيم واجب . وقد اشار الى ان حكم الالف في اللفظ التوسط بين التفخيم و الترقيق وهو الفتح المستعمل[6]. وقد ذكر ان الامالة و التفخيم ضدان [7] ، وهما " فرعان عن الالف المنتصبة..." [8] ، قصد بالمنتصبة هنا حالة الالف الاصلية وبالتوسط (الفتح المستعمل) ووجه قراءة ابي السمال العدوي : (الربو) من (الربا)[9] بتوجيه ابن جني ، قال ابو حيان :" ووجه القراءة انه فخم الالف ، انحنى بها الواو التي الالف بدل منها على حد قولهم : الصلاة و الزكاة (انتهى كلام ابي الفتح)"[10] .

نخلص من كل هذا الى :

1- ان ابا حيان قسم الاصوات بحسب التفخيم و الترقيق على ثلاثة اقسام :

أ.التفخيم .
ب.ويلي التفخيم الفتح المستعمل وهو كما ذكر (حالة بين التفخيم و الترقيق ولايدرك الا بالمشافهة) .
ج. الترقيق ، وعبر عنه مع الالف بـ(الامالة) اذ جعلها ضد التفخيم .

2- ان الاصوات المستعلية مفخمة ابدا .
3- ان الراء اصلها التفخيم لكنها ترقق وجوبا او جوازا بشروط .
4- ان اللام اصلها التوسط بين التفخيم و الترقيق (الفتح المستعمل) الا انها تفخم وجوبا و ترقق وجوبا او جوازا بشروط .

---

[1] م.ن : 275 . وظ: الارتشاف : 248/1 .
[2] ظ: الارتشاف : 248/1.
[3] ظ: م.ن : 248/1 .
[4] م . ن : 1/ 248-249 .
[5] ظ : م . ن : 1/ 248-249 .
[6] ظ: النكت الحسان : 283 .
[7] ظ: البحر المحيط : 172/6 .
[8] الارتشاف : 8/1 .
[9] البقرة من آية (278) .
[10] البحر المحيط : 338/2 . وينظر كلام ابن جني في المحتسب : 142/1 .

5- ان الالف اصلها الفتح المستعمل ايضا الا انها تمال (ترقق) بشروط يطول ذكرها في هذا الموضع [1] .
اما تفخيمها فيكون بانتحائها نحو الواو أي شبه صوتها صوت الواو .

لقد اتفق علماء العربية على مفهوم التفخيم و الترقيق ، قال المرادي :" و التفخيم اشباع صوت الحرف . وقيل التفخيم تسمين الحرف ... و الترقيق انحافه "[2] . وقال المرعشي : " و التفخيم في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه و التفخيم و التجسيم و التغليظ بمعنى واحد . والترقيق : عبارة عن نحول يدخل على جسم الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه " [3] . واعتماد المرعشي على (صدى الحرف) في معرفة التفخيم و الترقيق ملمح واضح يبين ادراكه ان تلكما الظاهرتين تتمان في السمع. مع اتفاق القدماء في حقيقة الاصوات المفخمة و المرققة الا انهم اختلفوا في عدد الاصوات التي يشتمل عليها كل من الظاهرتين .

واول من يطالعنا بالحديث على التفخيم وضده ومقابله الخليل بن احمد الفراهيدي ، اذ قال في سبب تحويل التاء طاء في بناء افتعل اذا جاورت التاء الظاء :" لان الطاء من فخام حروف الشجر التي (قربت)* مخارجها من التاء ، فضموا إليها حرفا فخما من مدارج الحروف الخفت ، وكذلك تحويل التاء مع الضاد و الصاد طاء لانها من الحروف الفخام "[4] .

وقد ذكر ان التفخيم هو التعظيم قائلا :" وتفخيم الكلام : تعظيمه و الرفع في الكلام تفخيم ، والف مفخم يضارع الواو "[5] وقال في الخفوت :" صوت خفيت ، وخفت خفوتا أي خفض خفوضا"[6].

لقد ظن بعض المعاصرين اعتمادا على النص الاول للخليل ان الخليل فطن الى ظاهرة التفخيم فـ" سمى الاصوات المطبقة اصواتا مفخمة .....وبهذا حدد الخليل الاصوات الفخام (المطبقة) باصوات (الطاء و الصاد و الضاد و الظاء) واشار الى ان مدرجتها تختلف عن مدرجة الاصوات غير الفخام" [7] . وقال اخر " يسمي صاحب العين الحروف المطبقة الحروف الفخام ويسمي ما عداها الخفت ..."[8] .

والذي يراه الباحث هو ان الخليل لم يقصد الحديث على الاصوات المطبقة بل كان قصده منه ان يذكر الاصوات التي تبدل بسببها التاء طاء في بناء (افتعل) اذا ما سبقت تلك الاصوات صوت التاء . ولا يعني هذا انه اراد بالفخام الاصوات المطبقة فقط . فالخليل لم يذكر صراحة عدد الاصوات المفخمة ، زيادة على اننا لو اسقطنا مفهوم التفخيم على مفهوم الشواخص عنده ومفهوم الخافت على المنخفض لوجدناها مفاهيم تدل على اصل واحد، قال الخليل " شخصت الكلمة في الفم، اذا لم يقدر على خفض صوته بها " وقد علمنا ان التفخيم عنده هو التعظيم وهو ضد التخفيت من (خفت) بمعنى عدم امكانية رفع الصوت بالحرف المنطوق وهذا كله يجعلنا نرجح ان الخليل قصد بالأصوات الفخام الأصوات الشواخص وهي (ق ص ض ط ظ) وما عدا تلك الأصوات فهو خافت اما قصده منها فهو ما قصده من الأصوات الشواخص نفسه .

وهذا يعني ان اصوات التفخيم في كتاب العين مقتصرة على بعض الأصوات الصتم الفموية وهي خمسة (ق ، ص ، ض ، ط ، ظ) وهن انصع الاصوات الفموية في مجموعتها . زيادة على ان الخليل ذكر امكانية دخول التفخيم في الالف اذ قال :"والف مفخم يضارع الواو " [9] . واطلق مصطلح التفخيم و الامالة على الالف في نص اخر اذ قال :"و (ها) ، بفخامة الالف وبامالة الالف ، حرف هجاء "[10]. وهذا يدل على ان مفهوم الامالة و التفخيم واضحان عند الخليل والا كيف يستعمل المصطلحين من غير ادراك مفهومهما . مما يجعلنا نرجح ان يكون الخليل قد تحدث عن ظاهرة التفخيم و الامالة بصورة اوسع مما هي عليه في كتاب العين الا ان ذلك الحديث لم يصل إلينا منه سوى اشارات عابرة وبسيطة تدلل على ذلك . وقد جاء عن الخليل – ايضا - نص في كتاب سيبويه يوضح فيه ادراكه لمفهوم الامالة ويجعلنا نحتمل ان يكون في حديث سيبويه على الامالة في كتابه أثر الخليل بن احمد ، قال سيبويه :" ومما لا يميلون الفه: حتى، واما ، والا فرقوا بينها وبين الفات

---

(1) ولمن أراد المزيد من الاطلاع على امالة الالف ومنعها ، ظ: النكت الحسان : 273 – 275 . والارتشاف : 248/1 –49 .
(2) شرح الواضحة : 40 .
(3) جهد المقل : 127 – 128 .
* في اللسان (قلبت) وهو تحريف ، ظ: اللسان : 515/4 (ظأر) .
(4) العين : 8/ 167 (ظئر) . و النص في اللسان : 4/ 515 (ظئر) .
(5) العين : 281/4 .(ف خ م) .
(6) م . ن : 4/ 239 (خ ف ت) .
(7) الدراسات الصوتية في كتاب العين : 140-141.
(8) موقف الازهري من كتاب العين : 307 .
(9) العين : 281/4 (ف خ م) .
(10) م.ن :3 / (ها) .

الاسماء نحو : حبلى وعطشى قال الخليل : لو سميت رجلا بها وامراة جازت فيها الامالة ..."[1]. بل ان ذلك يدعم احتمال كون الخليل تحدث على اصوات الاستعلاء وتكرير الراء وهي اصوات تمنع الامالة ، أي انه ادرك حقيقة الصوت المستعلي و المستفل الا ان الذي يعوزنا هو النص الذي يفصح به الخليل عن ذلك .

اما سيبويه فلم يصرح بمصطلح التفخيم الا مع الالف عندما ذكرها مع الاصوات الفرعية المستحسنة. وبعد انعام النظر في كتاب سيبويه وجدناه يتحدث على الالف فيصفها بثلاث حالات هي :

1- الامالة ، وذلك بان ينحى بها نحو الياء [2] . وقد اطلق على هذه الظاهرة في بعض المواضع لفظة (الكسر) [3].

2- التفخيم : وذلك بان ينحى بها نحو الواو[4] .

3- نصب الالف : أي عدم امالتها ولا تفخيمها [5] .

فالالف عند سيبويه اصلها التوسط بين التفخيم و الامالة ، وان التفخيم و الامالة فرعان على الالف المنتصبة . و الذي يدعم هذا هو ان سيبويه وضع الالف الممالة و الالف المفخمة في الاصوات الفرعية المستحسنة ولاشك في ان عمله هذا يعني ان هذين الصوتين فرعان عن الالف المنتصبة .

و الراجح عندنا ان علماء العربية ، ولا سيما النحويين اجمع ، يرون مايراه سيبويه في حالات الالف فان كان الامر خلاف ما نذهب اليه فبم يفسر اجماع النحاة على ان الالفين، المفخمة و الممالة ، من الاصوات الفرعية المستحسنة ؟ .

هذا ما يتعلق بالالف عند سيبويه و النحويين اما تفخيم الاصوات المستعلية و الراء فقد وجدنا سيبويه و النحويين كذلك يصفوها بعبارات تدل على انها اصوات مفخمة وإن لم يسموا ذلك تفخيماً ، قال سيبويه : "و الراء : اذا تكلمت بها خرجت كانها مضاعفة ، و الوقف يزيدها ايضاحا ، فلما كانت كذلك ، قالوا : هذا راشد وهذا فراش فلم يميلوا لانهم كأنهم تكلموا براءين مفتوحين فلما كانت كذلك قويت على نصب الالفات وصارت بمنزلة القاف حيث كانت بمنزلة حرفين مفتوحين..." [6] فالراء تمنع الامالة سواء أسبقت الالف أم تلتها لأنها تعدل حرفين كما يقول سيبويه فاذا كانت مكسورة بعد الالف كقولك : من حمارك ومن عواره فانها لاتمنع من امالة الالف ، قال سيبويه في ذلك :" واما في الجر فتميل الالف كان أول الحرف مكسورا

أو مفتوحا أو مضموماً لانها كأنها حرفان مكسوران فتميل ها هنا كما غلبت حيث كانت مفتوحة فنصبت الالف..."[7].

وقد افصح من جاء بعد سيبويه عن كون التكرير سببا من اسباب تضعيف الراء ، قال ابن السراج في الموجز : " اذا قلت : راشد لم تمل لان الراء فيها تكرير فصارت اذا كانت غير مكسورة بمنزلة الحرف المستعلي" [1]. وعليه فأن سبب تفخيم الراء عند القدماء هو تكريرها بشرط ان ترافقها فتحة أو ضمة وتفخيمها مفتوحة هو الذي يمنع من امالة الالف بعدها أو قبلها والذي يؤكد كون التكرر وحده هو سبب التفخيم في الراء وينفي صعود مؤخرة اللسان عند نطقها قول سيبويه : " فلا تكون اقوى من القاف لانها وان كانت كأنها حرفان مفتوحان فانما هي حرف واحد و بزنته ... فانما شبهت الراء بالقاف وليس في الراء استعلاء فجعلت مفتوحة تفتح نحو المستعلية فلما قويت على القاف كانت على الراء اقوى"[2] .

ولابد من الاشارة الى ان تفخيم الراء يجعلها بمنزلة حرفين مفتوحين اذ لم تكن مكسورة لانها ان كسرت ستكون مرققة بقوة لانها ستكون منحدرة و التكرير يجعلها بزنة حرفين مكسورين .

ان عمل النحويين هذا دليل واضح على ان الاصوات المستعلية السبعة مع صوت الراء اصلها التفخيم لارتفاع اقصى اللسان مع المستعلية ولتكرير الراء .

---

[1] كتاب سيبويه : 267/2 .
[2] ظ: كتاب سيبويه : 259/2 .
[3] ظ : م ، ن : 268/2 .
[4] ظ : م ، ن : 404/2 .
[5] ظ : م ، ن : 264/2 و 265 و 267 و 268 .
[6] م.ن : 2/ 267 .
[7] م.ن: 2/ 267-268 .

[1] الموجز : 142 .
[2] كتاب سيبويه : 268/2 .

وبالانتقال الى علماء التجويد نجد مكيا يذكر حروف التفخيم بقوله :" حروف التفخيم وهي حروف الاطباق المذكورة ، يتفخم اللفظ بها ، لانطباق الصوت بها بالريح من الحنك ومثلها في التفخيم في كثير من الكلام : الراء و اللام و الالف ... " [1] . الا انه اخرج الالف من الاصوات المفخمة في كتابه الكشف ، اذ قال : " و الحروف المطبقة اربعة ... وهي حروف التفخيم ويكون ايضا في الراء و اللام في بعض المواضع تفخيم "[2] بل انه اشترط في الخاء والغين والقاف بان تلفظ مفخمة اذا جاءت بعد الف مفخمة مغلظة قال مكي في الخاء: " فيجب على القارئ ان يلفظ بالخاء اذا كان بعدها الف مفخمة مغلظة ... بالتفخيم "[3]. وقال في الغين : "والغين حرف مجهور فهو اقوى من الخاء وكلاهما من حروف الاستعلاء ... فيجب على القارئ ان يلفظ بالغين مفخمة اذا وقع بعدها الف ... " [4] . وقال في القاف : " والقاف حرف متمكن قوي لانه من الحروف المجهورة الشديدة المستعلية ، ومن حروف القلقلة .. فيجب على القارئ ان يفخم القاف تفخيما بالغا اذا أتت بعدها الف ... " [5] .

والذي يظهر من كلام مكي بن ابي طالب انه استقر على كون اصوات الاطباق مفخمة دائما ، الا انه تردد في غيرهما مما يمكن ان يصدر مفخما من الاصوات فمرة يحصرها بـ (الراء والام والالف) ومرة يخرج الالف منها ومرة ثالثة يزيد عليها اصوات (غين خاء قاف) .

وقد سار على مذهب مكي في ان اصوات الاطباق مفخمة ابدا بعض علماء التجويد كالمرادي الذي صنف الاصوات بحسب التفخيم والترقيق الى اربعة اقسام هي :

"1- مفخم مطلقا وهو حروف الاطباق .

2- مرقق مطلقا وهو سائر الحروف الا الراء واللام .

3- وما اصله التفخيم وقد يرقق ، وهو الراء .

4- وما اصله الترقيق وقد يفخم وهو اللام . " [6]

وذهاب المرادي الى اخراج الالف من الاصوات الفخام يعني متابعته لما راه مكي في كتابه الكشف زيادة على ان جعله اصل اللام الترقيق يدل على ان العلماء كانوا في خلاف في اصل اللام فمنهم من جعل الفتح اصلا لها ومنهم من جعل اصلها الترقيق .

اما سائر علماء العربية فيرون ان التفخيم يختص بحروف الاستعلاء منضما اليها الراء واللام والالف . وقد زاد المرعشي على ذلك كله صوت الواو، اذ قال : " ولما كان في الياء والواو عمل عضو في الجملة ... لم يكونا تابعين لما قبلهما بل هما مرققان في كل حال ، كذا يفهم من اطلاقاتهم ، ولعل الحق ان الواو المدية تفخم بعد الحرف المفخم . والله اعلم " [7] .

لقد اتفق القدماء على كون التفخيم هو عبارة عن سمن يدخل جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه الا انهم اختلفوا في سبب ذلك السمن او التعظيم الداخل على جسم الحرف . فمكي بن ابي طالب يجعل اصوات الاطباق ملازمة للتفخيم ويعلل هذا بقوله : (لانطباق الصوت بها بالريح من الحنك) أي ان حالة الاطباق التي تتخذها الاصوات المطبقة هي السبب في تكوين التفخيم ، ويمكن ان نعمم هذا المفهوم على كل من ذهب الى ان اصوات الاطباق هي اللازمة للتفخيم فقط كالجعبري [8] و المرادي مثلا .

اما من عمم حالة التفخيم على الاصوات المستعلية فراى ان السبب فيها هو انحصار الصوت بين اللسان و الحنك الاعلى سواء في ذلك اكان اقصى اللسان مرتفعا الى الحنك فقط ام كان انحصار الصوت في موضعين بحيث يتخذ الحنك شكل الغطاء على اللسان، قال عبد الوهاب القرطبي :" فصار التفخيم في كونه انحصار الصوت بين اللسان و الحنك نظير الاستعلاء و الاطباق ، لهذا اثر الاستعلاء في الامالة و الترقيق فمنعهما لانه ضد "[9] . وذكر القرطبي (الاستعلاء و الاطباق) معا دليل على ان ثمة فرق بين تفخيم بعض الاصوات المستعلية غير المطبقة وتفخيم الاصوات المطبقة التي هي من المستعلية ، وهو كما وضحناه من قبل ان نعرض نص القرطبي .

---

[1] الرعاية : 103 .
[2] الكشف : 137/1 .
[3] الرعاية : 142 .
[4] م.ن : 143 .
[5] م.ن : 145 .
[6] شرح الواضحة : 55 .
[7] جهد المقل : 127 .
[8] ظ ، تحقيق التعليم في الترقيق و التفخيم : 29 و – 29 ظ ، نقلا من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 502 –503 .
[9] الموضح في التجويد : 110 .

وقد افصح القرطبي ايضا عن سبب تفخيم الراء ، اذ قال : " لما فيها من التكرير الذي انفردت به دون سائر الحروف "[1]. وذكر السبب الثاني لتفخيم الراء بعبارة اخرى ، اذ قال : "اما الراء فانه استطال ايضا بالتكرار واتسع حتى اعتد في الامالة بمنزلة حرفين ... "[2] . ولعله قصد بالاستطالة ان اللسان مع الراء المفخمة يستطيل عمله بحيث يشمل ارتفاع اقصاه الى الحنك الاعلى وهذا مخالف لاستطالة الضاد التي يستطيل اللسان بها الى الأمام لا الى الخلف كما حصل مع الراء من حيث اتصال طرف اللسان مع الضاد بالموضع المنتج للطاء وعبر عن سبب تفخيم اللام بقوله :" اما اللام فانه انحرف واستطال حتى خالط اكثر الحروف ..."[3] . فانحراف اللام سبب اول عند القرطبي واستطالته سبب اخر في تفخيمه ، ولعله قصد باستطالته ما قصده باستطالة الراء من حيث ارتفاع اقصى اللسان الى الحنك الاعلى مع اللام المفخمة .

وهذا يعني ان وضع اللسان في انتاج صوتي اللام و الراء المفخمتين يكون مقعرا كما في حالته عند الاطباق ، قال عبد الوهاب القرطبي في صوت الراء :" فان كانت مكسورة رققت ، وكان العمل فيها براس اللسان ، ومعتمدها ادخل الى جهة الحلق في الحنك الاعلى واخذ اللسان من الحنك اقل مما ياخذ مع المفخمة، فينخفض اللسان حينئذ فلا ينحصر الصوت بينه وبين الحنك فتجئ الرقة ... فان كانت مضمومة او مفتوحة فخمت وكان ما ياخذ طرف اللسان منها اكثر مما ياخذه مع الترقيق ، وكان معتمد اللسان اخرج في الحنك الاعلى يسيرا فينبسط حينئذ اللسان وينحصر الصوت بينه وبين الحنك فيحدث التفخيم لذلك "[4]. وقال في اللام :" اما اسمانها (أي تفخيمها) فبأن يكون العمل فيها بوسط اللسان، وادخل قليلا من مخرجها"[5]. وذكر الدكتور غانم ان الدركزلي نقل عن الفخر الرازي انه قال : " ان نسبة اللام الرقيقة الى الغليظة كنسبة الذال الى الظاء ، و كنسبة السين الى الصاد" [6] . بحيث يتخذ اللسان شكلا مقعرا مع صوتي اللام و الراء في حالة التفخيم ، وهذا ما ذهب اليه بعض المحدثين ايضا [7].

لقد وجدنا المرعشي يذهب مذهبا غريبا – وان كانت الاصوات المفخمة أصلها الاصوات المستعلية – من حيث انه رأى ان " التفخيم لازم للاستعلاء فما كان استعلاؤه ابلغ كان تفخيمه أبلغ ، فحروف الاطباق ابلغ في التفخيم من باقي حروف الاستعلاء كما صرح به ابن الجزري في نظمه ... " [8] ولا نخالف المرعشي في كون الاطباق اكثر تفخيما من بقية الاصوات المستعلية لكننا نخالفه في عده الاصوات المطبقة اكثر استعلاء من (الغين والخاء والقاف) لان القضية معكوسة فالغين والخاء والقاف يلتقي اقصى اللسان معها بالحنك الاعلى اما مع اصوات الاطباق فان اقصى اللسان يرتفع الى الحنك الاعلى من غير ان يلتصق به . وهذا يعني ان استعلاء اصوات (غ خ ق) ابلغ استعلاء من الاصوات المطبقة اما الذي جعل الاصوات المطبقة اكثر تفخيما من الاصوات المستعلية فهو ارتفاع طرف اللسان مع الاصوات المطبقة بحيث يتخذ شكلا مقعرا يسمح في ذلك التقعر بان يحصل تفخيم اقوى من التفخيم الحاصل بانحصار الصوت في اقصى اللسان والحنك الاعلى فقط .

2-التفخيم والترقيق عند المحدثين :

لم يضف المحدثون في مفهوم التفخيم والترقيق شيئا مهما على ما ذكره القدماء ، بل ان بعضهم اضطرب في استعمال المصطلح ، فالمستشرق كانتينو رأى عدم امكانية التفريق بين التفخيم وبين الاطباق والاستعلاء [1] على الرغم من ادراكه ان التفخيم مصطلح اطلق على الاصوات التي لها وقع خاص على السمع أي وقع (مفخم) او (غليظ) او (سمين) [2] وقد عرف التفخيم او الاستعلاء او الاطباق بانه : " توتر عظيم في مختلف اعضاء جهاز التصويت مع تأخير المخرج شيئا ما " [3] .

وقد عد الدكتور تمام حسان التفخيم ظاهرة سمعية ناشئة باجتماع امرين هما (الاطباق)و(التحليق) وهو محصور عنده بالاصوات المطبقة [4] .

---

[1] م.ن : 110 .
[2] الموضح في التجويد : 110 .
[3] م.ن : 110 .
[4] م.ن : 106 . و الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 295.
[5] م . ن : 118 . و الدراسات الصوتية عند لماء التجويد : 295.
[6] خلاصة العجالة : 178 ، نقلا من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 295 .
[7] ظ : الاصوات اللغوية ، د. ابراهيم أنيس : 54 . و الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 294 .
[8] جهد المقل : 127 .
[1] دروس في علم اصوات العربية : 37 . وظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :294 .
[2] ظ : م . ن : 37 .
[3] م . ن : 25 .
[4] ظ : مناهج البحث في اللغة : 116 .

في حين عرفه بعضهم بانه " اثر سمعي ناشئ عن تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند نطق الصوت " [5] .

واكتفى الدكتور خليل الحماش بالاشارة الى ان التفخيم يكون " عادة برفع نهاية اللسان نحو اللهاة "[6] وهو ما راه الدكتور محمد فتيح وعكسه بصورة اوضح اذ رأى ان التفخيم يحدث في المخرج الثانوي (غير الاساسي) للصوت المطبق " أي اقصى اللسان المتجه نحو الحنك الاعلى ويلعب هذا المخرج دورا في تحديد هذه الخاصية الصوتية المسماة بالتفخيم بحيث تكون حجرة رنين لها شكل معين ينتج عنها اثر سمعي معين هو الذي نسميه بالتفخيم " [7] .

في حين رأى الدكتور عبد الصبور شاهين ان التفخيم هو الاثر السمعي الناشئ عن هذا الاطباق [1] فاللسان مع الاطباق يتخذ شكلا مقعرا " بحيث تكون النقطة الامامية للسان هي مخرج الصامت المرقق وتكون النقطة الخلفية هي مصدر التفخيم في حالة الاطباق " [2] . اما اصوات (غ ق خ) فرأى ان اللسان معها يرتفع " بجزئه الخلفي نحو اللهاة ليخرج صوتا غليظا مفخما ، ولكن دون مبالغة في تغليظ النطق ، فالمهم هو ان يتوفر للصوت القيمة التي تميزه عن غيره ، باعتباره وحدة صوتية مستقلة " [3] .

اما الراء واللام عنده فينشأ تفخيمهما في اغلب الاحيان من " ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك الاعلى كما في حالة الاطباق فيؤدي ذلك الى التفخيم ... " [4] وعلى هذا فالتفخيم " قد يكون احيانا سمة اساسية تفرق بين وحدة اصواتية واخرى كما في (س : ص) و (ت : ط) و (ذ : ظ) و (د : ض) ، وقد لا تكون كذلك كما في اللام والراء فان اللام المفخمة والمرققة شيء واحد ، ووحدة اصواتية واحدة وكذلك الراء المفخمة والمرققة " [5] .

وعلى الرغم من تعدد حدود المحدثين التي يجتمع اغلبها في ان التفخيم ظاهرة سمعية من عوامله ارتفاع اقصى اللسان الى اعلى فقد تعدد المحدثون ايضا في عدد الاصوات المفخمة ايضا . فالدكتور تمام حسان يحصرها في الاصوات المطبقة[6] مع وجود بعض القيمة التفخيمية في اصوات (ق خ غ)[7] ، وذهب الدكتور خليل الحماش إلى ان اصوات التفخيم هي الاصوات المطبقة مع اصوات (ف ب ل ر) في بعض الحالات[8] ، ورأى الدكتور رمضان عبد التواب والاستاذ بسام بركة ان التفخيم يحدث في اصوات الاطباق [9] وزاد الدكتور محمد خضر على الاصوات المطبقة امكانية حدوث التفخيم مع صوت اللام [10] ، واضاف الدكتور خليل عطية على الاصوات المطبقة اصوات (القاف والراء واللام والالف)[11] ، ورأى الاستاذ عبد العزيز الصيغ ان الاصوات المفخمة هي الاصوات المطبقة والمستعلية مع اصوات (الراء واللام والالف)[12]، وعد الدكتور كمال بدري الاصوات المطبقة مفخمة واصوات (خ ق غ) بين الترقيق والتفخيم[13]

وذهب الدكتور عبد القادر مرعي إلى ان الاصوات المفخمة هي المطبقة والمستعلية [14] .

وقد ذهب الدكتور عبد الرحمن ايوب إلى ان الاصوات الفخام خمسة هي :

أ -الطاء في مثل (طاب) ونظيرها غير المفخم هو التاء في مثل (تاب) .

ب- الضاد في النطق المصري في مثل (ضل) ونظيرها غير المفخم هو (الدال) في مثل (دل) .

جـ- الظاء في النطق المصري في مثل (ظن) ونظيره غير المفخم وهو الزاي في مثل وزان .

---

[5] المصطلح الصوتي ، الصيغ: 115 . و ظ : محاضرات في اللغة : 105 . ودراسة السمع والكلام : 206 . وعلم الاصوات العام:115 . وفقه اللغة ، د. محمد خضر : 257 .

[6] الافكار الاساسية بعلم الصوت الحديث : 113 .

[7] في الفكر اللغوي : 145 – 146

[1] ظ: علم الاصوات مالبرج (دراسة المترجم) : 116 .

[2] م . ن : 115 .

[3] م.ن : 116 .

[4] م.ن : 117 .

[5] م.ن : 117 .

[6] ظ: مناهج البحث في اللغة : 116 و 120 و122 و 126 و 128 .

[7] ظ: م.ن : 124 و 129 و 130 .

[8] ظ: الافكار الاساسية بعلم الصوت الحديث : 113 .

[9] ظ: المدخل إلى علم اللغة : 38 . وعلم الاصوات العام : 122 – 123 .

[10] ظ: فقه اللغة ، د. محمد خضر : 275 .

[11] ظ: في البحث الصوتي عند العرب : 55-56 .

[12] ظ: المصطلح الصوتي ، الصيغ : 146 .

[13] ظ: علم اللغة المبرمج : 125 .

[14] ظ: المصطلح الصوتي ، د. عبد القادر : 119 .

د- الصاد في مثل (صاد) ، ونظيره غير المفخم وهو السين في مثل (ساد) .
هـ- الظاء في النطق الفصيح و النطق العراقي في مثل (ظل) ونظيره غير المفخم وهو الذال في النطق الفصيح و النطق العراقي في مثل (ذل) .

وقد صنف الدكتور عبد القادر عبد الجليل الاصوات الفخام بحسب درجة تفخيمها الى انواع ثلاثة هي: [1].

أ- اصوات مفخمة 100% وهي الصاد و الضاد و الطاء و الظاء و اللام المفخمة .
ب- اصوات مفخمة 50% وهي الخاء و الغين و القاف .
ج- صوت بين حالتي التفخيم و الترقيق وهو صوت الراء .

وما يراه الباحث هو ان ظاهرة التفخيم ظاهرة سمعية تشترك فيها الاصوات المستعلية - بما فيها المطبقة - كما يرى الدكتور غانم قدوري . فسبب ذلك التفخيم هو ارتفاع اقصى اللسان الى الحنك مع رجوعه الى الخلف بحيث يضيق المجرى الحلقي ، وتزداد درجة التفخيم في الاصوات المطبقة لانها مع كل ذلك يرتفع طرف اللسان الى موضع انتاج الطاء ملتصقا او غير ملتصقٍ مع التصاق حافتيه بالاضراس مكونا فراغا واسعا بحصول اثر سمعي مفخم اقوى من التفخيم في الاصوات المستعلية [2].

اما الراء و اللام و الالف فتفخم في بعض الحالات باتخاذ اللسان معها شكلا مقعرا و ان اختلفت درجته في كل صوت من الاصوات الثلاثة .

الفصل الرابع
الصفات المفردة

[1] ظ : الاصوات اللغوية ، د.عبد القادر : 152 .
[2] ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: 292

اولا : صفات سببت صفات اخر :

1. الغنة :

أ- الغنة عند القدماء :

تحدث ابو حيان على الغنة في كتاب النكت الحسان ووصفها بما ياتي :

1- " الغنة صوت من الخيشوم عند النطق بالحرف "

2- " فاذا امسكت بانفك لم يجر ذلك الصوت "

3- " وحرف الغنة النون و الميم " ، وهو ما اكتفى بذكره في كتابيه تقريب المقرب و المبدع [1].

4- " و الغنة زائدة فيهما .." يقصد النون و الميم .

5- " وهي من علامات قوة الحرف " .

6- " و الميم اقوى من النون لان لفظها لايزول عنها مع الغنة و الغنة لا تزول عنها ولفظ النون قد يزول عنها فلا تبقى منه الا الغنة ، لذلك لم تدغم النون في الميم ولا في شيء من مقاربها . وادغمت النون فيها ، لان الاضعف يدغم في الاقوى ولا يجوز العكس الا شاذا .."[2].

وافرد للميم صفة قائمة به ، قائلا :" وراجع : هو حرف واحد وهو الميم الساكنة . وصفت بذلك لانها ترجع في مخرجها الى الخياشيم لما فيها من الغنة . وقال بعض اصحابنا يجب ان تشاركها في هذا اللقب النون الساكنة لانها ترجع الى الخياشيم لما فيها من الغنة" [3] .

اما تعريف الغنة عند ابي حيان بانها صوت من الخيشوم فهو ما تعارفه علماء العربية اجمع ابتداء من الخليل بن احمد [4]. واما التجربة التي وضعها ابو حيان للتعرف على الغنة فهي معروفة عند القدماء ايضا ، وقد ذكرها سيبويه اكثر من مرة في كتابه [5]. و التفتوا ايضا – كما مر – الى زيادة صفة الغنة و قوتها ولا سيما علماء التجويد .

---

[1] ظ : التقريب : 197 . و المبدع : 89 .

[2] النكت الحسان : 280-281.

[3] م . ن : 281.

[4] ظ: العين :348/4 - 349 (غ ن) .

[5] ظ: كتاب سيبويه : 2/ 416 و 418 . [6] ظ: م . ن : 406/2 .والمقتضب : 194/1 . والتحديد : 108

ولم يختلف القدماء ايضا في ان صوتي الغنة هما النون و الميم [6]. لكنهم اختلفوا في الشروط التي يكون بها الصوتان مغنين . فقيدهما مكي بان يكونا ساكنين مخفيين [7]. في حين اطلق بعضهم كالجعبري ، ذلك القيد فالغنة عنده حاصلة فيهما سواء اتحركا ام سكنا ظاهريين ام مخفيين ام مدغمين " وهي في الساكن اكمل من المتحرك وفي الساكن المخفى ازيد من الساكن المظهر وفي الساكن المدغم اوفى من الساكن المخفى "[8] ، وذهب المرعشي الى ان النون المخفاة هي عينها الغنة [9].

وقد علل المرعشي تقييد مكي الغنة بالنون و الميم الساكنتين بما ذكره على القارئ في قوله :" قيد الساكنيين في قول مكي لكمال الغنة لا لاصلها .."[1] .

و الحقيقة هي التي ذهب اليها استاذنا الدكتور غانم قدوري ال حمد من ان المذهب "الذي يوضع شروطا لوجود الغنة في النون و الميم ناتج عن وهم في تصور حقيقة الغنة او انه مبني على فهم معين لها كان يراد بها اطالة الصوت الخارج من الانف اكثر مما تحصل به ذات الميم و النون ، كما فسرها بعض المحدثين..."[2] . قصد بالمحدثين الدكتور ابراهيم انيس [3] . ثم قال : " لكن الذي عليه جمهور العلماء هو ان الغنة يقصد بها مجرد خروج النفس للمجهور من الانف قليلا كان ذلك النفس ام كثيرا ، طويلا ام قصيرا.."[4] زيادة على ان صفة الغنة حاصلة في النون والميم سواء اكانا ساكنين ام متحركين ، ظاهرين ام مخفيين . وهو ما نفهمه من كلام النحويين اجمع و بعض علماء التجويد ، وان صرحوا في بعض المواضع ان النون في بعض حالاتها والميم كذلك تشربان الغنة لعمل الفم في انتاجهما وهذا هو الذي ذكره ابو حيان الاندلسي .

والحقيقة الاخرى التي يختلف فيها القدماء هي قوة احد الصوتين المغنين على الاخر ، وهي قضية انشغل بها علماء التجويد اكثر من النحويين ، وقد رأينا ان ابا حيان رأى ان الميم اقوى من النون ، وعلة ذلك عنده هي ان لفظ الميم (لا يزول عنها مع الغنة ، والغنة لا تزول عنها . ولفظ النون قد يزول عنها فلا تبقى منه الا الغنة) واستدل على ذلك بان النون لا تدغم في الميم ولا في مقاربها ، في حين ادغمت النون فيها ، لان (الاضعف يدغم في الاقوى) . وهو ما ذكره الداني [5] و القرطبي[6] ، قبل ابي حيان . في حين وجدنا من القدماء من يجعل النون اقوى من الميم ، قال الخليل " النون اشد الحروف غنة " [7] . وقال الرضي :" في الميم غنة وان كانت اقل من غنة النون "[8] . والى ذلك ذهب المرعشي اذ قال : " اقوى الغنات غنة النون المشددة فهي اكمل من غنة الميم المشددة وغنة النون المخفاة اكمل من غنة الميم المخفاة وهكذا " [9] . وقد سبق ان اشرنا الى ان الجعبري ذهب هذا المذهب قبل المرعشي .

والملاحظ على من ذهب الى قوة الميم على النون انه راعى كون الصوتين في داخل التركيب . وهذه حقيقة يؤيدها ما ذكره القدماء في الادغام من ان الاصوات اللسانية لا تدغم في غيرها من الحلقية او الشفوية وهي – أي الاصوات اللسانية – اكثر الاصوات ادغاما [10] . و النون كما نعلم – لسانية – اما الميم فشفوية عند القدماء لهذا امتنع ادغام النون في الميم ومقاربتها في المخرج . وجاز ادغام النون في الميم " لان صوتهما واحد وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت حتى انك تسمع النون كالميم و الميم كالنون حتى تتبين فصارتا بمنزلة اللام و الراء في القرب وان كان المخرجان متباعدين الا انهما اشتبها لخروجهما جميعا في الخياشيم ..."[1] .

اما من ذهب الى كون غنة النون اقوى من غنة الميم ، فالذي نفهمه منه انه قصد الوضوح السمعي أي وضوح الغنة في النون اكثر من الميم . ولا يستطيع الباحث ان يجزم بحقيقة ذلك لعدم امتلاكه ما يساعده على

---

[7] ظ: الكشف : 137/1 . [8] جهد المقل : 135 .
[9] ظ: م . ن : 135 – 136 .
[1] جهد المقل : 136 .
[2] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 311 – 312 .
[3] ظ: الاصوات اللغوية ، د . ابراهيم انيس : 106 و 59 .
[4] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 312 .
[5] ظ: التحديد : 111 .
[6] ظ : الموضح في التجويد : 97 .
[7] العين : 349/4 (غ ن) .
[8] شرح الشافية ، للرضي : 273/3 .
[9] جهد المقل : 137 .
[10] ظ: كتاب سيبويه : 412/2 . والمقتضب : 207/1 .
[1] كتاب سيبويه : 414/2 .
[2] الدراسات الصوتية في كتاب العين : 144 – 145 . وظ: الاصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس :106 .

قياس الوضوح السمعي للاصوات من اجهزة حديثة ، لكنه يستطيع ان يرجح – بالتجربة الذاتية البسيطة– ان غنة النون اوضح من غنة الميم . وهذا ما يصوره نطق الصوتين . فالفراغ الفموي في نطق الميم يمثل حجرة رنين كاملة من الشفتين الى نهاية الفم ، ذلك الاتساع في حجرة الرنين الفموية مع الميم جعل زمن رجوعه الى الانف طويلا مما اضعف جهره الذي اتصف به من اهتزاز الاوتار الصوتية فكان صداه في الانف ضعفيا . اما مع النون فالامر معكوس لان حجرة الرنين الفموية معه تكون اضيق فتكون بذلك مدة رجوع الهواء المجهور مع النون اقل زمنا من مدة رجوعه مع الميم زيادة على ان ذلك الهواء سيحافظ على صدى الجهر الذي يحمله بكمية اكبر من جهر الميم ؛ لضيق حجرة الرنين الفموية ولقصر زمن رجوعه الى الانف ، لذلك كان صداه في الانف اقوى من صداه في الفم .

زيادة على ان صوت الغنة وصوت النون متشابهان من حيث انهما يشبهان صوت الانين . وهو ما لا نجده في الميم وان كان فيها غنة . ويرى الباحث ان هذه التعليلات انسب من تعليل بعض المحدثين لذهاب بعض القدماء الى قوة النون على الميم بان الغنة " تحدث عند اطالة صوت النون مع تردد موسيقى محبب فيها ، و الزمن الذي يستغرقه النطق بالغنة هي (كذا) في معظم الاحيان ضعف ما تحتاج اليه النون المظهرة ، وليس هذا الا للحيلولة بين النون و الغناء في غيرها وغنة الميم قليلة الشيوع لا يلجأ اليها الا قليلا ، وذلك حين يليه باء ، يخشى معها من فناء الميم فيها ، او حين تكون مشددة وقول الخليل النون اشد الحروف غنة اشارة الى كثرة شيوع الغنة مع النون وقلتها مع الميم "[2].

وقد سبق ان رفضنا فكرة تفسير الغنة باطالة الصوت بما ذكره الاستاذ الدكتور غانم قدوري ال حمد وسبب اقتصار تلك النون على الغنة هو تغير نقطة ولادتها الى النقطة التي يولد فيها الصوت المجاور لها . ولولا الغنة لافنيت النون في ذلك الصوت . وهذا يعني ان الغنة او النون المخفاة " ليست نونا لهجية وانما هي

نون تعاملية " [1]. لذلك فلم يوافق بعض المحدثين القدماء في ذكرهم لها مع الاصوات الفرعية [2].

اما وصف الميم بـ (الراجع) فقد سبق ابا حيان اليه مكي بن ابي طالب [3]، والداني [4] ، وعبد الوهاب القرطبي [5]. الا ان مكيا قصر (الراجع) على الميم والنون ، وقصره الاخيران على الميم فقط . فيكون بذلك ابو حيان متأثرا الاخرين منهم ولاسيما الداني .

ولعل اول من استعمل لفظة (الراجع) المبرد ، اذ ذكرها في اثناء وصفه مخرج الميم قائلا : " والميم ترجع الى الخياشم بما فيها من الغنة ، .. "[6] وحديث المبرد هذا عرضي لا يعني انه قصد صفة الرجوع بالميم ، بل لا يعني انه استعمل تلك اللفظة استعمالا اصطلاحيا .

والذي يراه الباحث هو ان الميم والنون راجعان كلاهما ، لان الهواء يمر بالفم معهما، اللهم الا ان كانت النون مجاورة للكاف او القاف في نحو (من كان) و (من قال) فانها تخفى في هذين المثالين ولا يسمح للهواء بالمرور الى داخل الفم ، لان اقصى اللسان سيرتفع ملتصقا بما يقابله من الحنك الاعلى – ففي هذه الحالة لا تكون النون راجعة حيث يخرج الهواء من الانف مباشرة .

ب-الغنة عند المحدثين :

تابع المحدثون القدماء في مفهوم الغنة واصواتها الا انهم افترقوا عنهم في نقطتين ،احداهما : تعدد مصطلحاتهم ، فقد اطلق الغالبية منهم مصطلح (الانفية) على تلك الصفة [7] ، في حين استعمل بعضهم مصطلح (الرنين الانفي) [8]، واستعمل الدكتور عبد الرحمن ايوب مصطلح (الانطلاق الانفي)[1] ومصطلح (الانفي) [2] ، ومنهم من اطلق عليها مصطلح (الغنة) [3] ، وذهب آخرون الى الجمع بين

---

[1] المصطلح الصوتي ، الصيغ : 168 .

[2] ظ: اصوات العربية بين التحول والثبات :45 . و المصطلح الصوتي ، للصيغ: 168 .

[3] ظ: الرعاية : 112 .

[4] ظ: التحديد : 111 .

[5] ظ: الموضح في التجويد : 97 .

[6] المقتضب : 194/1 .

[7] ظ: علم اللغة العام (الاصوات) :130 . ودراسة الصوت اللغوي : 115 و 121 . والمدخل إلى علم اللغة ، د. رمضان عبد التواب : 49 . وعلم الاصوات العام : 79 . والاصوات اللغوية ، د. عبد القادر : 146 .

[8] ظ : علم اللغة المبرمج : 45.

(الغنة) و (الانفية) مصطلحا لها [4] . ولم يجد الدكتور العبيدي حرجا في ان يجمع ثلاثة مصطلحات في تلك الصفة هي (الغنة) [5] و (الخيشومية) [6] و (الانفي) [7].

والذي يراه الباحث هو استعمال (الغنة) مصطلحا على تلك الاصوات لانها الوحيدة المعبرة عن حقيقة الصوت واثره السمعي فالغنة في اللغة ليست سوى (الصوت الصادر من الخيشوم) كما مر .

اما استعمال (الانفي) و (الخيشومي) مصطلحا لتلك الصفة فهو استعمال غير دقيق لان هذين المصطلحين يعبران عن العضو الذي يعمل على انتاج الغنة لا حقيقية الغنة . واما مصطلح الانطلاق الانفي، فانه يشير الى طبيعة او هيأة خروج الهواء من الانف من غير عائق ولا يوضح حقيقة ذلك الصوت الخارج من الانف .

ولم يبق من المصطلحات سوى مصطلح (الرنين الانفي) وهو مصطلح وان كان معينا بالاثر السمعي الصادر من الخيشوم او الانف الا انه لا يوضح حقيقة ذلك الاثر او ما يشاكله من اصوات الطبيعة .

والنقطة الاخرى هي توضيح المحدثين عملية انتاج الغنة ، قال أ. شادة في كيفية انتاج الغنة :"وهي ان الناطق بالميم والنون يرخي الجزء الاخير من الحنك الاعلى ، حتى يتصل الحلق بالانف ، ويخرج النفس من الانف ومخرجه من الفم مغلق ، اما بطرف اللسان – كما هي حال النون – واما بالشفتين كما في الميم"[8]

وقد ذهب الدكتور ابراهيم انيس الى مذهب غريب في وصف انتاج النون والميم اذ رأى ان اقصى الحنك الاعلى مع انتاج النون عندما يصل الهواء الى الحلق يهبط " فيسد بهبوطه فتحة الفم ويتسرب الهواء من التجويف الانفي محدثا في مروره نوعا من الحفيف لايكاد يسمع فهي كالميم غير انه يفرق بينهما ان طرف اللسان مع النون يلتقي باصول الثنايا العليا وان الشفتين مع الميم هما العضوان اللذان يلتقيان "[9]وهذا يعني " ان مجرى الهواء مع كل من الميم و النون هو التجويف الانفي وحده"[10] والى شبه ذلك ذهب الدكتور عبد الرحمن ايوب [11] .

وكلام الدكتور ابراهيم انيس مردود لان اللهاة (اقصى الحنك) عندما تهبط الى اللسان لا تلتصق به بل تتدلى سائبة في الهواء فيسمح بذلك للهواء ان يمر بالفم من غير ان يخرج منه ويمكن ان نلاحظ اثر ذلك عند نطقنا الميم و النون ، فمع نطق الميم نشعر (بدغدغة) في الشفتين نتيجة اصطدام الهواء المجهور بهما ومع نطق النون نشعر (بدغدغة) في طرف اللسان الملتصق باللثة نتيجة لاصطدام الهواء المجهور بهما (أي بطرف اللسان و اللثة) .

أما الانطاكي فقد قصر في وصفه طبيعة انتاج الغنة ، اذ قال : "فالغنة ان ينفتح مجرى الانف ومجرى الفم ليسلكهما الهواء اثناء نطق الصوت الطليق ، وعدم الغنة ان يسد مجرى الانف فلا يجد الهواء غير مجرى الفم يسلكه "[12] . و الذي يفهم من كلامه ان الاصوات المغنة تخرج من الانف و الفم معا، وهذا ليس بصحيح .

2-الانحراف :

أ-الانحراف عند القدماء :

الانحراف في اللغة بمعنى الميل عن الشيء او العدول عنه ...الخ [13] . وقد اجمع القدماء على هذا المصطلح ، ومنهم ابو حيان ، اذ قال في النكت الحسان : " ومنحرف : هو اللام ، سميت بذلك لانحرافها (كذا

---

(1) ظ : اصوات اللغة : 86 .
(2) ظ : محاضرات في اللغة : 95 .
(3) ظ : دروس في علم اصوات العربية ، فهرست مصطلحات المترجم : 213. والمنهج الصوتي للبنية العربية : 27 .
(4) ظ : التشكيل الصوتي : 51 . واصول تراثية : 141 . وفي الفكر اللغوي : 143.
(5) ظ : ابحاث ونصوص في فقه اللغة : 191. ومباحث في علم اللغة واللسانيات : 137 .
(6) ابحاث ونصوص : 186 .
(7) م ، ن : 184 .
(8) علم الاصوات عند سيبويه وعندنا : 63 – 64 . و ظ : علم الاصوات العام : 89 و 118 – 119 . والاصوات اللغوية ،عبد القادر: 146 .
(9) الاصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : 56.
(10) م ، ن : 56 .
(11) ظ : اصوات اللغة : 186 . ومحاضرات في اللغة : 95 .
(12) الوجيز في فقه اللغة : 249 .
(13) اللسان : 43/9 (ح ر ف) .

) عن حكم (الشديد)* وعن حكم الرخو فهو بين الصفتين . وقال بعضهم هو رخو . وقال سيبويه : وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ولم يعترض على الصوت كاعتراض الشديدة . وذهب الكوفيون الى ان الراء منحرف كاللام ، وقالوا : المنحرف حرفان . وقالوا : انحرفت الراء عن مخرج النون الذي هو اقرب المخارج اليه الى مخرج اللام ، ونحا الى ذلك بعض اصحابنا "[1] .

وقد سبق ابا حيان الى هذا المفهوم مكي بن طالب ، الا ان مكيا فصل في حقيقة الانخراف وزاد في اصواته بشكل لا نجده عند متابعه ابي حيان من حيث :

1- ان مكيا زاد على صوت اللام في الانحراف صوت الراء في حين قصر ابو حيان الانحراف على اللام فقط . قال مكي :" حرفا الانحراف وهما : اللام و الراء "[2] .

2- سوغ مكي سبب الانحراف في الصوتين بقوله :" وانما سميتا بذلك لانهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما ، وعن صفتهما صفة غيرها .

اما اللام : فهو بين الحروف الرخوة لكنه انحرف اللسان مع الصوت الى الشدة . فلم يعترض في منع خروج الصوت اعتراض الشديدة ، ولاخرج معه الصوت كله خروجه مع الرخوة "[3] ثم قال : " فسمي منحرف لانحرافه عن حكم الشديدة وعن حكم الرخوة بين الصفتين "[4] ونص مكي الاخير يظهر اثره في ابي حيان بوضوح .

واما الراء "فهو حرف انحرف عن مخرج النون الذي هو اقرب المخارج اليه الى مخرج اللام وهو ابعد من مخرج النون من مخرجه ، فسمي منحرفا لذلك وقيل : إنما سميت الراء منحرفة [لأنها في الاصل من الحروف الرخوة ، لكنها انحرفت عن الرخاوة الى الشدة وجرى معها من الصوت ما لايخرج مع الشديدة] ..."[5]. ويفترق ابو حيان عن مكي في هذه النقطة بامرين ، احدهما : انه يرى ان اصل اللام و الراء الشدة لكنهما خالطتا صوت غيرها من الرخوة في حين راى مكي عكس ذلك ، و الاخر : ان ابا حيان ذكر سببا واحدا في انحراف اللام وهو انحراف صفتها ، بينما ذكر مكي امرين في ذلك هما : انحراف المخرج ، وانحراف الصفة ، هذا الافتراق ظاهري ذلك لاننا قد ذكرنا ان القدماء ذهبوا في سبب توسط الاصوات (بين الشدة و الرخاوة) هو استعانتها بمخرج ما جاورها من الاصوات الرخوة .

وقد ذهب الكوفيون الى وصف الراء بالانحراف قبل مكي وذكر الداني تعليلهم لذلك الوصف بقوله:" وقال الكوفيون المنحرف المكرر وهو الراء ، لانه ينحرف عن مخرج النون الى مخرج اللام .."[6]. وقد ذهب الى عد الراء منحرفة الشاطبي[7] وبعض شراح الشاطبية [8] . وذكر المرادي ان اكثر البصريين " لا يصف بالانحراف الا اللام وحدها "[9] . وهذا يعني ان بعض البصريين يصفون الراء بالانحراف أيضا.

ان تعليل سبب انحراف بعض الأصوات بأنها تغير مخرجها إلى مخرج ما جاورها من الأصوات ومن صفتها إلى صفة ما جاورها من الأصوات أيضا ، تسويغ عام يمكن أن تخضع تحته جميع الأصوات المتوسطة عند القدماء بما فيها العين وذلك لأنها أصوات استعانت بمخرج ما جاورها من الأصوات الرخوة فهي بين الصفتين أيضا كما اللام و الراء لذلك فإننا لا نقبل هذا المفهوم للانحراف .

لقد كان للقدماء اكثر من مذهب في مفهوم الانحراف ولعل اول من استعمل هذه اللفظة الخليل بن احمد الفراهيدي ، اذ قال في وصف الاصوات الذلقية الستة :" وانما سميت هذه الحروف ذلقا لان الذلاقه في المنطق انما هي بطرف اسلة اللسان و الشفتين وهما مدرجتا هذه الاحرف الستة ، منها ثلاثة ذلقية (ر ل ن) ،.. وثلاثة شفوية (ف ب م) ، مخرجها من بين الشفتين خاصة لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح الا في هذه الاحرف الثلاثة فقط ، ولا ينطلق اللسان الا بالراء و اللام و النون . واما سائر الحروف فانها ارتفعت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مخرج التاء الى مخرج الشين بين الغار الاعلى وبين

---

* في النص المحقق (التشديد) ، وهو تحريف صوابه ما أثبتناه .

[1] النكت الحسان : 280 . [4] الرعاية : 107 .

[3] م.ن : 107 .

[4] م . ن: 107 .

[5] الرعاية : 107-108 . و ما بين المعقوفتين قد ورد في نسختين من نسخ الرعاية كما ذكر المحقق . وقد فضل المحقق ما جاء في بعض نسخ الرعاية وهو :[لانها في الاصل من الحروف الشديدة لكنها انحرفت عن الشدة الى الرخاوة حتى جرى معها الصوت ما لا يجري مع الشديدة] وكان الاجدر بالمحقق ان يضع هذا النص في الهامش لا في المتن لان الصواب ما اثبتناه وهو ما اثبت في هامش الرعاية (الباحث) .

[6] التحديد : 110 .

[7] ظ : حرز الاماني : 180 .

[8] ظ : كنز المعاني : 1189 .

[9] المفيد في شرح عمدة المجيد : 112 ظ ، نقلا من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :323 .

ظهر اللسان . ليس للسان فيهن عمل كثر من تحريك الطبقتين بهن ، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء و اللام و النون .."[1] وقد وصفها بانها اصوات " مذل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق ..."[2] و المذل في اللغة :" الضجر و القلق "[3] . " وكل من قلق بسره حتى يذيعه او بمضجعه حتى يتحول عنه ... فقد مذل "[4] " ومذل على فراشه مذلا فهو مذل ومذل مذاله فهو مذيل ، كلاهما : لم يستقر عليه من ضعف وغرض . والمذل والماذل : الذي تطيب نفسه عن الشيء يتركه ويسترجي غيره" [5] .

وعلى هذا يكون معنى قوله (مذل بهن اللسان) أي قلق اللسان بهن فتحول عن مخارجهن الى غير موضع . يوضح هذا ما رواه الليث عن الخليل انه رأى " ان مجرى اللام من حافات اللسان الى منتهى طرفه، ومجرى النون بين فويق الثنايا من طرف اللسان ، واما الراء فمنحرفة من مخرج النون الى اللام لمزية دموجها في ظهر اللسان عند الكلام " [6] . وقد ذكر الاخفش ان الخليل وصف اللام والنون بالانحراف ايضا[7] .

والملاحظ على الخليل - في كتاب العين – أنه كان يتحدث على الاصوات اللسانية فقط عندما تطرق الى انحراف (الراء واللام والنون) وهي من الاصوات المذلقة الستة . ووصفه بان اللسان مع هذه الاصوات قلق مضطرب وأن هذه الاصوات لا تثبت في موضعها ، كلام دقيق . إذ لا نجد اللسان مضطربا مع الاصوات التي يعمل في انتاجها سوى في (ر ل ن) .

وعلى هذا فاننا لا نوافق الباحث موفق عليوي في مؤاخذته على الخليل لانه عد النون منحرفة معتمدا في ذلك على فهمه الحديث لمصطلح الانحراف . وكذا تسويغه لذهاب الخليل الى عد الراء واللام منحرفتين ، فهو وان وافق الخليل وصوب رأيه الا ان تصويبه هذا جاء بما يتلاءم مع فهمه الحديث للمصطلح لا فهم الخليل نفسه[8] .

اما تلميذ الخليل ، سيبويه ، فقد استعمل مصطلح (المنحرف) للام وذكر أنه " حرف شديد جرى فيه الصوت " وسبب جريان ذلك الصوت " لانحراف اللسان مع الصوت ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة " وقد بين هيأة الانحراف مع اللام بقوله : " وان شئت مددت الصوت فيها وليست كالرخوة لان طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك " [9] . فانحراف اللام عند سيبويه مرتبط بتغير مخرجها من طرف اللسان الى (ناحيتي مستدقه فويق ذلك) .

ومع هذا فقد وجدنا سيبويه يصف الراء بالانحراف ايضا [10] . وان انحرافها يكون نحو اللام ، وهو اقل من الانحراف الحاصل مع اللام [11] . ولكن هذا لا يعني ان سيبويه عد الراء منحرفا ذلك لانه حين ذكر صفة الانحراف خصها باللام ، اما الراء فهو مكرر عنده .

والذي يظهر من كلام سيبويه انه حدد الانحراف بانحراف المخرج من طرف اللسان الى حافتيه (ناحيتي مستدقه) . وتابعه على ذلك ابن السراج [12] . وكذا ابن جني ، اذ قال :" ومن الحروف حرف منحرف ، لان اللسان ينحرف به مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت فيخرج الصوت من تينك الناحيتين وما فوقيهما ، وهو اللام "[13]. وقد بين ابن الخباز المخرج الذي ينحرف اليه اللام بقوله :" سمي بذلك لانحرافه الى مخرج الضاد "[14] .

ولكن المبرد يخالف سيبويه في مفهوم الانحراف وان اقتصر به على اللام ، اذ قال فيه :" وهو الحرف المنحرف المشارك لاكثر الحروف ..."[15] . و "هو اكثر في الكلام من غيره وله اتصال باكثر الحروف "[16].

---

(1) العين : 1/ 51 – 52 . وتهذيب اللغة : 448 : 1/ 52 .
(2) اللسان : 621/11 (م ذ ل) . و ظ العين : 8/ 188 (م ذ ل) .
(3) م.ن : 11/ 621 (م ذ ل) .
(4) اللسان 11/ 622 (م ذ ل) .
(5) م . ن : 11 / 622 (م ذ ل) .
(6) تذكرة النحاة : 28 .
(7) م . ن : 30 .
(8) ظ : الدراسات الصوتية في كتاب العين : 145 – 146 .
(9) كتاب سيبويه : 2 / 406 .
(10) ظ : م . ن : 2 / 414.
(11) ظ : كتاب سيبويه : 2 / 414 .
(12) ظ : الاصول : 403/3 .
(13) سر صناعة الاعراب : 63/1 .
(14) شرح التسهيل ، للمرادي : 25 و .
(15) المقتضب : 1/ 193 .
(16) م . ن : 1/ 213 .

والى ذلك ذهب المهدوي قائلا في سبب انحراف اللام : " سميت بذلك لانها شاركت اكثر الحروف في مخارجها" [1].

ومع هذا فقد وجدنا المبرد يصف العين بالانحراف [2] ، قاصدا بذلك تغير مخرجها وصفتها الى الحاء . واستعماله للفظة (الانحراف) مع العين لم يكن من قبيل الاصطلاح بل جاء به عرضا ليصف سبب توسط صوت العين . ولا نستطيع قبول هذا المفهوم للانحراف من عند المبرد ومتابعيه لانه لا يعبر عن الحالة الادائية التي تقوم بها اعضاء النطق عند نطق الصوت ولا عن هيأة الصوت المنطوق بل انه يراعي كون الصوت في داخل المفردة وهو ما لا يتعلق بدراسة الصفات .

نخلص من كل هذا الى ان القدماء في مفهوم الانحراف اربعة مذاهب هي :

1- ما يراه الخليل من ان الاصوات (ر ل ن) من الاصوات الستة المذلقة ، قد امتازت عن الاصوات اللسانية الاخرى بقلق اللسان ومذله معها .
2- ما يراه سيبويه وبعض النحويين [3] وعلماء التجويد [4] من ان الانحراف يعني تغير مخرج اللام من طرف اللسان الى ناحيتي مستدقة (حده) وهو مختص بصوت اللام فقط .
3- ما يراه بعض البصريين و الكوفيين ، وبعض علماء التجويد وصاحبنا ابو حيان الاندلسي من ان الانحراف يعني تغير مخرج الصوت الى ما جاوره وتغير صفته الى صفة ما جاوره .

وقد ادخل بعض اصحاب هذا المفهوم صوت الراء في صفة الانحراف كالكوفيين وبعض البصريين وبعض علماء التجويد كما مر .

في حين قصره بعضهم على اللام فقط ، وهو ما يراه ابو حيان الاندلسي .

4- ما يراه المبرد و المهدوي من أن الانحراف هو (الحرف المشارك لاكثر الحروف) وقصرا هذه الصفة على صوت اللام .

ب-الانحراف عند المحدثين :

يتفق المحدثون على مفهوم موحد لصفة الانحراف ، ويقصرون تلك الصفة على صوت اللام فقط ويتكون الانحراف عندهم " بان يعتمد طرف اللسان على اصول الاسنان العليا مع اللثة ، بحيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء منه ، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم او من احدهما "[5] فاللسان في نطق اللام : " يكون رخوا ويكون طرفاه هابطين وتكون عضلاته غير مشدودة البتة..."[6] ويمر الهواء من طرفي اللسان من غير احتكاك وقد يحدث الاحتكاك في بعض الصور الصوتية (فونات) لصوت اللام [7] .

وقد اطلق المحدثون على تلك الصفة مصطلحات عديدة ، كالجانبي[8] – وعليه غالبيتهم - والحافي[9]، ولم يروا بأسا ان يستعملوا مصطلح (المنحرف) [10]. الذي أطلقه القدماء على تلك الصفة .

3-التكرير :

أ- التكرير عند القدماء :

قال ابو حيان في النكت الحسان : " والمكرر : هو الراء ، سميت [كذا] بذلك ، لانها [كذا] تتكرر على اللسان عند النطق بها [كذا] ، كأن طرف اللسان يرتعد به ، فكأنك نطقت بأكثر من حرف واحد ، واظهر ما يكون هذا الوصف اذا كانت الراء مشددة ... " [11] .

---

[1] الهمع : 6/ 698 .
[2] المقتضب : 1/ 196 .
[3] ظ : المفصل : 395-396 . وشرح المفصل : 10/ 130 . و الايضاح في شرح المفصل : 1/ 289 – 290 . وشرح الشافية، للجابردي ، ضمن مجموعة الشافية : 1/ 343 . وحاشية الجاربردي ، ضمن مجموعة الشافية : 2/ 243 .
[4] ظ : التحديد : 108و 110. و الموضح في التجويد : 118.
[5] علم اللغة العام (الاصوات) :129 . و ظ : دروس في علم اصوات العربية : 38و78 . و الاصوات اللغوية ،د .ابراهيم انيس : 87 . واسس علم اللغة : 86 .
[6] علم الاصوات العام : 88 .
[7] ظ : اصوات اللغة : 186 و 203 . ومحاضرات في اللغة : 95 .
[8] ظ : اصوات اللغة : 186 و 203 . ومحاضرات في اللغة : 95 .
[9] ظ : الوجيز في فقه اللغة : 189 . وكلام العرب : 22 .
[10] ظ : الاصوات اللغوية ، د.ابراهيم انيس : 87 . وعلم اللغة العام (الاصوات) : 129 . واصول تراثية : 140-141. وفي البحث الصوتي عند العرب : 59 – 60 .
[11] النكت الحسان : 280 .

وكلامه هذا وان كان متابعا فيه لما ذكره مكي بن ابي طالب في الرعاية [1] أي متابعة . الا انه لا يمثل اضافة على ما ذكره النحويون في صفة التكرير ، فسيبويه يعلل سبب جريان (صوت الجهر) مع الراء " لتكريره وانحرافه الى اللام فتجافى للصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه " [2] وتابع سيبويه على هذا المبرد [3] وابن السراج [4] وبعض النحويين [5] . وعلماء التجويد كالداني [6] الا ان الاخير قد بين ذلك بتجربة ذاتية قائلا :" ويتبين ذلك فيه اذا وقفت عليه واخلص سكونه .. "[7] .

وقد ذكر ابن جني ذلك مع زيادة اذ قال : " ومنها المكرر ، وهو الراء ، وذلك انك اذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير "[8] وقد ذكر عبد الوهاب القرطبي مع تعثر اللسان عبارة (يرتعد)[9] التي استعملها الداني وتابعه عليها ابو حيان في ما بعد .

والملاحظ على متابعي سيبويه في صفة التكرير انهم لم يزيدوا على سيبويه سوى بعض العبارات التوضيحية من ان التكرير يتبين بالوقف على الراء او بتشديدها ، وان التكرير هو ارتعاد طرف اللسان او تعثره عند النطق بصوت الراء .

وقد وجدنا من علماء العربية من يبتعد عن مراد سيبويه واجماع النحويين وعلماء العربية كالفيلسوف ابن سينا الذي وصف الزاي والذال بان فيهما شبه تكرير قال في الزاي : " تحدث من الاسباب المصفرة .. الا ان الجزء الحابس فيها من اللسان يكون ما يلي وسطه ويكون طرف اللسان غير ساكن سكونه الذي كان في السين بل ممكن من الاهتزاز ، فاذا انفلت الهواء الصافر عن المحبس اهتز له طرف اللسان واهتزت رطوبات تكون عليه وعنده ونقص من الصفير الا انه باهتزازه يحدث في الهواء الصافر المنفلت شبيه التدحرج في منافذه الضيقة بين خلل الاسنان فيكاد ان يكون فيه شبيه التكرير الذي يعترض

للراء وسبب ذلك التكرير اهتزاز جزء من سطح طرف اللسان خفي الاهتزاز" [1] . وقال في الذال :" ويكون في الذال قريبا من الاهتزاز الذي في الزاي " [2] .

ولو عدنا الى اللغويين لوجدنا أبا علي الشلوبين يضع في صفة التكرير ثلاثة اصوات قائلا :"المكرر : الراء والهاء والالف " [3] ولا نعلم كيف سوغ الشلوبين لنفسه ان يجعل الهاء والالف في الاصوات المكررة

وعلى ما ذكرنا تكون عبارتا (كأن طرف اللسان يرتعد به) و(اظهر ما يكون هذا الوصف اذا كانت الراء مشددة) اللتان ذكرهما ابو حيان في نكته من عبارات اهل التجويد ولا سيما الداني . وقد ذكرها قبل ابي حيان ابن الطحان ايضا [4]. وذكرها المرادي و السيوطي بعده[5] . وتينك العبارتان لا تمثلان اضافة مهمة على ما ذكره سيبويه وجمهور النحويين .

---

[1] ظ: الرعاية : 106 .
[2] كتاب سيبويه : 2 / 406 .
[3] ظ : المقتضب : 213/1 .
[4] ظ : الاصول : 403/3 . واكتفى ابن السراج في كتابه الموجز بقوله : " المكرر : وهو الراء " ، الموجز 168 .
[5] ظ : المفصل : 396 . و المنهاج في شرح جمل الزجاجي : 809 .
[7] ظ : التحديد : 108 .
[7] م . ن : 110 .
[8] سر صناعة الاعراب : 1 / 63.
[9] ظ : الموضح في التجويد : 92 .

[1] اسباب حدوث الحروف : 11 .
[2] م ، ن : 12
[3] التوطئة : 381 .
[4] ظ: مخارج الحروف وصفاتها :95 .

ولا يعني هذا ان ابا حيان اكتفى بهذا القدر في مصنفاته الاخرى فقد نقل عنه ابن جماعة نصا لم نجده في كتبه المطبوعة مما نرجح ان يكون من كتاب شرح التسهيل لابي حيان، قال ابن جماعة :" و المكرر: الراء، التكرير ارتفاع طرف اللسان عند النطق بها . واختلف اذا نطق بها اتبقى صفة التكرير فيها أم لا ؟ فذهب مكي وغيره إلى ذهابها ، قالوا : وليس التكرير فيها صفة ذاتية كالاستعلاء في المستعلية و كالرخاوة في حروفها ، ونظروا اخفاء التكرير فيها بما ذكره الخليل من ان الهمزة كالتهوع وقد اجمع اهل الاداء على أنها لا تخرج كذلك بل سلسة في النطق سهلة في الذوق متوسطة في اللفظ وذهب شريح إلى ان الراء مكررة في جميع أحوالها وقد ذهب قوم من أهل الاداء الى انه لا تكرير فيها مع تشديدها وذلك لم يؤخذ علينا به غير انا لا نقول بالاشراف في ذلك واما ذهاب التكرير جملة فلا نعلم احدا من المحققين بالعربية ذكر ان تكريرها يسقط عنها جملة انتهى. حكى ذلك ابو حيان ثم قال : وتلخص ان اهل الاداء مختلفون في هذه الصفة و الجمهور على اذهابها وقال الجعبري : التكرير لحن لا يجيزه احد من القراء ومعنى قولهم مكرر ان له قبول التكرير وليتحفظ عنه عكس قولهم مفخم "[6]. وحكاية ابي حيان التي نقلها عنه ابن جماعة لا نعلم من اين تبدا في النص السابق الا اننا نرجح ان يكون النص بتمامة لابي حيان و الدليل على ذكره ان المرادي ذكر نصا كبير الشبه بما ذكره ابن جماعة عن ابي حيان وان لم ينسب المرادي ذلك النص الى ابي حيان كعادته [7] .

ونظن ان المرادي في كتابه شرح الواضحة قد تصرف في نص ابي حيان فحذف بعض الاراء التي ذكرها ابو حيان في شرحه للتسهيل وزاد عليه بعض العبارات التوضيحية وقدم واخر في بعض الاراء .

ان ما نقله ابن جماعة من كلام ابي حيان ولخصه المرادي – على اغلب الظن – لم نجد له ذكرا عند واحد من النحويين قبل ابي حيان بل انه لم يشع عند النحويين بعده فهو من اثر علماء التجويد فيه ، اذ انها قضية تعتني بضبط الاداء وسلامته .

ولكن هذا لا يعني ان النحويين لم يتطرقوا الى حقيقة التكرير في صوت الراء فهذا سيبويه يقول : " و الراء اذا تكلمت بها خرجت كانها مضاعفة و الوقف يزيدها ارتفاعا "[1] فان كانت مفتوحة فهي "بمنزلة حرفين مفتوحين "[2] . وان كانت مكسورة " كانها عندهم مضاعفة فكانه راء قبل راء ..."[3] وهي مع ما فيها من تضعيف " فانما هي حرف واحد بزنته ..."[4] . وقد تابع سيبويه النحويون كافة في اثناء حديثهم على الامالة كما مر.

لقد فهم ابو حيان من قول سيبويه :" ومنها المكرر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه الى اللام فتجافى للصوت كالرخوة ..."[5] ان ظاهر " كلام سيبويه ان التكرير صفة ذاتية للراء"[6]. وهو كما ذهب اليه ابو حيان وهذا يعني ان النحويين متفقون على ان نطق الراء لا يتعدى ان يكون كأنه مضاعفا من غير افراط في التكرير .

وعلى الرغم من اعتناء علماء التجويد بضبط الاداء الا انهم اختلفوا في اظهار التكرير او اخفائه من غير ان يعدم التكرار او اخفائه البتة . فمكي يوجب "على القارئ ان يخفي تكريره ولا يظهره ... " [7] في أي حال كانت عليه الراء . وقيد الداني اخفاء التكرير بتكرر الراء أي تضعيفها [8] . اما عبد الوهاب القرطبي فذهب الى توخي " الافراط في تكراره مع حفظ نظامه وتوفيه نصيبه منه سواء كانت الراء ساكنة او متحركة ... مشددة كانت أو مخففة "[9] الا انه ذهب الى تكلف بيانها في "كل راء ساكنة لقيت نونا سواء كانتا من كلمة او من كلمتين ... لتباعدهما في التكرار فان الراء مكررة وحتى لم يتكلف البيان اندغمت فيها للقرب في المخرج وكذلك حكمها مع اللام ... وكذا ينبغي ان تخلص الراءين اذا اجتمعا والاولى متحركة والاخرى ساكنة .. وتظهر الاخيرة فيها من غير زيادة في التعمل تصير بك الى التكلف ولا هذرمة تزعج

---

[5] ظ : شرح التسهيل : 250 و .
[6] حاشية الجاربردي ، لابن جماعة ، ضمن مجموعة الشافية : 1/ 343- 344 .
[7] شرح الواضحة : 42-45 .
[1] كتاب سيبويه : 2/ 267 .
[2] م . ن : 267/2.
[3] م . ن : 2/ 269 .
[4] م . ن : 2/ 268 .
[5] م . ن : 2/ 406 .
[6] ارتشاف الضرب : 1 / 11 . وقد ذكر المرادي هذا الكلام من غير اشارة الى ابي حيان ، ظ : شرح الواضحة : 44 .
[7] الرعاية : 170.
[8] ظ : التحديد : 137.
[9] الموضح في التجويد : 105 .

السكون وتقلقله ... " [1] .

وقد عد بعض علماء التجويد ، كالفخر الموصلي [2] والجعبري [3] من لا يقرا باخفاء تكرير الراء لاحنا . وقد وضح الجعبري طريق التخلص من التكرير بقوله :" وطريق السلامة منه ان يلصق اللافظ به ظهر لسانه باعلى حنكه لصقا محكما مرة واحدة ومتى ارتعد حدث من كل مرة راء" [4] . في حين ذهب ابو الحسن الى " ان الراء متكررة في جميع احوالها وابين ما يكون ذلك عند الوقف عليها . وذهب قوم من اهل الاداء الى انه لا تكرير فيها مع تشديدها [وذلك لم يؤخذ علينا غير اننا لا نقول بالاسراف فيه واما ذهاب التكرار جملة فلم نعلم] * احدا من المحققين بالعربية ذكر ان تكريرها عنها جملة انتهى [كلامه]**"[5].

اما ابو حيان فظاهر كلامه يدل على التخير بين التكرير وبين عدمه البته، قال :" وبالتكرير قرأنا على من قرا بشرق الاندلس وبعدم التكرير قرانا على شيوخ غرناطة وهو مذهب مكي وابي عبد الله المعافى"[6] .

وهذا يعني ان قراء مشرق الاندلس يقرأون بالتكرير أما أهل غر ناطة فيقراون بإخفائه البتة اما ابو حيان فخير في قراته وهو مذهب لم نجد له نظيرا عند واحد من علماء التجويد في ما نعلم . وقد رد ابن الجزري على المظهرين للتكرير قائلا :" وقد توهم بعض الناس ان حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها مرة بعد مرة ، فاظهر ذلك حال تشديدها ، كما ذهب اليه بعض الاندلسيين ، و الصواب التحفظ من ذلك باخفاء تكريرها كما هو مذهب المحققين . وقد يبالغ قوم في اخفاء تكريرها مشددا فياتي بها محصرمة شبيهة بالطاء وذلك خطأ لا يجوز فيجب ان يلفظ بها مشددة تشديدا ينبو به اللسان نبوة واحدة وارتفاعا واحدا من غير مبالغة في الحصر و العسر ..."[7] . والى ذلك ذهب المرعشي معلقا على توضيح ابن الجزري لعلة عدم اخفاء التكرير البتة ، بقوله :" لان ذلك يؤدي الى ان يكون الراء من الحروف الشديدة مع انه من الحروف البينية بل معناه تقوية ذلك اللصق بحيث لا يتبين التكرير و الارتعاد في السمع ولا يميز اللافظ ولا السامع بين المكررين ..."[8] .

وقد حاول بعض علماء التجويد ان يصرح بعدد ضربات طرف اللسان مع الراء ، قال ابو عبد الله الفاسي : " اذا قلت مرودر. يتحرك طرف اللسان بها فتصير راءين واكثر "[1] ، وقوله : (راءين واكثر) يعني انه لم يجزم بعدد ضربات طرف اللسان مع الراء ، بل ان السيد الشريف الجرجاني – كما نقل المرعشي – قال :" الغالب على الظن ان الراء التي في اخر (الدار) مثلا راءات متوالية كل واحد منها آني الوجود الا ان الحس لا يشعر بامتياز اناتها فنظنها حرفا واحدا زمانيا "[2] .

ب-التكرير عند المحدثين :

لم يستقر المحدثون على مصطلح محدد للصفة المميزة لصوت الراء الساكنة ، فقد اطلقوا على الراء اصطلاحات عديدة هي (المتذبذب) [3]، او (المكرر)[4] . او (المتردد)[5] او (الانحباس المتردد) [6]او (التردد اللمسي)[7].

---

[1] الموضح في التجويد : 167 – 168 .
[2] ظ : الدر المرصوف : 171و، نقلا من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 316.
[3] ظ : حاشية الجاربردي ، لابن جماعة ، ضمن مجموعة الشافية : 2 / 244
[4] شرح الواضحة : 44.
* ما بين المعقوفيتين ساقط من الارتشاف وجاء محله قوله : (ولا نعلم وجهه ولا أر) .
** زيادة من شرح الواضحة .
[5] شرح الواضحة : 43 . وحاشية الجابردي، ضمن مجموعة الشافية :344/2 . و النص في ارتشاف الضرب، ظ : الارتشاف : 1/ 11 .
[6] الارتشاف : 1/ 11 .
[7] جهد المقل : 130.
[8] م.ن : 130.
[1] اللالي الفريدة : 215 و. نقلا من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 318 .
[2] جهد المقل : 129 .
[3] ظ : اللغة ، فندريس : 53.
[4] ظ : الوجيز في فقه اللغة : 91 . واصول تراثية :140 .ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث ، القسم (الانكيليزي – العربي): 79 ، و القسم (العربي – الانكيليزي) : 503 . وعلم اللغة المبرمج : 115 .
[5] علم الاصوات ، مالمبرج : 100 .واسس علم اللغة :86 . وعلم الاصوات العام : 89 .
[6] ظ : اصوات اللغة : 181 .
[7] ظ : م ، ن : 187 .

ولم يضف المحدثون من شيء على مفهوم التكرير عند القدماء ، سوى اشاراتهم الى ان طرف اللسان يضرب اللثة او الحنك او الغار عند نطق الراء ، قال الدكتور ابراهيم انيس: " والصفة المميزة للراء هي تكرار طرف اللسان للحنك عند النطق به" [1] .

وذهب الدكتور سلمان حسن العاني الى ان التكرار بالراء هو "ضربة خفيفة من ذلق اللسان على الغار حيث تنقطع قوة الدفع هناك"[2] وراى بعضهم كالدكتور كمال بشر و الدكتور عبد الصبور شاهين ان ضربات اللسان تكون متكررة "على اللثة تكرارا سريعا "[3] .

في حين اغفل بعض المحدثين المنطقة التي يضربها طرف اللسان عند النطق بالراء [4] .

اما عدد ضربات الراء الساكنة فلم يجزم به واحد من المحدثين فالمستشرق كانتينو و اغلب المحدثين يصفون التكرار بانه " يتمثل في عدة نزات و ارتعاشات في طرف اللسان "[5]. في حين ذهب بعضهم كالدكتور ابراهيم انيس الى حصر طرقات اللسان (بمرتين او ثلاثة)[6] ، وذهب الدكتور احمد مختار عمر الى ان العضو يتذبذب (اكثر من مرة) "ويختلف عدد الذبذبات من لغة الى لغة ولكنه عادة يتراوح بين ذبذبتين وأربع وقد يرتفع الى ستة او سبع مع النبر المعتمد "[7]. وقيد الدكتور عبد الصبور شاهين ضربات اللسان على اللثة "بحيث لا تزيد الضربات في الراء الساكنة عن ثلاث "[8] وذكر في موضع اخر ان تلك الضربات مع الراء الساكنة تكون اكثر من مرة [9] وراى الدكتور عبد القادر عبد الجليل ان الصوت المكرر " تتراوح ذبذباته من 2 – 4 وقد يزيد العدد الى 6 ، مع اعتماد النبر "[10]

كل ذلك اذا كانت الراء ساكنة عندهم اما اذا كانت متحركة فانها تسمى بـ(اللمسية)[11] او (الاستلالية)[12] .

حيث يضرب طرف اللسان اللثة مرة واحدة [13] .

وذهاب المحدثين الى ان طرق اللسان مع الراء المتحركة ينافي كلام القدماء من ان الراء المتحركة بمنزلة حرفيين مفتوحين ، وقد ذكر الاستاذ الدكتور غانم قدوري ال حمد انه " من غير اليسير تاكيد هذه الفكرة او نفيها بالوسائل المتيسرة لهذا البحث . ولكن يمكن ان نتساءل ونقول : هل تتدخل الحركة التي تنطق بعد صوت الراء بين طرقات طرف اللسان على اللثة في اثناء نطق صوت الراء ، ام ان الفم لا ينفتح بالحركة الا بعد تمام صوت الراء ؟ . ارجح – الان – الاحتمال الثاني من خلال التجربة الذاتية ، ولكن من غير ان انفي احتمال التاثر المتبادل بين صوت الراء وحركته "[14] .

ثانياً : صفات ناشئة من صفات أخر :

1-القلقلة و الاشراب و النفخ :

أ-عند القدماء :

---

[1] الاصوات اللغوية ، د. ابراهيم انيس : 55 .

[2] التشكيل الصوتي : 55.

[3] علم اللغة العام (الاصوات) : 129 . و ظ: علم الاصوات ، مالمبرج :119 (دراسة المترجم) .

[4] في البحث الصوتي عند العرب : 65 .

[5] دروس في علم اصوات العربية : 38. و ظ : 74-75 . واصول تراثية : 140. وابحاث ونصوص في فقه اللغة : 198.

[6] ظ : الاصوات اللغوية د.ابراهيم انيس : 55 . وظ: الوجيز في فقه اللغة : 191 .

[7] دراسة الصوت اللغوي : 122 .

[8] علم الاصوات ، المبرج : 119 (دراسة المترجم) .

[9] ظ : المنهج الصوتي للبنية العربية : 28 .

[10] الاصوات اللغوية ، د. عبد القادر : 145 .

[11] ظ : دراسة السمع و الكلام : 204 .

[12] ظ : دراسة الصوت اللغوي :122 .

[13] ظ : علم الاصوات ، مالمبرج: 119(دراسة المترجم) . و الاصوات اللغوية ، د. عبد القادر :145.

[14] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 318.

عالج ابو حيان قضية القلقلة والاشراب في مصنفاته التي بين ايدينا ، اما النفخ فلم يذكره في ما طبع من مصنفاته في غير قوله على التاء انه قد " ذكر لها نفخا " وقد ذكر ابن غانم المقدسي ان ابا حيان ذكر صفة النفخ في كتابه شرح التسهيل وذكر ضمن الاصوات المنفوخة صوت الضاد ، وسيأتي الحديث على ذلك.

لقد عرف ابو حيان القلقلة في كتاب النكت الحسان بقوله :" والقلقلة ، شدة الصياح فكأن الصوت يشتد عند الوقف على الحرف ويجمعها (جد بقط) ومن النحويين من يجعل عوض الباء التاء المعجمة باثنتين من فوق ويقول في هجائها (جد تطق)* . والصواب الاول ، بدليل ان سائر الحروف المتقلقلة مجهورة شداد كالباء "[1] وقال في الارتشاف :" والمتقلقلة يجمعها (قطب جد) والجمهور على ان الباء متقلقلة دون التاء وذهب بعض اهل النحو والاداء الى انها التاء دون الباء وقد ذكر سيبويه التاء في المتقلقلة وهي من المهموسة وقد ذكر لها (نفخا)** [2] . الا ان ابا حيان يسهو فينسب صفة القلقة الى الهمزة وذلك عندما جمع بين صفتي الجهر والشدة في كتاب الارتشاف إذ قال :" والمجهورة الشديدة (طبق اجد)*** وتسمى هذه حروف القلقلة " [3] .

والملاحظ على تعريف ابي حيان في النكت الحسان انه قد عرض المعنى اللغوي للقلقلة مقتصرا على قوله بأنها " شدة الصياح " وهو المعنى اللغوي الذي ذكره الخليل [4] ، غير ان الخليل يذكر للقلقلة معنى اخر وذلك عندما عرض لمعنى اللقلقة لغة اذ قال :" اللقلقلة شدة الصياح ، واللقلاق : الصوت واللقلقة : شدة اضطراب الشيء في تحركه يقال : يتلقلق ويتقلقل لغتان "[5] والى ذلك ذهب ابن منظور الإ انه عد اللقلقة مقلوبة من القلقلة [6] و قد استعمل بعض القدماء (اللقلقة) [7] بدلا من (القلقلة) دليلا على تلك الصفة ومنهم من اصطلح عليها بـ (المحقورة)[8] .

والظاهر من حد ابي حيان في النكت انه متابع لمكي في ربط المدلول الاصطلاحي للقلقلة بمدلولها اللغوي [1] . في حين جمع بعض القدماء بين المعنيين ، قال ابن الحاجب :" سميت حروف قلقلة اما لان صوتها اشد الحروف اخذا من القلقلة التي هي صوت الاشياء اليابسة ، واما لان صوتها لا يكاد يتبين به سكونها ما لم يخرج منها الى شبه التحرك لشدة امرها من قولهم : قلقلة ، اذا حركه ... "[2] وتابعه في ذلك جمع من القدماء كشعلة [3] وابي شامة [4] ، والجاربردي [5] ، والمرعشي [6] .

والذي يظهر من تعريف ابي حيان للقلقلة ما ياتي :

1- ان الاصوات المتقلقلة خمسة هي (قطب جد) او (جد بقط) لكنه سها في الارتشاف فنسب القلقلة إلى الهمزة.
2- ان اصوات القلقلة متصفة بالجهر و الشدة .
3- ان اصوات القلقلة هي اصوات اشتد صوتها عند الوقف عليها .
4- انه ذكر ان سيبويه يعد التاء من المتقلقلة ، وان بعض النحويين واهل الاداء يعدون التاء من المتقلقلة ويستبعدون الباء من المتقلقلة ، وقد رفض ابو حيان ان تكون متقلقلة لان سائر الاصوات المتقلقلة مجهورة شداد كالباء او التاء فهي مهموسة .

اما الاصوات المشربة فقد عرفها ابو حيان في النكت بقوله :" ومشرب: هي الحروف الخمسة المستحسنة التي زادها العرب وهي : النون الخفيفة ، و الالف المفخمة ، و الالف الممالة ، و الصاد التي بين

---

* في المتن المحقق (جد تطبق) بالباء ، وهو تحريف صوابه ما أثبتناه .
[1] النكت الحسان : 281.
** في طبعة (النماس) وردت (نفخا) بالحاء ، وهذا تصحيف ، صوابه ما اثبتناه وهو في مصورة الارتشاف في المجمع : ظ:5 ظ .
[2] الارتشاف : 11/1 .
*** في طبعة النماس (طبق اجد) بالحاء وهو تصحيف صوابه ما جاء في مصورة المجمع ظ : 5ظ .
[3] م . ن : 1 / 10 .
[4] ظ : العين : 5 / 26 (ق ل) .
[5] م . ن : 5 / 26 (ل ق) . وجاء في الرعاية ان الخليل قال : " اللقلقة شدة الصوت " ، الرعاية : 100 .
[6] ظ : اللسان : 10 / 331 (ل ق ق) .
[7] ظ : الرعاية : 100 .
[8] ظ : اللسان : 4 / 208 (ح ق ر) و 2 / 205 (حرف الجيم) .
[1] ظ : الرعاية : 100 .
[2] الايضاح في شرح المفصل : 2 / 488.
[3] ظ : كنز المعاني : 1190.
[4] ظ : ابراز المعاني (مخارج الحروف) : 12.
[5] ظ : شرح الشافية الجاربردي ، ضمن مجموعة الشافية : 1 / 343 .
[6] ظ : جهد المقل : 121 .

الصاد و الزاي ، وهمزة بين بين" [1] . وقد وصف في كتاب الارتشاف الاصوات المشربة على غير الصورة التي ذكرها في النكت قائلا : " و المشربة : الزاي و الظاء و الذال و الضاد " [2] .

وقد ذكر ابن غانم المقدسي صفة النفخ في رسالته (بغية المرتاد) وهو يتحدث على الضاد قائلا :" النفخ : وهو صوت يلحقها عند الوقف يشبه النفخ ، ذكر هذه الصفة الجعبري في كتبه و الاستاذ ابو حيان في شرح التسهيل [3] " .

والضاد كما وصفها ابو حيان في الارتشاف من الاصوات المشربة . وهذا يعني ان الاصوات المشربة هي اصوات يلحقها عند الوقف صوت يشبه النفخ .

ولو قلّبنا التراث لوجدنا ان اول من تحدث على اصوات القلقلة بشكل واضح سيبويه وذلك في قوله:"واعلم ان من الحروف حروفا مشربة ، ضغطت من مواضعها ، فاذا وقفت خرج معها من الفم صويت، ونبا اللسان عن موضعه ، وهي حروف القلقلة ... وذلك (القاف ، والجيم ، و الطاء ، و الدال ، والياء) والدليل على ذلك انك لو قلت : الحذق . فلا تستطيع ان تقف الا مع الصويت ، لشدة ضغط الحرف. وبعض العرب اشد تصويتا كأنهم الذين يرمون الحركة " [4] .

يتضح من هذا النص ما يأتي :

1- ان اصوات القلقلة عند سيبويه خمسة هي (ق ج ط د ب) .
2- وصف سيبويه تلك الاصوات بصفتين، احداهما : انها مشربة (مجهورة)، والاخرى : انها ضغطت من مواضعها (شديدة) .
3- ذكر ان تلك الاصوات يحدث عند الوقف عليها امران ، احداهما : ان اللسان ينبو معها من موضعه، والاخر انها اصوات يخرج معها صويت من الفم .
4- انه حين علل سبب خروج ذلك الصويت لم يذكر غير (شدة ضغط تلك الاصوات من مواضعها) سببا لذلك . وهذا واضح من قوله : (... لشدة ضغط الحرف) .

ودليل اخر على ذلك هو انه ذكر ان ذلك الصويت لا يخرج مع تلك الاصوات في الوصل " لانك لا تنظر ان ينبو لسانك – حتى تبتدئ صوتا " [5] . وهذا يعني ان شدة الضغط ولدت نبو اللسان و الاخيرة سببت خروج الصويت .

لكن هذا لا يعني ان سيبويه لم يدرك قيمة الجهر في حصول القلقلة ، ولعل سبب اغفاله ذلك في تعليله الصوتي لحصول الصويت مع تلك الاصوات هو انه اراد ان يشير الى السمة التي تمتاز بها تلك الاصوات الخمسة المجهور من اخواتها المجهورات وهي قوة الضغط (الشدة) ، وهذا ما لم يقل به احد على اغلب الظن .

بعدها تحدث سيبويه على مجموعة اخرى من الاصوات قائلا :" ومن المشربة حروف اذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة ولم تضغط ضغط الاولى، وهي (الزاي و الظاء و الذال و الضاد) لان هذه الحروف اذا خرجت يصوت الصدر انسلّ اخره وقد فتر من بين الثنايا لانه يجد منفذا فتسمع نحو النفخة وبعض العرب اشد صوتا وهم كانهم يرمون الحركة و الضاد تجد المنفذ من بين الاضراس ... وذلك قولك : هذا نشز. وهذا خفض "[6]. ووصف الراء في موضع لاحق بقوله :" و الراء كالضاد "[7] . وهذا يعني ان الاصوات الخمسة (ز ، ظ ، ذ ، ض ، وصوت الراء) انمازت عند سيبويه بامور هي :

1- انها اصوات مشربة (مجهورة) .
2- انها اصوات لم تضغط ضغط الاولى لاحد امرين : اما لانها اصوات رخوة وهذا يشمل اصوات (ز ، ذ، ض ، ظ) ، أو ان تكون متوسطة بين الشدة و الرخاوة وهذا يشمل صوت الراء ، ولعل افتراق صوت الراء عن اصوات مجموعته من حيث كيفية الانتفاح او كيفية مرور الهواء عند النطق بالصوت هو السبب الذي دفع سيبويه الى ان يفرده بالحديث اخيرا .

---

[1] النكت الحسان :282 .
[2] الارتشاف : 11/1 .
[3] بغية المرتاد : 123 .
[4] كتاب سيبويه : 2 / 284 .
[5] كتاب سيبويه : 2 / 285.
[6] م.ن : 248/2 .
[7] م . ن : 2/ 285 .

وتابع ابن جني سيبويه في هذا ، وعلل الدكتور حسام النعيمي سبب فصل الراء عن اخواتها عند ابن جني بانه " آتٍ من انه قد تناول الكلام على الوقف على الراء قبيل كلامه على حروف القلقلة... "[1] . وهو احتمال ضعيف و الارجح و الاصح منه ما ذكرناه سابقا .

3- ان تلك الاصوات عند الوقف عليها تعقب بنفخة وذلك بعد فتور صوت الحرف من بين الثنايا او من فوقها او من بين الأضراس . اما سبب تلك النفخة فلضيق المنفذ الذي تخرج منه تلك الاصوات او اضطرابه كما يحدث مع صوت الراء .

ثم وصف سيبويه حال الاصوات المهموسة اذا وقف عليها بقوله :" واما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ لا نهن يخرجن مع التنفس لاصوات الصدر وانما تنسلّ معه ، وبعض العرب اشد نفخا كانهم الذين يرومون الحركة فلا بد من النفخ لان النفس تسمعه كالنفخ" [2] .

و الذي يلاحظ من نص سيبويه أمران، احدهما : ان سبب النفخ هو همس تلك الاصوات لان الهمس تسمعه كالنفخ . و الاخر : انه اهمل هيأة الاعضاء النطقية في انتاج الاصوات من حيث الشدة و الرخاوة . فالامر لا يحتاج الى ذلك لان تلك الاصوات ستعتمد في نفخها على صفة الهمس .

وقد ذكر ابن جني ان نفخ تلك الاصوات اقل من نفخ الاصوات المجهورة (المشربة) ذات المنافذ الضيقة اما لرخاوتها او لتوسطها .[3]

ولم يتبق من الاصوات الصوامت سوى (ل ، ن ، م ، أ ، ع ، غ) وهي عند سيبويه [4] : " حروف مشربة لا تسمع بعدها في الوقف شيئا مما ذكرنا ". وسبب عدم حصول ذلك مع اللام و النون :" لانها لم تضغط ضغط القاف ولا تجد منفذا كما وجد في الحروف الاربعة " قصد بالحروف الاربعة الاصوات المجهورة الرخوة ذات المنافذ الضيقة " لانهما ارتفعتا عن الثنايا فلم تجدا منفذا " أما مع الميم فذلك " لأنك تضم شفتيك ولا جافيهما كما جافيت لسانك في الاربعة حيث وجدت المنفذ " . واما سبب انعدام حصول الصويت او النفخ مع اصوات (ع ، غ ، أ) فذلك " لانك لو اردت النفخ من مواضعها لم يكن كما لا يكون من مواضعها اللام و الميم ...".

و الذي يلاحظ على كلام سيبويه عامة انه اطلق سبب النفخ مع الاصوات المهموسة ولم يقيده بهياة الاوضاع النطقية من حيث الشدة و الرخاوة ؛ لان النفس كالنفخ اما الاصوات المجهورة (المشربة) فقد قيد حصول الصويت او النفخ معها بشروط تحدد بقوة الضغط (الشدة) او ان تكون رخوة ذات منافذ ضيقة ، فاذا انعدم هذان الشرطان بان لا يكون الضغط قويا كما يحصل مع الهمزة او ان يكون المنفذ ضيقا كضيقه في اصوات (ز ، ظ ، ذ ، ض ، ر) انعدم الاثر السمعي بعدها في الوقف .

وقد ختم سيبويه حديثه على الاصوات المتقلقلة و المنفوخة بذهابه إلى أن تلك الاصوات لا يعيقها ذلك الصويت او النفخ عند الوصل " لانك لا تنتظر ان ينبو لسانك ولا يفتر حتى تبتدىء صوتا وكذلك المهموس لانك لا تدع صوت الفم يطول حتى تبتدىء صوتا ... "[5] . زيادة على انه - في هذا الموضع - استعمل لفظة (الصوت) بدلا من (الصويت) تعبيرا عن الاثر السمعي الذي يعقب الاصوات المتقلقلة[6]. وهذا يعني ان سيبويه لم يستعمل في ذلك مصطلح (الصويت) فقط كما ظنه المحدثون[7] .

وياتي المبرد فيصف اصوات القلقلة بقوله :" ومنها حروف تسمع في الوقف عندها نبرة بعدها وهي حروف القلقلة وذلك لانها ضغطت مواضعها "[8] وقال في موضع اخر :" واعلم ان من الحروف حروفا محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقوف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف القلقلة واذا تفقدت ذلك وجدته . فمنها القاف ، و الكاف الا انها دون القاف لان حصر القاف اشد ، وانما تظهر هذه النبرة في الوقف فان وصلت لم يكن ، لانك اخرجت اللسان عنها الى صوت اخر فحلت بينه وبين الاستقرار . وهذه المتقلقلة بعضها اشد حصرا من بعض كما ذكرت لك في القاف و الكاف "[9] .

نخلص من ذلك الى عدة امور هي :

---

[1] الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني : 320 .
[2] كتاب سيبويه : 2/ 284 .
[3] ظ : سر صناعة الاعراب : 1/ 63 .
[4] كتاب سيبويه : 2/ 284 –285 .
[5] م.ن : 285/2 .
[6] كتاب سيبويه :285/2 .
[7] ظ : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 306 . و المصطلح الصوتي ، الصيغ : 155 .
[8] المقتضب : 1/ 194 .
[9] م . ن : 196/1 .

1- ان المبرد عبر عن الاثر السمعي اللاحق باصوات القلقلة بلفظة (النبرة) .
2- ان شرط حصول تلك (النبرة) مع اصوات القلقة ، ان تكون تلك الاصوات موقوفا عليها ، فان وصلت زالت النبرة منها .
3- ان سبب حصول القلقلة في تلك الاصوات هو (لانها ضغطت في مواضعها) او لانها (محصورة في مواضعها) فقط . سواء اكانت تلك الاصوات مهموسة ام مجهورة .
4- ان ضغط الاصوات المتقلقلة في مواضعها او حصرها هناك متدرج فـ(بعضها اشد حصرا من بعض)
5- انه ذكر صوتي القاف و الكاف على سبيل التمثيل لا الحصر .

وهذا يعني ان اصوات القلقلة عند المبرد – وان لم يصرح بذلك - سبعة هي (ق ، ط ، ب ، ج ، د ، ك ، ت) ولم يرد في مصادر القدماء ان المبرد عد صوت التاء من المتقلقلة مكتفين بالاشارة الى انه عد الكاف منها[1] ، إلا المرعشي فانه علق على رأي المبرد السابق بقوله :" اقول : فكانه لم يشترط قوة الصوت الزائد وان شرط انحصار صوت الحرف قبله لكن يلزمه ان يعد منها التاء المثناة الفوقية ايضا "[2]. قال الاستاذ الدكتور غانم قدوري ال حمد تعليقا على قول المرعشي : " وهذا قول صحيح "[3] . وذكر الصيغ انه ان كان قصد المبرد من اصوات القلقلة الشديدة فقط فهو كلام صحيح بل يدخل التاء معها ايضا وان كان قصده اجتماع الشدة و الجهر فيها فهو كلام غير صحيح[4]. وقد تابع ابن باشاذ المبرد في عد الكاف من المتقلقلة ايضا [5] . في حين ظل ابن يعيش مضطربا بين تصريحه ان اصوات القلقلة خمسة هي اصوات (قطب جد) وبين ان يعد الكاف متقلقلة لكنها دون القاف[6] .

اما ابن جني فقد تابع سيبويه في مفهوم الاصوات المتقلقلة و المنفوخة في كتابه سر صناعة الاعراب غير أنه أضاف بعض العبارات التوضيحية منها ان تلك الحروف " تحفز في الوقف " زيادة على قوله انها " تضغط عن مواضعها " وبالحفز و الضغط علل سبب حصول الصويت اللاحق باصوات القلقلة قائلا " وذلك لشدة الحفز و الضغط " وزاد ايضا على كلام سيبويه ان النفخ مع الاصوات المهموسة " ليس كنفخ الزاي و الظاء و الذال " [7] .

والملاحظ على تلك الزيادات انها لم تغير شيئا مما اراده سيبويه بقدر ما اظهرت مفهوم سيبويه بشكل اوضح ، فالحفز في اللغة " الحث و الاعجال "[8] و الكلمة بهذا المعنى " أعطت المعنى الاصطلاحي وضوحا اكثر"[9] لانه سيخرج الاصوات الشديدة المجهورة التي لم تحفز ولم تضغط في مواضعها من صفة القلقلة كصوت الهمزة .

ولابد من الاشارة الى ان ابن جني عبر عن الاثر السمعي اللاحق باصوات القلقلة بلفظة (الصوت) اذ قال :" ... لأنك لا تستطيع الوقف عليها الا بصوت ..." [10] واستعمل لفظة (النفخ) تعبيرا عن الاثر السمعي اللاحق بالاصوات المهموسة و المجهورة ذات المنافذ الضيقة الا انه يعمم اللفظة الاولى – أي الصوت – فيجعلها تشمل الاثر السمعي اللاحق باصوات القلقلة و الاثر السمعي اللاحق بالاصوات المنفوخة. وذلك عندما ذكر حالة تلك الاصوات جميعا في الوقف قائلا :" وجميع هذه الحروف التي تسمع في الوقف صوتا متى ادرجتها ووصلتها زال ذلك الصوت لان اخذ صوت اخر وحرف سوى الاول يشغلك عن اتباع الحرف الاول صوتا ، وذلك نحو : خذها وجزه و اخفضه و احفظه ..."[11] وهذا الذي ذكره ابن جني عن حال تلك الاصوات في الوصل – بغض النظر عن لفظة الصوت – هو ما ذهب اليه سيبويه في كتابه، كما مر .

ومع ما ذكره ابن جني في سر صناعة الاعراب فقد وجدناه في كتاب الخصائص يتحدث على الاصوات التي يعقبها اثر سمعي عند الوقف عليها بشكل اوضح بل ان هناك فرقا بين خالف ما ذهب اليه سيبويه وما ذهب اليه هو نفسه في سر صناعة الاعراب من ان وصل تلك الاصوات يفقدها الاثر السمعي اللاحق بها . قال ابن

---

[1] ظ : الموضح في التجويد : 93 . و النشر : 1/ 203 . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 304 .
[2] جهد المقل : 122.
[3] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :304 .
[4] المصطلح الصوتي ، الصيغ : 156 .
[5] ظ: شرح الجمل في النحو : 479 . و المنهاج في شرح جمل الزجاجي :808 .
[6] شرح المفصل لابن يعيش : 10/ 129 –130 .
[7] سر صناعة الاعراب : 63/1 .
[8] اللسان : 5/ 337 (ح ف ز) .
[9] المصطلح الصوتي ، الصيغ : 153-154 .
[10] سر صناعة الاعراب : 1/ 63 .
[11] سر صناعة الاعراب : 64/1 .

اجني في الخصائص : " ان الحرف الساكن ليس حاله اذا ادرجته الى ما بعده كحاله لو وقفت عليه وذلك لان من الحروف حروفا اذا وقفت عليها لحقها (صويت) ما من بعدها فاذا ادرجتها الى ما بعدها ضعف ذلك الصويت وتضاءل للحس نحو قولك : (اح ، اث ، اف ، اخ ، اك) فاذا قلت : يجرد ، ويصبر، ويسلم ، يثرد ، ويفتح ، ويخرج خفي ذلك (الصويت) وقل وخف ما كان له من الجرس عند الوقوف عليه ..."[1] ثم علل سبب ذلك بقوله :" وسبب ذلك عندي انك اذا وقفت عليه ولم تتطاول الى النطق بحرف اخر من بعده تلبثت عليه ولم تسرع الانتقال عنه فقدرت بتلك اللثة على اتباع ذلك الصويت إياه فاما اذا تأهبت للنطق بما بعده وتهيات له ونشمت فيه فقد حال ذلك بينك وبين الوقفة التي يتمكن فيها من اشباع ذلك الصويت فيستهلك ادراجك اياه طرفا من الصوت الذي كان الوقف يقره عليه ويسوغك امدادك اياه به "[2] .

ثم بيّن درجات وضوح ذلك الصويت في السمع قائلا :" فاقوى احوال ذلك الصويت عندك ان تقف عليه فتقول : اص . فان انت ادرجته انتقصته بعضه فقلت: اصبر. فان انت حركته اخترمت من الصوت البتة، وذلك قولك: صبر . فحركة ذلك الحرف تسلبه ذلك الصوت البتة، و الوقوف عليه يمكنه فيه، وادراجك الساكن يبقي عليه بعضه "[3].

وقد بيّن في موضع اخر من الخصائص منزلة ذلك الصويت ودوره في اتمام نطق الصوت اللغوي، إذ قال :" فان قلت : فقد تجد من الحروف ما يتبعه في الوقف صوت وهو مع ذلك ساكن وهو الفاء و الثاء و السين و الصاد ونحو ذلك تقول في الوقف : اف ، اث ، اس ، اص . قيل : هذا القدر من الصوت انما هو متمم للحرف وموف له في الوقف لأن الوقف يضعف الحرف، الا تراك تحتاج الى بيانه بالهاء نحو :

وا غلاماه ، ... وذلك انك لما اردت تمكين الصوت وتوفيته ليمتد ويقوى في السمع وكان الوقف يضعف الحرف الحقت الهاء ليقع الحرف قبلها حشوا فيبين ولا يخفى . ومع ذلك فان هذا الصوت اللاحق للفاء و السين ونحوها انما هو بمنزلة الاطباق في الطاء ، و التكرير في الراء، و التفشي في الشين، وقوة الاعتماد الذي في اللام "[4] .

نخلص من كل هذا الى :

1- ان درجات الوضوح لذلك الاثر السمعي الذي يعقب تلك الاصوات متفاوتة في الصوت نفسه على النحو الاتي :

أ- أقوى وأوضح حالاته عند الوقف على الصوت . اذ يظهر مشبعا تاما . كما في قولك : اص .

ب- أقل من ذلك في الوضوح ، اذا ادرج الصوت ساكنا في داخل المفردة فذلك الادراج (يبقي عليه بعضه) نحو قولك : اصبر .

ج- فان تحرك الصوت اللغوي زال الاثر منه البتة ، وذلك قولك : صبر (فحركة ذلك الحرف تسلبه ذلك الصوت البتة) .

2- ان حقيقة ذلك الاثر انه متمم للصوت وموفٍ له حقه في النطق ، وهو بمنزلة الاطباق في الطاء والتكرير في الراء ، ... لأنه يشبع الصوت كما تشبعه تلك الصفات .

3- ان ابن جني في الخصائص ، عبر عن ذلك الاثر السمعي بلفظه (الصويت) . وهذا يظهر تعدد الاستعمالات في المفهوم الواحد . فمرة يستعمل لفظه (الصوت) خاصة للاثر الذي يعقب اصوات القلقة . و(النفخ) للاثر الذي يعقب الاصوات المنفوخة . وفي مرة يعمم لفظة (الصوت) على الاثرين كليهما، وذلك في سر صناعة الاعراب . أما في الخصائص فقد عبر بـ(الصويت) عن كل اثر يصدر بعد الاصوات الموقوف عليها .

وهذا يعني ان ابن جني لم يكن مستقرا في استعمال الفاظه التي عبر بها عن الاثار السمعية اللاحقة بالاصوات عند الوقف .

ويقصر مكي بن ابي طالب حديثه على اصوات القلقلة فقط التي هي عنده خمسة كما هي عند سيبويه الا انه عبر عن الاثر السمعي الذي يعقبها بانه (يشبه النبرة) او انه (صوت زائد) يحصل عند الوقف عليها وهو يعقب تلك الاصوات في الوصل غير انه في الوقف أبين. وقد ذكر انها اصوات شديدة الصوت

---

[1] الخصائص : 1/ 58 .
[2] م . ن :1/ 58 –59 .
[3] الخصائص : 59/1 .
[4] م . ن : 330/2 .

(عالية) لما يعقبها من صوت شديد النبرة . وانها اصوات ضغطت عن مواضعها . واشار الى ان القاف اشد الاصوات قلقلة بل هي اصل لها [1] . اما مصطلح (المشربة) فقد استعمله مكي في اطار جديد لا عهد لنا به عند من سبقه ، قال مكي :" الحروف المشربة ، ويقال لها : المخالطة – لكسر اللام وفتحها – وهي الحروف الستة التي ذكرنا ان العرب اتسعت فيها فزادتها على التسعة و العشرين الحروف المستعملة نحو الصاد و الزاي وهمزة بين بين وشبه ذلك فهي مشربة بغيرها وهي مخالطة في اللفظ بغيرها وهي مخالطة لان غيرها يخالطها في اللفظ "[2] وبهذا نقع على المصدر الذي استقى منه ابو حيان الاندلسي مفهوم (الاشراب) في كتاب النكت الحسان .

والذي يجب ان نشير اليه هنا امرين ، احدهما : ان مكيا وابا حيان ذكرا في الاصوات العربية المستحسنة ستة اصوات :الخمسة التي ذكراها في المشربة وصوت (الشين التي كالجيم) ولا نعلم لماذا لم يعدا هذا الصوت من الاصوات المشربة ، و الامر الاخر هو : اذا كان الاشراب بمعنى المخالطة وهو كذلك في اللغة [1] فهذا يعني ان صوت غيرها يخالطها في اللفظ وهو ما ذكره مكي ولكن هذا لا يصدق على مفهوم الغنة او النون الخفيفة لانها غنة خالصة من الخيشوم بل انه يصدق على صوتي النون المتحركة و الميم من حيث ان مخارجها من الفم الا انهما خالطهما صوت الغنة من الخيشوم وقد اشار سيبويه الى ان النون المتحركة مشربة غنة قائلا :" ليس مخرجها من الخياشيم ولكن صوت الفم اشرب غنة "[2] أي خالطه صوت الغنة 0

اما ابو عمرو الداني فقد ذكر القلقلة فقط ولم يزد فيها شيئا على ما ذكره سيبويه فهي عنده مشربة وضغطت من مواضعها فاذا وقف عليها خرج معها من الفم صويت بعد ان ينبو اللسان من موضعه "[3] " وذلك لشدة الحفز و الضغط "[4] .فكلمة الحفز تذكرنا بزيادة ابن جني في مفهوم القلقلة انها (اصوات تحفز في الوقف) .

ويطالعنا عبد الوهاب القرطبي باستعمالات جديدة لا عهد لنا بها من قبل فهو وان تابع سيبويه في مفهوم القلقلة مضيفا إلى كلامه انها (تحفز في الوقف) التي استعملها ابن جني ورافضا ان تكون الكاف متقلقلة [5] الا انه يطلق على الاصوات التي يعقبها (نفخ) وهي المجهورة ذات المنافذ الضيقة (ز ، ظ ، ذ، ض وصوت الراء) مع الاصوات المهموسة كلها مصطلح المشربة وقد زاد عليها النون المتحركة " لان مخرجها من مخرج اللام وهي مشربة غنة فاما الخفيفة فانها خالصة من الخياشم ..."[6] .

ولسنا مع القرطبي في مذهبه هذا لا نه يخلط بين دلاتين مختلفتين فالمشوبة او المشربة كلتاهما تدلان على معنى لغوي واحد هو المخالطة وعليه فاننا نفهم ان اصوات (ز، ظ ، ذ ، ض ، ر) و الاصوات المهموسة كلها خالطت صوت النفخ ، أي ان سبب تسميتها بذلك ليس لكونها مجهورة كما هو الحال عند سيبويه وابن جني اللذين زادا عليها اصوات القلقلة لانها مجهورة ايضا .

وهذا المفهوم الذي استعمله القرطبي (أي المخالطة) يصدق على النون المتحركة ايضا من حيث انها خالطتها الغنة . ولكن كيف يستطيع القرطبي ان يسوغ وصفه اصوات (العين ، و الغين ، و اللام ، و النون ، و الميم ، والهمزة) بأنها اصوات لا يسمع بعدها شيء " لانها لم تضغط ولم تجد منفذا "[7] ، أيقول انها اصوات غير مشوبة ام غير مشربة ؟ متجاهلا وصفه النون المتحركة بالاشراب لانها خالطتها الغنة، وبمعنى اخر كيف يمكن ان يوجه القرطبي ذهابه الى ان النون المتحركة صوت مشرب مرة وغير مشرب مرة اخرى ؟! لا شك في انه تضارب وخلط في المفاهيم عند القرطبي لان مخالطة النون المتحركة (الغنة) غير مخالطة الاصوات المنفوخة للنفخ .

---

[1] ظ : الرعاية : 100 .
[2] م . ن : 105-106.
[1] ظ : اللسان : 1/ 491 –492 .(ش ر ب) .
[2] كتاب سيبويه : 2/ 415 .
[3] ظ : التحديد : 111 .
[4] م . ن : 111 .
[5] ظ : الموضح في التجويد : 93.
[6] م . ن :94
[7] م . ن : 93 .

ب- موقف المحدثين من فهم القدماء لصفة القلقلة/الاشراب/النفخ :

لم يكن للمحدثين فهم محدد لمراد القدماء من تلك الصفات. فالمستشرق ارتور شاده يتردد في تفسير (الصويت) اللاحق بأصوات القلقلة في عبارة سيبويه بين مذهبين، أحدهما: إنه قصد بالصويت (صوت الجهر) وهو الحدث النطقي الناتج من اهتزاز الأوتار الصوتية . لذا فإن سيبويه لم يوفق إلى إدراك ذلك الأثر النطقي إلا في حالة الوقف على الأصوات المجهورة الشديدة .

لقد أدرك ارتور شاده أنّ إدراك جهر بعض الأصوات الشديدة أمر صعب اسهل منه إدراك الأصوات المجهورة الرخوة .متسائلاً ما إذا كان سيبويه قد أدرك المستور (وهو جوهر الأصوات الشديدة) ولم يوفق في إدراك المكشوف (وهو الجهر في الأصوات الرخوة) ؟. وقد استبعد شاده ذلك الاحتمال، وان لم يكن مستحيلاً عنده[1] .

أما الاحتمال الثاني عند شاده فهو ناتج من ملاحظته لنطق رجل صنعاني إذ ان ذلك الرجل كان ، عندما يقف على (الدال) أو (الباء) أو غيرهما من المجهورات ، "يطرد أو يدفع طرف لسانه على لثته بقوة تشبه الانفجار ،... ولم يكن يفعل ذلك إذا وقف على الزاي وسائر المجهورات الرخوة "[2] . ورأى شاده "أنّ تلك الشدة في إزالة العارض التي نشاهدها الآن عند أهل صنعاء عند الوقف عند الحروف المجهورة الشديدة هي (الصويت) الذي ذكر سيبويه انه مخصوص بهذه الحروف في الوقف"[3] .

وكلام المستشرق شاده مردود من جهتين ،إحداهما : إن الدكتور صبيح التميمي ذكر أن نطق ذلك الرجل الصنعاني الذي استشهد به شاده لا يعد "تمثيلاً للهجة صنعاء ، فلم الحظه طيلة إقامتي فيها ولم يلحظه دارسو أصوات لهجة صنعاء أمثال أ.روسي..أوياسترو..أو بينشت..أو عبد الغفار هلال.."[4] .

أما الجهة الأخرى فتكمن في أن الأستاذ شاده حاول من كلام سيبوبه على الأصوات المتقلقلة والمنفوخة وغير المنفوخة أن يبين مفهوم الجهر عنده. تلك المحاولة جيدة لا بأس فيها إذا ما اعتمدنا لفظة سيبويه: (المشربة) التي وصف بها كل الأصوات المجهورة وهي ما عدا أصوات (ستشحثك خفصة).

فالاشراب يعني المخالطة وبهذا يكون معنى الجهر عند سيبويه في قوله: (إشباع الاعتماد) أن الصوت الناتج من أعضاء النطق المولدة له يشبع ويشرب بصوت آخر هو ما عبر عنه بـ(صوت الصدر). وقد مر الحديث على ذلك في صفة الجهر، إلا إن الأستاذ شاده لم يتبع هذا الاتجاه في فهم صفة الجهر عند سيبويه من خلال ما ذكره في أصوات القلقلة والمنفوخة وغير المنفوخة. بل اعتمد على (الصويت) اللاحق بالأصوات المتقلقلة في فهم ذلك ! . والذي فسره بان يكون مشابهاً لنطق الصنعاني الذي استشهد به، قائلاً:"ومن المحتمل أن ملاحظة هذا الصويت الذي رأى سيبويه سببه في شدة الضغط حمله على أن يصف المجهور في كل حال-ليس في الوقف فقط –بإشباع الاعتماد في موضعها، ومنع النفس معها ،ويسوءني في هذا الكشف... "[5]. وهو كلام مردود كما مر في موضعه.

أما دكتور تمام حسان فرأى أن القدماء وصفوا أصوات القلقلة بأنها أصوات مجهورة شديدة[6]. ويتم نطق تلك الأصوات-كما يقرأ قراء القرآن- بإضافة صوت علة بعد كل واحد منها لغرض إظهار الصوت المتقلقل ، كما يحدث مع صوت الباء[7]. وقد قصد الدكتور تمام بإظهار الصوت أنْ تظهر صفة الجهر فيه فهو يقول في صوت الدال " فقد حرص القراء على أن يجهروا صوت الدال في كل موقع،وذلك بجعلها من الأصوات المتقلقلة"[8] . وهو ما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس الذي قال في صوت الباء: "وقد حرص القدماء على الجهر بهذا الصوت وهو مشكل بذلك الرمز المسمى بالسكون، فأضافوا إليه صوت لين قصير جداً يشبه الكسرة وسموا

---

(1) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا:54-55.
(2) م.ن: 55.
(3) م.ن :55.
(4) م.ن :55 هامش (2).
(5) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا: 56.
(6) ظ:مناهج البحث في اللغة :123 .
(7) ظ: م.ن :119.
(8) م.ن :122.

تلك الظاهرة بالقلقلة ، حرصاً منهم على إظهار كل ما في هذا الصوت من جهر فلا يختلط بنظيره المهموس الذي يرمز إليه في الكتابة الأوربية (p) لان مهموس الباء ليس صوتاً اساسياً من أصوات اللغة العربية"[1] . لكنه يقول في موضع آخر: "فالصوت الشديد المجهور مال دائماً إلى أن يصبح مهموساً ولا سيما إذا كان مشكلاً بالسكون-متطرفاً أو وسط كلمة - وقد جاوره صوت مهموس . لهذا أطالوا الأصوات الشديدة المجهورة ليظهروا جهرها ويحوْلوا بينهما وبين أن تصبح مهموسة ، ولاسيما إذا كانت مشكله بالسكون وهذه الظاهرة التي سماها القدماء بالقلقلة .فقلقلة الباء المشكلة بالسكون ليست إلا إطالة لها مع إضافة صوت لين قصير جداً يشبه الكسرة ... "[2] . قصد بإطالة القلقلة أن زمنه النطقي يزداد بالصوت القصير الذي يشبه الكسرة بعده.

وذهب الدكتور كمال بشر إلى أن أصوات القلقلة المجهورة كالباء مثلاً يمكن أن تهمس "وفي هذه الحالة يصحب الاهماس عدم انفجار كامل،ولعل هذا أحد الأسباب التي من اجلها نصّ العرب على وجوب تحريك الباء بصويت إذا كانت ساكنه،حتى يتحقق الانفجار والجهر التام (كذا)"[3]. وفسر لفظة (الصويت) عند القدماء بقوله : "... أي بصوت خفيف قصير عند النطق بها ساكنة... "[4] . وذكر أيضا انه أشبه "بحركة ضعيفة"[5] . وان ذلك الصويت عند القدماء يعقب تلك الأصوات في حالة إسكانها ولاسيما عند الوقف ، وسبب ذلك عند الدكتور بشر "ان في هذا النطق [أي نطق الصويت] تحقيقاً كاملاً لخواص هذه الحروف،أي تحقيقاً للانفجار والجهر،فعدم وجود هذا الصويت ينشأ عنه تقليل صفتي الانفجار والجهر معاً... "[6] . وسار على هذا الفهم أغلب المحدثين [7] . وعلل الدكتور كمال بشر سبب تسمية تلك الأصوات بالقلقلة ، بقوله: "أما تسمية هذه الأصوات بأصوات القلقلة فلأنها أصوات تحتاج إلى تحريك فكأن القلقلة جاءت من الفعل قلقل الشيء بمعنى حركه"[8] . وهو رأي بعض القدماء كما مر ، وسار عليه بعض المحدثين[9] .

وقد فهم الدكتور حسام النعيمي من تعبير ابن جني عن الأثر السمعي اللاحق بأصوات القلقلة - أي لفظة (الصوت) - انه : "يبدو ان ابن جني قد أدرك ان هذه الحروف مجهورة، وذِكْر الصوت معها في الوقف قد يفهم منه انها تحولت إلى الهمس، أو ان ضابط الجهر قد اختل معها لان المجهور كما ضبطوه لا يجري النفس معه، فاحتاط لذلك بأمرين ، الأول: انه فرّق بين الصوت الذي يخرج في الوقف مع بعض الحروف المجهورة، والذي يخرج مع الحروف المهموسة بأن الذي يخرج مع المهموسة إنما هو نفَس يخرج مستلاً (وليس من صوت الصدر)، وكأن صوت الصدر الذي يشير إليه مع المجهورة هو ما احسه من نزيز الوترين معهما . الثاني (كذا) : انه تناول موقف الأحرف المجهورة جميعاً من هذا الضغط والحفز أو القلقلة ، عند الوقف الا حروف اللين إذ يبدو انه ترك ذكرها في المجهورة لما يدخلها من اعتلال ، أو انه احس بأنها حركات مشبعة فينبغي ألا تذكر مع الحروف، كما فعل المحدثون حين بحثوها تحت الصوائت لا الصوامت"[10]. وما ذكره الدكتور النعيمي مردود وقاصر لأمور هي :

1. ان الدكتور النعيمي اقتصر في فهم رأي ابن جني في أصوات القلقلة ونظائرها على ما ذكره ابن جني في أصوات القلقلة ونظائرها في كتابه سر صناعة الاعراب. ولم يلتفت الأستاذ النعيمي إلى آراء ابن جني في الخصائص ، تلك الآراء كان فيها ما هو مناقض لما ذكره ابن جني نفسه في كتاب سر الصناعة.
2. ان ابن جني لم يخصص لفظة (الصوت) بأصوات القلقلة وحدها ، بل انه أطلقها أيضا على الأثر السمعي اللاحق بالأصوات المجهورة بالاضافة إلى الرخوة ذات المنافذ الضيقة . بل انه يعمم ذلك في كتاب الخصائص فيجعل لفظة (الصوت) شاملة على الأثر السمعي اللاحق بأصوات الهمس أيضا. وقد مرّ الحديث على ذلك مفصلاً .
3. ان ابن جني لم يرم من لفظة (الصوت) انّ أصوات القلقلة المجهورة تحولت إلى الهمس ، وهذا أمر يشمل تعابير القدماء جميعهم عن الأثر السمعي اللاحق بأصوات القلقلة. إنما كان قصده ان ذلك (الصوت) اللاحق

---

[1] الأصوات اللغوية:46.
[2] م.ن :106.
[3] علم اللغة العام (الأصوات) :101.
[4] م.ن :116.
[5] م.ن :116.
[6] م.ن :116.
[7] ظ:الوجيز في فقه اللغة:178.وقد نسب مصطلح القلقلة إلى الصويت اللاحق بالأصوات الخمسة المعروفة.
ظ:م.ن:249 .وفي البحث الصوتي عند العرب:58-59والفكر الصوتي عند ابن در يد:18.والمصطلح الصوتي،د.عبد القادر مرعي:121-122.
[8] علم اللغة(الأصوات):116.
[9] ظ:الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:322.والدراسات الصوتية في كتاب العين:144.
[10] الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني :319-320.

بأصوات القلقلة ، (النفخ) اللاحق ببعض الأصوات المجهورة ذات المنافذ الضيقة، و(النفخ) اللاحق بالأصوات المهموسة وهو أقل من نفخ الأصوات السابقة.كل ذلك إنما هو عنده بمنزلة الإطباق في الطاء والتكرير في الراء والتفشي في الشين ...الخ فهو متمم للصوت وموفّ له ليمتد ويقوى في السمع. ودليل آخر على فهمنا لكلام ابن جني هو أن ابن جني ذكر ان الأثر السمعي اللاحق بتلك الأصوات جميعها متدرج في وضوحه إلى حالاتٍ ثلاثةٍ ذكرناها في موضعها سابقاً.

ويمكننا ان نتساءل في هذا الموضع في ما إذا صحَّ فهم الدكتور النعيمي وسابقيه من انّ قصد القدماء بالصوت اللاحق بأصوات القلقلة هو تخليصها من الاهماس ، نقول : كيف يمكننا ان نفسر ذهاب ابن جني وبعض القدماء إلى ان الأصوات الرخوة المهموسة يقوى نفخها في الوقف ويقل إذا كانت مدرجة ساكنة ،فان تحرّك زال الأثر منها البتة ؟. بل ما هو السبب من وجود النفخ بعد الأصوات المهموسة وحتى المجهورة ذات المنافذ الضيقة ، إذا لم يكن ذلك لغرض إتمام نطقها وهو ما تتطلبه طبيعة العملية الأدائية في نطق تلك الأصوات؟.

4. ان سبب إخراج ابن جني أصوات المد واللين من حديثه على الأصوات التي يعقبها اثر سمعي معين ليست لكونها معتلة أو لان ابن جني احس بأنها حركات مشبعة فينبغي ان لا تذكر مع الأصوات الأخرى كما تصوره الدكتور النعيمي فالسبب- كما يرى ابن جني- ان أصوات المد واللين (الصوائت بتعبيرنا) لم تحفز ولم تضغط في مواضعها فهي تخرج مع التنفس مجهورة من غير عائق يمكن ان يحدث رنيناً أو ضوضاء كما يحدث مع سائر الصوامت.

أما سبب عدم ذكره أصوات المد واللين (الصوائت ، بتعبيرنا) مع الأصوات التي لا يعقبها اثر سمعي معين، فهو –على ما نظن- لانّ تلك الأصوات (الهمزة والعين والغين واللام والنون والميم) لها مواضع تعتمد عليها وإن قل ضغطها مقارنة بالأصوات التي يعقبها أثرٌ سمعيٌ معينٌ.

وللدكتور رشيد العبيدي تصوّر واضح لمراد القدماء من أصوات القلقلة إذ قال فيها :"وهي أصوات تتميز بصفة الشدة ، أطلق عليها أصوات القلقلة لأنها تضطرب بحركة عند تصويتها فتحدث نبراً شديداً من غلق مخرج الصوت مباشرة"(1). إلا انه لم يوفّق في ذهابه إلى انّ ابن جني يسميها بالحروف المشربة(2).لان ابن جني قصد من المشربة ما قصده سيبويه منها أي إنها أصوات مجهورة.وقد خلط أيضا بذهابه إلى انّ الصوت المضغوط هو الصوت المشرب(3) ، والعكس هو الصحيح عنده (4) . ورأى الأستاذ عبد العزيز الصيغ في كتابة المصطلح الصوتي انّ صفة الشدة عند القدماء "هي الأكثر ظهوراً في إحداث هذه النبرة التي تسمى القلقلة ، حيث انّ القلقلة لا تتم إلا عند الوقف، مما يمنع معه إظهار صفة الشدة ، والتي تتم بانغلاق مخرج الصوت ثم انفتاحه فجأة وانطلاق الصوت ، فإنّ حالة الوقف تقتضي إبقاء المخرج مغلقاً ، فتتقدم صفة الشدة ، ولذا فقد روعي إظهار هذه الصفة في هذه الحروف بتكلف إظهار الشدة التي تظهر في صوت نبرة ، وهي القلقلة، إلا إن صفة الجهر أيضا يقل وضوحه (كذا) عند هذا الانغلاق وقد ذكر ابن الحاجب ذلك ..."(5) . وكان حديثه هذا عبارة عن شرح لقول المرعشي في دور الشدة في إحداث القلقلة بأن الشدة "تحصر صوت الحرف... "(6) . غير ان الأستاذ الصيُّغُ في كتابة (الأصوات عند سيبويه) يتراجع عن هذا المفهوم بل انه يرفضه ، فعلق على قول سيبويه: إنّ المتقلقلة "حروف مشربة ضغطة من مواضعها ،ومن المشرب حروف إذا وقفت عليها خرج معها نحو النفخة ولم تضغط ضغط الأولى ... " بقوله: "نجد انه لا يقصد بالضغط هذا ما يفهم من الشدة ،وقوة اتصال العضوين ،إذ إنّ وصفه للأخرى بأنها اقل ضغطاً يؤكد ذلك ،وإلا فهذه رخوة لا ضغطٌ فيها . وإذا أضفنا إلى ذلك انه أردف هذين النصين بحديث عن (كذا) الأصوات المهموسة لم يصفها فيه بضغط ، علماً ان من المهموسة أصواتاً شديدة مثل التاء والكاف ، نجد ان الضغط مخصص به في هذا النص الأصوات المجهورة دون المهموسة ..."(7) ، ثم رأى "انّ سيبويه كان يقصد في تعريفه للمجهور بقوله أشبع الاعتماد في موضعه هو (كذا) ضُغِط في موضعه "(8) .

---

(1) أبحاث ونصوص في فقه اللغة :191.
(2) ظ:م.ن :191و197.
(3) ظ:م.ن :197و219.
(4) ظ:م.ن :220.
(5) المصطلح الصوتي:155 .
(6) جهد المقِل:122.
(7) الأصوات عند سيبويه :100.
(8) م.ن :100.

وليس الأمر كما تصورّ الدكتور الصيغ لثلاثة أسباب هي :

1. إنّ سيبويه في حديثه على أصوات القلقلة جمع بين كونها (مشربة) وكونها (ضغطت من مواضعها) . فهل يعني ان العبارة الأخيرة جملة تفسيرية لكلمة (مشربة) ؟ لا أظن ان ذلك صحيحاً . فالمشربة عند سيبويه – كما مرّ وكما ذكره استاذنا الدكتور غانم قدوري – بمعنى الجهر .وعبارة (ضغطت من مواضعها) تدلُّ على صفة الشدة . فان كان كلام الدكتور الصيغ صحيحاً ،فكيف له ان يفسر تعليل سيبويه لخروج الصويت اللاحق بأصوات القلقلة بقوله: "فلا تستطيع ان تقف إلا مع الصويت لشدة ضغط الحرف"؟ . أيعني شدة جهر الصوت المتقلقل ؟! نحن نعلم أنّ الجهر واحد في الأصوات المجهورة من حيث الوضوح السمعي ولا يوجد صوتاً اكثر جهراً من الآخر.
2. إنّ الضغط في اللغة "عصر شيء إلى شيء"[1] ، وهذا يدلّ على ان عبارة سيبويه : (لشدة ضغط الحرف) تعني : (لشدة عصر الصوت اللغوي).

وأنّ قوله في أصوات (ز،ظ،ذ،ض) إنها "لم تضغط ضغط الأولى" يعني أنها "لم تعصر عصر الأولى" فالرخاوة تحدث بتضييق المخرج وتضييق المخرج يعني عصر الصوت ، بطبيعة الحال .

3. إنّ تعليل سيبويه لنفخ الأصوات المهموسة بقوله : "الان النفس تسمعه كالنفخ" .لايعني أنّ تلك الأصوات لا يحدث فيها ضغط أو عصر فسيبويه في هذا الموضع يبحث في علة وجود النفخ لا في حالة تلك الأصوات من حيث (شدتها ورخاوتها) ولما كان سبب النفخ مع الأصوات المهموسة هو الهمس اكتفى بذكره.
4. إنّ سيبويه وصف بعض الأصوات بأنها مشربة لكنها لا يلحقها أي اثر سمعي لان الصوت معها لم يعصر أو يضغط ضغط الأصوات المشربة التي يعقبها أثر سمعي معين فكيف له ان يفسر وصف سيبويه لهذه الأصوات بأنها مشربة لم تضغط أو تعصر؟ أيقول إنها غير مجهورة أم انها لم يشبع الاعتماد عليها في مواضعها ؟ لا شك في انه كلام مرفوض .

ولنا مع الدكتور الصيغ وقفة أخيرة في تفسيره لمعنى النفخ عند علماء العربية وسيبوبه ففي كتابه (المصطلح الصوتي) يشير إلى انّ النفخ يعني: "انتشار الصوت في الفم عند نطق عدد من الأصوات"[2] ، ثم يذكر ان أصوات النفخ أربعة هي (ض،ز،ظ،ذ) [3] . ويشير إلى أنها "صفة ذكرها سيبويه خاصاً بها أصواتاً أربعة عدّها أصواتاً مشربة ،... وقد تبعه ابن جني في تعليل صفة الاشراب عليها . إلا انّ علماء التجويد عدّوا صفة الاشراب خاصة بالأصوات الستة الفرعية وعدوا هذه الأصوات الأربعة أصوات النفخ ،وهي صفة يندر استعمالها عند اكثر العلماء ،وتعد من الأبحاث الدقيقة التي يتطلب درسها الاستعانة بالاجهزة الحديثة"[4] .

فتعريفه للنفخ غير صحيح زيادة على غموضه ، ذلك لأنه لم يوضّح كيفية حصول السمع ،بل إنّ من الأصوات ما يتسم بالنفخ ولا يمتاز بانتشار الصوت في الفم كالأصوات المهموسة .

وأما ذهابه إلى ان سيبويه وابن جني قصرا صفة النفخ بالأصوات الأربعة السابقة وانهما أطلقا عليها مصطلح (المشربة) فغير صحيح أيضا؛ لان سيبويه وابن جني زادا على تلك الأصوات الأصوات المهموسة وانهما جعلا الأصوات المشربة تشتمل على ثلاث مجاميع من الأصوات هي: المتقلقلة ، والأصوات المجهورة الرخوة الأربعة ذات المنافذ الضيقة التي تتسم بالنفخ ، والأصوات المجهورة التي لا يحصل بعدها أي اثر سمعي.

ونجد الدكتور الصيغ في كتابه الأصوات عند سيبويه يفسر وصف سيبويه الأصوات المهموسة بالنفخ بأن سيبويه قصد من ذلك "أنها تخرج من مخرجها وليس لصوت الصدر علاج فيها وليس المقصود في هذه العبارة ما يسمع مع أصوات مثل أصوات القلقلة التي تقف عندها بنفخ ،وإنما أراد أنّ الصوت المكوَّن لها هو ما يسمع عند التقاء عضوي المخرج التقاءً تاماً أو مقصوراً على التقارب"[5] .

وهذا تصورٌ وهم فيه الدكتور الصيغ أيضا لان تعليل سيبويه في نفخ الأصوات المهموسة واضح إذ قال :"... لأنهن يخرجن مع التنفس لا صوت الصدر " وقال فيها : "فلابد من النفخ لان النفّس تسمعه كالنفخ" . فالنفس الخارج هو السبب في إنتاج النفخ لا التقاء الأعضاء المولدة للأصوات المهموسة . والذي نعجب منه أنّ الدكتور الصيغ اغفل وصف سيبويه لبعض الأصوات المجهورة وهي (ز،ظ،ذ،ض) بالنفخ . فإذا صح كلام الدكتور الصيغ بان حصول النفخ مع الأصوات المهموسة حاصل بسبب التقاء الأعضاء المنتجة لها فهل يعني انّ النفخ

---

[1] العين :363/4 (ض غ ط).
[2] المصطلح الصوتي:154 .
[3] ظ : م.ن :154.
[4] م.ن:154.
[5] الأصوات عند سيبويه:87-88.

مع الأصوات المجهورة الأربعة السابقة يعني ذلك أيضا ؟! . إننا لا نستطيع قبول هذه الفكرة أبدا، ذلك لان النفخ مع الأصوات المجهورة السابقة حاصلٌ من جهرها وضيق المنافذ التي تمر منها .

ج-القلقلة عند المحدثين :

اهتم دارسو الأصوات المحدثون بالكشف عن حقيقة بعض الأصوات التي يعقبها اثرُ سمعيُ . وكان اهتمامهم هذا ذا مذاهب متعددة . فمنهم من تابع القدماء في مفهوم القلقلة لأنها حاصلة نتيجة جهر بعض الأصوات وشدتها .وعلى هذا فإن القاف والطاء المعاصرتين تخرجان من هذه الطائفة لانهما مهموسين[1] . وذهب الأستاذ الدكتور غانم قدوري آل حمد إلى "أنّ قراء القرآن وناطقي العربية يحرصون على اتباع هذين الصوتين عند الوقف بصويت القلقلة وهو أمرٌ يسوغه كون الصوتين شديدين (انفجاريين) فيتبعهما عند الوقف صوت ،مثل صوت الكاف،لكنه معهما اشد، لفخامة الطاء بالإطباق ، وشدة انفصال العنصرين في نطق القاف، مع كونه صوتاً مستعلياً "[2] .

ورأى بعض المحدثين أنّ القلقلة هي صويت أشبه بالكسرة لاحق ببعض الأصوات[3] ،في حين ذهب منهم إلى انه أشبه بالفتحة المختلسة [4]. وقد اغفل بعضهم حقيقة ذلك الصويت مكتفياً بالإشارة إلى كونه صوت علة [5] ، أو انه صوت لين قصير[6]. أوانها "مدة صغيرة للصوت ،لذلك فهي بالحركة أشبه" [7] . وعليه فان ذلك الصويت يطيل من زمن نطق الصوت [8] – ووظيفته انْ يحافظ على جهر الصوت والحيلولة بينه وبين ان يصبح مهموساً ، وعلة ذلك أنّ نطق هذه الأصوات بالذات نطقاً كاملاً واضحاً حالة السكون (ولاسيما في الوقف) يستدعي جهداً عضلياً كبيراً . وذلك لانّ شدّتها "تعني ان الهواء عند نطقها محبوس حبساً تاماً ولانّ جهرها يعني عدم جريان النفَس معها . ومن ثم وجب اتباعها بصويت أو حركة خفيفة فتنتقل هذه الحروف من السكون إلى شبه التحريك، فيتحقق نطقها كاملاً بكل صفاتها من شدة وجهر" [9] . على الخلاف مع مَنْ ظن أنّ القلقلة "في حقيقة وصفها ، ليست إلا مبالغة في الجهر بالصوت..." [10] . وعلى الخلاف مع الدكتور عبد القادر مرعي لذهابه إلى أنّ المحدثين قصدوا بأصوات القلقلة الأصوات الخمسة التي ذهب إليها القدماء غير انهم "أطلقوا عليها اسم الأصوات الانفجارية الشديدة" [11] . وهو فهم غلط لما يرومه المحدثون، لانهم لم يكونوا على طائفة واحدة في فهم القلقلة. ولان تلك الطائفة التي عناها الباحث لم تقصد بأصوات القلقلة الأصوات الانفجارية الشديدة كما مرّ ، زيادة على انه بهذا الفهم – سيدخل التاء والكاف مع أصوات القلقلة. ولعل فهم هذا الباحث للقلقلة عند المحدثين ناتج من تصوره انّ القلقلة هي الانفجار الحاصل بعد الانحباس التام للهواء في نطق الأصوات الشديدة ،وهو وهم ؛ لان القلقلة صويت مجهور يعقب تلك الأصوات وليست صوت الانفجار الحاصل مع الأصوات الشديدة .

وتوجد طائفة من المحدثين تناولت قضية الأثر السمعي الذي يعقب بعض الأصوات في إطارٍ استوحته من دراسات الغربيين للأصوات . فالغربيون يطلقون على بعض الأصوات الانفجارية المهموسة التي يعقبها صويت مصطلح (Aspiration) ويترجم هذا المصطلح إلى (الهائية)[12] أو (الهوائية)[13] أو (المنفوحة)[14] – بالحاء – أو (النفسية)[15] ، ويعرَّف هذا المصطلح بأنه " ملفوظ يملأ النفس أو بصوت كصوت حرف (h)"[16] أو "النطق بملئ النفس" [1] . ويرمز لهذا الصوت " إما بفاصلة علوية (ʿp) أو

---

(1) ظ:الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس :106-107،وعلم اللغة العام (الأصوات) :116.والمصطلح الصوتي، الصيغ :157.
(2) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :304.
(3) ظ:الأصوات اللغوية ، د.إبراهيم أنيس :106. والوجيز في فقه اللغة :178.
(4) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :302.
(5) ظ:مناهج البحث في اللغة :119 .
(6) ظ:في البحث الصوتي عند العرب :58-59 .
(7) ظ:المصطلح الصوتي،الصيغ :156.
(8) ظ:الأصوات اللغوية ، د.إبراهيم أنيس :106 .
(9) علم اللغة العام (الأصوات) :116 .
(10) الأصوات اللغوية ، د.عبد القادر:278 .
(11) المصطلح الصوتي ، د.عبد القادر:122 .
(12) ظ : قاموس اللسانيات ، القسم الإنجليزي العربي :243 . والقسم العربي الإنجليزي :166.
(13) ينظر : الأصوات النفسية في العربية:54 .
(14) وهي ترجمة الدكتور محمد حلمي هليل في كتاب الصوتيات لمالمبرج ، ظ: الصوتيات: 88 ، هامش رقم (4) و 89 .
(15) ظ:دراسة الصوت اللغوي :117 . ودراسة السمع والكلام :219 .والأصوات اللغوية ، د.عبد القادر:344 (فهرست المصطلحات).
(16) معجم الرافدين : 61 .

أو برمز(h) صغير (p^h) " [2] أو بالرمز (e) فوق رمز الصوت [3] . وقد اشترطوا في حصول النفسية أن يتبع الصامت الانفجاري المهموس صائت قصير منبور[4] . وهو موجود في اللغة الإنجليزية متمثلاً بأصوات (k,p,t) والفرق بين نطق الأصوات النفسية وغير النفسية (unaspirated) هو انه في "أثناء الإغلاق الفموي للنطق بصامت شديد من النموذج غير التنفسي يكون المزمار مغلقاً ومن ثمّ يمكن للحبال الصوتية ان تتذبذب بمجرد حدوث الانفجار ، أي إن الحبال الصوتية تكون مقدماً في الوضع الذي يتطلب التصويت ، ويمكن للحركة ان تتبع الانفجار بصورة مباشرة اما في حالة الإغلاق في الصامت الشديد التنفسي فإن المزمار يكون مفتوحاً ، وعلى ذلك يحدث ان فترة ما من الزمن تمر قبل ان يغلق المزمار اغلاقاً كاملاً بالنسبة إلى الحركة التالية ، فالهواء الذي يتسرب أثناء هذه الفترة هو الذي يسمع في صورة نفخة" [5] . وعلى هذا فان سبب تنفسية تلك الأصوات ناتج من الانتقال من حالة الهمس في بعض الصوامت الانفجارية المهموسة التي يكون معها الوتران الصوتيان ساكنان مطمئنان إلى حالة الجهر لنطق الحركة التي تعقبها أي لحالة اهتزاز الوترين الصوتيين ، ذلك الانتقال يحتاج إلى مدة زمنية ، وفي تلك المدة أو اللبثة ما بين الانتقالين يحدث النفخ الذي يطلق علية بالنفسية أو الهائية .وهو كما ذكروا أشبه بصوت الهاء (h) . وقد ذكر مالمبرج أنّ في بعض اللغات كالسنسكريتية أصواتا نفسية من طائفة الانفجارية المجهورة [6].

لقد حاول بعض المحدثين تطبيق فكرة النفسيّة على أصوات العربية ،فاستعمل الدكتور سلمان حسن العاني مصطلح النفسية وأشار به إلى صوتين من أصوات العربية هما (الكاف)[7] و (التاء)[8] .وهما عنده صوتان وقفيان(انفجاريان) غير مصوّتين (غير مجهورين) .

أما بقية الصوامت الوقفية كـ(ب) و (ق) و (ط) و (د) و (ض) فهي أصوات غير نفسية [9] . وان كان صوتا الطاء والقاف غير مصوتين .ولم يبين الدكتور العاني مراده من النفسيّة أو تسويغه لعد الكاف والتاء فقط صوتين نفسيين .

وقد ذهب الدكتور محمود السعران مذهب الغربيين السابق في الأصوات النفسية من حيث وجوب سبق الصوت الصامت الانفجاري المهموس النفسي كالتاء والكاف بصوت لين قصير [10] . وزاد على كلام الغربيين إمكانية حصول النفسية مع تبيين الصوتين ان لحق بأحدهما صوت صامت طويل ؛ (تا) أو (كا)[11]. غير انه رأى ان سبب حصول النفسية هو :إنّ عملية نطق الصائت (المجهور) تحدث في الوقت الذي تحدث فيه عملية إنتاج الصوت الانفجاري المهموس (التاء) أو (الكاف) . وان ذلك الصوت الإضافي واجب للنطق الكامل للانفجاري[12] .

وقد نفى الدكتور محمود السعران ان يكون معنى القلقلة عند اللغويين هو ان تعقب أصوات القلقلة بصوت مهموس بل هو عنده غير مهموس وانما يشبه الحركة أو بالصائت القصير ووصفه بأنه "صوت صائت مركزي ضعيف"[13] .

وقد نفى الدكتور علي زوين فكرة مركزية (الصائت الضعيف) عند الدكتور السعران لامرين، أحدهما: ان القدماء فرّقوا بين الأصوات التي يعقبها صوت وهي أصوات القلقلة والأصوات التي يكون لها نفخ الذي يعقب غيرها وبخاصة المهموسة . والأمر الآخر هو ان ذلك الصائت القصير مهما بلغت درجته فانه لا يصبح بمنزلة الصائت[14] .

---

(1) م.ن: 61 .
(2) دراسة الصوت اللغوي :117.
(3) ظ:محاضرات في اللغة :119.
(4) ظ:علم الأصوات ، مالمبرج :88 -89 .
(5) م.ن:89 .
(6) ظ:م.ن : 89 (دراسة المترجم) .
(7) ظ:التشكيل الصوتي :72.
(8) ظ: م.ن: 54.
(9) ظ: التشكيل الصوتي:53 ،54 ،72 ،74 . والضاد وقفية كما يرآها الدكتور العاني.
(10) ظ:علم اللغة ، د. محمود السعران :173 .
(11) ظ:م.ن :173 .
(12) ظ: م.ن :173-174.
(13) م.ن: 176 .
(14) ظ:الأصوات النفَسيَّة :54 .

ونجد الدكتور كمال إبراهيم يصطلح على الأصوات الانفجارية التي يعقبها (نفح) بالأصوات المنفوسة، اذ قال :"إذا أعقبت النطق بالصوت الانفجاري نفحة من الهواء سمي ذلك الصوت بالصوت المنفوس" [1] . أما الأصوات غير المنفوسة فـ "هي التي لا تصحبها نفحة من الهواء" [2] وذكر تجربة بسيطة لمعرفة نفسية تلك الأصوات قائلاً : "لاختبار الصوت المنفوس ضع وريقة في كفِّك وقربها من فمك ثم انطق بكلمة : تكلم. لاشك انك تلاحظ ان الوريقة قد تحرّكت قليلاً. حركة الوريقة كانت بسبب نفحة الهواء التي صحبت النطق بالصوت الأول من كلمة تكلّم" [3] وقد رمز للصوت الانفجاري المنفوس بـ (هـ) صغيرة فوق الصوت (تهـ)[4].

وكلام الدكتور كمال إبراهيم عام غير محدد بنوع من الأصوات الانفجارية . والذي يفهم من كلامه انّ الأصوات المشابهة لصوت التاء هي المنفوسة كالكاف .وقد طبقنا التجربة التي طرحها الدكتور كمال إبراهيم فوجدناها تصدق فعلاً على صوتي (التاء) و (الكاف) لكننا وجدنا بعض الأصوات الانفجارية المجهورة تدخل ضمنها كـ(الدال) و (الباء) إلا إن اهتزاز تلك الورقة مع التاء والكاف أقوى من الاهتزاز الحاصل مع صوتي الدال والباء في حين ضعف اهتزاز الورقة في نطقنا للجيم الفصيحة وانعدم مع نطق القاف .

وللأستاذ الدكتور علي زوين محاولة جادة في تغيير النفسية والمراد منها . إذ فضل الدكتور أول الأمر ان يستعمل مصطلح النفسية على غيره من المصطلحات المقترحة من المحدثين ، اذ قال :"ويرجح استخدام مصطلح (النفسية) في العربية منعاً من اللبس الذي تتضمنه كلمة (الهوائية) لانصرافها إلى المعنى الذي أراده الخليل واطلقه على أصوات المد الثلاثة... أما الهائية فالظاهر إنها لا تفيد المعنى المطلوب ولا تقيده بالمدلول المقصود لانصراف مضمونها إلى صوت الهاء وهو ترجيح بلا مرجح لان الصويت الذي يعقب بعض الأصوات قد يشبة الهاء إلا انه ليس هاءً وانما هو نفخ أو شبيه بالنفخ ،ويكون من النَّفَس الممتد مع الأصوات الانفجارية بعد فتح الانسداد في المخرج لتمكين الانفجاري المجهور من استكمال ضيقه (الانفجار والجهر)، علماً ان النفسية لا تقتصر على الأصوات الانفجارية المهموسة ، ولذلك كله يفضل استخدام مصطلح (النفسية) بدلاً من (الهوائية) أو (الهائية)" [5] . وظاهر كلام الدكتور علي زوين يشير إلى أنّ الأصوات النفسية في العربية تشتمل على أصوات القلقلة والأصوات الانفجارية المهموسة (ك ت) . وقد ذكر ان القدماء بحثوا ضمن الأصوات النفسية أصوات القلقلة وأصوات أخرى فيها علامات النفسية كـ (التاء والكاف والزاي والظاء والذال والضاد)[6] .

2- صفة الاستطالة :

ذكر أبو حيان ان من الحروف ما هو مستطيل ،وخصّ الضاد بهذه الصفة ،وعلل سبب تسميتها بذلك قائلاً:"سميت بذلك لأنها استطالت في الفم لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام ولذلك أدغمت في اللام في نحو: الضالين" [7] .واكتفى في بقية مصنفاته بذكر الصوت المستطيل وهو الضاد عند حديثه على صفة الاستطالة[8].

وقد ذكر ما ذكره ابو حيان في النكت مكي بن أبي طالب وابو عمرو الداني من قبل ،الا ان في كلام مكي زيادة وهي انه سوغ سبب استطالة الضاد بقوله : "وذلك لما اجتمع فيها من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء فقويت بذلك واستطالت في الخروج من مخرجها حتى اتصلت باللام من مخرجها"[9]. أما ابو عمرو الداني فعلى الرغم من ذهابه إلى ان الاستطالة صوت واحد إلا انه جعل تلك الصفة سبباً في إدغام اللام في الضاد والشين ، قائلاً: "... ولذلك أدغمت اللام فيها وفي الشين في نحو :ولا الضالين والشاكرين"[10]. وعلى هذا يكون كلام ابي حيان في صفة الاستطالة اقرب إلى كلام ابي عمرو الداني فيها وشبيهاً بما ذكره مكي.

ولعلّ أول من ذكر هذه الصفة سيبويه وكان ذلك في أثناء حديثه على إدغام بعض الأصوات مع نظائرها المتقاربة مخرجاً أو صفة ،وذلك كما يأتي:

---

(1) علم اللغة المبرمج :80 .
(2) م.ن:80 .
(3) علم اللغة المبرمج :20 .
(4) ظ:م.ن :80 .
(5) الأصوات النفسية :54.
(6) ظ:م.ن:57.
(7) النكت الحسان :283.
(8) ظ:المبدع :98 . والارتشاف :12/1.
(9) الرعاية :109.
(10) التحديد :110.

1. قال في علّة امتناع إدغام الشين في الجيم :"لان الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء فصارت منزلتها منها نحواً من منزلة الفاء مع الباء فاجتمع هذا فيها والتفشي فكره ان يدغموها في الجيم ..."[1] .
2. قال في الأصوات التي تدغم فيها لام المعرفة :"ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفاً ... واللام من طرف اللسان وهذه الحروف؛ احد عشر حرفاً منها حروف طرف اللسان " وحرفان يخالطان طرف اللسان ... واللذان خالطاها الضاد والشين؛ لانّ الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام ، والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء ... "[2] .
3. قال في إدغام الطاء والدال والتاء في الضاد :" وقد تدغم الطاء والتاء والدال في الضاد لأنها اتصلت بمخرج اللام وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه من الأسنان ولم تقع من الثنيّة موضع الطاء لانحرافها لانك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين وهي مع ذا مطبقة ... فلما صارت بتلك المنزلة ادغموا فيها التاء والدال "[3] .
4. قال في علّة إدغام الظاء والذال والثاء في الضاد : "لأنهن من حروف طرف اللسان والثنايا ويدغمن في الطاء وأخواتها ويدغمن فيهن ويدغمن أيضا جميعاً في الصاد والسين والزاي وهن من حيز واحد ، وهن بعدُ في الإطباق والرخاوة كالضاد ، فصارت بمنزلة حروف الثنايا ..."[4] .
5. قال في علّة إدغام الطاء والدال والتاء في الشين "لاستطالتها حين اتصلت بمخرجها ... والادغام في الضاد أقوى ؛لأنها قد خالطت باستطالتها الثنيّة وهي مع ذا مطبقة ولم تجاف عن الموضع الذي قربت فيه من الطاء تجافيها "[5] .
6. قال في علّة إدغام الظاء والذال والثاء في الشين :" لانهم قد أنزلوها منزلة الضاد ... وهو أجود منه في الضاد لبعد المخرجين وانه ليس فيها إطباق ولا ماذكرتُ لك في الضاد "[6] يقصد ما ذكره في علة قوة إدغام الطاء والدال والتاء في الضاد.
7. وقال :" والضاد في ذلك بمنزلة (الطاء) * لما ذكرت لك من استطالتها كالشين وذلك قولك : مُضْطجع ، وإن شئت قلت : مُضّجع . وقد قال بعضهم :مُضّطجع . حيث كانت مطبقة ولم تكن في السمع كالضاد وقربت منها وصارت في كلمة واحدة..."[7] .
8. قال في علّة مضارعة الشين الزاي :" لأنها استطالت حتى خالطت أعلى الثنيتين وهي في الهمس والرخاوة كالصاد والسين وإذا أجريت فيها الصوت وجدت ذلك بين طرف اللسان وانفراج أعلى الثنيتين، وذلك قولك : أشرق . فتضارع بها الزاي والبيان اكثر ..." [8] .

والملاحظ على النصوص السابقة أنّ سيبويه لم يعطِ تعريفاً محدداً للاستطالة بل جاء حديثه عليها عَرضاً . ونستطيع ان نستخلص مراد سيبويه من الاستطالة من خلال ما ذكره في النصوص السوابق كما يأتي:

1. إنّ الاستطالة غير التفشي . وهذا واضح من النص الأول.
2. إنّ الاستطالة تشمل الضاد والشين .
3. إنّ الاستطالة هي اتصال أو مخالطة مخرجية سببها رخاوة صوتي الضاد والشين .
4. إنّ الاستطالة تحدث عن طريق مخالطة مخرج الضاد والشين لمخرج (ط و ت) وهو طرف اللسان وأصول الثنايا .
5. إنّ اتصال طرف اللسان بأصول الثنايا مع صوت الضاد لا يبلغ مبلغ اتصاله مع صوت الطاء. لانّ الأولى رخوة حافية والأخيرة شديدة .لذلك صار في ذلك الاتصال مع صوت الضاد بعض هنةٍ في حين كان مع الطاء قوياً . وهو ما نفهمه من النص الثالث .
6. إن تجافي طرف اللسان عن أصول الثنايا مع الشين اكبر من تجافيه مع صوت الضاد ، وهو ما نفهمه من النص الخامس . ولهذا أنزلت الشين في الاستطالة منزلة الضاد ، كما ذكره سيبويه في النص السادس. زيادة

---

[1] كتاب سيبويه :412/2.
[2] م.ن: 416/2 .
[3] م.ن :420/2 .
[4] م.ن :420/2 .
[5] كتاب سيبويه :420/2 .
[6] م.ن :420/2-421.
* في المتن (الصاد) وهو تحريف صوابه ما أثبتناه.
[7] م.ن :422/2.
[8] م.ن :427/2 .

على ذلك إننا نفهم من كلام سيبويه في النصين الخامس والسادس انّ سبب اتساع تجافي طرف اللسان عن أصول الثنايا مع الشين لأنها ليست فيها أطباق بخلاف الضاد التي كان للأطباق الذي فيها دورٌ في التصاق طرفي اللسان بأصول الثنايا . إلا ان الذي يضعف ذلك الالتصاق –كما مرّ ذكره- هو رخاوة الضاد وحافتيها . وهذا يعني انّ للإطباق دوراً في إحداث الاستطالة وقوتها مع صوت الضاد . وهو ما فرغنا منه في موضوع الإطباق والانفتاح .

7. وقد بين سيبويه في نصه الأخير ،كيفية تحسسّ استطالة الشين بتجربة ذاتية وهي مد الصوت مع صوت الشين أو إجرائه .

نخلص من كل ذلك إلى انّ الاستطالة مع صوت الشين سببها هيأة اللسان في أثناء إنتاج ذلك الصوت إذ يكون كالملعقة المقلوبة وذلك باتصال وسطه مع ما يقابله من الحَنك الأعلى اتصالاً هيناً في حين تلتقي حافتاه بما يجاورها من الأسنان ابتداءً من الأضراس حتى الثنيتين : هذه العملية تؤدي إلى خروج الهواء محتكاً بوسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى مستمراً حتى يخرج إلى الفضاء ويكون خروجه بالدقة – كما وصفه سيبويه - من انفراج أعلى الثنيتين.

أما صوت الضاد فان وسط اللسان يكون منخفضاً ويلتقي طرفه باللثة . وتكون إحدى حافتيه ملتصقة التصاقاً محكماً بالأضراس والأخرى التصاقاً هيناً يسمح بخروج الهواء المجهور من بين تلك الحافة وما يجاورها من الأضراس مع ملاحظة ارتفاع أقصى اللسان جهة أقصى الحنك الأعلى كما مرّ تفصيله في موضوع الإطباق والانفتاح .

والذي يلاحظ على خروج الهواء مع الصوتين انه يكون مع الشين خارجاً من وسط الفم وان آخر نقطة يمر بها الهواء هي انفراج أعلى الثنيتين ؛ لان حافتي اللسان التقتا بالأسنان المجاورة لها التقاءً منع خروج الهواء من خلالهما . أما مع الضاد فإن خروجه يكون جانبياً أو حافياً أي من إحدى حافتي اللسان والأكثر اليمنى أو ان يخرج – كما ذكره القدماء - من بين الحافتين .

وبهذا الفهم لصفة الاستطالة نستطيع ان نقطع بوهم الدكتور تمام حسان بذهابه إلى ان الاستطالة بمعنى التحليق أي ارتفاع أقصى اللسان نحو الحنك الأعلى وهي ظاهرة تشمل أصوات الإطباق جميعاً [1] ؛ ذلك لان الاستطالة ليست بأقصى اللسان إنما تكون بطرفه الذي يلتصق باللثة فلو انه جعل الاستطالة شاملة لاصوات الإطباق من حيث اتصافها بان طرف اللسان يرفع معها جهة اللثة لصحّ كلامه .

بل لا نستطيع قبول ما ذكره اغلب المحدثين من ان الاستطالة " هي الزائدة الانحرافية " [2] أو هي جانبية صوت الضاد " لامتداده من أول حافة اللسان حتى اتصل بمخرج اللام " [3] .فقد رأينا ان الاستطالة مع صوت الضاد تمتد حتى تشمل مخرج (الطاء والدال والتاء) .

وقد ذهب بعض المعاصرين إلى انّ الاستطالة ليست مقياساً نوعياً بل كمي .وهي من الملامح فوق التركيبية ، فهي لا تعني الطول (Length) بل تعني التطويل (Lengthening) . أي ان الاستطالة ليست صفة نوعية تلازم مخرج الضاد وانما هي استطالة النفس من بعد النطق بصوتي الطاء والشين كما ذكره سيبويه[4].

فهذا المذهب صحيح من حيث ان الاستطالة لا تحدث في موضع إنتاج صوت الضاد ولكنه غير دقيق في كون الاستطالة بمعنى إطالة النفس بعد إنجاز نطق الضاد أو الشين . فالاستطالة متممة لنطق صوت الضاد أي تنتهي باللحظة التي ينتهي فيها إنتاج صوت الضاد لا بعد إنتاجه .

ولم يأتِ المبرد [5] ولا ابن السراج [6] بشيء جديد على ما ذكره سيبويه في صفة الاستطالة سوى ان المبرد عبّر بالتفشي عن الاستطالة في الشين والضاد كما سيأتي. أما من جاء بعدهما من علماء العربية فكانوا في وصف الاستطالة على خلاف .

---

[1] مناهج البحث في اللغة :120 .

[2] دروس في علم أصوات العربية :38 .

[3] في البحث الصوتي عند العرب :61. والى ذلك ذهب الدكتور عبد الصبور شاهين ،ظ:علم الأصوات ، مالمبرج :120 (دراسة المترجم) . واثر القراءات في الأصوات والنحو العربي :209. والدكتور عبد القادر مرعي الخليل في كتاب المصطلح الصوتي :121 . والدكتور رشيد العبيدي في كتابه أبحاث ونصوص في فقه اللغة :196 .

[4] ظ: الضاد العربية مثال للتطور الصوتي :108. والضاد في النظام الصوتي العربي :33.

[5] ظ: المقتضب :211/1 و 214 .

[6] ظ:الأصول :420/3 .

فهذا مكي وأبو عمرو الداني يصفانها – كما مرّ ذكره - بأنها (استطالت على الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام) غير انهما يختلفان في سبب الاستطالة فيعدها مكي حادثة بسبب قوة الضاد وبالجهر والإطباق والاستعلاء . ويعدها ابو عمرو الداني حادثة بسبب الرخاوة كما يذهب إليه سيبويه .

ويصف عبد الوهاب القرطبي سبب الاستطالة في الضاد قائلاً: "والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام ولذلك سميت الحرف المستطيل ، لأنها استطالت من موضعها حتى خالطت بالإطباق الذي فيها الطاء والظاء والصاد " [1] واشارة القرطبي إلى ان الضاد استطالت فخالطت بالإطباق مخارج الطاء والظاء والصاد تدلُ بوضوح على ما نذهب إليه من دور الإطباق في وجود الاستطالة .

ويخصّ الاندرابي الاستطالة بالضاد وحدها قائلاً : " سميت بذلك لأنها تخرج من أقصى حافة اللسان ، ثم تستطيل إلى أدناها "[2] . وكأن الاندرابي قصد بالاستطالة اتساع الفجوة أو الثغرة التي يخرج منها الهواء المجهور في أثناء إنتاج صوت الضاد ، تلك الثغرة موجودة في حافة اللسان اليمنى من أقصاه إلى أدناها .

وقد اتسع ابن الطحان حيث جعل الاستطالة في الضاد تعني تمكنها " من أول حافة اللسان إلى منتهى طرفه فاستطالت بذلك فلحقت مخرج اللام "[3].

وقول ابن الطحان يشير إلى ان حيز اللسان يبدأ من أول حافة اللسان أي نهاية طرفه إلى نهاية اللسان كله، لان الطرف هو الجزء الأخير من اللسان واخر الطرف يعني آخر اللسان كله .

ويؤيد ابن غانم المقدسي كلام الجعبري في الاستطالة إذ يقول : " وهي كما قال الجعبري :الامتداد من أول حافة اللسان إلى آخرها ، لا كما قال مكي :لتمكنها بالصفات بين المستطيل والممدود ان الأول يجري في مخرجه والثاني يجري في نفسه "[4] .

إنّ كلام القدماء هذا يبرز بوضوح على ان الاستطالة معناها هو (اتساع مخرج الحرف) أي انّ ما يأخذه الحرف المستطيل من العضوين اللذين يشتركان في مخرجه اكبر مما يأخذه الحرف غير المستطيل من ذينك العضوين"[5] . وهم على هذا يفهمون الاستطالة في منظار مخالف لمنظار سيبويه والمبرد وابن السراج كما مرّ . لانهم - أي المحدثون - ينظرون إلى سعة المنفذ الذي يخرج منه هواء الصوت .

ثالثاً: صفات نشأت بذاتها ، ولم تنشأ عنها صفات أخر

1- التفشي :

قال ابو حيان : "ومتفشٍ : هو الشين . والتفشي : هو الريح الذي يخرج بشدة عند النطق بالشين . ويقال : بالفاء تفشٍ أيضا ؛ تفشت حتى اتصلت بمخرج الثاء ، ولذلك تبدل منها قالوا : جدف ، في جدث . وفوم ، في ثوم . وذكر بعضهم ان الضاد متفشية ، وقال الشين تتفشى حتى تتصل بمخرج الظاء ، والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام فعلى هذا تكون الحروف المتفشية ثلاثة "[6] .

وقال في الارتشاف : " و (المتفشي) : الشين ، باتفاق . والفاء و (الضاد) باختلاف "[7] .

والتفشي في اللغة بمعنى الانتشار والاتساع [8] . والذي يُلحظ من كلام ابي حيان انهُ جمع بين مدلولين للتفشي ، أحدهما الانتشار السمعي . وهو ما نجده في صوت الشين والآخر : الانتشار في المخرج (الاتساع) وهو ما نجده في صوتي الضاد والفاء .

أي انّ تفشي الضاد استطالتها بمخالطتها مخرج طرف اللسان وأصول الثنايا . أما الفاء فهي تستطيل –ان صحّ التعبير- بحيث يكون مخرجها في الشفة وأطراف الثنايا العليا لذلك سميناها (شفوية ثنوية) . وقد افصح الجعبري عن ذلك بقوله في تفشي الضاد والشين : " والتحقيق ان الضاد انتشر بمخرجه وذلك بصوته"[9] .

ومع هذا فإنّ حدّ ابي حيان بتفشي الشين غير دقيق ؛ ذلك لان الريح أو الهواء لا يخرج بشدة مع الشين انما ينتشر بين اللسان والحنك ، قال مكي : " الحرف المتفشي وهو الشين : سميت بذلك لأنها تفشت في مخرجها عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الظاء ، وقد قيل ان في التاء تفشياً ، و التفشي هو كثرة انتشار خروج الريح بين

---

[1] الموضح في التجويد :96 .
[2] الإيضاح في القراءات (الباب التاسع والعشرون) :95 .
[3] مخارج الحروف وصفاتها :94-95.
[4] بغية المرتاد :123 .
[5] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :321 .
[6] النكت الحسان :280 .
[7] الارتشاف :12/1 .
[8] ظ:اللسان :15/155-156 (فشا) .
[9] بغية المرتاد :123 .

اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها ... "[1] . وروى الاندرابي انه " قيل : المتفشي هو الشين وحدها . كأنه يخرج من مشط اللسان ، إذا قلت (إش) تبين ذلك عند الأسنان "[2] .
وقال ابن الطحان " حتى يتخيل ان الشين انفرشت "[3] .

وقد ذكرنا في ما سبق انّ بعض النحويين كسيبويه عدّ الشين صوتاً مستطيلاً ولعل سبب استطالتها هو اتصافها بالتفشي ذلك لانك إذا أجريت الصوت (أي مددته) وجدت مسّ ذلك في انفراج أعلى الثنيتين لذلك فهي متصلة بمخرج الطاء كما ذكر سيبويه .

والذي يلاحظ على كلام سيبويه انه يعد سبب التفشي في الشين هو اتصاف ذلك الصوت بالرخاوة تلك الرخاوة جعلت تجافي طرف اللسان عن اللثة أوسع من تجافيه مع الضاد -كما ذكرنا- لإطباق الأخيرة وجانبيتها . وهذا السبب هو ما ذكره بعض العلماء بعد سيبويه [4] . والحقيقة هي إنّ سبب التفشي هو اتخاذ اللسان شكل الملعقة المقلوبة مع إنتاج صوت الشين - كما مرّ ذكره - بحيث يسمح للهواء ان ينزلق من وسط اللسان كأنه ينزل من عالٍ فينتشر على اللسان كافة حتى يخرج من انفراج الثنيتين . لذلك فإنّ من ذهب إلى ان الشين خالطت مخرج الظاء [5] غير مصيب . لان الظاء بين الثنيتين مخرجها بينما يكون انتشار الشين واستطالة الضاد بطرف اللسان ملتصقاً باللثة وإن اختلفت طبيعة ذلك الالتصاق بين الصوتين . وفي هذا الموضع تنتج الطاء والدال والتاء لا الظاء كما ظنه أبو حيان واغلب علماء العربية .

لقد ذكرنا في ما سبق ان سيبويه وصف الشين بالمتفشية إلا إنّ وصفه هذا جاء من غير توضيح [6] . بل اننا نجده يصف أصواتاً أخرى بالتفشي كأصوات الإطباق [7] وصوت الراء [8] .
والذي نراه انّ سيبويه لم يقصد بتفشي أصوات الإطباق وصوت الراء ما قصده بتفشي الشين . بل انه وصف الأصوات المطبقة بهذا الوصف قاصداً منه الوضوح السمعي لإطباقها . وكذا مع الراء لتكريرها . أما مع الشين فالتفشي بمعنى الانتشار عنده [9] .

وقد ذهب المبرد إلى انّ في الضاد تفشياً زيادة على تفشي الشين إلا انه قصد بالتفشي في هذين الصوتين ما قصده سيبويه بالاستطالة [10] ، وهو الذي يظهر من كلامه ، قال في الشين : " ولا تدغم الشين في الجيم البتة ، لان الشين من حروف التفشي ، فلها استطالة من مخرجها ، حتى تتصل بمخرج الطاء ... "[11].
وقال في اللام : " والحرفان اللذان يبعدان من مخرجها ويتصلان بها في التفشي الذي فيها : الشين والضاد "[12] .

ولعلّ أول من أشار إلى حقيقة التفشي صراحة مكي بن ابي طالب، كما مرّ ذكره ، وقد رأينا انه يروي عن بعض القدماء انهم جعلوا الشين والضاد والثاء متفشيات وذكر الفاء أيضا في المتفشية [13] ، وهو ما رآه الداني [14] وقد اصطلح عليها مكي مصطلح المخالطة [15] وهو ما رآه القرطبي أيضا [16] .

وقد اتسع بعض علماء التجويد في أصوات تفشي فجعلوها مجموعة في (مشفر)[17] . قال الدكتور غانم " واطلاق التفشي على الميم والراء فيه توسع لا يحتمله التصنيف الدقيق للأصوات "[18] . واستدل الدكتور الصيغ بذلك على ان أصوات التفشي لم تكن محددة عند علماء العربية [19] .

---

[1] الرعاية :109 .
[2] الإيضاح في القراءات (الباب التاسع والعشرون) : 94-95 .
[3] مخارج الحروف وصفاتها :94 .
[4] ظ:التحديد :109 .
[5] ظ: الرعاية : 100 . و التحديد :109-110 .والموضح في التجويد :96 .
[6] ظ:كتاب سيبويه :412/2 .
[7] ظ :م.ن :427/2 و 428 .
[8] ظ :م.ن :412/2 .
[9] ظ: المصطلح الصوتي ، الصيغ :180 .
[10] ظ:م.ن :181.
[11] المقتضب :211/1 .
[12] م.ن :214/1 .
[13] ظ:الرعاية :200 .
[14] ظ: التحديد :110 .
[15] ظ:الرعاية :110 .
[16] ظ:الموضح في التجويد: 96 .
[17] ظ:الإيضاح في القراءات (الباب التاسع والعشرون) :94-95 . وابراز المعاني (باب مخارج الحروف :11) .
[18] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :319 .
[19] ظ:المصطلح الصوتي ، الصيغ :181 .

أما المحدثون فقد استقرّوا على ان المتفشي هو الشين[1] . وقد اصطلح بعضهم على تلك الصفة مصطلح الانتشاري [2] . ولم يزيدوا شيئاً على ما ذكره القدماء في مفهوم التفشي ولاسيّما علماء التجويد منهم[3] .

2- **الصفير:**

أ-الصفير عند القدماء :

ذكر أبو حيان أنّ أصوات الصفير ،هي، " الصاد والسين والزاي "[4] ، وصنفها بحسب القوة والضعف، قائلاً :" واقواها الصاد للأطباق والاستعلاء ويليها الزاي للجهر الذي فيها والسين أضعفها للهمس الذي فيها"[5] . وذكر أيضا ان صفة الصفير زائدةٌ [6] .

لقد اتفق علماء العربية على ان الأصوات الصفيرية ثلاثة (ص س ز)[7] ، وعلى ان تلك الأصوات هي (اندى في السمع) من غيرها لما فيها من الصفير[8] . ونظن انّ تصنيف أبي حيان لأصوات الصفير بحسب قوتها من اثر علماء التجويد فيه ولاسيما مكي بن ابي طالب[9] .

ووضح بعض القدماء سبب الصفير وحقيقته من حيث انه اثر سمعي ، قال مكي : " وانما سميت بحروف الصفير ، لصوت يخرج معها عند النطق بما يشبه الصفير ..."[10] وقال : " وحقيقة الصفير ان (اللفظ الذي يخرج مع الريح) من طرف اللسان مما بين الثنايا (سمع له حساً ظاهراً) في السماء "[11] . وقال الداني : " سميت بذلك لانك (تسمع) فيها شبيهاً بالصفير "[12] . وقال القرطبي : " وسميت بذلك لشبه (أجراسها) بالصفير ..."[13] .

بل ان بعض القدماء وضح عملية إنتاج صفة الصفير كما لاحظناه عند مكي . وعند ابن الطحان إذ قال: " والصفير حدة الصوت ، كالصوت الخارج عند ضغط ثقب "[14] . ووضح ابن يعيش نقطة حدوث الصفير بقوله : " ... لان صوتها كالصفير ، لأنها تخرج مما بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك ويصفر بها "[15] . وكان للمرادي تقريب دقيق لصفة الصفير إذ قال : " وهو صويت يصحب هذه الأحرف يشبه صوت الطائر "[16] .

ب-الصفير عند المحدثين :

لم يضف المحدثون شيئاً مهماً إلى ما ذكره القدماء في صفة الصفير فهي عند الأعم الأغلب منهم في ثلاثة أصوات (ص س ز)[17] ، ويعدّ عندهم اثراً سمعياً ناتجاً عن عملية ادائية (نطقية)[18] . إلا انهم يُرْجعون سبب الصفير إلى الانفتاح الضيق ، أو الاحتكاك الشديد في نقطة إنتاج تلك الأصوات[19] . " والقول ان الصفير هو اشتداد صفة الرخاوة قول فيه نقص لان هذا لا يقتصر على هذه الأصوات الثلاثة ، فالرخاوة في الفاء وفي الأصوات الاسنانية الثلاثة الذال والظاء والثاء كثيرة ، بل إنّ الشين رخاوتها تزيد على أصوات الصفير ..."[1]

---

(1) ظ:دروس في علم أصوات العربية:38 .وعلم الأصوات ، مالمبرج:102. وفي البحث الصوتي عند العرب :56 . والفكر الصوتي عند ابن دريد:184.

(2) ظ:أبحاث ونصوص في فقه اللغة :183 .

(3) ظ:علم اللغة العام (الأصوات) :107 . وعلم الأصوات ، مالمبرج :120 (دراسة المترجم) . واثر القراءات في الأصوات النحو العربي: 209 . والمصطلح الصوتي ، د.عبد القادر :120-121 .

(4) النكت الحسان :279 .والارتشاف :12/1 .

(5) النكت الحسان :279 .

(6) ظ:م.ن:280 .

(7) ظ: كتاب سيبويه :420/2 . والمقتضب :193/1 و 225-226 . والمفصل :395 . وحرز الأماني :180 . وكنز المعاني: 1188-1189 . والمنهاج في شرح جمل الرجاجي :808 .

(8) ظ: كتاب سيبويه :420/2 .

(9) ظ: الرعاية :100 .

(10) الرعاية :100 .

(11) م.ن:186 .

(12) التحديد :109 .

(13) الموضح :97 .

(14) مخارج الحروف وصفاتها :94 . ومرشد القارئ :130 ظ ، نقلاً من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :315 .

(15) شرح المفصل :130/10 .و ظ : شرح الشافية، للجاربردي ، ضمن مجموعة الشافية :343/1 .

(16) شرح الواضحة :36 .

(17) ظ :حرف الضاد وكثرة مخارجه في اللغة العربية : 60 . ودروس في علم أصوات العربية :38 . والتصريف العربي ، الطيب البكوش :40 . وأبحاث ونصوص في فقه اللغة :188-189 .

(18) ظ: علم الأصوات ، مالمبرج :102 . والمصطلح الصوتي، د.عبد القادر:120 .

(19) ظ:الوجيز في فقه اللغة :165 و187. وعلم الأصوات ، مالمبرج:120 (دراسة المترجم).

..."[1] . وعرفه الدكتور محمد البكاء بأنه " صوت يخرج بقوة مع الريح بين طرف اللسان والثنايا"[2] وهو حد عام ، لا يوضح معنى تلك القوة أو كيفيتها أو سببها .

وعلى الرغم من شيوع مصطلح (الصفير) على الصفة المرافقة لأصوات (ص س ز) وجدنا من المحدثين من يطلق عليها مصطلح (الهسيسية) و (الهشيشية)[3] ، وهما مصطلحان لا يعبران عن حقيقة صفة الصفير بل ان الأخير يصدق على صوت الشين لاعلى أصوات الصفير لان مصطلح (الهشيش) يقارب الأثر السمعي لذلك الصوت .

وقد استعمل الدكتور إبراهيم أنيس مصطلح الصفير في اكثر من مفهوم ، ففي كتابه (الأصوات اللغوية) يطلق مصطلح الصفير على أصوات (ص س ز)[4] ، لكنه استعمل هذا المصطلح بمدلول اعم من الصفير في مقالين له اذ جعله في كل الأصوات التي يعترض " مجراها حوائل أو يضيق عنده هذا المجرى فتسمع ذلك النوع من الصفير أو الحفيف ... "[5] . وسوّغ اصطلاحه هذا بقوله : " ولسنا نعني بالصفير هنا ما قصده علماء مخارج الحروف من العرب حين قصروا الصفير على (السين والصاد والزاي) ولكننا نعني ما هو اعم، فكل احتكاك للنفس في ممر ضيق يسمع له صوت يسمى عندنا صفيراً أو حفيفاً فالفاء عند النطق بها تحدث ذلك الذي نسميه صفيراً أو حفيفاً ، وكذلك الذال والثاء ... الخ "[6] .

والظاهر من كلام الدكتور إبراهيم أنيس انه قصد بالصفير المعنى المرادف للحفيف وهذا واضحُ في قوله : (الصفير أو الحفيف) ، ولو عدنا إلى معنى الصفير لغة لوجدنا من معانيه ، كما يقول البطليوسي : "التصويت بالفم "[7]. لذلك قيل : " ما في الدار صافر ، أي أحد يصفر ... وقيل أي ما بها أحد ذو صفير "[8]. وبهذا يصدق معنى الصفير اللغوي على جميع الأصوات اللغوية لا الاحتكاكية وحدها كما ذهب الدكتور ابراهيم أنيس ، ولا الصفيرية (ص س ز) كما اجمعَ عليه القدماء والأعم الأغلب من المحدثين . والذي يحدونا إلى إطلاق مصطلح الصفير على الصفة المختصة بأصوات (ص س ز) هو إجماع القدماء والأعم الأغلب من المحدثين على ذلك حتى صار من المتعارف عليه ولا سيما انه قريب من (صفير الطائر) أي (تصويت الطائر)[9] .

أما الدكتور عبد الرحمن أيوب فعد الصفير نوعا من الاحتكاك [10] . وهذا خلل في التعبير لان الصفير ليس نوعاً من الاحتكاك (العملية الادائية المعروفة) بل هو (اثرُ صوتيُ) كما مرّ . وذكر الدكتور عبد الرحمن أيوب انّ " علماء الأصوات المحدثين يرون هذه الصفة في الفاء المهموسة (p) والمجهورة (v) وفي الثاء والذال والسين والزاي والشين المهموسة والمجهورة (J) وفي النظائر المفخمة لهذه الأصوات ان وجِدت كالصاد والطاء الفصحى والظاء المصرية . وبهذا يمكن القول بان الصفير احتكاك ينتج عن ضيق مجرى الهواء ضيقاً شديداً عند الشفتين أو اللثة أو سقف الحنك الصلب على ان يخرج الهواء فوق اللسان لا من جانبيه "[11] . في حين اكتفى بعض المحدثين بإضافة صوت الشين إلى أصوات الصفير من غير ان يذكروا أي مسوغ لذلك[12] . وقد افصح الدكتور رمضان عبد التواب عن سبب إدخال الشين مع الصفيرية بقوله : " أما الشين فهي صوت رخو مهموس مرقق ... ينطق برفع مقدمة اللسان تجاه الغار ورفع الطبق ليسد المجرى الأنفي ... فإذا مرّ الهواء في الفراغ الضيق ، بين مقدمة اللسان والغار ، سبب نوعاً من الاحتكاك والصفير وهو صوت الشين "[13] . وهذا الكلام غير مقبول إلا إذا قصد بالصفير التفشي الحاصل بالشين ومع هذا فهو مخالف لاصطلاح جمهور القدماء والأعم الأغلب من المحدثين. وقد ذهب الدكتور خليل إبراهيم العطية مذهباً غريباً عندما عدّ أصوات الصفير الثلاثة من أصوات القلقلة[14] .

---

(1) المصطلح الصوتي، الصيغ :159 .
(2) ظ :المظهر الصوتي والإملاء :72 (الهامش) .
(3) ظ: دراسة الصوت اللغوي : 118 .
(4) ظ:الأصوات اللغوية :78 .
(5) بحث في اشتقاق حروف العلة :103 . و ظ: حروف تشبه الحركات :13 .
(6) بحث في اشتقاق حروف العلة :103 . و ظ: حروف تشبة الحركات :13 .
(7) الفرق بين الحروف الخمسة :585 .
(8) اللسان :464/4 (ص ف ر) . و ظ: الفرق بين الحروف الخمسة :584 .
(9) ظ :المظهر الصوتي والإملاء :72 (الهامش) .
(10) ظ :أصوات اللغة :186 . وإلى ذلك سبقه المستشرق ماريوباي ، ظ: أسس علم اللغة :85 .
(11) أصوات اللغة :186-187 .
(12) ظ: دور السين في اختزال النفخ في الأصوات الشديدة :94 . وفقه اللغة ، د.محمد خضر:260 .
(13) المدخل إلى علم اللغة :50-51 .
(14) ظ:في البحث الصوتي عند العرب :58 .

إن الذي كاد أن يتفق عليه المحدثون هو إنّ الصفير اثر سمعي يحدث مع الصاد والسين والزاي ، أما الخلافات التفصيلية التي أوردناها وناقشناها فهي آراء فردية لاتدخل ضمن هذا الإجماع .

رابعاً : صفات الأصوات الصوائت ، والواو والياء الاحتكاكيين :

1-المد واللين :

أ- المد واللين عند القدماء :

ذكر أبو حيان صفة اللين في كتاب النكت الحسان قائلاً :"ولين: هو الألف ، ولا يكون ما قبلها إلاّ مفتوحاً . والواو المضموم ما قبلها ، والياء المكسور ما قبلها . وتسمى حروف المد واللين والألف أمكن من الواو والياء ، هذا مذهب الجمهور ، وذهب صاحب الاقتداء وهو أبو بكر الصقلي إلى أنّ أمكنهن في المد الواو ، ثم الياء ثم الألف[1] " . وقد صرّح بمخالفته لمذهب أبي بكر الصقلي في كتاب الارتشاف إذ قال : " أمكنهن عند الجمهور في المد الألف خلافا لأبى بكر الصقلي في زعمه أنّ أمكنهن في المد الواو ثم الياء ثم الألف ... " [2] .

فما الذي قصده أبو حيان بـ (المد) و (اللين) ؟ .

أما المد فقد صرح أبو حيان بمعناه فهو عنده مطّ الحركة وإشباعها كما ذكره في البحر المحيط[3] ، متابعاً ابن جني في ذلك [4] . وقد ذكر أيضا انّ الواو والياء إذا لم تسبقا بحركة مجانسة لكل واحد منهما تخليتا عن المد وصارتا صوتي لين فقط[5] . وانّ الواو والياء أيا كانت حركة ما قبلهما والألف هي أصوات معلولة[6] ، قصد بالمعلولة المتغيرة في داخل البناء .

وكان أبو حيان –في بعض المواضع- يكتفي بمصطلح اللين مشيراً به إلى الألف والواو والياء ، أيا كانت حركة ما قبليهما[7] ، أو بمصطلح العلة على ذلك أيضا[8] . مغفلاً حقيقتها من حيث تحقق المد فيها أو زواله .

وهذا يعني انّ قصد أبي حيان من إن الألف أمكن أخواتها في المد[9] ، أنها ملازمة له بخلاف الواو والياء اللتين قد تفقدانه إذا ما خالفتها حركة ما قبلهما .

من ذلك نخلص إلى ما يأتي :

1. ان أصوات المد عند أبي حيان هي الألف المسبوقة بالفتحة ، والواو المسبوقة بالضمة ، والياء المسبوقة بالكسرة ، فقط .
2. انّ أصوات اللين وأصوات العلة هي الأصوات السابقة زيادة على الواو التي سبقت بحركة من غير جنسها والياء التي سبقت بحركة من غير جنسها .

والملاحظ على كلام ابي حيان انه لم يفصح عن علّة مد الأصوات الممدودة ولا عن لين الأصوات اللينة .

وأول من استعمل مصطلحي (المد واللين) الخليل بن احمد الفراهيدي . فقد جعل الألف ، والواو المسبوقة بضمه والياء المسبوقة بكسرة أصواتاً لينةً ، وذكر ان الواو في كلمة (نون) هي مدّة [10] ، وعليه يمكننا ان نقول : إن الخليل رأى إن الياء المسبوقة بكسرة هي صوت مد وكذا الألف .

---

[1] النكت الحسان :279 .
[2] الارتشاف :11/1 .
[3] ظ: البحر المحيط :389/4 .
[4] ظ: المحتسب :258/1-259 .
[5] ظ:النكت الحسان :175 ،255 .والارتشاف :156/3 .
[6] ظ: تذكرة النحاة :62. والارتشاف :156/3 .
[7] ظ :الارتشاف :332/1 .
[8] ظ: م.ن :398/1 .
[9] ظ:تذكرة النحاة :116 .
[10] ظ :العين :319/4 (خ و ي) و 51/6 (ج ر س) و 95/4 (هـ ف و) .

لكننا نجد الخليل يصف -في بعض المواضع- الهمزة باللين ، :إذ قال فيها : "إذا رفه عنها لانت فصارت الياء و الواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح"[1] . وقد عدّ الهاء " ألين الحروف الصحاح، ... ولم يكن حرف أهش من الهاء ، لانّ الهاء نَفَس "[2] . لذلك فقد أبدلوها تاءً عند الوقف إذ ا كانت أخر الاسم المؤنث [3] . ورأى ايضاً " ان الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء فَحَسنت "[4] .

والذي نراه هو أن الخليل رأى أن معنى اللين هو التغيير والاعتدال وهذا يعني أن اللين يحدث في داخل المفردة .أما وصفه الهمزة والهاء والتاء بأنها لينات فنرى انه وصف جاء على سبيل الاستعمال اللغوي لا الاصطلاحي ويقصد به سهولة النطق ، فالهمزة صعبة النطق فإذا رفه عنها لانت ، والهاء لينة لأنها أهش الحروف ولأنها نفس والدال لانت لأنها لم تكن صلبة صلابة الطاء . وقد نلمح في المواضع التي تحدث فيها الخليل على لين الهمزة والهاء دلالة اللين على التغيير والحذف .

وعلى هذا يتضح بطلان المذهب القائل بان الخليل خص اللين بالألف " نظراً لاتساع مخرج الألف اكثر من بقية الأصوات "[5] .

أما سيبويه فقد ذكر ان الألف والواو والياء " غير مهموسات وهي حروف لين ومد ومخارجها متسعة لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمد للصوت ... "[6] . وذكر في موضع الصفات ان الواو والياء لينتان لان مخرجهما " يتسع لهواء الصوت اشد من اتساع غيرهما ... "[7] ، وانّ الألف " حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه اشد من اتساع مخرج الياء والواو لانك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك "[8] . وان أصوات اللين " هي حروف المد التي يمد بها الصوت وتلك الحروف : الألف والواو والياء "[9] . أشار إلى إن تلك الأصوات ممدودة ولينة في بعض المواضع من كتابه[10] . واكتفى في مواضع غيرها بالإشارة إلى صفة المد فيها فقط [11]. وقد ذكر في بعض المواضع ان الواو والياء قد يذهب عنهما المد فيصيران بمنزلة غير المعتل [12] . لكنه لم يذكر ان الألف قد يزول عنها المد. وهذا يعني ان سبب قوة لين الألف ومدها عند سيبويه هو لزومها لذلك بخلاف أختيها اللتين قد تفارقان المد في بعض الأحيان . زيادة على ان الألف أوسع مخرجاً من أختيها . وهو ما رآه أبو حيان في ما بعد .

ولابد من الإشارة إلى أن سيبويه صرح بحقيقة صوت المد فذكر انه " حرف ممطول "[13] بل انه رأى أن الواو في مثل (عجوز) " إنما هي مدة تبعت الضمة ... "[14] ، وهذه إشارة مهمة إلى أن رمز الواو ناصف رمز الضمة في الزمن النطقي له كما مرّ ذكره في مواطن خلت .

ومع ذهاب سيبويه إلى أن صوت المد (المسبوق بحركة مجانسة له) إذا ما تحرك صار شبيهاً لغير المعتل كما في ياء (القاضي) من (رأيتُ القاضي) " لأنها ثابتة في الوصل متحركة "[15] . إلا إننا وجدناه يصف الواو المتحركة المسبوقة بضمة في (هوَ) بأنها " حرف مد "[16] . بل انه رأى أن امتناع إدغام " الياء ، وان كانت قبلها فتحة ، ولا الواو وان كانت قبلها فتحة ، مع شيء من المتقاربة ، لان فيها ليناً ومداً فلم تقوَ عليهما الجيم والياء ولا ما لا يكون فيه مد ولين من الحروف ان تجعلها مدغمتين لانهما يخرجان ما فيه لين ومد إلى ما ليست فيه مد ولين ... "[17] .

انّ ما ذكرناه عن سيبويه من فهم للين والمد يجعلنا في هذا الموضع نحسن الظن به ، ذلك لانه من غير المعقول أن يدرك أن الواو المدغمة في كلمة والياء المدغمة في كلمة ليست فيها مد ، ومن ثم يذهب إلى ان الواو

---

(1) العين:52/1 .
(2) م.ن :354/3 (هـ ن) .
(3) ظ: م.ن :354/3 (هـ ن) .
(4) م .ن :53/1-54 .
(5) المصطلح الصوتي ، الصيغ :161 .
(6) كتاب سيبويه :285/2 .
(7) م.ن :406/2 .
(8) م.ن :406/2 .
(9) م.ن : 111/2 .
(10) ظ: م.ن :197/2 و 405-406 .
(11) ظ: م.ن :198/2 و 280 ، و291 ، و 303 ، و407 .
(12) ظ: م.ن :75/2 و 289 و 293 و 409 .
(13) م.ن : 407/2 .
(14) م.ن :131/2 .
(15) م.ن :289/2 .
(16) م.ن: 280/2 .
(17) م.ن :411/2 .

في (هوَ) فيها مد . إلا إننا نفهم من كلامه في واو (هوَ) انه قصد أن اصل الواو هو المد وهذا يدعم ما كنا نذهب إليه من انه لم يفصل الواو غير المدية عن مخرج الواو المدية وكذا الحال مع الياء غير المدية التي لم يفصلها عن مخرج الياء المدية . وهذا يصدق على ما ذكره في الياء المسبوقة في الفتحة والواو المسبوقة بالفتحة اللتين عدهما سيبويه أصوات مد ولين –كما يفهم من ظاهر عبارته السابقة- ولو انعمنا النظر في ذلك النص لوجدنا سيبويه –زيادة على ما مرّ ذكره - مدركاً ان ذينك الصوتين اقتربا من الألف "لان فيهما ليناً وان لم يبلغا الألف ولكن فيهما شبها منها ... "[1] .

وانه وجد إدغام الواو المسبوقة بضمة والياء المسبوقة بكسرة مع مقارباتها ابعد مما لو كانت الواو والياء مسبوقتين بفتحة " لأنها حينئذ أشبه بالألف وهذا مما يقوي ترك الإدغام فيهما وما قبلهما مفتوح لانهما يكونان كالألف في المطل " [2] .

فالواو والياء المسبوقتان بفتحة لم يبلغا الألف وهما مع هذا فقد أشبهاها لما فيهما من (اللين) . أما الواو المسبوقة بضمة والياء المسبوقة بكسرة فإنها كالألف عنده من حيث (المد والمطل) .

نخرج من كل ذلك بما يأتي :

1. ان المد عند سيبويه يعني (المطل) أي مطل الحركة القصيرة لتصير –كما يعبر عنه القدماء- حرفاً . وهو يشمل ثلاثة أصوات الألف والواو المسبوقة بضمة والياء المسبوقة بكسرة .
2. ان دلالة اللين عند سيبويه أوسع من دلالة المد لانه يدخل فيه الواو والياء اللتين تخليتا عن المد أما لتحركهما أو لانهما مسبوقتان بحركة غير مجانسة لهما . وسبب ذلك اللين –كما ذكر- هو اتساع المخارج لهواء الصوت . فالألف اشدها اتساعاً لأنها " ليس منها علاج على اللسان والشفة وانما هي بمنزلة النفس "[3] ثم تليها الياء في الخفة واللين فالواو[4] .

فاللين عند سيبويه هو اتساع المخرج لهواء الصوت أما المد فهو مد ذلك الصوت ، والفرقُ جليٌّ بين الصفتين .

3. رأينا أن سيبويه – في بعض المواضع- من كتابه يعبر عن الأصوات غير المدية بأنها ذات مد ولين ، وفسرنا ذلك بأنه يراعي اصل تلك الأصوات وهو المد . إذن فسيبويه لم يقصر اللين على الواو والياء المسبوقتين بحركة غير مجانسة لهما كما تصوره بعض المحدثين[5] .

ونجد للمبرد إشارة صريحة على أصوات المد واللين بقوله : " واعلم أن الياء والواو بمنزلة ما تدانت مخارجه وذلك لانهما مشتركان في المد واللين ، وانهما يخرجان جميعاً منهما إذا تحركتا ، وكان قبل كل واحد منهما فتحة "[6] . وقد اكتفى في بعض المواضع بالتعبير عن أصوات المد واللين بقوله إنها لينة[7] ، أو ممدودة فقط[8] .

بل انه أشار إلى انّ أصوات المد واللين مصوتة[9] . وهي إشارة دقيقة من المبرد تعبيراً عن الأثر السمعي لتلك الأصوات ، وقد علل عبد الوهاب القرطبي ذلك بقوله : " وانما سميت مصوتة لان النطق بهن بصوت اكثر من تصويته بغيرهن ، لاتساع مخارجهن وامتداد الصوت بهن "[10] .

ويذهب ابن جني إلى وصف سبب المد في الأصوات الثلاثة قائلاً: " فان اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت من امتداده واستطالته استمر الصوت ممتداً ... والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها واليّنها الألف ... "[11] .

ورأى أن الألف لا تخرج عن المد وأن الياء والواو تخرجان عنه إذا تحركتا أو سبق كل واحد منهما حركة من غير جنسهما [1] . وقد علل ابن جني سبب ذلك بقوله : " وذلك حكم حرف المد الذي يحدث عن تمكين الحركة

---

[1] كتاب سيبويه :411/2 .
[2] م.ن :411/2-412 .
[3] م.ن : 157/2 .
[4] ظ: م.ن : 281/2 .
[5] ظ: في الفكر اللغوي : 144 . والمصطلح الصوتي ، د. عبد القادر : 126 .
[6] المقتضب : 221/1 .
[7] ظ: م.ن :122/1 .
[8] ظ: م.ن :211/1 .
[9] ظ: م.ن :61/1 و 119 و 210 . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد :157 و 251 .
[10] الموضح في التجويد :97-98 .
[11] سر صناعة الإعراب :7/1-8 .

ومطلها واستطالتها ... لانه لا يمكن فصل الحركة فيه والعود إلى استتمامه ، لان هذه المدة المستطيلة إنما تسمى حرفاً ليناً ما دامت متصلة فمتى عقتها عن الاتصال بفصل ما قد أخرجتها عن اللين والامتداد الذي في شرطها "[2] .

والذي يظهر من كلام المبرد وابن جني أن أصوات المد واللين تتجرد من صفتي المد واللين إن تحركتا أو سبقتا بحركة غير مجانسة لها وهو ما يحصل في الواو والياء فقط . بخلاف سيبويه الذي رأى بقاء اللين وفقدان المد في تلك الحالة .

ونجد عند مكي تصريحا جديدا من نوعه من حيث إنه فصل في موضع الصفات بين صفة المد واللين وبين صفة اللين فقط . أما المد واللين فهي الألف والواو والياء المسبوقتان بحركة مجانسة لهما . وسبب مدّها هو " لان مد الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلا فيهن ... ولأنهن في أنفسهن مدات ..."[3] أما وصفهن باللين فـ" لأنهن يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان واللهوات ، بخلاف سائر الحروف ، وانما ينسللن عن الحروف عند النطق بهن انسلالاً بغير تكليف "[4] وذكر في صفة الأصوات اللينة فقط أن تلك الأصوات هي " الواو الساكنة التي قبلها فتحة والياء الساكنة التي قبلها فتحة ، وإنما سميتا بذلك لانهما تخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان ، لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما فنقصتا المد الذي في الالف وبقي فيهما اللين لسكونهما فسميتا بحرفي اللين "[5] .

ولا بد من الاشارة في هذا الموضوع إلى ان لعلماء التجويد مصطلحا جديداً في أصوات المد واللين هو (الذائب) ويقال الجامد أي الصامت بتعبير المحدثين . ولعل أول من استعمل مصطلح الذائب –كما ذكر الدكتور غانم- أبو الفضل عبد الرحمن بن احمد الرازي (ت 454هـ)، قال الاندرابي عنه : " والحروف الذائبة الثلاثة : الياء المكسور ما قبله ، والواو المضموم ما قبله ، والألف ولا يجيء إلا مفتوحاً ما قبله وهذه الحروف حروف المد واللين ، سميت بذلك لأنها تذوب وتلين وتمد "[6] .

---

[1] ظ : المنصف : 224/1 . وللدكتور غالب المطلبي تفصيل عن هذا الكلام ، ظ: في الأصوات اللغوية :88-91 .
[2] سر صناعة الإعراب : 32/1 .
[3] الرعاية :101 .
[4] م.ن :101 .
[5] الرعاية :101 .
[6] الإيضاح في القراءات (الباب التاسع والعشرون) :94 . ولمزيد من التفصيل، ظ: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :155-167 .

ب-المد واللين عند المحدثين :

لا يختلف المحدثون في حقيقة أصوات المد واللين من حيث المخرج والصفة ، فهي عندهم أصوات مجهورة تخرج من الفم من غير حصول أي عائق يمكن ان يصادفها وان اتخذ اللسان والشفتين معهما اشكالاً معينة تلوّن الصوت المنتج وتفرقه عن غيره ، وهو ما مرّ ذكره في فصل المخارج .

ومع هذا لم يكن للمحدثين مصطلحاً محدداً لهذه الأصوات ، وقد تناول الدكتور غانم قدوري ال حمد الاضطراب الاصطلاحي عند المحدثين ملخصاً كل ذلك في جدولٍ عرض فيه اصطلاحات المحدثين لتلك الأصوات ومقابلاتها وهو[1] :

الحروف	الحركات [2]
الأصوات الساكنة	أصوات اللين [3]
الأصوات الساكنة (السواكن)	أصوات العلة (العلل) [4]
السواكن	الحركات[5]
الصحاح	العلل [6]
الأصوات الصامتة (الصوامت)	الحركات [7]
الأصوات الصامتة (الصوامت)	المصوتات [8]
الحبيسة	الطليقة [9]
Consonant	Vowel

وقد رد الدكتور غانم هذه المصطلحات بالصورة الآتية :

1. مصطلح السواكن ذو دلالة نحوية[10].
2. مصطلح الصحاح والعلل ذو دلالة صرفية[11] ، وإلى ذلك ذهب الأستاذ محمد الانطاكي من قبل[12] .
3. اللين استعمله القدماء في غير استعمال المحدثين لان القدماء أطلقوه على الواو والياء غير المديتين فقط، أما من استعمله من المحدثين فقد قصد به حروف المد وأبعاضها[13] ، قال الدكتور غانم : "وليس من الدقة العلمية ان نعمد إلى مصطلحات معروفة بدلالة معينة ونحاول تجريدها من دلالاتها التي عرفت بها ، ثم نلبسها معاني جديدة تظل تتراءى معها المعاني القديمة ، فلا نظفر معها بالمصطلح الذي يتحدد مدلوله من نقطة بل ان هذا السلوك سوف يوقع القارئ في اللبس "[14] .

نقول : ان مصطلح اللين عند علماء العربية كان ذي استعمالات متعددة فهو عند الخليل بمعنى التغيير والتحويل ، وعند سيبويه بمعنى اتساع المخارج لهواء الصوت وهو يختلف عن المد، وعند المبرد وابن جني مرادف للمد وهكذا ... وهو عام عندهم – وان اختلفت دلالته عندهم- يشمل أصوات المد وغير المد . لذا نحن نستبعد ان يكون هذا المصطلح دقيق ولا سيما إذا علمنا ان لفظة (اللين) لا تدل بصورة واضحة على طبيعة إنتاج تلك الأصوات وان كان يقصد بها اللين والرفق والهشاشة والسهولة ... الخ ، ذلك لان كثيراً من الأصوات تخرج بلين ورفق كالهاء مثلاً .

4. مصطلح الحرف والحركة لهما علاقة بالناحية الكتابية اكثر من علاقتهما بالناحية الصوتية[15] .

---

(1) المصوتات عند علماء العربية :398 .

(2) دروس في علم أصوات العربية :20 . وقاموس اللسانيات ، القسم العربي –الإنجليزي :110 و 111.

(3) ظ :الأصوات اللغوية ، د.ابراهيم أنيس :27 .

(4) ظ: دراسة الصوت اللغوي :135 .

(5) ظ: أصوات اللغة :156 و 157 .والأفكار الأساسية بعلم الصوت الحديث :111 و 112 و 113 . والصوتيات ، مالبرج، ت؛ حلمي هليل :244 ، 204 (فهرست المصطلحات) .

(6) ظ: مناهج البحث في اللغة :116، واللغة العربية معناها ومبناها : 68.

(7) ظ:علم اللغة العام (الأصوات) :73 .

(8) ظ: علم اللغة العام ،محمود السعران : 32. واللهجات العربية في القراءات القرآنية: 96. ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث ، القسم الإنجليزي العربي :13 و100 والقسم العربي الإنجليزي :49 و 50 . ومعجم علم اللغة التطبيقي :132 .

(9) ظ: الوجيز في فقه اللغة :159 .

(10) ظ: المصوتات عند علماء العربية :399 .

(11) ظ : م.ن :339 .

(12) ظ: الوجيز في فقه اللغة :159 هامش (1) .

(13) ظ: المصوتات عند علماء العربية :399 .

(14) م.ن :400 .

(15) ظ:م.ن :400 .

5. الحبيسة والطليقة : هما مصطلحان استعملهما الأستاذ محمد الانطاكي ، قاصداً بالأول الأصوات الشديدة والرخوة والمتوسطة أي الأصوات (الصامتة) أما مصطلح الطليقة فقد قصد به المد واللين فقط[1] .

وقد رفض الدكتور غانم قدوري آل حمد هذين المصطلحين لان الحبيسة تشتمل على الأصوات الرخوة وهي أصوات ليس فيها حبس بل يكاد يصدق عليها مصطلح الطليقة على الرغم من احتكاكها [2] . ونزيد على ذلك ان كلام الدكتور غانم يمكن ان يشمل الأصوات الصامتة المتوسطة بين الشدة والرخاوة .

والذي يدعم ما ذهب إليه الدكتور غانم هو ان معنى الحبس في اللغة لم يأتِ في غير دلالة الإمساك التام أي المنع التام[3] .

6. الصامتة ، والمصوتة أو الصائتة .

وذكر الدكتور غانم ان استعمال الصامتة اكثر شيوعاً من استعمال المصوتة ورأى إنها تناسب اكثر من غيرها دلالة على أصوات المد واللين عند القدماء[4] ، وان رأى بعض الدارسين ان فيها شيئاً من الغرابة لان الصمت يدلُ في اللغة على السكوت . فكيف يكون الصوت صامتاً ؟! فالصوت اثر حسي مسموع والصمت عدم ذلك الأثر[5] .

وقد حاول الأستاذ الدكتور غانم ان يزيل تلك الغرابة من خلال إيجاد دلالة جديدة لمصطلح (الصامت)، و (الصائت) أو (المصوت) مستنتجاً تلك الدلالة من كلام القدماء وهي ان مصطلح (المصوت) استعمل عند القدماء للدلالة على القابلية " على التمطيط والزيادة في الوقت الذي يستغرقه نطق الصوت ، وهذه الخاصية مفقودة في بقية الأصوات بالدرجة التي نلحظها مع حروف المد فهي لذلك أصوات غير مصوتة لا تستجيب لمحاولة التمطيط بسهولة وبالقدر الذي نجده في حروف المد . ومن هنا سمى بعض العلماء هذه الأصوات الثلاثة المصوتة باسم (الأصوات الصامتة) لا بمعنى الصمت الذي هو السكوت أي انعدام الأثر الحسي المسموع معها ، وانما بمعنى إنها تفقد خاصية القابلية على المد والتمطيط" [6] .

وقد فضل الدكتور غانم في بحثه هذا استعمال مصطلح (المصوت) على مصطلح (الصائت) " لان اشتقاق المصطلح الأول دل على معنى الزيادة في التمطيط من الثاني وكذلك لان المتقدمين من علماء العربية استخدموا الأول دون الثاني " [7] .

ولكن هل ان القدماء قصدوا بالمصوتة زيادة التمطيط ؟ . وإذا صح استعمالهم المصطلح بهذا المعنى ، فهل هو استعمالُ صحيح ؟

إنّ النصوص التي ساقها الأستاذ الدكتور غانم قدوري آل حمد لا تدل على ما ذهب إليه لا من قريب ولا من بعيد [8] ، فلو انعمنا النظر فيها لوجدناها نصوص تحدد الأصوات المصوتة لا طبيعة التصويت وثمة فرق بين الأمرين لم يلتفت إليه الأستاذ الدكتور غانم قدوري ، على طول باعه في الدراسات الصوتية. ولنأخذ استعمال ابن سينا مثلا الذي رأى فيه الدكتور انه استعمال واضح الدلالة على ما رآه في معنى المصوتة . قال ابن سينا : "واما الواو الصامتة فإنها تحدث حيث تحدث الفاء ... والياء الصامتة فإنها تحدث حيث تحدث السين والزاي ... واما الألف المصوتة وأختها الفتحة فاظن ان مخرجها مع إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم ، والواو المصوتة وأختها الضمة والياء المصوتة وأختها الكسرة "[9] . فاين يكمن تصريح ابن سينا بان الصوامت غير قابلة للتمطيط وان الصوائت فيها زيادة التمطيط ؟ ... إنّ هذا الشان يصدق على جميع النصوص التي ساقها الأستاذ الدكتور غانم استدلالاً على ما ذهب إليه.

ومع هذا فان صحّ ما ذهب إليه الدكتور غانم وما فهمه من كلام القدماء فإنه فهْمُ للمصطلح لا اصل له في اللغة . إذ لم يجد الباحث في مادة (ص و ت) في معجم العين ولا في معجم لسان العرب ان المصوت أو الصائت

---

[1] ظ:الوجيز في فقه اللغة :159 ، وورد تعليله للمصطلحين في هامش (1) من الصفحة نفسها .

[2] ظ:المصوتات عند علماء العربية :400 .

[3] ظ: اللسان :44/6 (ح ب س) .

[4] ظ: المصوتات عند علماء العربية :401/400 . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد :162-163 .

[5] ظ: الوجيز في فقه اللغة :159 ، هامش (1) . والمصوتات عند علماء العربية :401 . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد:162-163 .

[6] المصوتات عند علماء العربية :403 . وايد ذلك في كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :157-158 و 162 .

[7] المصوتات عند علماء العربية :404 .

[8] ظ: المصوتات عند علماء العربية :402-404 . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد :157-158 .

[9] أسباب حدوث الحروف:16 . والمصوتات عند علماء العربية :403 .

تدل على زيادة التمطيط[1] . ولم نجد أيضا في مادة (ص م ت) ان الصمت ولا أي اشتقاق له يدل على عدم التمطيط[2] .

والذي نراه ان أستاذنا الدكتور غانم لم يكن موفقاً في فهمه هذا للمصطلح . فالصائت يدل على علو الصوت ، أي بمعنى آخر انه يدل في اللغة على (الصياح) ، فالصائت بمعنى الصائح [3] . ولا أدل على ذلك من قول عبد الوهاب القرطبي في أصوات المد واللين بتعبير القدماء : (وانما سميت مصوتة لان النطق بهن يصوت اكثر من تصويته بغيرهن ، لاتساع مخارجهن وامتداد الصوت بهن) . فاتساع المخرج وامتداد الصوت هو السبب في ان النطق بهن يصوت اكثر من تصويته بغيرهن . لا كما ُظنّ ان التصويت بمعنى زيادة المط .

أما الصامت ، فمن قال انه يأتي في اللغة بمعنى السكوت فقط ؟! [4] . ففي اللغة استعمالات للصمت بمعنى خروج الصوت ضعيفاً غير عالٍ ، جاء في اللسان : " والسيف أيضا يقال له صموت ، لرسوبه في الضريبة ، وإذا كان كذلك قلّ صوت خروج الدم ... "[5] . وهو من معاني السكوت التي هي مرادفة للصمت جاء في اللسان أيضا : " وفي الحديث ما تقول في اسكاتتك ؟ قال ابن الأثير : هي أفعالة من السكوت ، معناه سكوت يقتضي بعده كلاماً ، أو قراءةً مع قِصَرِ المد . وقيل : أراد بهذا السكوت ترك رفع الصوت بالكلام ألا تراه قال : ما تقول في اسكاتتك ؟ أي سكوتك عن الجهر دون السكوت عن القراءة والقول "[6] . وعلى هذا فالصوت الصامت هو : الصوت الذي لا يمكن ان يعلو علوّ الصوت الصائت (الصائح) .

لقد كانت للأستاذ الدكتور غانم قدوري آل حمد محاولة أخرى في المصطلح تمثلت في ترجيحه استعمال مصطلحي (الجامد) و (الذائب) ، اذ قال : " واليوم ، وبعد ان درست كتب علم التجويد ، ارجح استخدام مصطلحين آخرين ، وهما (الجامد) و (الذائب) وتسمى أيضا (الجامدة والجوامد) و (الذائبة والذوائب) . وهذه المصطلحات جديدة لا نعلم ان أحدا من دارسي الأصوات العربية استخدمها أو أشار إليها بينما كان علماء التجويد قد استخدموها قبل ما يقرب من الف سنة وهي اكثر المصطلحات تعبيراً عن المعنى الذي يقوم عليه هذا التصنيف للأصوات اللغوية "[7] .

وقد رفض الباحث موفق عليوي استعمال هذين المصطلحين ، فرأى " ان هذه المصطلحات توحي بان الصوت مادة سائلة يمكن لها ان تجمد ، أو تسيل . والحال ان الصوت في حد ذاته هواء مهتز يضم موجات الطاقة الناشئة عن الاهتزاز ، وتنتقل هذه الطاقة من جزيئات هوائية إلى أخرى .

وعليه إذا قلنا انجمد الصوت أو النفس فلا يمكن ان نتصور ان هناك أثرا صوتياً . فضلاً عن ان هذه المصطلحات لا تشير إلا إلى صفة صوتية واحدة الا وهي ثبوت درجة الطول مع الأصوات الصامتة ، وتغيرها في أصوات المد . وتترك الاشارة إلى الصفات الصوتية الأخرى" [8] .

إن استدلالات الباحث موفق عليوي على رفضه هذا المصطلح غير صحيحةٍ كلها ، ذلك لان الجمود في اللغة جاء بمعنى يتوافق مع صفات الأصوات التي يشملها وكذا (الذائب) . قال الخليل : " الذائب : الظاهر ، والجامد : الغائب الباطن . ومخهُ جامدة أي صلبة ... "[9] . وجاء في اللسان ان من معاني الذوب : " هو العسل الذي خلص من شمعه وموعه ... "[10] . فالصوت الصائت هو الصوت الأكثر ظهوراً، لذا يصدق عليه معنى الذائب أما الصامت فهو اقل ظهوراً أو بروزاً من الأول لذا صح عليه معنى الجامد . وفي المعنى المذكور من اللسان للذائب دلالة واضحة على الأصوات الصائتة من حيث انه جاء بمعنى (النقاء) والصوت الصائت صوت نقي خالٍ من الضوضاء ولا توجد إعاقة تعوقه عن خروجه . بل ان الصوت الصائت يصعب التحكم به والسيطرة عليه تماماً كما يحصل في الأشياء الذائبة . على العكس من الجوامد . ونزيد أمرا آخر مهماً هو إن (الجامد) الشيء غير القابل للمد والتطويل لانه -كما مر – صلب ، على العكس من (الذائب) الذي يسيل ويمد . وقد نلمح في مصطلح (الجامد) الحركة المضطربة إذا رِيْمَ تحريك الأشياء الجامدة وهو ما يحصل مع الأصوات

---

[1] ظ:اللسان: 2/57-58 (2/57-58) (ص و ت) .
[2] ظ:م.ن: 2/54-56 (ص م ت) .
[3] ظ: اللسان :2/57 (ص و ت) .
[4] الوجيز في فقه اللغة :159 هامش (1) . والدراسات الصوتية عند علماء التجويد :163 –164 .
[5] اللسان :2/55-56 (ص م ت) .
[6] م.ن: 2/44 (س ك ت) .
[7] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :156 .
[8] الدراسات الصوتية في كتاب العين :121-122 .
[9] العين : 6/89 (ج م د) .
[10] اللسان : 1/396 (ذوب) .وجاء المعنى نفسه في العين :8/202 (ذوب) .

الصامتة التي تضطرب في أثناء خروجها لوجود عائق يعوقها. أما (الذائب) ففيه إشارة إلى الحركة غير المضطربة لانه يسيل بسهوله وهو أمر يصدق على الأصوات التي يتضمنها المصطلح .

ومع دقة دلالة هذين المصطلحين على الاصوات التي يشتملها كل واحد منهما إلا اننا لا نستطيع استعمالهما في الدراسة الصوتية لامر بسيط هو إن هذين المصطلحين لا يوقفانا على الفرق الحاصل بين انتاج الواو والياء غير المديتين وبين الاصوات المدية والاصوات الصوامت .

ولو نظرنا إلى موقف المحدثين من صوتي الواو والياء الاحتكاكيين لخلصنا إلى نتيجتين ، احداهما : اضطرابهم في المصطلح ، والأخرى : اضطرابهم في المفهوم ، على الرغم من إدراكهم ماهية ذنيك الصوتين من حيث الوظيفة و من حيث أوضاع النطق التي تتخذها أعضاء النطق عند إنتاج كل واحد منهما .

ولعلّ أول ما يلاحظ على سبب اضطراب المصطلح هو انّ المحدثين حاولوا وما زالوا ان يوجدوا مرادفاً أو مقابلاً للمصطلحات الغربية التي تطلق على هذين الصوتين . وهذه المصطلحات الغربية ثلاثة هي:

1. Diphthong*:

ومعناه بالترجمة الى العربية : حرفا علّة يشكلان صوتاً واحداً بلا فاصل ، مثل (o i) في لفظة (hoise)[1] .

2. Semi vowel :

ومعنى لفظة (Semi) هو :نصف وشبه وجزء [2] . أما لفظة (Vowel) فتعني :صوت لين[3] .

وجاء معنى (Semi Vowel) في المعجم بأنه : شبه صوت لين[4] .

3. Complex vowel :

ومعنى لفظة (Complex) هو : مركب[5] .

وبذلك يكون معنى (Complex vowel) هو : صوت لين مركب .

لقد اجتهد المحدثون في ترجمة المصطلحات السابقة إلى العربية ولم يكونوا على مذهب واحد كما نعرضه :

1. جعل الدكتور إبراهيم أنيس الواو والياء في مثل بَيْت وَيوْم تحتَ مصطلح (أشباه أصوات اللين)[6] . لكنه جعلها في بحث له تحت اصطلاح (أنصاف أصوات اللين) وقد استعمل مصطلح (أشباه الصوائت) في ذلك البحث دلالة على أصوات (ل ن م)[7] .
2. واستعمل الدكتور سلمان حسن العاني (العلّة المركبة) مصطلحاً مرادفاً للمصطلح الإنجليزي (diphthong) ويشمل عنده على صوتي (أيْ / ay / ، و أو / aw /)[8] .
3. وللدكتور احمد مختار عمر مصطلحات متعددة لهذا النوع من الأصوات ، فهو يرى في اصطلاحات المحدثين "انه ليس ثمة توهم ، وانما هو مجرد اختلاف في المصطلح ، أو في تفسير المصطلح بتعبير أدق"[9] .

ففي كتاب أسس علم اللغة يترجم مصطلح (diphthong) عند ماريو باي بـ (العلّة المزدوجة) ، وعدّ مصطلح (semi vowel) جزءاً منه ، أي انّ (dipthong) تشتمل على نوعين من الأصوات ، أحدهما : Vowel+Semi vowel وذلك في مثل : ياء (بَيْت) وواو (يوم) . والآخر semi vowel+vowel وذلك في مثل : ياء (يَلد) و واو (وَلد)[10] .

أما في كتابه (دراسة الصوت اللغوي) فقد أطلق على هذا النوع من الأصوات مصطلح (العلة المركبة)[1] ، واستعمل لها في موضع آخر من الكتاب نفسه مصطلح (أنصاف العلل)[2] .

---

* يرى أستاذنا الدكتور صباح السالم ان ظاهرة الـ(diphthong) وهي ظاهرة الهبوط اللساني غريبة على العربية لانّ جوهرها معتمد على اجتماع صوتي لين وهو أمر لا تقبله العربية سواء كان في كلمة واحدة أم في كلمتين .

[1] ظ :معجم الرافدين :269 .
[2] معجم الرافدين: 828 .
[3] م.ن :1031 .
[4] م.ن :828 .
[5] م.ن :194 .
[6] ظ: الأصوات اللغوية :43 .
[7] ظ: اشتقاق حروف العلة :105-106 و 107 .
[8] ظ: التشكيل الصوتي: 59 .
[9] دراسة الصوت اللغوي:355 .
[10] ظ: م.ن :81 .

4. ويذهب الدكتور كمال بشر إلى جواز استعمال مصطلح (أنصاف الحركات) أو (أنصاف الصوامت) بالنظر إلى طبيعة انتاج تلك الأصوات[3] . وجوّز استعمال مصطلح (الصوامت) بالنظر إلى وظيفة تلك الأصوات في داخل البنية كوحدات أساسية في جذر الكلمة[4] .

وفضل الدكتور كمال بشر استعمال مصطلح (أنصاف الحركات) وهو مرادف عنده لمصطلح (Semi vowel) والسبب في تفضيله هذا هو شيوع هذا المصطلح وتعارف الدارسين عليه[5] .

5. وجعل الدكتور صالح القرمادي مصطلح (الحركات المزدوجة) في مثل : (ـَيْ) و(ـَوْ) مرادفاً للمصطلح الفرنسي (diphthong)[6] . وإلى ذلك ذهب الطيب البكوش[7] .

6. وترجم الدكتور عبد الصبور شاهين مصطلح (diphthongue) بمصطلح (الصوت المزدوج)[8] ، نظراً إلى الطبيعة الإنتاجية لهذا النوع من الأصوات.واستعمل مصطلح (صوامت) و (صوامت ضعيفة) بالنظر إلى وظيفة تلك الأصوات في البنية[9] .

وقد رفض الدكتور عبد الصبور شاهين ان يكون مصطلح هذين الصوتين هو (أنصاف الصوامت) ؛ "لان هذه التسمية لا تصدق على صامت يكون أصلا من أصول الكلمة. ومن ناحيةٌ أخرى فإنّ الواو والياء بتأثير الصياغة الصرفية يمكن ان يقعا موقعاً يوصفان فيه بأنهما عنصر ثانٍ من المصوّت المزدوج ومن ثم ينظر إليهما كمصوتين بمعنى الكلمة "[10] .

7. واستعمل الدكتور رمضان عبد التواب لهذا النوع من الأصوات مصطلح (الشبيه بالحركة)[11].

8. واتخذ الدكتور عبد القادر عبد الجليل مصطلح (العلّة المركبة) ترجمة لمصطلح (complex vowel) وهي على نوعين ، إما ان تكون ثنائية البنية التركيبية (diphthongs) .أو ثلاثية (striphthong) وتقتصر العربية على الأول كما في : (ـَيْ Ay (ايْ) ، و ـَوْ Aw (أو)) .وترجم مصطلح (semi vowel) بمصطلح (صائت قصير) .

9. واستعمل الأستاذ بسام بركة مصطلح (أنصاف الصوائت العربية) ؛ و (أنصاف الصوامت) ، و (الانزلاقيات) للصوت / W/ في مثل واو (وَلد) ، و /j/ في مثل ياء (يَلد)[12] .

10. واصطلح الدكتور محمد فتيح على هذا النوع من الأصوات بـ (نصفا حركة ، أو نصفا ساكن)[13] .

11. واختار الدكتور غالب المطلبي مصطلح (نصف المد) ترجمة للـ (s emi vowel) وذكر أنها الترجمة الحرفية بالضبط[14] .ورجح هذا المصطلح على مصطلح (أنصاف الصوامت) (semi consonants) وعلى مصطلح أصوات المد الصامتة (consonant vowel) ؛ لان التسمية الأولى اكثر دقة في التعبير عن طبيعة هذه الأصوات ذلك لأنها أساسا من أصوات المد ، لكنها تقترب من سلسلة الصوامت بسبب وجود هذا الاحتكاك الخفيف ... [15] .

وترجم مصطلح (diphthong) بـ(صوت مد مركب)[16] ، وهو تتابع بين صوت المد ونصف المد وله نوعان ، أحدهما صوت مد صاعد (vising) والآخر : صوت مد هابط (Falling) ، وقيده بان يكون في مقطع واحد .

12. وارتضى الأستاذ محمد الانطاكي مصطلح (الطليقات المركبة) ترجمة للمصطلح (diphthonge) [17].

وهي على ثمانية أنماط كلها تشير إلى واو وياء مسبوقتين بحركة غير مجانسة لهما أو بصوت غير متحرك

---

(1) ظ: م.ن :353 .
(2) ظ:م.ن :330 .
(3) ظ:علم اللغة العام (الأصوات) :86 و 132-133 . وعلم اللغة العام (القسم الثاني): 130 .
(4) ظ:علم اللغة العام (الأصوات) :132 .
(5) ظ:م.ن: 86 .
(6) دروس في علم أصوات العربية :169 و 210 .
(7) ظ:التصريف العربي :49 .
(8) ظ:القراءات القرآنية ، د.عبد الصبور شاهين :44 . والعربية الفصحى :220 (المعجم) .
(9) ظ:القراءات القرآنية، د.عبد الصبور شاهين :44 .
(10) م.ن:44 .
(11) ظ:المدخل إلى علم اللغة :93 .
(12) ظ:الأصوات اللغوية ، د.عبد القادر:200 و 202 .
(13) ظ:في التفكير اللغوي :144 .
(14) ظ: في الأصوات اللغوية :41 (هامش 69) .
(15) ظ:م.ن: 42-43 .
(16) ظ:م.ن:43-44 .
(17) ظ:الوجيز في فقه اللغة :242-243 .

(ساكن) وزاد عليها نمطاً تاسعاً وهو الهمزة المسهّلة (الصوت الذي بين الهمزة وبين الفتحة) في مثل : (أ-ـَنت) من (أَأَنت)[1] .وهذه زيادة غريبة لا نراها صائبة .

13. وللباحث موفق عليوي محاولة يتيمة في إيجاد مصطلح لذلك النوع من الأصوات ، فقد استعمل له مصطلح (الأصوات المصروفة)[2] ، وهو يشمل ايضاً الأصوات الصامتة عنده . وجعل لهذا المصطلح مقابلاً وهو (الأصوات غير المصروفة) أو (أصوات المد) . مستدلاً على دقة دلالة مصطلحاته هذه بالمعنى اللغوي للصرف ، وبأنه مصطلح قديم وليس غريباً على الدرس اللغوي وان لم يكن في ذات المعنى الذي ذهب إليه ... .

14. واستعمل الدكتور صباح عطيوي عبود مصطلح المزدوج بدلالة اخرى غير التي استعمالها سابقوه ففكرة المزدوج عنده " تنبع من تركب مصوت مع واحد من صوتين يسلكان سلوك الصوامت وهما الياء والواو " [7] . وكان سبب ترجيحه لهذا المصطلح

يمكننا إجمال مصطلحات المحدثين العرب على الواو والياء الاحتكاكيتين بما يأتي:

1. أنصاف أصوات المد واللين ، أو (المد) فقط .
2. أنصاف العلل .
3. أنصاف الصوائت ، أو أنصاف الصوامت ، أو الانزلاقيات .
4. أنصاف الحركات أو أنصاف السواكن .
5. العلّة المركبة .
6. الطليقات المركبة .
7. الأصوات المركبة .
8. أشباه أصوات المد والين .
9. أشباه الحركات .
10. الأصوات المصروفة.
11. المزدوج بدلالتيه السابقتين .

وينفعنا في هذا الموضع مناقشة الدكتور غانم قدوري آل حمد لمصطلحات المحدثين التي أطلقوها على الأصوات الصائتة أو المصوتة . إذ قد نفى الأستاذ الدكتور مصطلح (العلّة) ومصطلح (الصحيح) لانهما يعبران عن ظاهرة صرفية . ورفض أيضا مصطلح (الساكن) لانه ينتمي إلى علم النحو ، و (المتحرك) لانه يعبر عن الأثر الكتابي ونفى كذلك مصطلحي (الطليقة) و (الحبيسة) ؛ لانّ من الأصوات ما توصف بالاحتكاك ستدخل ضمن الحبيسات وهي ليست كذلك بل انها – بصفة الاحتكاك - (اقرب إلى الطليقة)[3].

وبانتفاء تلك المصطلحات تنتفي المصطلحات التي أطلقت على الواو والياء الاحتكاكيتين ، والتي اشتملت على أحد تلك المصطلحات .

أما مصطلح نصف فانه يدلُ على الكمية أو الزمن النطقي للأصوات ولا يشير إلى الصفة التجميعية التي اكتسبها صوتا الواو والياء الاحتكاكيتين ، فمن الأصح لهذا المصطلح ان يطلق على الصوائت القصار –ان صحّ القول بان تلك الأصوات تساوي نصف الزمن النطقي للصوائت الطوال- وهو ما استعمله فعلاً بعض المعاصرين[4] .

وبهذا ستنتفي المصطلحات التي تشتمل على كلمة (نصف) لما ذكرنا .

ومصطلح المركبة ذو دلالة تصرف الذهن إلى الأصوات التي أئتلفة في بنية الكلمة أو تركبة . أي ان هذا المصطلح يصح ان يطلق على تعامل الأصوات في داخل التركيب باعتبارها أصوات متجمعة .

ويعرض على مصطلح (الأصوات المصروفة) الذي اقترحه الباحث موفق عليوي عدّة اشكالات منها انّ الباحث استدل على كون الأصوات المصروفة هي الأصوات التي تتعقبها حركة[5] ، بكلام الخليل بن احمد

---

[1] ظ: م.ن :242-243 .
[2] ظ:الدراسات الصوتية في كتاب العين :122-123 .
(7) التقاء الساكنين : 55 .
[3] ظ:المصوتات عند علماء العربية :399-400 .
[4] ظ:الأصوات اللغوية ، د.عبد القادر :202 .
[5] ظ:الدراسات الصوتية في كتاب العين :123 .

الفراهيدي إذ قال : " لكل حرف ... صرف وجرس ، أما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف، واما الصرف فهو حركة الحرف "[1] .

نقول : لِمَ لا يكون معنى قول الخليل (أما الصرف فهو حركة الحرف) إنّ الصوت اللغوي يُعاق خروجه بعائق ما فيتحّرك أو يضطرب لاصطدامه بذلك العائق فيصدر ضوضاء معينة لا توجد في الأصوات الصوائت ؟! .

أما الأمر الأخر فهو إن مصطلح (الأصوات المصروفة) يشمل الأصوات الصوامت والواو والياء الاحتكاكيتين ، كما ذكر موفق عليوي ، والذي نسعى إليه هو إيجاد مصطلح يخصص بالواو والياء الاحتكاكيتين ليمتازا به من الأصوات الصوامت والصوائت ، زيادة على انّ هذا المصطلح لا يبين وجه الشبة بين الصوتين الواو والياء الاحتكاكيتين وأصوات المد واللين من حيث الهيأة النطقية التي تتخذها أعضاء النطق في إنتاج كل من النوعين ، وبمعنى آخر ان هذا المصطلح لا يشير إلى العلاقة التجميعية التي يتصف بها صوتا الواو والياء الاحتكاكيين ولابد من الأخذ بالاعتبار انّ هذا المصطلح أي (المصروف) أو (الصرف) اصبح من المصطلحات الصرفية المعروفة والمتعارف عليها ولا يمكن ان ندخله في مجال آخر يخرق ما تعارف عليه الدارسون اللغويون .

لذا فإننا نستبعد ان يكون هذا المصطلح دقيقاً في دلالته على صوتي الواو والياء الاحتكاكيتين .

تبقى لدينا مصطلح أشباه أصوات المد واللين ومصطلح المزدوج . وهو مصطلح يمتاز بالدقة ، بالنظر إلى المصطلحات الأخرى ، من حيث وصف صوتي الواو والياء الاحتكاكيين بأنهما شبيهان بأصوات المد واللين وبذلك سينصرف الذهن إلى انّ تلك الأصوات أشباه الأصوات الصامتة أيضا. ولكنّ الذي يعترض طريقنا في ان نستعمل هذا المصطلح هو إنّ هناك من الأصوات ما يصدق عليه هذا المصطلح هذه الأصوات هي (ر ل م ن) وقد حدث ان وقع الدكتور إبراهيم أنيس في لبسٍ باستعماله لهذا المصطلح كما ذكرنا .

اما مصطلح المزدوج فواضح عند الدكتور عبد الصبور شاهين وجملة من الباحثين أنهم ارادوا منه صوتين صائتين ازدوجا او اجتمعا في نمط واحد لذلك نجدهم يضعون مع هذا المصطلح مصطلحات متعددة تشير الى وظيفة هذين الصوتين التي تشابه الاصوات الصوامت . اما استعمال الدكتور صباح فهو استعمال دقيق لانه قصد منه الازدواج النطقي مع ذلك النمط من الاصوات والازدواج الوظيفي من حيث تشكيل احدهما قمة المقطع والاخر قعره . ومع ما لهذا المصطلح من دقة اقترح الباحث مصطلحا لآخر يراه اكثر دقة وشمولية دلالة على ذلك النمط من الاصوات .

فقد[2] علمنا انّ هذين الصوتين لهما طبيعتهما المستقلة عن بقية الأصوات الصوامت والصوائت وان شارك هذان الصوتان الأصوات الصوامت والصوائت في بعض حالاتها النطقية والوظيفية . وعليه فان الباحث يقترح استعمال مصطلح منحوت من كلمتي (صوامت) و (صوائت) تعبيراً عن هاذين الصوتين كأن نقول : (الصوائم) .

وقد يبدو على مصطلح (الصوائم) شيء من الغرابة ، إلاّ إننا نستطيع ان نزيل تلك الغرابة بقولنا : ان هذا المصطلح يعبر عن نقاط أساسية في هذين الصوتين هي :

1. ان هذين الصوتين لهما كيان خاص مستقل عن بقية الأصوات ووضع مصطلح مستقل لهما يدل على استقلالهما .
2. ان هذين الصوتين مع استقلالهما يتصفان بالقرابة الأصوات الصوائت من جهة وبالأصوات الصوامت من جهة أخرى . واستعمال مصطلح منحوت من (الصوامت) و (الصوائت) يشير بوضوح إلى العلاقة التجميعية لهذين الصوتين .
3. وليس من التكلف إذا ما ذهبنا إلى عقد علاقة بين دلالة الصوم اللغوية وهي (الامتناع) وبين طبيعة الواو والياء الاحتكاكيتين من حيث انهما امتنعتا من ان يكونا صوتين صامتين أو صائتين .
4. ولعلّ من نافلة القول في هذا المصطلح انه مصطلح موجز يتكون من ثلاثة مقاطع تطابق تمام المطابقة المقاطع التي يتكون منهما مصطلحي (الصوامت والصوائت) .

ونستطيع ان نجعل هذا النوع من الأصوات أي (الأصوات الصوائم) مع الأصوات (ر ل ن م) تحت مصطلح (أشباه الصوائت) كما مرّ ذكره وبذلك يكون ضمن مصطلح أشباه الصوائت نوعان من الأصوات هي : الأصوات المتوسطة وهي (ر ل ن م) والصوتان الصائمان وهما الواو والياء الاحتكاكيين .

---

[1] ظ:تهذيب اللغة :50/1 .

22

2-الهاوي والمتصل :

جعل أبو حيان لصفة الهاوي في كتاب النكت الحسان حرفاً واحداً إذ قال : " والهاوي حرف واحد : هو الألف ، و إنما سمي هاوياً ؛ لأنه اتسع مخرجه لهواء الصوت اشد من اتساع غيره "[1] . واقتصر في الارتشاف على قوله : " والهاوي الألف " [2]

وقد ذكر في كتاب النكت الحسان في أثناء حديثه على الأصوات الهوائية قوله : " وهوائي : وهي حروف المد واللين . نسبن إلى الهواء ، لأنه كل واحد منها يهوي عند اللفظ به في الفم لعمدة خروجها في هواء الفم . واصل ذلك : الألف ، والواو والياء ضارعتا الألف في ذلك وما ذكره على مذهب الخليل فان الواو والياء عنده هوائيتان كالألف فاما سيبويه فالواو عنده شفهية والياء شجرية والألف عنده هي الهوائية "[3]

أما الخليل فيصف الهاوية بأنها " كل مهواة لا يدرك قعرها " .ولهذا السبب اطلق على أصوات (الألف والواو المسبوقة بالضمة والياء المسبوقة بالكسرة) مصطلح الجوفية " لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان و لا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة انما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب اليه الا الجوف . وكان يقول كثيراً : الألف اللينة والواو والياء هوائية أي انها في الهواء "[4]. وروي عنه ايضاً ان سبب تسمية تلك الاصوات بالهوائية " لأنها لا تتصل بشيء من الاحياز "[5] أو هي " في الهواء لم يكن لها حيز تنسب اليه غيره " [6] . فالخليل ينسب تلك الاصوات مرة الى الجوف الذي لا يدرك قعره وفي اخرى ينسبها الى الهواء الذي يخرج من الجوف . أي انه ينسب تلك الاصوات مرة الى الموضع العميق الذي تخرج منه ، ومرة اخرى ينسبها الى الواسطة التي تحملها الى الخارج . وجمع تلك الاوصاف كلها في قوله " انما هي (هاوية) في (الهواء) فلم يكن لها حيز تنسب اليه الا (الجوف)" . وقد استعمل الخليل في موضع آخر لفظة (الهافي) ووصف بها صوت الألف قائلاً : " الهفو : الذهاب في الهواء . ويقال الألف اللينة ، هافية في الهواء " [7] . ولعل سبب اخراج الخليل الياء والواو من كونهما هافيين هو ان مدرجة " الياء مختفضة نحو الاضراس ، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين ، وأصلهما من عند الهمزة " [8]. لذلك وصف الخليل تلك الاصوات بأنها " اتفق مبدؤها واختلف مجراها : مثل الجيم مع الياء والواو مع الباء والألف مع الهاء ،ولبدو الياء والواو والألف من الجوف سميت جوفاً . . " [9]

وقد اشار الخليل الى ان تلك الاصوات يهمزن عند الوقف عليهن " فانما يهمزن في تلك اللغة لأنهن اذا وقف عندهن انقطع انفاسهن فرجعن الى اصل مبتدئهن من عند الهمزة " [10] ، لهذا كانت الألف فقط عنده (هافية) لأنها تبدأ بالجوف وتنقطع به . أما الياء والواو فلها مدارج أو أشكال تتخذها الأعضاء اللفظية عند النطق بها لذلك لم تذهب في الهواء ذهاب الألف .

ونجد التعبير نفسه عند سيبويه غير انه يستعمل مصطلح (الهاوي) بدل (الهافي) عند الخليل [11] ، اذ قال : " وهذه الحروف غير مهموسات وهي حروف لين ومد ومخارجها متسعة لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمد للصوت ، فاذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها فيهوى الصوت اذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة واذا تفطنت وجدت مس ذلك.."[12]. وتبرز دلالة الهاوي عنده بصورة أوضح في قوله : " ومنها الهاوي : وهو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه اشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف . . "

---

[1] النكت الحسان :281 .
[2] الارتشاف : 11/1 .
[3] النكت الحسان : 281 – 282 .
[4] العين :57/1 .
[5] تذكرة النحاة : 28 .
[6] تهذيب اللغة : 48/1 .
[7] العين : 95/4 (هـ ف و) .
[8] تهذيب اللغة : 51/1 .
[9] تذكرة النحاة : 29 .
[10] تهذيب اللغة : 51/1 .
[11] موقف الازهري من كتاب العين : 307 .
[12] كتاب سيبويه : 285/2 .

[1] وعلل سبب اتساع مخرج الألف بقوله فيها : لأنها " ليس منها علاج على اللسان والشفة وانما هي بمنزلة النفس " [2] .

وعلى هذا يتضح ان الخلاف بين سيبويه والخليل خلاف ظاهري ، فسيبويه ينسب اصوات المد واللين الى مخارجها المقدرة والخليل ينسبها الى الموضع الذي تصدر منه وقد بينا هذه المسألة في مواضع سبقت .

ويأتي المبرد فيصف الواو بأنها " تخرج من الشفة ، ثم تهوي في الفم حتى تنقطع عند مخرج الألف. وان الياء تخرج من وسط اللسان من مخرج الشين والجيم حتى تنقطع عند مخرج الألف فهما متجاوران.."[3] فدلالة الهاوي عند المبرد – على اغلب الظن – هي السقوط من أعلى الى اسفل لذلك وجدناه يقصر هذا الوصف على (الواو والياء) ويخرج الألف منه . وهو خلاف ظاهري مع سابقيه لأن الخليل وسيبويه نظرا الى ان الألف هافية أو هاوية أو ذاهبة في الهواء بخلاف الواو والياء اللتين تتحرك معهما بعض الاعضاء النطقية عند انتاجهما . وهو ما يراه المبرد غير انه استعمل معنى آخر للهاوي كما مر.

ولم يخرج علماء العربية عن أحد الوصفين السابقين لصفة (الهاوي) ، سوى بعض الملاحظات التي زادت الامر وضوحاً قال الجاربردي : " والهاوي الألف ، لأنه يهوي من مخرجه الذي هو اقصى الحلق اذا مددته من غير عمل عضوٍ فيه ، قال سيبويه : هو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه اشد من اتساع مخرج الواو والياء لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك ، يعني ان الواو والياء مثل الألف الا انك تضم الشفتين في الواو وترفع لسانك نحو الحنك في الياء فيحصل فيه عمل عضو وكذلك الألف لأنك تجد فيه الفم والحلق منفتحان غير معترضين على الصوت بضغط ولا عصر . . . والهاوي من الهوى ، بضم الهاء ؛ وهو الصعود . وبفتحها ؛ هو النزول . هكذا ذكر في شرح الهادي " [4] . وعلق ابن جماعة على قول الجاربردي : (لأنه يهوي من مخرجه) بقوله : " أي يخرج من مخرجه من غير عمل عضو كأنه سقط من مخرجه وهو الحلق الى هوى الفم ، من هوى يهوي هوياً : أي سقط الى اسفل او كأنه يعلو من مخرجه الى هوى الفم من الهوى بضم الهاء وهو الصعود " [5] . ثم علق ابن جماعة على قول صاحب شرح الهادي السابق بقوله : " قال في القاموس يقال : هوى الشيء ، سقط ، كأهوى . والهوى هوياً، بالفتح والضم ، وهوياناً سقط من علو الى اسفل والهوى ، بالفتح ، للأصعاد . والهوى ، بالضم ، للانحدار. انتهى ، وهو يخالف ما في شرح الهادي " [6] . والظاهر من النصين السابقين انهما يبحثان في المصطلح وفي توضيح دلالته والخلاف ظاهري لا غير .

وعليه فاننا نؤيد فهم بعض المحدثين لمدلول الهاوي ، قال الدكتور حسام النعيمي : " فكان اتساع مجرى الصوت فيه وامتداده في الفم جعلهم يرونه كالذي يهوي في الفضاء لا يستند اللسان معه أي شيء ولا يتمرن نحو شيء ولا يحتك الهواء معه بشيء وهو يختلف عن الواو والياء في ذلك لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع لسانك قبل الحنك " [7] ، وعليه سار بعض المحدثين [8] .

غير ان هذا المفهوم لا يخلو من التعليق لأن هذه الفكرة تصدق على كلام الخليل وسيبويه ومتابعيهما ولا تصدق على ما يراه المبرد لأن الهاوي عنده صوتا الواو والياء وهو بمعنى الهبوط من اعلى الى اسفل . بل ان من علماء التجويد من يجعل الصوائت الطوال كلها هاوية كابي العلاء الهمذاني العطار [9] .

وبهذا فنحن نخالف ما رآه المستشرق كانتينو من ان الهاوي هو " الذي فيه هواء وهو نعت ينعت به الألف الجرسي أي (الألف الذي يحدث صوتاً) للمقابلة بينه وبين الألف اذا كان عماد الهمزة " [10] .

أما صفة الاتصال فقال فيها ابو حيان : " ومتصل : هو الواو وسميت بذلك لأنها تهوي في مخرجها في الفم لما فيها من اللين حتى تتصل بمخرج الألف " [11] . وهو ما ذكره مكي بالنص في كتاب الرعاية [12] . وقد استعمله بالدلالة نفسها عبد الوهاب القرطبي [1] .

---

[1] م . ن : 406/2 .
[2] م . ن : 357/2 .
[3] المقتضب : 221/1 .
[4] شرح الشافية الجاربردي ، ضمن مجموعة الشافية : 344/1 .
[5] حاشية الجاربردي ، لابن جماعة ، ضمن مجموعة الشافية : 344/1 .
[6] م . ن : 344/1 .
[7] الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 324 .
[8] ظ : في البحث الصوتي عند العرب : 60-61 .وفي الفكر اللغوي : 145 .والمصطلح الصوتي، د. عبد القادر : 125 . وموقف الأزهري من كتاب العين : 307 .
[9] ظ : التمهيد ، للعطار : 147و ، نقلاً من الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 366 .
[10] دروس في علم أصوات العربية : 38 .
[11] النكت الحسان : 284 .
[12] الرعاية : 113 .

وكأن هؤلاء العلماء استعملوا المصطلح بدلالة معاكسة لدلالة الهاوي الذي قصروه على الألف [2] ، أي ان الهاوي عندهم بمعنى الصعود ويخص الألف . والمتصل بمعنى الرجوع من اعلى الى اسفل وخصوه بالواو . وكان من المفترض على هؤلاء العلماء ان يتمموا عملهم الجيد هذا فيدخلوا الياء مع الواو في صفة المتصل لأنها ايضاً ترجع الى مخرج الألف المقدر كما مر ذكره .

خامساً : صفات مختلف في مفهومها :

1- الهت :

ذكر ابو حيان صفة الهت في كتاب النكت الحسان قائلاً : " ومهتوت : وهو صوت الهمزة سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع فتحتاج الى ظهور صوت قوي شديد ، (والهتف)* : الصوت بقوة ، وذكر بعضهم ذلك بالتاء عوض الفاء ، والهت في اللغة : عصر الصوت . يقال : هت البكر في صوته اذا عصره"[3] . وجاء في الارتشاف : " والمهتوت : الهمزة والهت : عصر الصوت ، والهت ايضاً : الحطم والكسر . وبعضهم يقول فيها : المهتوف - بالفاء – والهتف : الصوت بقوة " [4] .

وأول من استعمل هذا المصطلح الخليل بن احمد الفراهيدي ، اذ قال : " وأما الهمزة فمخرجها من اقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فاذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح " [5] . وقال ايضاً : " الهمز : العصر ، تقول همزت رأسه : وهمزت الجوزة بكفي . وانما سميت الهمزة في الحروف لأنها تهمز فتهت فتهمز عن مخرجها ، تقول : يهت فلان هتاً اذا تكلم بالهمزة " [6] . وقد وصف الخليل الهاء بالهت ايضاً في قوله : " ولولا هتة في الهاء . . لا شبهت الحاء تعرب مخرج الهاء من الحاء " [7] .

أما سيبويه فلم يتحدث على صفة الهت في كتابه ، لكن ابن منظور يعزو اليه نصاً قال فيه : " قال سيبويه : من الحروف المهتوت ، وهو الهاء ، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء . . " [8] .

وقد راح اللغويون في صفة الهت الى احد مذهبين ، فمنهم من نسب الهت الى الهاء ؛ لضعفها وخفائها [9] كما ذكر سيبويه . وأطلقهما بعضهم على الهمزة ، وقد ذكر المرادي والسيوطي نصاً في تعليل تلك النسبة الى الهمزة بقولهما : " لأنها معتصر [ة]* كالتهوع أو من الهت وهو الحطم والكسر لأنها يعرض لها الابدال كثيراً فتنحطم وتنكسر . . . " [10] . ونظن ان هذا النص الذي ذكره المرادي والسيوطي مأخوذ من كتاب شرح التسهيل (التذييل والتكميل)لأبي حيان ذلك لأنهما – كما ذكرنا – كانا كثيراً ما ينقلان من كتاب التذييل من غير ان ينسبا نقلهما إلي أبي حيان ، فالنص كما ذكرا ه واحد وهو قريب الشبه لما ذكره ابو حيان في الارتشاف .

وقد أطلق مكي مصطلح الهتف على الهمزة قائلاً : " الحرف المهتوف : وهو الهمزة ، سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد ، والهتف : الصوت الشديد ؛ يقال : هتف به ، إذا صوّت . . . وذكر بعض العلماء في موضوع المهتوف المهتوت – بتاءين – قال : لأن الهمزة إذا وقفت عليها لانت وصارت إما واواً و إما ياء ، و إما ألفاً " [11] .

ومعنى هذا إن أبا حيان استفاد في كتاب التذييل وكتاب الارتشاف مما ذكر مكي في الرعاية فجمع في تعليل نسبة الهت إلى الهاء بين أمرين ، أحدهما : العملية الأدائية التي تنطق بها الهمزة من حيث إنها (صوت شديد) و (معصور) ، والآخر : حالة الهمزة في داخل المفردة لما يعتريها من الاعتلال والتغيير . فالأمر الأول

---

[1] الموضح في التجويد : 95-96 .
[2] ظ : الرعاية :102 . والموضح في التجويد : 100 .
* في المتن (الهت) وهو تحريف و الصواب ما اثبتناه .
[3] النكت الحسان : 281 .
[4] الارتشاف : 1/11-12 . وجاء في مصورة المجمع " عض الصوت " وهو التحريف ، ظ: مصورة المجمع : 5ظ .
[5] العين : 1/52 .
[6] م . ن : 4/363 (هـ م ز) .
[7] م . ن : 1/57 .
[8] اللسان : 2/103 (هـ ت ت) .
[9] ظ : سر صناعة الإعراب : 1/64 . والممتع : 2/676 . و المناهج في شرح جمل الزجاجي : 809 .
* ساقطة من نص كتاب الهمع المحقق . وهي زيادة من شرح التسهيل للمرادي .
[10] ظ : شرح التسهيل للمرادي : 250 و . والهمع : 6/698 .
[11] الرعاية : 112 .

يقارب عند أبي حيان معنى الهت لغة وهو (العصر) [1] . والأمر الآخر يقارب عنده معنى الهت لغة وهو (الحطم والكسر) [2] .

وقد سبق الجعبري إلى تعليل سبب خفت الهمزة بمراعاته حالتها في داخل المفردة ، غير انه أضاف عليها الهاء ، قال ابن جماعة : " وقال الجعبري : المهتوت ، بالهاء ، والهت : الضعف . (فالهاء)* لخفائها، والهمزة لما لها في التخفيف الى اخواتها " [3] . والملاحظ على كلام الجعبري انه عد سبب هت الهاء مرتبطاً بالحالة السمعية فهي ذات صوت خفي أي ضعيف . وانه عد سبب هت الهمزة مرتبطاً بحالها في داخل مفردة.

وقد ذهبت طائفة من النحويين الى نسبة الهت الى التاء ، قال الزمخشري : " والمهتوت التاء لضعفها وإخفائها " [4] . وعلق على ذلك ابن الحاجب بقوله : " لأنه حرف شديد فيمتنع الصوت ان يجري معه ، وهو وان كان مهموساً يجري النفس معه إلا انه عند الوقف عليه لا نفس يجري معه فيتحقق خفاؤه ، والكاف وان شاركت في ذلك إلا إن مخرجه من أقصى الحنك فيقوى صوته ولا يضعف كضعفه ولا يلزم ذلك في الشديد المجهور ، لأنه بجهره يخرج عن الخفاء بخلاف الشديد المهموس فان همسه يوجب خفاءه ولذلك سمي بالهمس ، وهو الصوت الخفي وسمي ضدها بالجهر وهو الصوت العالي . نعم لو اتفق أن يكون في الحروف الشديدة ما وافق المهموس وليس مخرجه من أقصى الحنك لكان حكمه حكم التاء في الخفاء ولكنه لم يتفق " [5] .

وهذا الذي ذكره ابن الحاجب رأي سديد فهمس التاء يعني عدم التصويت بها في الصدر ، وشدتها تعني حبس الهواء في موضع خروج الصوت (اللثة) وبذلك يتحقق ضعف الصوت وخفاؤه لأن التصويت إلى لحظة الاحتباس لم يتم بعد . أما سبب كون الكاف غير مهتوتة أو غير ضعيفة فلأنها من الجزء اللاحق لأقصى الحلق ، هذا الموقع يعطي للصوت وضوحاً لأن الفراغ الفموي سيكون بمثابة (غرفة رنين) تسمح لصوت الانفجار – الذي يعقب الانحباس التام مع نطق التاء- أن يكون صدى يقوي اثر الصوت اللغوي في السمع .

وعلى الرغم من دفاع ابن الحاجب وتعليله السديد لهت التاء إلا إننا وجدنا من النحويين من يرفض ان تكون التاء مهتوتة ، قال ابن جماعة معلقاً على قول الجاربردي (والمهتوت التاء) : " قال الشيخ بدر الدين: هذا خطأ والصواب الهمزة وهو الذي ذكره ابن القوطية وغيره (انتهى) وهو ما في التسهيل أيضاً"[6].

في حين ذهب بعضهم إلى إن الزمخشري قصد الهاء لا التاء ، قال الإمام يحيى بن حمزة العلوي : " المهتوت : وهو الهاء ، و إنما سمي مهتوتاً لضعفه وخفائه ، ومن النحاة من يزعم ان المهتوت هو الهمزة، ومنهم من يقول هو التاء المثناة الفوقانية والأول أحق وهو الذي اختاره الزمخشري " [7] . وكأنه حسب ان ما جاء في مفصل الزمخشري تصحيف ، وبذلك صرح صاحب شرح الهادي – كما ذكر الجاربردي - إلا انه ذهب مذهباً غريباً في تسويغه لكون الهاء مهتوتة قال الجاربردي : " وذكر في شرح الهادي : ان المهتوت الهاء لضعفها ولخفائها وسرعتها على اللسان من الهت ، وهو إسراع الكلام . يقال للرجل إذ كان جيد السياق للحديث هو يسرده سرداً ويهته هتاً . ورجل هتات : أي ضعيف الكلام لأن الذي يسرد الحديث ويكثر الكلام ربما لم يبين الحروف . وقيل الهت عصر الصوت ، ثم قيل فيه . أما ما ذكر في المفصل من ان المهتوت التاء فكأنه غلط من الناسخ ثم ذكر فيه ، ودليل على ان المهتوت الهاء قول الخليل لولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء . وعنى بالهتة العصرة التي فيها دون الحاء وقال ابو الفتح ومن الحروف المهتوتة وهو الهاء وذلك لما فيها من الضعف والخفاء " [8] . ولنا على كلام صاحب شرح الهادي عدة أمور هي :

1-إن ذهابه إلى إن سبب إخفاء الهاء هو إسراع اللسان بنطقها أمر غير دقيق لسببين ، أحدهما : هو إن اللسان لا يعمل في إنتاج صوت الهاء ، والآخر هو ان نطق الهاء لا يأتي سريعاً . ولو انه ذهب إلى إن علة هت الهاء لكونها خفيفة في النطق اعتماداً على المعنى اللغوي الذي ساقه وهو : (ورجل هتات أي ضعيف كثير الكلام) لكان كلامه سليماً ، فالهاء تخرج بلطافة ورفق وسهولة .

2-لقد استدل صاحب شرح الهادي على ان الهاء مهتوتة بقول الخليل فيها بأن فيها هتة ميزتها عن الحاء . ولكن الخليل نفسه لم يقصر الهت على الهاء بل أطلقه على الهمزة اكثر من مرة .

---

[1] ظ : اللسان : 103/2 (هـ ت ت) .
[2] ظ : م . ن : 102/2 (هـ ت ت) .
* في المتن (فارنها) وهو تحريف .
[3] حاشية الجاربردي ،لابن جماعة ، ضمن مجموعة الشافية : 344/1 .
[4] المفصل : 396 . وجاء في متن الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب قول الزمخشري ، " والمهتوت : الياء . . . " . وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه .
[5] الإيضاح في شرح المفصل : 490/2-491 .
[6] حاشية الجاربردي ، لابن جماعة ، ضمن مجموعة الشافية : 344/1 .
[7] المنهاج في شرح جمل الزجاجي : 809 .
[8] شرح الشافية ، الجاربردي ، ضمن مجموعة الشافية : 344/1 .

3-أما استدلاله على ان الهاء معصورة ، وهو ما فسر به كلام الخليل، فلا نوافقه فيه أيضاً ؛ لأننا لا نجد في الهاء أي عملية عصر بل هو احتكاك طبيعي بل اقل من الطبيعي بحيث أصبحت بهذا الاحتكاك الضعيف أشبه بالألف . وقديماً صرح سيبويه في أكثر من موضع بأن الهاء أشبهت الألف [1] .

وبضعف الاحتكاك الذي في الهاء ذهب بعض المحدثين إلى إمكانية عد الهاء صوتاً صائتاً مهموساً[2].

وأما تفسير كلام الخليل بأن الهاء فيها (هتة) إن الخليل قصد (العصرة) فليس كذلك أيضاً ؛ لأن الخليل رأى أن الهاء " ألين الحروف الصحاح ... ولم يكن في الحروف حرف أهش من الهاء ، لأن الهاء نفس " [3] . والنفس " خروج النسيم من الجوف " [4] . زيادة على ان معنى (العصر) لغة عند الخليل او المنع ، قال الخليل : " وكل شيء منعته فقد اعتصرته " [5] .ولا نعلم كيف تكون الهاء هشة عند الخليل . ومعصورة عنده ، كما فهمه صاحب شرح الهادي.

وعلى هذا فإننا نرفض كلام كل من ذهب إلى إن الهاء مهتوتة هذا إذا كان مراده من الهت العصر. وقد يسأل سائل عن سبب وصف الخليل الهمزة والهاء بأنهما مهتوتتان ؟ ويجيبنا عن هذا السؤال الدكتور عبد العزيز الصيّغ قائلاً : " مصطلح الهتة من مصطلحات الخليل وصف به صوت الهمزة والهاء ، إلا ان معنى الهتة اختلف في الموضوعين فقد جاء وصفه للهمزة بمعنى الضغط . . . أما وصفه للهاء فقد جاء بمعنى صوت الهاء ... " [6] . ونود الإشارة إلى إن سبب ذهاب بعض النحويين –على اغلب الظن- إلى ان التاء خافتة هو وصف الخليل لها بالخفوت ، إذ رأى " إن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء فحسنت " [7] . وقال في معنى الخفوت لغة : " خفت : صوت خفيت ، وخفت خفوتاً أي خفض خفوضاً " [8] .

أما المحدثون فلم يهتموا بهذه الصفة ، وقد اكتفى الغالبية منهم بوصف كلام القدماء من غير تعليق [9] . وقد اكتفى بعض المحدثين بالإشارة إلى أن ما جاء في المفصل تصحيف من حيث انه قصد بالمهتوت الهاء لا التاء [10] . وهذا لا شك ناتج عن قصور في فهم مراد الذاهبين إلى هت التاء ، تماماً كما ذهب إليه بعض القدماء .

وقد ذهب بعضهم إلى أن يرجح ان هذه الصفة تنطبق على الهمزة لأن الهت هو عصر الصوت ، والهمزة صوتٌ شديد . أما ما يحصل في الهاء والياء فهو عكس ذلك مثل الضعف والخفاء [11]. وهو رأي سديد إذا ما أخذنا الهت بمعنى العصر .

والذي يأخذ على أصحاب هذا الرأي هو انهم نسبوا إلى ابن الحاجب انه قد وصف الياء بالهت على أساس ما جاء في متن الإيضاح في شرح المفصل وهو : " والمهتوت الياء . . " .وهو كلام غير مقبول لأمرين ، أحدهما : ان هذا النص للزمخشري صاحب المفصل وليس لابن يعيش شارح المفصل ، ولو عدنا الى المفصل للزمخشري لوجدنا العبارة " والمهتوت بالتاء . . " ، والأمر الآخر : هو إن كلام ابن الحاجب بعد نص الزمخشري يدل بوضوح على انه يتحدث عن التاء لا الياء . ومذهب هذه الطائفة من المحدثين يوضح لنا عدم فهمهم لمراد ابن يعيش من الصوت المهتوت .

وقد كان الباحثان موفق عليوي و الدكتور عبد العزيز الصيغ من اكثر الدارسين المحدثين والمعاصرين تناولاً لمفهوم صفة الهت عند القدماء .

أما الباحث موفق عليوي فرأى ان وصف الخليل الهمزة والهاء بالهت ناتج عن رؤيتين الأولى إن الهمزة صوت معصور . والأخرى إن الهت في صوت الهاء مقصود به صوتها الناتج بسبب الاحتكاك وهو ما يراه الدكتور المخزومي كما مر . وقد حاول هذا الباحث تفسير رأي الخليل بالنظرة الحديثة وقد افلح بذلك الوصف [12] .

---

[1] ظ : كتاب سيبويه : 62/2 و 279 و 287 و 291 و 293 و 294 و 295 و 296 .
[2] ظ ، علم اللغة ، د. محمود السعران : 95 . و دراسة الصوت اللغوي : 137 .
[3] العين : 354/3 (هـ ن) .
[4] م . ن : 271/7 (ن ف س) .
[5] م . ن : 297/1 (ع ص ر) .
[6] المصطلح الصوتي : 175 . و ظ : الخليل بن احمد الفراهيدي أعماله ومنهجه : 100 . والدراسات الصوتية في كتاب العين : 142-143 .
[7] العين : 53/1-54 .
[8] م . ن : 239/4 (خ ف ت) .
[9] ظ : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 324 . ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 324-325 . وأبحاث ونصوص في فقه اللغة : 250 و 220 . و موقف الأزهري من كتاب العين : 306 . و الخليل رائد علم الصوت : 221 .
[10] ظ : دروس في علم أصوات العربية : 29 . وفي البحث الصوتي عند العرب : 61 .
[11] ظ : المصطلح الصوتي ، د. عبد القادر : 127 . والأصوات اللغوية ، د. عبد القادر : 281 .
[12] ظ : الدراسات الصوتية في كتاب العين : 142-143 .

ورأى أيضاً أن وصف سيبويه لهت الهاء - كما ذكر ابن منظور – مختلف عن وصف الخليل لها ذلك لأن سيبويه أشار إلى " صفة الخفوت بسبب عدم اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بها . وهذا الوصف وان كان صحيحاً إلا انه لا يتفق مع قصد الخليل من الهت . إذ ان الهت عنده كما تقدم تضييق للمجرى الصوتي دون ان يرتفع هذا التطبيق إلى مستوى الحجز الذي يحدث لمجرى النفس عند النطق بأصوات أخرى . ولهذا وصف الخليل الهاء بأنه هش لين يشبه أصوات المد أو الأصوات غير المصروفة * وعليه فأني لا أتفق مع الدكتور مهدي المخزومي في قوله بأن الخليل لاحظ ان بعض الحروف أخفى من بعض فسمى الخفية مهتوتة . إذاً لو كان الأمر كذلك لجعل التاء في طائفة الأصوات المهتوتة وذلك لأنه وصفها بأنها ذات خفوت صوتي " [1] .

والذي يؤاخذ على الباحث انه لم يفهم معنى الخفاء عند سيبويه ، فسيبويه عندما أطلق مصطلح الخفي على أصوات (الألف والواو والياء المديات ، وصوت الهاء) لم يقصد به أنها خافتة في السمع بل انه قصد تسترها واضطرابها في داخل البناء نتيجة للعملية الادانية التي تتم بها تلك الأصوات ، وقد مر الحديث على ذلك مفصلاً . زيادة على إن الباحث رأى أن ما جاء في مفصل الزمخشري من أن التاء صوت مهتوت هو من اثر التصحيف الذي وقع فيه النساخ ، وهي قضية ذكرها بعض القدماء والمحدثين .

أما الدكتور عبد العزيز الصيغ فان دراسته لصفة الهت اكمل من سابقه وأنضج ، فقد عرف الهت اصطلاحاً بأنه : " ضعف الصوت وانخفاضه " [2] . وذكر أن الأصوات المهتوتة هي (الهمزة والهاء والتاء) [3] . و أشار إلى أن الخليل استعمل مصطلح الهت مع الهمزة والهاء برؤيتين مختلفتين [4] . ورأى أن سيبويه – كما نقل ابن منظور - وابن جني ذهبا إلى أن الهاء صوت مهتوت لضعفه وخفائه ، وان مكياً اختلف المصطلح عنده اسماً ومعنًى فقد اصطلح على الهمزة بأنها صوت مهتوف لشدته وقوته . وهو معنى مأخوذ من كلام الخليل . ورأى أن القدماء اختلفوا في حقيقة الصوت المهتوت . فالزمخشري وجماعة ذهبوا الى عد التاء فقط مهتوتة ، ورجح أن يكون السبب في ذلك هو إن التاء صوت خافت كما ذكر الخليل[5] . وخلص من كل ذلك إلى أن الهتة هي ضعف يعتري أصواتاً ثلاثة وهي الهاء والهمزة والتاء يجعل أصواتها خافتة تتطلب جهداً عضلياً من الناطق في إيضاحها "[6] .

2-الجرسي :

ذكر أبو حيان هذه الصفة في كتاب النكت الحسان ، قائلاً : " وجرسي : هي الهمزة سميت بذلك ، لأن الصوت يعلو بها عند النطق بها فيكون كالتهوع والسعلة . قال ذلك الخليل . والجرس في اللغة : الصوت القوي " [7] .

والذي يظهر لنا أن أبا حيان استفاد مما ذكره مكي في كتاب الرعاية اذ قال : " الحرف الجرسي : وهو (الهمزة) ، سميت بذلك ، لأن الصوت يعلو بها عند النطق بها ولذلك استثقلت في الكلام، فجاز فيها التحقيق ، والتخفيف ،و البدل ، والحذف ، وبين بين ، وإلقاء الحركة . والجرس في اللغة : الصوت ، فكأنه الحرف الصوتي أي المصوت به عند النطق به وكل الحروف يصوت بها عند النطق بها ، لكن الهمزة لها مزية زائدة في ذلك ، فلذلك استثقل الجمع بين الهمزتين في كلمة . . . ولذلك قال الخليل في الهمزة : إنها كالتهوع وقال مرة أخرى : كالسعلة . فلما كان في الصوت بها زيادة على الصوت على سائر الحروف نسبت إلى تلك الزيادة ، فقيل لها الحرف الجرسي . . "[8] .

وبذلك يكون الجرس بمعنى الهت أو الهتف ، قال مكي : " والهتف : الصوت الشديد . . . وهو في المعنى بمنزلة تسميتهم للهمزة بالجرسي ، لأن الجرس : الصوت الشديد ، والهتف : الصوت الشديد ، فسميت الهمزة بذينك لشدة الصوت بها وقوته " [9] .

---

* يقصد بغير المصروفة الأصوات الثابتة في البناء أي التي لا تتغير .

[1] م . ن : 143 .

[2] المصطلح الصوتي ،للصيّغ : 175 .

[3] ظ : م . ن : 175 .

[4] ظ : م . ن : 175.

[5] ظ : م . ن : 175-176 .

[6] م . ن : 176 .

[7] النكت الحسان :281 .

[8] الرعاية : 108-109 .

[9] م . ن : 112 .

وكان لبعض علماء العربية مذهب آخر في صفة الجرس ، روى الاشناندانى عن الاخفش انه قال : " وأما الحرف التاسع والعشرون فجرس بلا حرف . . . وهو الألف الساكنة " [1] . وذهب الى ذلك عبد الوهاب القرطبي في قوله : " وأما الجرس ، فالألف الساكنة لا يكون الا كذلك . . . " [2] . وقد وضح الجاربردي سبب تلك التسمية ، اذا قال في الألف : " ويقال له الجرس ايضاً لأنه صوت لا معتمد له في الحلق، والجرس الصوت الخفي " [3] . والى ذلك ذهب ابن جماعة ايضاً [4] .

وبهذا يمكننا توجيه قول ابن يعيش ، بأن الألف : " يقال له الجرسي ؛ لأنه صوت لا معتمد له في الحلق ، والجرس الصوت " [5] انه قصد بقوله : (الجرس الصوت) أي الصوت الخفي . وقد جاء في اللغة من معاني لكلمة (الجرس) ما يسوغ الاستعمالين فالجرس من معانيه علو الصوت [6] . ومن معانيه ايضاً : "الصوت الخفي" [7] .

ويعد الخليل بن احمد اول من استعمل لفظة الجرس الا انه جاء بها في مفهوم لم نجد له شيوعاً عند من جاء بعده . فقد عد اصوات المد واللين (الصوائت الطوال) اصواتاً لا جرس لها ، اذ قال : " وجرس الحرف : نغمة الصوت والحروف الثلاثة الجوف : لا صوت لها ولا جرس وهي (الواو والياء والألف اللينة) ، وسائر الحروف مجروسة . . " [8] . قصد بسائر الحروف الاصوات الثمانية والعشرون (غير الصوائت الطوال) ، قال الخليل : " الحروف التي بني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً لكل حرف منها حرف وجرس . . . " [9] . واذا ما راعينا في تفسير كلام الخليل السابق احد معاني الجرس لغة وهو : "مصدر الصوت المجروس " [10] . وان الجرس " الذي يضرب به " [11] أي الآلة التي تنتج الصوت المجروس. أمكننا ان نفسر رأي الخليل بأن الأصوات الصوائت الطوال لا جرس لها لأنه قصد أنها أصوات لا توجد لها منطقة تنتجها وانما هي مع الهواء تخرج من الجوف . وقد أكد ذلك الباحث موفق عليوي من حيث ان الخليل قصد برأيه هذا " ان اصوات المد ليس لها اصطكاك وجروس " [12] معتمداً على قول الرازي: " الألف والياء والواو هوائية ليس لها جروس ولا اصطكاك. لأنها تنسب من جوف الحنك " [13] . وقد علل الباحث ذلك تعليلاً صوتياً حديثاً اذ قال : " يعد خلو أصوات المد من الاحتكاك عنصراً مهماً يمكن على أساسه تمييز الأصوات الصامتة (التي تحدث احتكاكاً) عن أصوات المد . وقد أدى عدم الاحتكاك إلى ان تكون أصوات المد أصواتا موسيقية منتظمة ، قابلة للقياس خالية من الضوضاء . وانطلاقاً مما تقدم يمكن ان نستوحي من قول الخليل ان الحروف الصحاح مجروسة أي إنها ذات أصوات ضوضائية (Noises) أو غير موسيقية وهي لا تمتلك ذبذبة منتظمة " [14] . وهذا يدل على ان قول الخليل : ان الحروف الثلاثة الجوف لا صوت لها يعني لا نغمة لها تحدث في نقطة معينة من الجهاز الصوتي أي إنها لا تحدث ضوضاء . بدليل إن جرس الحرف يعني عنده : " نغمة الصوت – " كما مر.

ومع هذا الذي قيل في الخليل فان الأزهري يذكر نصاً يجعل فيه الخليل الألف مجروسة إذ قال : " فأما الألف اللينة فلا حرف لها ، إنما هي جرس مدة بعد فتحة " [15] . والذي يظهر انه أراد بقوله (جرس مدة) ان الألف ليست سوى صوت مد . أي إن الجرس عنده بمعنى (الصوت) وهذا المعنى واحد من معاني الجرس لغة [16] .

---

[1] جمهرة اللغة : 7/1 .
[2] الموضح في التجويد : 96 .
[3] شرح الشافية ، للجاربردي ، ضمن مجموعة الشافية : 344/1 .
[4] ظ : حاشية الجاربردي ، لابن جماعة ، ضمن مجموعة الشافية : 243/2 .
[5] شرح المفصل ، لابن يعيش : 130/10 .
[6] ظ : اللسان : 25/6 (ج ر س) .
[7] م . ن : 25/6 (ج ر س) .
[8] العين : 51/6 (ج رس) .
[9] تهذيب اللغة : 50/1 .
[10] العين : 51/6 (ج رس). واللسان : 25/6 (ج ر س) .
[11] اللسان : 26/6 (ج رس) .و الفرق بين الحروف الخمسة : 833 .
[12] الدراسات الصوتية في كتاب العين : 112 .
[13] الزينة في الكلمات الإسلامية : 64/1 ، نقلاً من الدراسات الصوتية في كتاب العين : 120 هامش (3) .
[14] الدراسات الصوتية في كتاب العين : 112 هامش (4) .
[15] تهذيب اللغة : 51/1 .
[16] ظ : العين : 51/6 (ج ر س) . واللسان : 35/6 (ج رس) . والفرق بين الحروف الخمسة : 833 .

أما الجرس عند المحدثين ، فيعنون به " أي اثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطردة كالنقرة على الخشب أو الطبلة وكالاصطدام وضجيج حركة المرور وما يسمع نتيجة سقوط جسم على آخر وحك جسم يجسم وهلم جرا " [1] .

[1] مناهج البحث في اللغة : 67 . و ظ : المصطلح الصوتي ، الصيغ : 185 .

الخاتمة

احتوى البحث على نتائج تفصيلية كثيرة نذكر منها على سبيل الإجمال ما يأتي :

1. تضافرت عند الخليل في مقدمة كتاب العين عدة أهداف في ترتيب الأصوات اللغوية كان أساسها الأول الاقتصار على الأصوات التي تدخل أصولاً في البناء العربي (الصوامت والواو والياء غير المديتين) ، أما أصوات المد واللين الثلاثة الزوائد على البناء فانه أقصاها عن ذلك النظام . وكان سبب ذكره الأصوات الثلاثة في مقدمة العين الإشارة إلى كونها زائدة لا تدخل في أصول البناء العربي . وقد تبين ان السبيل إلى تحصيل آراء الخليل في ذلك نقولات اللاحقين به .
2. تبين للبحث ان ابا حيان متابع لعلماء الفصاحة في منهج دراسته الأصوات مفردة من حيث جعلها مقدمة لدراسة الصرف لا الإدغام كما شاع عند النحويين وهذا واضح في كتابه الارتشاف الذي شابه إلى حد كبير منهج كتاب مفتاح العلوم للسكاكي .
3. كان لأبي حيان غرضان من دراسة الأصوات مفردة أحدهما تعليم غير العربي ان ينطق نطق العربي والآخر ان تكون تلك الدراسة مقدمة لدراسة الإدغام من كلمتين كما ذكر في كتاب التذييل ، أو ان تكون مقدمة لدراسة الصرف كما فهمناه من منهجه في كتاب الارتشاف وهو متابع في ذلك علماء الفصاحة وان وجدنا إشارات إلى ذلك عند النحويين وبعض علماء التجويد .

4. الحرف عند ابي حيان يدل على رمز الوحدة الصوتية المنطوقة وهو ما اجمع عليه القدماء بخلاف المحدثين الذين جعلوا مصطلح الصوت دلالة على ذلك .
5. تابع أبو حيان سيبويه في مفهوم الصوت والنفس من حيث كون الأول يدل على (الحرف المشبع بصوت الصدر) والثاني دلالة على (الحرف الذي لم يشبع بصوت الصدر) . وقد اظهر البحث ان القدماء لم يجمعوا على مفهوم واحد للصوت والنفس كما تصوره بعض المحدثين .
6. ذهب أبو حيان مذهب سيبويه وأغلب القدماء في مفهوم المخرج من حيث إنه يدل على الهيأة التي تتخذها الأعضاء النطقية عند إنتاج الصوت اللغوي ، سواء أكانت تلك المخارج محققة أم مقدرة ، وقد رأى بعض القدماء ان مفهوم المخرج مقتصر على الصورة النطقية المحققة للأصوات وتابعهم في ذلك المحدثون .
7. سار أبو حيان على مذهب الخليل في عدد مخارج الأصوات وهي ستة عشر وطريقة ترتيبها وتذوقها وتابع في أصولها مذهب علماء التجويد .وكان أساسه في كل ذلك ان يراعي المناطق التي يمكن ان يولد فيها الصوت في داخل التركيب وخارجه بخلاف المحدثين الذين اقتصروا في ذلك على المخارج التي يولد فيها الصوت من الحنجرة والحلق والفم .
8. استعمل ابو حيان مصطلح الصفة للدلالة على الأحوال النطقية التي ترافق الصوت عند إنتاجه في كتابيه التذييل والارتشاف وان تعدى إلى غير ذلك في كتاب النكت متابعا مكي بن ابي طالب في كتاب الرعاية، وقد اظهر البحث ان اول من استعمل مصطلح (الصفة) في هذا المفهوم ابو عمرو الداني . وهو مفهوم المحدثين نفسه.
9. ان ابا حيان أول من صرح بأداة تذوق الصفات عامة وتابع سيبويه في الأدوات المختصة بصفات بعينها.
10. ان مفهوم القوة والضعف والخفاء والظهور عند ابي حيان وعلماء العربية منبنٍ على كون الصوت القوي الذي يحمل بعض القوة على الصوت الضعيف بخلاف ما تصوره المحدثون من انهم أرادوا الأثر السمعي فقط .
11. قسم ابو حيان دراسة الصفات في كتابيه غاية الإحسان والنكت الحسان تقسيماً جديداً لا عهد لنا به عند سابقيه وان وجدت بعض إشارات غامضة إلى ذلك التقسيم عند مكي بن ابي طالب وابن عصفور وابن مالك . في حين كان تقسيم ابي حيان للصفات في كتاب الارتشاف مشابها لتقسيمات بعض علماء التجويد والقراءات كالشاطبي . وقد أوضح البحث تقسيمات القدماء المختلفة في دراسة تلك الصفات واشار إلى أصولها أيضا .
12. وضع ابو حيان أصوات المد واللين في مخارجها المقدرة كما فعل الخليل في غير كتاب العين وسيبويه في كتابه في حين أخرجها بعض القدماء وعلماء التجويد من ذلك وهو ما سار عليه المحدثون .
13. رتب ابو حيان الأصوات على مخارجها ترتيبا يوافق ظاهر ترتيب ابن السراج الا أنهما افترقا بأن ابن السراج لم يذكر ترتيب الأصوات في داخل كل مخرج اما ابو حيان فقد عمل بعكس ذلك .
14. صحح البحث بعض المصطلحات التي نسبت للخليل كـ (اللثوية) وصوابها (الثنوية)، و(النطعية) وصوابها (اللطعية) .
15. كان مفهوم الجهر عند ابي حيان هو إشباع الاعتماد عند النطق بالصوت أي ان يكون التصويت بالصوت اللغوي بأمرين : صوت الصدر ، والصوت الناتج في نقطة ولادة الصوت اللغوي ، أما الصوت المهموس فهو الذي يكتفي بالتصويت في نقطة ولادته وهو ما سار عليه القدماء وان اختلفت تعابيرهم . في حين كان الجهر عند المحدثين هو اهتزاز الأوتار الصوتية ، والهمس عدم اهتزازها .

وقد بينا دقة وصف القدماء أصوات الهمزة بالجهر وعدم دقتهم في وصف القاف بالجهر ان لم يكن قد أصابه الاهماس كما ينطقه العراقيون اليوم ، وان صوت الطاء مجهور عندهم لانهم جعلوه كالدال لولا إطباقه إلا انه تخلى عن الجهر في نطقنا الحالي بخلاف بعض المحدثين الذين ذهبوا إلى تغليط القدماء في وصف تلك الأصوات بالجهر او في بعضها .

16. لم يستقر ابو حيان على مفهوم مجدد في مصنفاته لصفات الشدة والرخاوة والتوسط فقد جاء في كتاب النكت بفهم جديد لتلك الصفات ثم تراجع عنه إلى ما يراه سيبويه فيها . وقد تردد القدماء في مفاهيم تلك الصفات . وقد اعطى البحث فهماً جديداً لحدود القدماء في تلك الصفات لم يلتفت إليه الدارسون المحدثون الذين اضطرب اغلبهم في فهم تلك الصفات .
17. تابع ابو حيان علماء العربية في مفهوم صفتي الإطباق والانفتاح وان لم يضع حدا دقيقاً له من حيث ارتفاع اقصى اللسان طرفه نحو الحنك الاعلى مع هبوط وسطه والتقاء حافتيه بالاضراس ، ويشمل أصوات (ص،

ض ، ط ، ظ) وهذا ما لم يدركه بعض المحدثين في دراستهم للصفتين عند القدماء ، اما مفهوم تلكما الصفتين عند المحدثين فهو نفسه عند القدماء وان اضطرب بعضهم في ذلك .

18. ان مفهوم الاستعلاء عند ابي حيان وان غمض هو نفسه عند القدماء ، ويكون بارتفاع اقصى اللسان نحو الحنك سواء ارتفع طرفه ام لم يرتفع ويشمل أصوات الإطباق مع اصوات (ق خ غ) . وهو ما يراه اغلب المحدثين ، في حين اضطرب بعضهم الاخر اضطرابا كبيرا في فهم تلك الصفات ، وفي ما تشتمله عليه من أصوات .

19. لم يدرس ابو حيان صفتي التفخيم والترقيق ضمن الصفات الصوتية التي جاء بها عرضا في اثناء حديثه على موضوعات صوتية اخرى وردت عند علماء التجويد ، ولم يذكرها النحويون كقواعد تفخيم اللام والراء وترقيقهما، ومع هذا فقد بين البحث ان مفهوم التفخيم والترقيق واحد عند القدماء نحاة وغيرهم، من حيث الدلالة على الاثر السمعي الناتج من صفتي الاستعلاء والانخفاض ، وهو ما يراه اغلب المحدثين وان غلط بعضهم في مفهوم تلكما الصفتين والمصطلحات التي يمكن ان تطلق عليهما والأصوات التي يمكن ان تدخل في كل واحد منها .

20. تابع ابو حيان القدماء في مفهوم صفة الغنة والتكرير والصفير وأضاف على الصفتين الأولى والثانية ملاحظات علماء التجويد من حيث قوة الغنة وضعفها وكيفية تكرير صوت الراء وهو ما لم يشع عند النحويين ، اما المحدثون فلم يأتوا بشيء جديد في تلك الصفات سوى تعدد المصطلحات وسوء فهم بعضهم لها .

21. اقتفى ابو حيان اثر سيبويه في مفهوم الانحراف وما يشمله من أصوات . وقد اختلف القدماء في مفهوم الانحراف منذ الخليل بن احمد الفراهيدي . أما المحدثون فقد اتفقوا على مفهوم واحد لصفة الانحراف وقصروه على صوت اللام . وان تعددت مصطلحاتهم فيه .

22. اضطرب ابو حيان في مفاهيم القلقلة والاشراب والنفخ فمرة نجده يعتنق مفهوما مازج فيه بين مفهوم علماء التجويد وبعض النحويين ومرة يتابع فيه سيبويه .

وقد كان للقدماء كما اظهره البحث مفاهيم مختلفة في تلك الصفات لم يلتفت إليها الدارسون المحدثون. أما المحدثون فقد اضطربوا ايضا في مفاهيم تلك الصفات ، وقد عرض البحث لتلك الاضطرابات والاختلافات بشكل تفصيلي مع وضع مفاهيم دقيقة لتلك المصطلحات .

23. مازج ابو حيان في مفهوم الاستطالة بين مفهوم مكي بن ابي طالب ومفهوم ابي عمرو الداني وقد قصر تلك الصفة على صوت الضاد . واعطى البحث مفهوما جديداً لصفة الاستطالة عند القدماء لم يدركه الدارسون المحدثون مما ادى إلى ان نعطي وصفا جديداً لنطق صوت الضاد الذي لا نجده اليوم في نطقنا الحالي. وادى ذلك ايضا إلى تبيين قصور المحدثين في فهم تلك الصفة .

24. اعتنق ابو حيان مفهوما غير دقيق لصفة التفشي التي قصرها على صوت الشين . وقد أوضحنا في البحث اختلاف القدماء في مفهوم تلك الصفة وما تدرسه من أصوات . اما المحدثون فقد استقروا على مفهوم واحد للتفشي الذي يقتصر على صوت الشين ، ولم يضيفوا شيئاً في ذلك على ما ذكره علماء التجويد .

25. فصل ابو حيان بين مفهوم المد ومفهوم اللين بحيث جعل الاول مقتصراً على (الصوائت الطوال) بتعبيرنا ، وجعل صفة اللين شاملة لتلك الأصوات مع الواو والياء الاحتكاكيتين . كما يراه سيبويه وقد كشف البحث عن اختلاف القدماء في مفهوم تلكما الصفتين منذ الخليل بن احمد الفراهيدي . وعدم استقرارهم على مفهوم واحد كما تصوره اغلب المحدثين . وهذا الامر يشمل المحدثين ايضا الذين لم يستقروا على مصطلح موحد لتلك الأصوات مع وضوح مفهومها عندهم . وانتهينا إلى اقتراح مصطلحات ومفاهيم لا يخلو بعضها من الجدة كمصطلح (الصوائم) الذي يدل على الواو والياء الاحتكاكيتين .

26. ذكر ابو حيان في كتابه النكت صفة الهاوي وخصه بالألف ، وقد أفصح البحث عن بعض المفاهيم التي وهم فيها ابو حيان في تفسير مصطلح (الهاوي ، والهوائي) عند الخليل وسيبويه ، ولم يستقر القدماء على مفهوم محدد لتلكما الصفتين ، اما المحدثون فاكتفوا بتفسير مفاهيم تلكما الصفتين عند القدماء ولم تخل تلك التفسيرات من الوهم والخطأ .

27. درس أبو حيان صفتي الهت والجرسي في كتابه النكت فقط وهما صفتان اختلف القدماء في فهمها منذ الخليل بن احمد الفراهيدي . أما المحدثون فاكتفوا بوضع تفسيرات مختلفة لتلكما الصفتين عند القدماء لم يخل بعضها من الوهم .

28.ختاما لا بد من ان نشير إلى أن كثيراً من ملاحظات أبي حيان ومفاهيمه في دراسة الأصوات مفردة قد نالت شيوعاً عند الدارسين القدماء بعده كالمرادي والسيوطي وابن الجزري الذي كثرت الشروحات على مصنفاته مما أدى إلى شيوع بعض الملاحظات التي كان أساسها أبا حيان .

جريدة مناهل البحث

أولا : المطبوعات

القرآن الكريم

1. أبحاث في أصوات العربية ، د. حسام سعيد النعيمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1998.
2. أبحاث ونصوص في فقه اللغة ، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، د.ط ، 1988 .
3. ابو حيان النحوي ، د. خديجة الحديثي ، دار التضامن ، بغداد ، ط1 ، 1966 .
4. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، أبو عمرو بن العلاء ، د. عبد الصبور شاهين ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط1 ، 1987 .
5. إحصاء العلوم ، لأبي نصر الفارابي (ت 350هـ) ، تح : د. عثمان أمين ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط3 ، 1968 .
6. كتاب الإدراك للسان الأتراك ، لأبي حيان الأندلسي ، (ت 745هـ) ، اهتم بتصحيحه : جعفر أوغلي أحمد ، مطبعة الأوقاف ، أسلامبول ، د.ط ، 1930 .

7. ارتشاف الضرر من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي ، تح : د. مصطفى النماس ، ج1 ، مطبعة النسر الذهبي ، مصر ، ط1 ، 1984 .
8. أسباب حدوث الحروف ، لأبي علي الحسين ابن سينا (ت 428هـ) ، تصحيح : محب الدين الخطيب ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، 19332هـ .
9. أسرار العربية ، لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري (ت 577هـ) ، تح : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1997 .
10. أسس علم اللغة ، ماريو باي ، تر : د. أحمد مختار عمر ، منشورات جامعة طرابلس ، كلية التربية – ليبيا ، 1973 .
11. أصوات العربية بين التحول والثبات ، د. حسام سعيد النعيمي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، 1989 .
12. أصوات اللغة ، د. عيد الرحمن أيوب ، مطبعة دار التأليف ، مصر ، ط1 ، 1963 .
13. الأصوات اللغوية ، د. ابراهيم أنيس ، مطبعة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط4 ، 1971 .
14. الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل ئ، مطابع الأرز ، الأردن ، ط1 ، 1998 .
15. أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، د. كريم زكي حسام الدين ، الرشاد للطباعة ، ط3 ، 2001 .
16. الأصول : دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، د. تمام حسان ، دار لاشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، والهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د.ط ، 1988 .
17. الأصول في النحو ، لأبي بكر محمد بن السراج (ت 316هـ) ، تح : د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط3 ، 1996 .
18. أعراب القرآن ، لأبي جعفر النحاس (ت 338هـ) ، تح : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتاب ومكتبة النهضة العربية ، ط2 ، 1985 .
19. ألعاب الساحة والميدان تعلم تكنيك وتدريب ، د. ريسان خريبط مجيد ، البصرة ، جامعة البصرة ، 1987 .
20. الإيضاح في شرح المفصل ، لبن الحاجب (ت 646هـ) ، تح : موسة بناي العليلي ، مطبعة العاني ، بغداد ، د.ط ، 1983 .
21. الإيضاح في علل النحو ، لأبي القاسم الزجاجي (ت 337هـ) ،تح: د. مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، ط2 ، 1973 .
22. البحث اللغوي عند العرب ، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر ، د. أحمد مختار عمر ، مطابع سجل العرب ، مصر ، 1971 .
23. البحث المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، مطابع النصر الحديثة ، السعودية ، د.ط ، د.ت .
24. التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت 616هـ) ، تح: علي محمد البلجاوي ، دار الجيل ، بيروت ت لبنان ، ط2 ، 1987 .
25. التحديد في الاتقان والتجويد ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الكاني (ت 444هـ) ، تح: د. غانم قدوري الحمد ، مطبعة الخلود ، الأنبار – العراق ، ط1 ، 1988 .
26. تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ، يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري ، في حاشية كتاب سيبويه ، طبعة بولاق .
27. التدريب في تمثيل التقريب ، لأبي حيان الأندلسي ، دراسة وتعميق : نهاد فليح موسى ، مطبعة الرشاد ، بغداد ، د.ط ، 1987 .
28. تذكرة النحاة ، لأبي حيان الأندلسي ، تح: د. عفيف عبد الرحمن ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1986 .
29. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تح: محمد كامل بركات ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، د.ط ، 1967 .
30. التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فنولوجيا العربية) ،د. سلمان حسن العاني ، تر : د. ياسر الملاح ، مراجعة : د. محمد محمود غالي ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة – السعودية ، ط1 ، 1983 .
31. التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، الطيب البكوش ، تقديم : صالح القرمادي ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، د.ط ، 1973 .

32. التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر ، تر: د. رمضان عبد الوتب ، مطبعة المجد ، القاهرة ، د.ط ، 1982 .
33. التفسير الكبير ، للفخر الرازي (ت 606هـ) ، مطبعة البهية المصرية ، مصر ، د.ط ، د.ت .
34. التفكير الصوتي عند الخليل ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ط1 ، 1988 .
35. التفكير اللساني للحضارة العربية ، د. عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا –تونس ، د.ط ، 1981 .
36. التفكير اللغوي بين القديم والجديد (الفرقة الرابعة) ، د. كمال بشر ، دار الثقافة العربية ، السيدة زينب – سوريا ، د.ط ، د.ت .
37. تقريب المقرب في النحو ، لأبي حيان الأندلسي ، راسة وتعليق : محمد جاسم الساطوري ، دار الندوة الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، 1987 .
38. تقريرات وزبد من شرح ابي سعيد السيرافي ، في هامش كتاب سيبويه ، طبعة بولاق .
39. التنبيه على حدوث التصحيف ، لحمزة الاصفهاني ، تح : محمد اسعد طلس ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1968 ،
40. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت 370هـ) ، تح: د. عبد السلام محمد هارون ، مراجعة : محمد علي النجار ، دار القومية العربية للطباعة – مصر ، د.ط ، 1964 .
41. التوطئة ، لأبي علي الشلوبين (ت هـ) ، تح: د. يوسف أحمد المطوع ، د.مط. ، د.ط ، 1981.
42. الجمل ، لبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ، تح: ابن أبي شنب ، مطبعة كلتكسيك – باريس ، ط2 ، 1976 .
43. كتاب الجمل في النحو ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) ، تح: د. فخر الدين قباوة ، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط5 ، 1995 .
44. جمهرة اللغة ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ) ، عنيّ بتصحيحه : المستر فريتسون كرتكو ، والسيد زين العابدين الموسوي ، مطبعة مجلس دار المعارف ، طبعة بالأوفست عن دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1344هـ .
45. حاشية الجاربردي ، ابن جماعة ، ضمن مجموعة الشافية من علميّ الصرف والنحو ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ط، د.ت .
46. متن الشاطبية المسمى بـ (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع) ، للقاسم ابن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي (ت 590هـ) ، صححه وراجعه : متولي عبد الفتاح ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، د.ط د.ت .
47. الحجة في علل القراءات السبع ، لأبي علي بن أحمد الفارسي (ت 377هـ) ، تح: علي مجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح شلبي ، مراجعة : محمد علي النجار ، د.مط. ، د.ط ، د.ت .
48. الحروف ، للرازي ، تح : د. رمضان عبد التواب ضمن كتاب ثلاثة كتب في الحروف ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض ، ط1 ، 1982 .
49. الخصائص ، لأبن جني (ت339هـ) تح: محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، ط2 .
50. الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ، د. مهدي المخزومي ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، 1960 .
51. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د. غانم قدوري آل حمد ، مطبعة الخلود ، بغداد ، ط1 ، 1986 .
52. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د.حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1980 .
53. دراسات في علم اللغة (القسم الأول) د. كمال البشر ، دار المعارف ، مصر ، 1969 .
54. دراسات في فقه اللغة ، دز صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 ، 1970 .
55. دراسة السمع والكلام ، د. سعد مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة ، د.ط ، 1980 .
56. دراسة الصوت اللغو ي ، دز أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، د.ط ، 1991 .
57. دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينو ، تر: صالح القرمادي ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، د.ط ، 1966 .
58. دقائق التصريف للقاسم بن محمد بن سعيد المؤذن (من علماء القرن الرابع الهجري) ، تح: د. أحمد ناجي القيسي ود. حاتم صالح الضامن ود. حسين تورال، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، د.ط 1987 .

59. ديوان أبي حيان الأندلسي ، تح: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط1 ، 1969 .
60. رسم المصحف ، د. غانم قدوري آل حمد ، مؤسسة المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1982 .
61. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ) ، تح: د.أحمد حسن فرحات ، توزيع دار الكتب العربية ، د.ط ، د.ت .
62. سر صناعة الأعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تح: د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق
63. سر الفصاحة ، لأبي محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت 466 هـ) ، شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، 1969 .
64. الشافية ، لابن الحاجب ، ضمن مجموعة الشافية من علمي الصرف والنحو ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
65. شرح جمل الزجاجي ، لابن عصفور الاشبيلي ، تح : صاحب أبو جناح ، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ، بغداد ، 1980 .
66. شرح جمل الزجاجي ، لابن هشام الأنصاري (ت 761هـ) ، تح: علي محسن عيسى مال الله ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1985 .
67. شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت 686هـ) ، مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي (ت 1096هـ) ، تح: محمد نور الحسن ومحمد زفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، د.ط ، 1975 .
68. شرح الشافية ، للجاروبردي ، ضمن كتاب مجموعة الشافية من علمي الصرف والنحو ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
69. شرح المقدمة الجزرية ، طاش كبرى زادة ، د.مط. ، د.ط ، د.ت .
70. شرح المفصل ، لابن يعيش (ت 643هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ومكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .
71. شرح الواضحة في تجويد الفاتحة ، لابن أم قاسم المرادي النحوي ، تح: دز عبد الهادي الفضلي ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، د.ط ، د.ت .
72. الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، د. محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2000 .
73. الصوتيات ، برتيل مالمبرج ، تر: محمد حلمي هليل ، الناشر للدراسات البحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، د.ط ، 1994 .
74. ظاهرة التنوين في اللغة العربية ، عوض المرسي جهادي ، مطبعة المجد ، القاهرة ، ط1 ، 1982 .
75. العربية الفصحى : نح بناء لغوي جديد ، هنري فليش ، تح: د. عبد الصبور شاهين ، دار المشرق ، بيروت ، ط2 ، 1983 .
76. علم الأصوات ، برتيل مالمبرج ، تر: عبد الصبور شاهين ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، د.ط ، 1985 .
77. علم الأصوات العام : أصوات اللغة العربية ، بسام بركة ، مركز النماء القومي ، بيروت ، 1988 .
78. علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ، آرتور شادة ، تر: د. صبيح التميمي ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، ط1 ، 2000 .
79. علم اللغة العام (القسم الثاني) (الأصوات) ، د. كمال محمد بشر ، دار المعارف ، مصر ، د.ط ، 1973 .
80. علم اللغة العربية : مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية ، د. محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات ، الكويت ، د.ط ، 1973 .
81. علم اللغة المبرمج : الأصوات والنظام الصوتي مطبقاً على اللغة العربية ، د. كمال ابراهيم بدري ، مطابع جامعة الملك سعود ، السعودية ، 1988 .
82. علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، دار المعارف ، مصر ،د.ط ، 1962 .
83. كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تج: د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي ،

ج1 ، مطابع الرسالة ، الكويت ، 1980 .
ج2 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1981 .
ج3 ،دار الرشيد ،بغداد ،1981.
ج4 ، شركة المطابع النموذجية ، الأردن ، 1982 .
ج5 و 6 ، مطابع الكويت تايمز ، الكويت ، 1982 .
ج7 و8 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1984 .
84. الفرق بين الحروف الخمسة ، لابن السيد البطليوسي (ت521هـ) ، د.مط ، بغداد ، 1985 .
85. فقه العربية المقارن ، دراسات في أصوات العربية وصرفها ونحوها على ضوء اللغات السامية ، د. رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1999 .
86. فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، تر: د. رمضان عبد التواب ، مطبوعات جامعة الرياض ، السعودية ، د.ط ، 1977 .
87. فقه اللغة ، محمد خضر ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، د.ط ، 1981 .
88. فقه اللغة المقارن ، ابراهيم السامرائي ، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ، د. ط ، 1981 .
89. فقه اللغة في المتب العربية ، د. عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية ، د. ط ، 1988.
90. فقه اللغة وخصائص العربية ، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الاصيل في التجديد والتوليد ، محمد المبارك ، دار الفكر ، بيروت ، ط2 ، 1968 .
91. في الاصوات اللغوية ، دراسة في أصوات المد العربية ، د. فاضل المطلبي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، د.ط ، 1984 .
92. في البحث الصوتي عند العرب ، د. خليل ابراهيم العطية ، الموسوعة الصغيرة (124) ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1983 .
93. في الفكر اللغوي ، د. محمد فتيح ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1، 1989 .
94. قاموس اللسانيات ، د. عبد السلام المسري ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، د.ط ، 1984 .
95. القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث ، د. مي فاضل الجبوري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 2000 .
96. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، د. عبد الصبور شاهين ، دار القلم ، القاهرة ، د.ط ، 1966 .
97. قواعد التجويد ، محمد جواد العاملي (ت 1226 هـ) ، نشره وضبطه على النسخة المخطوطة : محمد جواد السيد محمد رضا العاملي ، مطبعة النجف ، النجف الاشرف ، ط2 ، 1956 .
98. كتاب سيبويه ، لابي بشر عمرو بن قنبر الملقب بسيبويه (ت 180 هـ) ، المطبعة الكبرى الاميرية ، بولاق – مصر ، 1317 هـ .
99. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (ت 528 هـ)
100. كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تح : محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة للطباعة ، بيروت ، ط2 ، 1981 .
101. كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، د. حسن ظاظا ، مكتبة المصري ، د.ط ، 1971.
102. لسان العرب ، لابن منظور (ت 711 هـ) ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
103. لطائف الاشارات لفنون القراءات لشهاب الدين القسطلاني ، تح : شيخ عامر السيد عثمان و د. عبد الصبور شاهين ، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة ، د.ط ، 1972 .
104. اللغة ، فندريس ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الانجلو المصرية ، مصر ، د.ط ، 1950 .
105. اللغة العربية معناهها ومبناها ، د. تمام حسان ، عالم الكتنب ، القاهرة ، ط3 ، 1998 .
106. اللغة وعلم النفس ، د. موفق الحمداني ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، العراق.
107. اللهجات العربية في القراءات القرانية ، د. عبده الراجحي ، دار المعارف ، مصر ، 1968 .
108. مبادئ اللسانيات ، د. احمد محمد قدور ، ط1، دار الفكر ، دمشق ، 1996 .
109. مباحث في علم اللغة واللسانيات ، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط1، 2002 .

110. المبدع الملخص من الممتع ، لابي حيان الاندلسي ، تح :د. مصطفى احمد النماس ، مكتبة الازهر للطباعة ، د.ط ، 1983 .
111. محاضرات في اللغة (القسم الاول) ، عبد الرحمن أيوب ، مطبعة العارف ، بغداد ، د.ط ، 1966.
112. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ، لابي الفتح عثمان بن جني ، تح : علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ، 1386 هـ .
113. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابي محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي (ت 541 هـ) ، تح: الاستاذ احمد صادق الملاح ، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة ، 1974 .
114. المحكم في نقط المصاحف ، لابي عمرو الداني ، تح : د. عزة حسن ، مديرية احياء التراث القديم ، وزارة الثقافة والارشاد ن دمشق ، 1960 .
115. المحيط في اصوات العربية نحوها وصرفها ، محمد الانطاكي ، بيروت ، ط1، 1972 .
116. المحيط في اللغة ، للصاحب اسماعيل بن عباد (ت 385 هـ) ، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ج1، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1975 .
117. مخارج الحروف وصفاتها ، للامام ابي الاصبع السماني الاشبيلي المعروف بابن الطحان (ت 560 هـ) ، تح: د. محمد يعقوب تركستاني ، مركز الصحف الالكتروني ، بيروت ، ط1، 1984 .
118. مختصر الفرق بين الضاد والظاء ، محمد بن نشوان الحميري (ت 610 هـ) ، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ضمن كتاب رسالتان في الفرق بين الضاد والظاء ، مطبعة المعرف ، بغداد ، ط1، 1961.
119. المدخل إلى علم اللغة ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي للطباعة ، القاهرة ، ط2 ، 1985 .
120. مدخل إلى علم اللغة ، د. محمد حسن عبد العزيز ، دار النمر للطباعة ، د.ط ، 1983 .
121. مدخل إلى علم اللغة ، د. محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط2 ، 1978 .
122. المزهر في علوم اللغة وانواعها ، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) ، شرحه وضبطه ... : محمد احمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، د.ط ، د. ت .
123. المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات ، لابي علي النحوي (ت 377 هـ) ، تح: صلاح الدين عبد الله السنكاوي ، مطبعة العاني ، بغداد ، د.ط ، 1983 .
124. المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر ، د. عبد القادر مرعي الخليل ، جامعة مؤتة ، الاردن ، ط1، 1993 .
125. المصطلح الصوتي للدراسات العربية ، د. عبد العزيز الصيغ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط1، 2000 .
126. معاني القرآن، للاخفش الاوسط (ت 215 هـ) ، تح: فائز فارس ، الشركة الكويتية - الكويت ، د.ط ، د.ت .
127. معاني القرآن ، للفراء (ت 207 هـ) ، تح: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، عالكم الكتب ، بيروت ، ط3 ، 1983 .
128. معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، تح : د. عبد الجليل عبده شلبي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ، 1973 .
129. المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل ، د. عبد الله درويش ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، 1956.
130. المعجب في علم النحو ، رؤوف جمال الدين ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، ط1، 1398 هـ .
131. معجم الرافدين (انجليزي – عربي) ، اعداد لجنة لغوية مختصة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، د.ط ، 1986 .
132. المعجم العربي ، د. حسين نصار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
133. معجم علم اللغة التطبيقي (انجليزي – عربي) مع مسرد (عربي – انجليزي) ، د. محمد علي الخولي ، مكتبة لبنان ، لبنان ، ط1، 1986 .
134. معجم مصطلحات علم اللغة الحديث (عربي – انجليزي) و (انجليزي – عربي) ، د. محمد حسن باكلا وآخرون ، مكتبة لبنان ، لبنان ، ط1، 1983 .

135.مفتاح العلوم ، للسكاكي (ت 626 هـ) ، تح: اكرم عثمان يوسف ، مطبعة دار الرسالة ، بغداد ، ط1، 1981 .
136.المفصل في علم العربية ، لابي القاسيم الزمخشري ، وبذيله المفضل في شرح ابيات المفصل ، محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط2 ، د.ت .
137.المقتضب لابي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285 هـ) ، تح: محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ط ، د. ت .
138.المقرب، لابن عصفور الاشبيلي (ت 669 هـ) ، تح: احمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1972 .
139.الممتع في التصريف ، لابن عصفور الاشبيلي ، تح: د. فخر الدين قباوة ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط3 ،
140.المنصف شرح الامام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي في كتاب التصريف للامام ابي عثمان المازني ، تح : ابراهيم مصطفى وعبد الله امين ، ادارة احياء التراث القديم ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ، ط1، 1954 .
141.مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء – المغرب ، د.ط ، 1979 .
142.منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، د. علي زوين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1986 .
143.منهج السالك على الفية ابن مالك ، لابي حيان الاندلسي ، تح: سدني جليزر نيوهافن ، 1947 .
144.المنهج الصوتي للبنية العربية : رؤية جديدة في الصرف العربي ، د. عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د.ط ، 1980 .
145.الموجز في النحو ، لابي بكر محمد بن السراج ، تح : مصطفى الشويمي وبن سالم دامرجي ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، د.ط ، 1965 .
146.موسيقى الشعر ، د. ابراهيم انيس ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، د.ط ، د.ت .
147.الموسيقى الكبير ، لابي نصر محمد الفارابي (ت 339 هـ) ، تح: غطاس عبد الملك خشبة ، مراجعة : د. احمد الحنفي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1967 .
148.الموضح في التجويد ، عبد الوهاب القرطبي (ت 461 هـ) ، تح: د. غانم قدوري الحمد ، مراجعة : أ. د. احمد مختار عمر ، معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، 1990.
149.النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، صححه : محمد احمد دهمان ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ط1، 1345 هـ .
150.نفح الطيب من خصن الاندلس الرطيب ، لاحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041 هـ) ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
151.النقد اللغوي عند العرب ، د. نعمة رحيم العزاوي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ط1، 1978 .
152.النكت الحسان في شرح غاية الاحسان ، لابي حيان الاندلسي ، تح: د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1985.
153.النكت في تفسير كتاب سيبويه ، للاعلم الشنتمري ، تح: د. زهير غازي زاهد ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، 1988 .
154.النهر الماد من البحر المحيط ، لابي حيان الأندلسي ، في حاشية البحر المحيط
155.الهاء في اللغة العربية ، د. احمد سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط1، 1989 .
156.همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي ، تح : د. عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، د.ط ، 1980 .
157.الوجيز في فقه اللغة ، محمد الانطاكي ، مكتبة دار الشرق ، بيروت ، ط2، د.ت.

ثانياً : المخطوطات

1. ابراز المعاني من حرز الاماني ، لابي شاحة المقدسي (ت 665 هـ) ، مخطوط في مكتبة الاوقاف العامة، بغداد (الرقم : 2407) .

2.ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لابي حيان الاندلسي (ت 745 هـ) ، مصورة المجمع العلمي العراقي عن نسخة المكتبة الظاهرية في سوريا .
3.الحواشي المفهمة في شرح المقدمة ، لأحمد بن محمد الجزري (ت 827 هـ) مخطوط في مكتبة الاوقاف العامة – بغداد (الرقم : 2404) .
4.رسالة في التجويد ، عبد الحسين مبارك ، مخطوطة في خزانة مكتبة الامام الحكيم - النجف الاشرف (الرقم : م/1110) .
5.سراج القاريء المبتدئ وتذكرة المقريء المنتهي ، لابي البقاء علاء الدين علي بن عثمان بن محمد بن احمد بن القاصع البغدادي (ت 801 هـ) . مخطوط في مكتبة الاوقاف العامة – بغداد (الرقم : 2378).
6.شرح تسهيل الفرائد وتكميل المقاصد لابن مالك ، لابن ام قاسم المرادي (ت 749 هـ) ، مخطوط في مكتبة الاوقاف العامة - بغداد (الرقم : 1566) .
7.شرح الجمل في النحو ، لطاهر بن احمد بن باشاذ . مصورة المجمع العلمي العراقي رقم (1106/ق2) عن نسخة دار الكتب المصرية .
8.شرح المقدمة الجزرية ، لمؤلف مجهول ، مخطوط في مكتبة الامام الحكيم (الرقم : م/1110) .
9.المصوتات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة اوتار ، للفيلسوف ابن اسحاق الكندي . مصورة المجمع العلمي العراقي (الرقم : 6/موسيقى) عن نسخة اوكسفورد .
10.حرز الاماني (باب مخارج الحروف) .

ثالثاً : الرسائل الجامعية

1. التقاء الساكنين والتخلص منه في ضوء الدرس الصوتي الحديث . د. صباح عطيوي عبود ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة بغداد ، 1998 .
2. الاصوات الحلقية عند سيبويه والاخفش الاوسط ، سليمان حسن جوير الكبيسي ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية - جامعة الازهر ، 1977 .
3. الاصوات عند سيبويه في ضوء علم الاصوات الحديث ، عبد العزيز الصيغ ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة بغداد ، 1999 .
4.البحث اللغوي في المصادر المطبوعة الجامعة لعلوم القرآن ، عادل عبد الجبار زاير ، اطروحة دكتوراه ، ، كلية الاداب - جامعة بغداد ، 2000 .
5.التغيرات الصوتية في لهجة بغداد وجذورها اللغوية ، اسماعيل خليل السامرائي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، 1976 .
6. الجامع النحوي ، حياته وآراءه مع تحقيق كتابة الكشف في نكت المعاني ، عبد الرحمن اسعد السعيدي ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب – جامعة بغداد ، 1986 .
7.جهد المقل ، لمحمد بن ابي بكر المرعشي المعروف بساجقلي زادة (ت 1150 هـ) ، تح: د. سالم قدوري حمد ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب - جامعة بغداد ، 1998 .
8.الدراسات الصوتية في كتاب العين في ضوء علم اللغة الحديث ، موفق عليوي خضير ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة المستنصرية ، 1985 .
9.الدرس الصوتي والنحوي عند أبي عمرو الداني ، احلام خليل محمد خليل ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب - جامعة بغداد ، 1997 .
10.الظاد في النظام الصوتي العربي ، مع دراسة كتب الفروق ، حيدر فخري ميراب ، رسالة ماجستير ، كلية التربية - الجامعة المستنصرية ، 2000 .
11.الظواهر الصوتية عند الكوفيون ، في ضوء علم اللغة الحديث ، عباس علي اسماعيل ، ماجستير ، كلية القائد للبنات ، جامعة الكوفة ، 1999 .

12.كنز المعاني في شرح حرز الاماني ، للامام محمد بن احمد بن احمد الموصلي الحنبكي المعروف بـ (شعلة) (ت 656 هـ) ، تح: ابراهيم فاضل المشهداني ، اطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الاسلامية - جامعة بغداد ، 2001 .
13.المنهاج في شرح جمل الزجاجي ، للامام يحي بن حمزة العلوي (ت 749 هـ) ، تح : د. هادي عبد الله ناجي ، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب - جامعة بغداد ، 1999 .
14.موقف الازهر من كتاب العين ، قاسم محمد كامل السعيدي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية - جامعة البصرة 1995 .
15.الواو في العربية ، دراسة صوتية وصرفية ونحوية ، سهيل نجمان حاجي العتبي ، كلية الاداب – جامعة بغداد ، 1989 .
16.المباحث اللغوية في تفسير مجمع البيان للطبرسي .

رابعاً : الدوريات

1. الاصوات اللغوية عند الميرد ، د. حازم طه ، آداب الرافدين ، ع23 ، 1992 .
2. الاصوات النفسية في العربية ، د. علي زوين ، المورد ، مج 28 ، ع 3 ، 2000 .
3. الافكار الاساسية بعلم الصوت الحديث وتطبيقاتها على دراسة اللغة العربية ، د. خليل ابراهيم الحماش ، آفاق عربية ، بغداد ، س ع ، ع9 ، 1979 .
4. بحث في اشتقاق حروف العلة ، د. ابراهيم أنيس ، كلية الاداب - جامعة فاروق الاول ، مج2، 1944.
5. بغية المرتاد لتصحيح الضاد ، علي بن غانم المقدسي (ت 1004 هـ) ، تح : د. حمد حبار المعيد ، المورد ، مج 18 ، ع 2 ، 1989 .
6. تأصيل المصطلح الصوتي ، د. محمد حسين الصغير، كلية الفقه – جامعة الكوفة ، ع3 ، 1989 .
7. جهود علماء العرب في الدراسةو الصوتية ، د. ابراهيم أنيس ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج15 ، 1962 .
8. جهود الكوفيين في علم الاصوات ، د. خليل ابراهيم العطيه ، كلية الاداب – جامعة البصرة ، ع22 ،
9. حرف الضاد وكثرة مخارجه في اللغة العربية ، د. خليل يحيى نامي ، كلية الاداب - جامعة القاهرة ، مج 21 ، ج1، 1959 .
10.حروف تشبه الحركات ، د. ابراهيم أنيس ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج16 ، 1963 .
11.حروف الحلق ، د. خليل يحيى نامي ، كلية الاداب - جامعة القاهرة ، مج28 ، ج1 ، 1966 .
12.كتاب الحروف لابي الفضائل الرازي (ت 631 هـ) ، تح : د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، المورد ، بغداد ، مج3 ، ع4 ، 1974 .
13.الحروف والاصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين ، د. هادي ، نهر آداب المستنصرية ، ع8 ، 1984 .
14.الخليل رائد علم الصوت ، د. حازم سليمان الحلي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، مج 68 ، ج2، 1993 .
15.دراسة أصوات اللغة العربية ، د. مي الجبوري ، آفاق عربية ، بغداد ، ع9-10 ، س27 ، 2002.
16.دراسة مقارنةللنواحي الصوتية في كتاب العين والنظرية الحديثة في علم الصوت ، د. خليل الحماش، كلية الاداب ، بغداد ، ع16 ، 1973 .
17.دور السين في اختزال النفخ ، ادور يوحنا ، آفاق عربية ، بغداد ، س2 ، ع8 ، 1977 .
18.رأي من فكر الفراء الصوتي ، المورد ، المجلد 19 ، العدد 2 ، 1990 .
19.الضاد والعربية : مثال التطور الصوتي ، د. يحيى احمد ، كلية الانسانيات ، والعلوم الاجتماعية ، ع13 ، 1993 .
20.ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين في العربية الفصحى ، عبد القادر الخليل ، ابحاث اليرموك ، مج15 ، ع1 ، 1997 .
21.علم الاصوات عند العرب ، د. محمد حسين العليان ،
22.الفكر الصوتي عند ابن دريد ، د. خليل العطية ، كلية الآداب - جامعة البصرة ، ع16 ، 1980 .

23.الفونيم بين النحو العربي القديم وعلم اللغة الحديث ، د. عبد المنعم الناصر ، آفاق عربية ، بغداد ، س15 ، ع8 ، 1990 .
24.قضية الجيم في اللغة العربية ، د. غانم قدوري آل حمد ، الاقلام ، ع4 ، س 13 ، 1978 .
25.لمحة من المصادر العربية القديمة لدراسة الصوت ، عبد العلي الود غيري ، المناهل ، ع28 ، س10 ، 1983 .
26.المادة الصوتية في كتاب الايضاح في القراءات للاندرابي (الباب الثامن والعشرون) و (التاسع والعشرون) ، تح: حقي عبد الرزاق الصالحي ، المورد ، مج30 ، ع2 ، 2002 .
27.ما ذكره الكوفيون من الادغام ، لابي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت 368 هـ) ، تح : صبيح حمود الشاتي ، المورد، مج 12 ، ع2، 1983 .
28.المصوتات عند علماء العربية ، د. غانم قدوري حمد ، كلية الشريعة ، جامعة بغداد ، ع5 ، 1979.
29.المظهر الصوتي والاملاء ، محمد كاظم البكاء ، الحرف ، كربلاء ، مج2 ، ع1، س7، 1975 .
30.مقارنة معجمية بين اللغة الاكدية واللغة العربية ، أ.د. عبد الاله فاضل ، ندوة الاصل المشترك للغات العراقية القديمة ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1999 .
31.من مباحث الهمزة في العربية د. عبد الحليم علي محمد النجاؤر ن كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، مج 21 ، ج1، 1959 .
32.النتاج الجديد ، كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي ، د. رمضان عبد التواب ، الاقلام ، بغداد ، ج2، س5، 1968 .
33.النظريات الصوتية في كتاب سيبويه ، الطيب البكوش ، حوليات الجامعة التونسية - كلية الاداب والعلوم الانسانية ، ع11، 1974 .
34.هل تطور صوت الجيم، د. ادور يوحنا ، الاقلام ، بغداد ، ع1 ، س 13 ،1977 .
35.هل كان سيبويه محقاً في وصفه بعض الاصوات بالجهر ، د.ادور يوحنا ، آفاق عربية ، بغداد ، س15 ، ع1 ، 1990 .

Singular Sounds by Abi Hayyan AL-Andalusi in the light of old and recently studies

A thesis

By
Haider Kadban Muhsen AL-Juburi

Submitted to

The council of the collage of Education as a partial of the requirements of A Master Degree in Arabic Language and its Literature

Supervised by

Dr. Sabah Abbas AL-Salim

2003 **1422**

Abstract

The Phonetic studies by the old theorists are , still need reviewing , in spite of many studies by recently theorists . we still find some difficulties about what the old theorists wanted , and may be we put them in a mistake.

On the basis of thesis (Singular sounds by Abi-Hayyan AL-Andalusi in the light old and recently studies) as a modest attempt to study phonetic effort of old theorists , rather , from new scope . May be the thing which motivates us to this subject signs of some moderniters to new methodical work which Abu-Hayyn used , quoted with protract (AL-Tajweed) scientists texts , in addition to grammerians . These things grammerians before him don't knew. In addition to we found in his opinions and classification of sounds study as a work not empty from renew and inversion , this point , the researchers don't attention to it .

In this dissertation , we compared between work of Abi-Hayyan and studiers before and after him about singular researcher , in according to view of modern studies , sounds to know the points of invension of Abi – Hayyan and points which completed by others , and we try to know this researcher consistent with modern studies or no ?

The scheme of dissertation contains of preface , introduction , two parts , every part contains two chapters. Introduction assigned to certain (the origin of phonic studies by the Arabs) we are certainning about AL-Khaleel's effort in the preface of his book (AL-Aayn) , and we resulted that the AL-Khalil don't want distribute the sounds on the basis on vents , mean study the sounds as singular , AL-Khalil distribution is coming in according to five origins or aims in its positions .

We studied in the chapter one of part one foundation of sounds study as a lone at the Abi – Hayyan and Arabic scientists and modern theorists , we mentioned the old theoists who are Abu – Hayyan effected with him and who purused his method in this study . in addition to we corrected many of consepts and terms which don't explain by modern theorists as a tems (secret , appearance , strong , weak , increase of objective) ect …

The chapter two of part one contains of the vents of sounds , we divided it into two paragraphs , the first paragraph is about the vents of the vowels and semi vowels . the sound paragraph is about arrangement of sounds according to them vents . we ended that Ibu-Hayyan follwed apperand of Ibn-AL-Sarraj's distribution , and he have some qouted opinions about arrangement the sounds passed in some and failured in

others we mentioned his influence as : Makki bin Abi Talib , Abu Aamr AL-Dani , and Grammarian as : Ibn AL-Sarraj, Ibn Asfour , Ibn – Malik . we explain the situation of modern studies toward old theorist's concept with shown the different between its results and old theorist's results and whom it was a lot of accuracy in all things .

The second part we studied in its chapter one the contract chapters , they were eight . in addition to the two characters (dark , light).

While , the chapter two from this unit contains singular characters , we gave new concepts for these characters according to the view of the olds. We explain points of mixing and inattention , that many of modern theorists felt in it during their studies to this characters .

We don't forgot our discussion in this dissertation to sonic terms by old and modern theorists , we corrected a lot of it , as thanawiyyah, litaiyyah , and thalaqiyyah , ect … we supposed a new terms which were unknown in the sound studies as AL-Sawaiem which faced in the English terms , the term (semi vowel).